

قريتي

قالونيا

الارض والمجدور

قالونيا القسطل

دير ياسين

تأليف

غالب محمد سميرين

دار اليراع للنشر والتوزيع
٢٠٠٣

فلسطيننا في قصة قرية

لا تنسوا

قريتي قالونيا

الارض والجذور

فلسطيننا في قصة قرية

تأليف

غالب محمد سميرين

دار اليراع للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

٢٠٠٣

دار اليراع للنشر والتوزيع

الناشر
دار اليراع للنشر والتوزيع

□ عمان/ الشميساني- دخلة النادي الفيصلي-مقابل جسر المشاه للمستشفى التخصصي

هاتف ٥٦٢٧٨٣٢ ص. ب ٩١١٨٣٤

؛ خلوي: ٧٩٥٥١٩٣٠٣

□ حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية ٢٠٠٣ ؛

إهداء

الى أرواح شهدائنا في كل زمان، وفوق كل مكان، في
قالونيا، في القدس، في فلسطين، وفي كل الوطن الاكبر، الى
كل من اتخذ من "الفلسطينية" مذهباً في الشهادة... لوجه
الله والحق.

أقدم كتابي

غالب

٩٥٦،٤١١

غالب ، غالب محمد عبد الله احمد سمرين

قريتي... قالونيا: الارض والجذور / غالب محمد سمرين

عمان (د.ن)، ١٩٩٣

ر.ا. : ١٩٩٣/٢١/٤٣١ .

١- فلسطين- تاريخ ٢- القدس - تاريخ

٣- قالونيا أ- العنوان

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لم يدر في خلد المؤلف، الذي كان حدثاً لا يكاد يعدو الخامسة عشرة من سنّه، وهو يُبتم مع والديه وأخيه الأصغر وجهه شطر مصر، أن مغادرته لقريته قالونيا في الحادي والعشرين من تموز / عام ١٩٤٧ ستكون نهائية، وأنه لن يعود الى البيت الذي نشأ فيه وشهد أجمل سنوات طفولته وصباه.

صحيح أن الكاتب لم يكن بادئ ذي بدء من الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق، وأنه لم يغادر قريته لأجثاً، وصحيح أنه لم يتركها نازحاً أو مبعداً أو متصفاً بأية صفة من تلك الصفات التي أطلقت على الآلاف من أبناء فلسطين الذين اجتثوا من جذورهم، واقتلعوا من منابتهم، ولكن الصحيح أيضاً أنه وجد نفسه فجأة وبدون مقدمات، واحداً من هؤلاء الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق، وحيل بينهم وبين أن يقاتلوا في سبيل الله أولئك الذين أُخرجوهم.

كانت المعاناة التي عاشها صاحب الكتاب، لا تقل في حدتها وضراوتها وحرارة جذوتها عن تلك المعاناة التي أحس بها أي لاجئ شريد أو نازح طريد. لقد ظل الإحساس بالقهر الذي أحس به المؤلف لا يجد جواباً على تساؤله القائل: (وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا...) أقول لقد ظل هذا الإحساس ملازماً لغالب وجيله الذي مُنع من مقاتلة أعدائه في أي مكان يشقّفهم فيه.

وقد صحب هذا الإحساس إحساس آخر يتمثل في الحقد على صانعي مأساة فلسطين والإصرار على عدم الاعتراف بشرعية ما حدث، والعمل من أجل العودة، الزاخرة الى كل شبر من ثرى فلسطين ومعانقة كل ذرة من ذرات ترابها المقدس الطهور.

وقد ظل حلم التحرير يداعب أجفان الكاتب فيجعل منه هدفاً نذر كل جهوده من أجل تحقيقه.

وكان القلق من نسيان أي فلسطيني لمربع صباه، ومراتع طفولته في مقدمة المخاوف التي أزعجت جفني مؤلف الكتاب وبخاصة لدى أولئك الذين لم تكن حل عيونهم بمراى ربوع الوطن ممن ولدوا في أراضي الشتات... ومن أجل ربط هؤلاء بمغاني

الطفولة ومسارح الصبا ومرايح الشباب، كان هذا الكتاب.

عرفت أخي غالب منذ أن إستهلَّ صارخاً ونشأت معه في بيت واحد، وتجرعت معه أحزان مأساة واحدة، وعرفت فيما عرفت من صفاته الإيجابية الكثيرة، أن الانتماء الصادق الى ذوي رحمه وعشيرته وقريته ووطنه وأمته ودينه، في مقدمة الصفات التي حرص على تعميقها ودعا غيره في كل مناسبة سانحة الى التعلق بها والحرص عليها.

لقد كان غالب - حتى في أحلك الظروف وأصعب المناسبات - حريصاً على صلة رحمه، ومشاركة أبناء قريته في أفراحهم وأتراحهم ومن أكثر المتحمسين لإنشاء رابطة تجمع ما تفرق من شملهم وتبشر من نشرهم. بل إنه كان أحرص الناس على تعميق صداقته نجيم من عرف من الأصدقاء فلسطينيين كانوا أو غير فلسطينيين.

باختصار لم تكن علاقاته الاجتماعية علاقات هشة سرعان ما تتكسر عند اصطدامها بجدار الأنانية أو الاقليمية، بل كانت علاقات ثابتة ومتطورة، إيماناً منه بأن على كل فلسطيني رسالة تتطلب منه أن يكون الانسان النموذج، اذا هو شاء أن يخدم قضيته.

كانت قضية فلسطين وما زالت وستظل خبز الدائم، وهمه المقيم على الرغم من عدم إنتمائه الى أية جماعة أو حزب أو تنظيم.

غالب سمرين إنسان فلسطيني أمضى أربعة وثلاثين عاماً من سنوات سنّ الستين في تعليم أبناء شعبه وأمته، ويقيني أنه قد قدم الى قضية أبناء شعبه وأمته من الخدمات النافعة أكثر بكثير مما قدمه الكثيرون من المتأجرين بالقضية ومأساة أبنائها.

ولعل كتاب "قريتي... قالونيا" الأرض والجذور، الذي يقدمه غالب الى القراء ليس الا عملاً يتوج به جهوده في خدمة القضية.

لقد دفعه حرصه على بقاء قالونيا حاضرة في أذهان أبنائها حية في قلوبهم تجري صورتها مجرى الدم في عروقهم الى وضع هذا الكتاب الذي صور فيه، طبيعة قالونيا الجغرافية والعمرانية وحياة أهلها الاجتماعية، بما تشتمل عليه من عادات وتقاليد في أفراحهم وأتراحهم وجهادهم ضد الاستعمار والصهيونية منذ عام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٤٨.

لم يعتمد الباحث في وضع هذا الكتاب على ذاكرته وحسب بل عمل لمدة أربع

سنوات على الإتصال بكل من مكنته ظروفه من الإتصال به من شيوخ القرية ونسائها، فحصل منهم على معلومات كثيرة قيمة، وقد رجع الى عدد كبير من المراجع التاريخية المتعلقة ببخته هذا، فجاء كتابه موثقاً وافياً يجدر بكل فرد من أبناء قالونيا أن يقتنيه.

بل إنني أقول أن هذا الكتاب وأمثاله من الكتب التي وضعت عن العديد من مدن فلسطين وقراها لم توضع فقط لأبناء هذه المدن والقرى بل وضعت لكل فلسطيني، لأن من البدهي أن أية مدينة أو قرية لم تشكل في تاريخها الحديث وحدة سياسية أو إجتماعية تجعلها متفردة منفصلة عن سواها.

إن القراءة المتأنية الى ما تضمنته فصول هذا الكتاب من معلومات توضح مدى الارتباط بين قرى فلسطين ومدنها من جهة وبينها وبين غيرها من الأقطار العربية من جهة أخرى مما يعطي هذا الكتاب صفة الشمولية، على الرغم مما يوحي به عنوان الغلاف.

وأخيراً فإنني آمل أن يضيف صدور هذا الكتاب عاملاً جديداً الى العوامل التي تدفع بأبناء قالونيا الى مزيد من الترابط والتلاحم عبر رابطتهم المرخصة، حتى تلحق بغيرها من روابط القرى وجسياتها التي قدمت الشيء الكثير الى أبنائها في مختلف المجالات.

وقديماً قالوا: إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة، ويقيني أنه ليس في هذه الحياة من عوائق وعقبات يمكن أن تستعصي على همم الرجال المخلصين، أو تحول بينهم وبين تحقيق طموحاتهم. لن يمضي وقت طويل قبل أن ينقرض جيل غالب والحجيل الذي يليه فهل لنا في أن نكون على قدر المسؤولية، تجاه الأجيال اللاحقة التي لم تشأ لها الأقدار أن ترى قالونيا وغيرها من مدن فلسطين وقراها... أرجو أن نفعل، والله من وراء القصد.

د. رجا سمرين

عمان في ١٢/١/١٩٩٣م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أنهيت كتابي هذا في زمن الذهول والاحباط، وفقدان الوعي والتخلي عن الذات. في الزمن العربي الأنكد، وفي زمن المسلمين الأردأ.. في زمن أعنف صدمة تعرضت لها أمتنا، هذه الصدمة التي أعادتها الى نقطة العدم.

في زمن النفايات العربية والإسلامية، قدمت الغطاء والعطاء، والمال والرجال لأعدائهم ضد أنفسهم، فانتصر عليهم عدوهم، وصادر كرامتهم القومية، وأتم عزتهم الإسلامية، وحكم عليهم بحرمانهم من الأسلحة المتطورة، وامتلاك الأسلحة النووية، بينما تبيع ليهود تكديس أسلحة الهجوم وتطويرها، والاحتفاظ بترسانة أسلحة نووية... وأكثر من ذلك... أمرهم باطفاء شعلة الاسلام وروح الجهاد في ذاتهم ليجردهم من سلاحهم المعنوي الذي خبروه طيلة الفترات المضيئة في تاريخهم. أنهيت كتابي هذا، وخواطُر شتى وذكريات عندي تعبر أفق الخيال... وتذكرت عندما كنا أطفالا في المدارس، كان مدرسوننا رحمهم الله أول ما يلقنوه لنا بيتا من الشعر:

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا واذا افترقن تكسرت آحادا

بلاد العرب أوطاني	من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن	الى مصر فتطوان
فلا حد يباعدنا	ولا دين يفرقنا
لسان الضاد يجمعنا	لغسان وعدن
لنا مدينة سلفت	سنحييها وإن دثرت
ولو في وجهنا وقفت	صفوف الإنس والجان

أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا
ولكن للأسف الشديد، ينطبق علينا في الزمن الأردأ والخذلان الأكبر، هذا البيت:
لكن قومي إن ركبت لسبقة شهرُوا صوارمهم لعقر جوادي

في أيام هذا الزمان، وأنا أشاهد جنود يهود ومستوطنهم، وهم كالكلاب المسعورة، يلقيون رجلا مستأ على الأرض، ويدوسونه في بطنه بأقدامهم، ويسحبونه برجليه فيجردونه من بنتلونه، أسترجع ذكرياتي، ونحن أطفال نهاجم شباب اليهود - وليس كبار السن منهم - وهم في لباس الكشافة يصعدون الجبل أو ينزلون الوادي في مناطق القوس الشرقي في بلدتنا الحبيبة قالونيا، وفي أراضي السفحة جنوب قريتنا، نظاردهم... ونجري خلفهم، حتى نتمكن من أحدهم، وزملاؤه يحاولون إنقاذه أو يتهربون، ولا يمنعم منا سوى تدخل سيدة فاضلة، أو رجل مسن من أهلنا وهم يملكون بنا حينذاك. أسترجع ذكريات الأمس البعيد والقريب. وقد قص علي بعض أهل بلدي وغيرهم، كيف كانت بنات يهود ينشدن ويغنين بعد سقوط القسطل:

احنا بنات الهاجاناه خلي العرب تلقانا
ذكريات هذا الزمن وأنا أتوجع من أحداث حرب لبنان، أشاهد صور القتل والجرحى في المخيمات... بالآلاف من الفلسطينيين... في صبرا وشاتيلا... وفي كل مكان. بطون مبقورة، وأذرع مبتورة، وعيون جاحظة لم تجد من يسبها أو يقرأها الشهادة، رقاب غائرة مطعونة، صدور مخترقة، ورؤوس منسوفة وأعضاء حساسة منتزعة، وجثث مجروقة، بدت الواحدة منها وكأنها صخرة أو حجر، وُضع مضمومة، قتلتها وأمها ذات الرصاصة. نساء وشباب وأطفال وشيوخ، ذُبحوا من الوريد الى الوريد بالسكاكين "والبلط" (١) والخناجر أو قتلوا بالرشاشات.

أذكر هذه الأحداث وأحداثا جرت قبلها بعام عندما قام مهندس تلك المجزرة - المجرم الإرهابي أرييل شارون - بزيارة القاهرة، يتفاوض مع وزارة الزراعة هناك.. "لتعمير" مثلث الفيوم!!!
أستعيد ذكرياتي وأنا أتوجع شريط الأحداث، يوم أُعلنت دولة إسرائيل رسميا، غضب الإرهابي المطلوب حينذاك "مناحيم بيغن" لأنها لم تقم على كامل الأرض التي وعد بها الرب آل اسرائيل... وبعد ثلاثين عاما وقع معاهدة سلام بعد أن حقق دولة يهود على كامل تراب أرضنا في فلسطين، وعلى رأسه طاوية الحاخامية، دليل على تمسكه بوعود الرب.

(١) أي البلطات جمع بلطة.

المرارة تقتلني، وأنا أتذكر فتاوى رجال الدين في هذا الزمان، رجال الأزهر منذ أن أفتى مفتيهم بصحة اسلام نابليون بونابرت في مصر، وأنه يعبد الله أكثر من الممالك! الممالك الذين حاربوا الصليبيين وهزموهم وطردوهم من بلاد الاسلام - وأن الفرنساوية مسلمون مخلصون!

الى أن جاءت فتوى "علي جاد الحق" التي قال فيها بتكفير رئيس دولة عربية اسلامية وتبيح قتل جنوده المسلمين وأن الإسلام يسمح بالتحالف حتى مع أمريكا ويهود ضد المسلمين "الزنادقة" كما أسأهم. فتواه بارك فيها باحتلال الأمريكيين، وبانطلاق غريبان أمريكا وبريطانيا لدك أرض القادسية وذو قار...! وقد تناسوا وغضوا الطرف عن فتوى الأزهر السابقة على ذلك، أيام الناصرية، والتي أجمع فيها شيوخ المذاهب الإسلامية الأربعة على تحريم الصلح مع يهود. وأنا أقرأ وأسمع تلك الفتاوى ترحمت على الشيخ الجليل "العز عبد السلام" لقد عقد نجم الدين اسماعيل ملك دمشق مع الصليبيين منذ ثمانمائة عام، معاهدة أشبه ما تكون بمعاهدة "كمب ديفيد"، وقاد المعارضة هذا العالم الجليل "العز عبد السلام" فسجنه، وأخذ يتباهى ويتناخر أمام الصليبيين باعتقاله وسجنه، فأجابه وفد الصليبيين المفاوض حينذاك: "يا ليت لنا من علمائنا أمثال العز بن عبد السلام".

ذكريات كالدمامل الغائرة في الضمائر، تجعلني دائماً الحسرة وأنا أستعيد درجات التنازل في سلم قضيتنا: قبل عام ١٩٤٨ كانت فلسطين قضية العرب أجمعين، ثم صارت قضية دول الجوار. وبعد عدوان ١٩٦٧ طالب العرب ببعض فلسطين، وبعد حرب التحرير ١٩٧٣ صارت القضية قضية أصحابها الفلسطينيين وحدهم، وطلبوا مكاناً في أريحا... في تسوية سياسية!!

قرأنا وعشنا ما قرأناه كيف أن الصهيونية بدأت كفكرة، ثم تصاعدت الفكرة وتطورت، حتى أصبحت دولة عضواً بالأمم المتحدة، وطيلة فترات تحقيق الدولة فوق أرضنا التي اغتصبوها في فلسطين، كان معظم أمانينا عرباً، هو "تنقية الأجواء العربية" والعودة الى حدود سنة ١٩٦٧ وعلى صعيدنا الفلسطيني يصرح أحد المسؤولين منهم عام ١٩٨٦ "قطعنا شوطاً بعيداً نحو الوحدة الفلسطينية".

يا الله ما أشد وطأة الذكريات... وغيرها كثير... يشكل بنیان ثقافة ثورية عارمة تجعلنا

نتمسك بالأرض، بأرضنا، ومن أجل تلك الثقافة، كتبت كتابي هذا عن بلدتنا الخالدة قالونيا، حتى تظل الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا، وأحفاد أحفادنا... مرتبطة بأرضها وبقريتها وبلادها فلسطين قاطبة من البحر... الى النهر.

كتبت لهم عن كل شيء في بلدي، عن البيت وملحقاته، عن حيواناته وعن طيور، عن الحقل والكرم والبستان والحأكورة، وعن الجهد والعطاء، عن الينابيع والعيون فيها، عن آبارها وبيادرها، عن جبالها ووديانها، عن مغرها وجرونها... عن أقسامها وأرضها وذكرى وبعضاً من أصحاب الجذور فيها. كتبت عن أجدادنا الذين عاشوا فيها الى قبل عام الشتات ١٩٤٨م متعاونين متحابين، معززين مكرمين، تحذوهم فلسفتهم الخاصة بهم، فكان فرحهم وتواصلهم وتفكيرهم. كتبت عن حياتهم البسيطة التي كانوا يسعدون بها.

أحببت أن يعرف ابن قريتي، قريته قالونيا وأهلها بكل تفاصيلها، بحسناتهم مع سيئاتهم، فيقوي ارتباطه بأرضه ويزداد إصراراً على التمسك بها، فلا يقبل التفریط بها، مقابل "الشلوم" لعدوه يهود، ومقابل استسلام العرب الأنكد وفلسطيني الخذلان الأكبر... وليأخذ ابن قريتي وكل الأبناء في كل قرى فلسطين - ليأخذوا حذرهم من تصريحات التفریط بالأرض وبالوطن التي كان آخر ما قرأته قبل طباعة هذا الكتاب، وعلى لسان أحد المسؤولين الفلسطينيين في اللجان المتعددة الأطراف لبحث قضية "اللاجئين" ذلك التصريح الذي طالب فيه بالتكيف مع الواقع الدولي، حتى لا يخسر الفلسطينيون فلسطين، كما خسر المسلمون اسبانيا، مشيراً أيضاً أن جدول الأعمال المتفق عليه للجنة "اللاجئين" لا يحتوي على أي بند يتحدث عن حق العودة، أو ترتيبات العودة. أعوذ بالله من الخذلان.

"... فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون". صدق الله العظيم.

غالب سميرين

الاثنين ١٨ أكتوبر ١٩٩٣م.

الفصل الأول قالونيا والذاكرة

قالونيا - بلدتي الخالدة، خلود الأرض والروح حتى يرثهما الله - إحدى القرى الخمسين (١) التي تشكل مجموعة قرى بيت المقدس الشمالية، تقع على بعد سبعة كيلو مترات إلى الشمال الغربي من القدس، على طريق يقسم فلسطين إلى شمال وجنوب، وهو طريق القدس يافا الذي يبدأ من مدينة أريحا على نهر الأردن في الشرق ويتجه غرباً حتى ينتهي في مدينة يافا على البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ طول هذا الطريق - من القدس إلى يافا - ٦٣ كيلو متراً.

كان أهل البلدة يستخدمون في توجههم إلى القدس والعودة منها حافظتين يملكهما اسماعيل خليل رمضان وعسكر وشريكه علي حسن سليمان حمد مشعل، تتحرك كل منهما من موقعها في باب الخليل، بالقرب من فندق النبي داود حينذاك في القدس، وتسير باتجاه الغرب لتمر بعد ثلاثة كيلومترات بقرية لفتا وتشاهد شمالاً قريتا بيت اكسا والنبي صموئيل وهي من أعلى قمم جبال بيت المقدس، والتي ترتفع (٨٠٠ متر (٢) فوق سطح البحر). ومعاناة الوادي الكبير يظل الراكب على خربة عين طلعة حيث تلتصق أراضيها وأراضي بيت اكسا بأراضي قريتنا الخالدة في موارس لوزة وفي أراضي حريقة السلم.

وفي الأفق الموازي لقمة جبل النبي صموئيل تقع قرية دير ياسين، وعلى امتدادها إلى الجنوب الغربي والغرب تقع قرية المالحمة وقرية عين كارم الجميلة لتقابل قالونيا على البعد المنظور. تستمر سيارتنا غرباً لتمر فوق جسر موصة التحتا جنوب بئر ميخائيل. ومن ثم تسير الحافلة فوق جسر قالونيا الكبير لتوصلنا إلى آخر محطة لها عند كراجها، نجوار المقبرة وأمام منزل "كس اليهودي".

(١) بلادنا فلسطين ج ١ للاستاذ مصطفى مراد الدباغ.

(٢) فلسطين أرض وتاريخ د. محمد سلامة النحال.

إذا تابع الراكب في الحافلة الاتجاه إلى يافا، فلا بد له أن يمر (بعد توقفه في قالونيا عند المقبرة المركزية للبلدة) بقرية القسطل ذات الخمسة عشر بيتاً والتي تشكل حصناً مرتفعاً فوق الجبل المسمى باسمها، فتشرف على الطريق بقراه وبمستوطناته. وبعد القسطل، وعلى جانبي الشارع، يمر الراكب بمستعمرة الدلب وبقري بيت نقوبا وأبي غوش وسريس وبيت محسير، ويكون في تلك الأثناء قد مر في الجهة الأخرى ببعض القرى - جنوب طريق القدس يافا - والتي تتشكل منها مجموعة قرى بيت المقدس الجنوبية: صوبا ودير عمرو وكسلا وأشوع وباب الواد واللطرون، ليتجه بعد ذلك شمالاً إلى اللد والرملة ومن ثم إلى السهل الساحلي حيث مدينة يافا على البحر.

وقريتنا قالونيا قرية جبلية جميلة، تنتشر بيوتها فوق امتداد سفح أحد جبال القدس الغربية والتي ترتفع ٦٠٠ م (١) عن سطح البحر، شتاؤها بارد، قد ترتدي فيه حلة ثلجية بيضاء لأسابيع ثلاثة، وفي ربيعها تكتسي ثيابها الخضراء المزركشة الألوان، وتزينها في الصيف سبائك الذهب العشبية والزهورية الصفراء، وفي خريفها تبدو أشجارها وقد تجردت من ملابسها لتخلد إلى النوم، تبدو وكأنها في نوم الطفولة البريئة تستسلم له إلى حين.

وقريتي قالونيا لمحة من لمحات الإبداع الإلهي في هذا الكون، تدعو العقل، وتستهوئ الروح للتفكير والاستمتاع بجمالها. تحيط بها أرض خضراء، وفيرة الشمار. ويلطفها جو منعش وطقس معتدل أغلب شهور العام. تسقيها ينابيع وعيون، مأوها عذب سلسيل نقي. كما تكون العذوبة والسلاسة والنقاء، تغسل العقل وتنقي القلب وتطهر الروح. جبالها تكسوها الأشجار المباركة، أشجار التين والزيتون، والتي يحبه الإنسان والعصفور فأشجاره لا تنفك تطعمهما معا منذ أن عبق الزمان برائحة الوجود. والزيتون وهو أرفع أوسمة الله جمالا وشأناً رزّن بها صدور الجبال.

وبالقرب من وديان قريتي قالونيا، ونجوار عيونها تمتلئ جناناها بالرمان، وبساتينها بفاكهة التفاح والأجاص والبرقوق والدراق المختلفة الألوان والأنواع والأشياء. وفي شمال القرية وغربها تتجذر كروم العنب ودواليها رخم أرضنا التي نجحها، منها

مرفوعات على عيدان وسيقان، ومنها متروكات على وجه الأرض متحدرات. وإلى جوارها تنتشر حقول وموارس الحبوب، القمح والشعير، والعدس والحمص والكرسة، حدائق وبساتين وكروم وحقول وموارس تخرج ثمارها يانعة ناضجة في غاية الجودة والطيب، فتبأهى الطبيعة فيها بمنظرها البهيح في الزمان والمكان فتملأ صورتها الأنيقة عيون المتوسمين. وتبارك الله أحسن المبدعين.

يضم كثير من كروم البلدة وبساتينها منطارا يبيت فيه صاحب الأرض ويقيم فيه عند الظهيرة مع أفراد عائلته ويقضون فيه شهور الصيف الأربعة، وهي فترة الحصاد وجمع الثمار:

وأذكر من تلك المناطير مناطير صعدت فوق سطوحها وتفيأت بظلال عرائشها، وقلت فوق مصاطبها بين الحجر والحجر مرات ومرات. ومن تلك المناطير: منطار الحاج حسين سلامة حسين عسكر في كرم البص في الشمال، ومنطار كرم الشيخ اسماعيل سالم الغليظ تحت خربة فرحان وفوق بلوطات مقام الشيخ حسين، ومنطار دار فرحان ابو سعد نجوار عين فرحان. ومنطار دار سمرين عسكر خطاب غرب كروم دار عسكر في البص، والذي انتقل بحكم الإرث الشرعي للعملة نعمة سمرين زوجة ناصر الخطيب ابو سعد، ومنطار الحاج حسن الخطيب غرب البلدة وشمال الشعاب، ونجوار منطار أبي روز اليهودي، ومنطار عيش اليهودي الذي اشتراه منه العم مصطفى رمضان عسكر خطاب أخيرا، ومنطار لقح، ومنطار عيسى حمدان وتقع ثلاثتها المذكورة في أراضي قرية بيت مزه في أراضي البيار، في الشمال عند حدود قرية بيت سوريك، وأخيرا منطار محمد عثمان سمور عسكر، في منطقة التعامير عند عراق علي اسماعيل.

وكان صاحب المنطار يبني منطرتة بحجارة من أي نوع وبأي حجم دون ملاط أو أية مادة لاصقة، بحيث يكون شكل المنطار مخروطيا مقطوع الرأس، لتتسع قاعدته فتستخدم كغرفة للصغار والنساء أثناء العزبة فيه أو النزول في شهور الصيف. كما يستخدم للتخزين وحفظ موادهم الضرورية لهم أثناء فترة بقائهم فيه. أما سطح المنطار فكان عادة سكنا خاصا لصاحبه مع زوجته، يقيم فوقه عريشته من أعمدة الخشب أو العيدان يثبتها بين حجارة المنطار، ويسقف عريشته بأغصان الأشجار ويلف جوانبها بأكياس الخيش، يجعل منها الهواء لعبة له، فتزيد (اللعبة) لعبة الهواء

وأكياس الخيش من حركة النسيم خارج العريشة وداخلها، ينام فيها الزوجان، وقد تعودا على حب المبيت في الشجر على المبيت في الحجر، وفوق السطح يجلس الناطور، يحرس الكرم ويراقب البساتين.

وتظل الأرض الطيبة تحتضن قريتنا بأشجارها وخضرتها من شتى الأنواع، حتى صبارها الشوكي من ناحية الشرق حيث أطيب أرض وأزكاها، كانت تعطي أطيب أنواع التين الشوكي "الصبر"، والمشمش البلدي والشلاي والحروب في منطقة الحريقة. وتمتد أراضي الحريقة جنوبا لتلتقي هناك بأرض الحبال التي يمر بجانبها الوادي الكبير، ووادينا هذا (١) يكونه وادي الصرار بما يحمله من مياه الأمطار التي تنهمر فوق تلال قرية الرام وبير نبالا، مارا ببيت حنينا ولفتا وقالونيا وصطاف، وعند عكور تلتقي به مياه وادي بئر القادمة من بيت صفافا وشرفات مارة بقرى الوجبة وبئر والقبو، ويدعوه الأعداء، اليهود باسم وادي رفائيم لأن الروفائيين هم أول من استوطنوه قبل ابراهيم الخليل.

أقول يمر بمحاذاة أرض الحبال الوادي الكبير الذي كثيرا ما انهارت أمامه السلاسل المتينة وأسوار الاسمنت المصبوبة لتحذ الأراضي هناك، فتجرفها مياهه العارمة المتدفقة في فصل الشتاء، وتقضم منها أقساما من الأرض المزروعة فتبدو الواحدة من تلك الأراضي كتيبة حزينة، تبكي أجزائها المقضومة التي ابتلعها الوادي مما يدفع أصحاب تلك الأراضي المنكوبة الى إعادة بناء الجدران والسلاسل أو صب الاسمنت والجير لتنهدم مرة أخرى، في كرة أخرى لمياه ذلك الوادي العاتي القوي، الذي سمي من ثم بالكبير. وكثيرا ما سمعنا عن قصص الغرق فيه من أهالي القرى الواقعة على جانبيه وهم يحاولون عبوره، فتسحبهم مياهه ليظهروا جثثا طافية فوقها أو تلفظهم عند نقاط من جوافه في قرية أخرى في مكان بعيد.

يحد قريتنا من الشمال قرية بيت سوريك، ومن الجنوب المستوطنتان موصة التحتا وموصة العليا (آرزا) وفي الشرق تحدها خربة عين طلعة وأراضي قرية بيت اكسا ومن الغرب قرية القسطل وقرية بيت نقوبا.

(١) بلادنا فلسطين ج ١ للاستاذ مصطفى مراد الدباغ.

الأربعة في نقطة في الوسط تسمى "الركب" لتشكل القبة. وعقد الصليب رأيت
وتفرجت عليه وراقبت تنفيذه في بيوت في قريتي أذكرها: رأيت في دور الصرص
ودور رمضان ودور صباح التحتا ودار موسى عبد ربه. ورأيت تنفيذه في دار أخينا
أحمد محمد طليب مخلوف. وكان أمهر من بنى عقد الصليب من أهل بلدي، البنائون
عبد الله محمد علي سلامة عسكر خطاب، وقاسم خضر درباس وأحمد عويدات أبو
سعد.

ويفسر إقبال أهل بلدتنا على عقد بيوتهم بطريقة العقد الصليبي إلى غلو ثمن
جسور الحديد وندرة وجود جسور الخشب الجيدة في أواخر القرن التاسع عشر،
كما أن الأسمنت لم يكن قد تعرف عليه الناس أو تعاملوا معه.

يشارك أبناء البلدة من الجيران والأقارب والمعارف في تنفيذ عقد الصليب على شكل
"عونة" أو مساعدة يقدمونها لصاحب البيت، عشرات من الرجال وبعض النسوة
يقوم كل منهم بعمل: منهم من يحمل "العقاد" وهو الاسم المفرد للحجر المستعمل في
بناء العقد الصليبي، والحجارة الخاصة ببناء العقد الصليبي يحملونه إلى أعلى البيت،
حيث قبة قد سبق بناؤها وتهيئتها منذ أيام فوق قوسين أقيما على الزوايا الأربعة للغرفة
أو الركب متقاطعين، وتحت القوسين طوبار الخشب المثبت في الفراغات بين أجزاء
القوسين المتقاطعين، ومن فوقه يوضع الملاط اللاصق المعجون من التراب والشيد
(الجير). ومن ثم يثبت في تلك المادة اللاصقة العقاد أو الريش، الواحد فوق الآخر
بشكل رأسي أو يُغزَّز غزًّا. وبعد أسبوعين يجري فك الطوبار، وتزال الأغصان، ويسقط
التراب الناعم، فتظهر القبة عالية تزيد من علو الغرفة.

وفيما يلي أقدم وصفا عاما للبيت القالوني حتى أربعينات القرن
العشرين. يتألف البيت من جزئين: الدار التحتا وملحقاتها، والدار الفوقة أو العلية.
بنيت الدار التحتا من الحجارة الطيبة الكبيرة تصفحها من الداخل وركبة من الحصى
المتعدد الأحجام، مغطى بطبقة من الطين، طين التراب الناعم والمعجون مع الشيد
بالماء، وتطلى تلك التصفحة بمحلول الجير (الشيد أو الكلس) مخففاً بالنيلة ذات
اللون الساوي الخفيف قبل السكن فيها. والدار التحتا غرفة واحدة واسعة كما
أسلفت. وتتألف أرضيتها من جزئين: الجزء الأول عبارة عن مصطبة تشكل ثلثي أرضية
الغرفة كلها، وترتفع عشرين سنتمرا عن مستوى بقية الغرفة، وفي بعض الدور، يرقى

الداخل إلى تلك المصطبة من فوق أربع درجات. وقد قسمت تلك المصطبة إلى
قسمين، يفصلهما حاجز تصنعه ثلاثة براميل متراصة على التوالي بجانب خاوية كبيرة
تحفي وراءها زاوية كاملة من الدار، تتصل بقاع البيت عن طريق باب يظل مفتوحا.
الجزء الثاني، ويسمى قاع البيت، وهو الجزء المنخفض بقرب الباب، باب يغلق
على الجزئين - باب حديدي سميك يعالجه من الخارج مفتاح حديدي ثقيل، يزن على
الاقل نصف كيلو غرام. ويحكم إغلاق الباب من الداخل بزند من الحديد، على شكل
ذراع بطول دفتي الباب مثبت في جدار المنزل، وينتهي الزند بطرف خطافي معقوف،
يدخل في فتحة خاصة ملتحمة بالباب، حيث يستحيل فتحه بقوة الإنسان العضلية.
والزند يساند المفتاح في إحكام غلق الباب جيدا. تعيش الأسرة كلها - وقد يصل عدد
أفرادها إلى العشرة - فوق المصطبة في الدار التحتا، يجلسون فيها في النهار
ويتسامرون ويسهرون في الليل قبل أن يداهمم النعاس فيستسلمون للنوم. يصطف
الفرش فوق الحصيرة على أرض المصطبة، يبدأ الفرش من نقطة عند بداية إحدى
زوايا الدار حتى يصل إلى نقطة مثلها في الزاوية المقابلة لها. تتجاوز البنات في المنام،
ويتمدد الأبناء على التوالي فيكون أصغرهم بجانب الابوين. على يمين الغرفة وفي داخل
الحائط الذي غالبا تظهر فيه قطعة غير منتظمة من الصخرة المقام عليها أساس
البيت، هناك يوجد "المركس" وهو عبارة عن تجويف مربع في جدار الغرفة الأيمن
وعلى ارتفاع متر واحد من المصطبة، كان المركس مخصصا لطبي ما تملكه الأسرة من
فرشات وحف ووسائد، تركس فيه أولا الفرشات واللحف والوسائد القطنية القيمة
المخصصة للضيوف، ومن ثم يطوى فوقها فراش أفراد العائلة، وكلمة "مركس" كما
جاءت في القواميس العربية اسم مكان يرد إليه الشيء بعد استعماله ويحفظ فيه مطويا
أو مقلوبا، وهكذا كان الحال مع فراشنا كل مساء وكل صباح، فالكلمة عربية
صحيحة.

وتواجه قمة المركس عند الحائط المقابل له، رفا خشبيا قويا بعرض نصف متر. يبدأ
ذلك الرف عند نقطة في الزاوية، ويمتد على طول الحائط حتى الطرف العلوي لشباك
الغرفة الوحيد. تصطف فوق الرف طناجر البيت والصواني النحاسية ونجوارها طباق
الطعام الخشبية: الباطية وتحتضن الكرمية في داخلها وهذه تقع فيها مجموعة من
الهنائي، وكلها صحن خشبية تتدرج في حجمها، يصنعها النجار الماهر بحيث لا

يسمح للسوائل كالمرق واللبن والماء من التسرب خارجها. وكانت تشاهد بجانبها الأواني الفخارية المتعددة الأشكال والاستعمالات. ويحفظ فيها، أي في تلك الأواني الفخارية المطلية من الداخل خصوصا - قطع اللحم المطبوخ أو النصف مقلي بالسمن والشحم والملح "الفرما". وتمتلئ مرطبانات الزجاج المتجاورة على الرف بأنواع التظلي (المرنى) المصنوع بيتيا - على يدي ست البيت القلوانية المعدلة - من المشمش والكراسيا والخوخ، وفي بعض البيوت كانوا يصنعون مرني العنب "العنبطبخ" وتتدلى من حواف الرف السمكة أدوات مطبخية من مغارف خشبية أو توتية أو القلايات النحاسية، وإلى جوار المقلاة قد تتدلى رؤوس السكر المخروطة الشكل والملفوفة داخل زعابيب زرقاء اللون، كانت الأسر تتباهى بعرضها في بيوتهم على تلك الحالة أيام الحرب العالمية الثانية. وفوق عتبة الشباك ترقد قطرميزات الشاي والقهوة والسكر والتوابل والزعر. على يمين الداخل إلى قاع البيت مباشرة توجد سيدة، يقسمها في وسطها إلى قسمين متساويين في الاتساع رف متين، يحفظ في الجزء السفلي منه زير الرصيص، وجرة الزيت، وقفقور السمن، وخريطة اللبن الجميد، والكشك، أما الجزء العلوي من السدة وفوق الرف فكانت تستعمل لحفظ البصل والثوم والملح الحشن ومجموعة أكياس وخراطم العدس والبرغل والفريكة والحمص...

وفي الليل قد تشارك البقرة أصحابها في غرفتهم خلف البراميل والخاوية، تقف في ذلك الجزء وتنام فيه في أمان وفي صون، بعيدة عن اللصوص من بني الإنسان، وفي الصباح تسحب إلى خارج الدار لترتبط في ساحتها أمام مذودها.

في البراميل الثلاثة تحفظ سيدة البيت، القمح والذرة والشعير، وفي الخاوية تحفظ الطحين المعد للعجين اليومي.

وعند عتبة الدار يقع مصرف البيت حيث يستحم أفراد العائلة فيه يوم الجمعة بالذات. وأمام الغرفة أو الدار التحتا ساحة سماوية واسعة تبلغ مساحتها أكثر من خمسمائة من الامتار المربعة، ساحة صخرية غير منتظمة خالية من التراب شبه مستوية لها مدخل أو مدخلان ليتصل كل منهما بالطريق العام مع طرق القرية الأخرى.

وأمام الدار التحتا في طرف الساحة السماوية وعلى تل تصعد إليه فوق أربع درجات تقع غرفة الطابون، في داخل تلك الغرفة كانت تجري عملية الخبز، والطابون عبارة عن أداة طينية دائرية الشكل نصف قطرها لا يقل عن ٧٥ سم واسمه "القحف" ذو فوهة دائرية نصف قطرها ثلاثون سنتيمترا تغطي بغطاء معدني خفيف دائري، في وسطه مقبض ثابت من الخشب. تغطي قاعدة القحف عادة بحجارة صغيرة ملساء متقاربة الحجم؛ مختلفة الأشكال تسمى (الرضف)، كنا نجتمع من بين حجارة الوادي الكبير أو من الوادي الغربي، جنوب بلدتنا قالونيا. وتضم غرفة الطابون مستودعا لحفظ وقوده من الزيل، وهو روث الدواب وبعر الأغنام والجمال المخلوط بالقصول، كما يحفظ في المستودع ذاك وقود العائلة لتدفئة البيت في الشتاء كحطب كرامي الحروب والبلوط ومعه النتش والبلان سريعا الاشتعال. ولغرفة الطابون باب صغير يغلقه غصن كبير من الشجر أو لوح معدني أو برميل كبير خارج الإستعمال لمنع الحيوانات، أو الأطفال من الدخول في غرفة الطابون دون مرافقة الكبار لهم.

وتقوم سيدة البيت أو ابنتها أو كُنتها وفي أحيان أخرى حمايتها، تقوم بعمليتين اثنتين قبل الشروع في تحضير العجين لخبز في الطابون. وتسبق هاتان العمليتان عملية الخبز بعشر ساعات على الأقل. العملية الأولى: عملية تزييل الطابون، تُزجج المرأة الرماد حول القحف لإضافة الزيل الجاف حوله ثم تعيد الرماد فوقه بحيث يتخلله ويغطيه، ويكون الرماد عادة ساخنا وحارقا بفعل فتحة في طرف قاع القحف يوقد فيها الحطب، وتسمى العملية الأولى هذه عملية "الترديد" وتعني تحويل الوقود من الزيل وغيره إلى رماد ساخن خلال العشر ساعات، لإنضاج العجين عند خبزه داخل القحف.

العملية الثانية: ويكون العجين خليطا من دقيق القمح المنخل بالمنخل الناعم مع دقيق الذرة الصفراء أو طحين الشعير عند العوائل المتردية الأحوال، يضاف إلى الخليط عجينة الحميرة، عجينة الحميرة التي كانت قد فصلت وعزلت من عجينة الخبز السابقة وحفظت في وعاء من القش بحجم الصحن العادي تسمى (القبة). وفي الصباح يكون العجين قد انتفخ حتى فاض حول حواف باطية العجين دليلا على أنه قد اكتمل اختماره، فيقطع إلى قطع مستديرة رقيقة أو سمكة حسب الطلب، ومن ثم ترك قطع العجين ترتجج فوق صينية القش التي صنعتها سيدة الدار

من قش وسيقان سنابل القمح الصفراء، تترك دقائق معدودة ومن ثم تبدأ عملية الخبز، وتبدأ سيدة الدار خبازة ذلك اليوم بادخال قطع العجين المستريح داخل القحف المحامي، وتصفها فوق الرظف الذي اكتسب الحرارة المطلوبة بفعل احتراق الزيل وتحوله الى رماد حام. فاذا ما نضج العجين داخل القحف تخرجه صاحبه أرغفة مزرکشة قد تركت حجارة الرضف بصاتها الضاغطة عليها، ويبدو الرغيف وكأنه لوحة فنية سرالية تحتل الكثير من التفسيرات والشروحات والتعليقات... ويساعد الطابون سيدة الدار في تجهيز وانضاج أنواع كثيرة من الأطعمة مثل: المطبق السكري والمطابق الزعترى، وأقراص اللحم وأقراص الحميم والمثل والمناقيش والكراکش والكرايش وصواني اللحم والخضار وقذور الطاجن الفخارية والقشاوش التي يتردد داخلها صدى صوت غليان المرق فيها. وتدفن سيدة الدار في الرماد وحول القحف ما تشاء من حبات البطاطا ورؤوس البصل أو البنجر وحتى البيض عندما تتأكد من انخفاض درجة الحرارة فيه.

يشكل حائط الطابون نصف حائط السقيفة الطولي في الوقت الذي يكون فيه حائطها العرضي على استقامة جدار الطابون الآخر مما يجعلهما أي الطابون والسقيفة يشتركان بسطح واحد من جذوع الأشجار والخشب والقش والتراب. وتبنى السقيفة كحجارة مختلفة الاشكال والألوان توضع متراسة بعضها فوق بعض بلا ملاط، تعطي نتوءاتها في الداخل شكلا مميزا لجدرانها وكأنها زخرفة مقصودة.

وفي السقيفة كانت تتجمع "الغنمات" في الليل بعد عودتها من المراعي. وللسقيفة باب يصنع في الغالب عن طريق استطارق برميل كبير وتحويه عن شكله الدائري الإسطوانى الى شكل مسطح حتى لا يكلف صاحبه سيولة. وكثير من أصحاب الغنم كانوا يشاركون غنمهم النوم في السقيفة وخاصة عندما يكون باب السقيفة كما ذكرت لا تغلق ضبة ولا مفتاح. وقد كان الوالد رحمه الله يلجأ الى المبيت مع أغنامه للتمويه وللاختفاء عن أعين رجال الشرطة العسكرية الإنجليزية الذين كانوا يدهمون قريتنا في الليل وفي النهار بحثا عن رجال ثوريين مطلوبين...

وقد يلزم راعي الغنم رعيته، فينام دائما في السقيفة بحرسها، وكان في البلدة من استعان براع خاص من خارج القرية يرعى غنمه له مثل: مصطفى طه حمدان الذي اشتغل عنده أكثر من راع من قرية قطنا ومن غيرها.

وقد اقتنى كثير من عائلات قريتنا البقر أو الغنم أو هما معا، بل إن منها من اقتنى جميع أنواع الأنعام وعلى سبيل المثال، فقد جمع فارس اسبيخ الغليظ: الجمل والبقر والغنم عنده، الى جانب أولئك الذين كانوا يحتفظون بدواب الجمل: كالحمير والبغال كانت السقيفة دائما زريبة ومأوى تنام فيه هذه الحيوانات. وكنا يقيها من عواصف الشتاء وأمطار.

ومن أصحاب الغنم المعروفين في بلدتنا في تلك الايام: عيسى حمدان خطاب، شغل عنده راعيا من بلدة قطنا اسمه جميل القطناوي، كما أن مصطفى طه حمدان خطاب، كان من كبار ملاك البلدة، وكانت مجموعة الأماعز عنده تشكل أكبر مجموعات الماعز والغنم في قريتنا يرعاها راع خاص اسمه محمد القطناوي والذي تزوج من القرية عندما ناسب حسنين بركات مخلوف وتزوج ابنته مريم وعاد بها الى قريته. ومن بعده جاء براع جديد عرفته بلدتنا باسم أحمد الراعي.

ومن الذين عرفوا بتجارة الماعز وبتربيتها: موسى فرحان قبل هجرته الى أمريكا. كما أن هناك عائلات أخرى كانت تتعامل بأرباح ونخيرات غنم الماعز السمراء مثل عائلات أولاد بركات الثلاث: محمود ومحمد وأحمد. وعائلة عبد الله درباس، وكان يقوم برعايتها ورعيها ولداه المرحومان: نعمان القليل ومن بعده شقيقه أحمد. وهناك عائلتان في بلدتنا كانتا تجمعان بين الماعز والغنم أي بين الغنم السمراء والضأن من الخراف والنعاج، وهما عائلة محمد خليل فرحان وعائلة ذيب سمرين، وقد شاركتا ولديهما مشهور وعيسى على التوالي في رعي الغنم والضأن، حيث كانت تختلط مجموعتنا الثلاثة وترعى معا في مراعي بلدتنا الممتدة هنا وهناك على سفوح جبالها وعند حواف وديانها وفوق سهولها وفي أراضي الغريبات وفي الكروم وفي الشعاب وعند مغاور وكهوف الزناير وأراضي عين طلعة وبحوار أراضي دير ياسين. كنا نجوب أراضي البلدة كلها من أقصاها الى أقصاها مع غنمنا وحلالنا. يشب عيسى على شبابه لنا وللغنم فيشجي آذانا بأحانه وأنغامه العفوية التي كانت تتجمع فيها نبرات الحزن والقلق والحيرة والرتابة أكثر من أية أحيان أخرى. ومشهور يداعب مقلعه بين الحين والحين يضرب المواويل مرافقا لأنغام شبابة عيسى، أو منفردا ومستقلا عنها. وكان لعملي في رعي أغنامنا الفضل الاول في التعرف على أراضي بلدتنا، وقد عمد أهل البلد الى اقتناء الغنم ايمانا بأن "الغنم غنيمة واللي ما يقناها هليمة" أي تافه، وكانوا

يتفاءلون بالانثى من الماعز، وأنثى الحيوان فأل حسن وعلامة سعد دائمة عند الفلاح وعند البدوي من قبله وكلاهما يلحظ الفارق ويعيشه بين انثى الحيوان وأنثى الانسان التي هي منبع للهموم والمشاكل المتواصلة ولذلك فهم مقتنعون وفي ذلك الوقت على الاقل بأن "هم البنات للممات حتى وهن متزوجات".

وفي طرف ساحة الدار كانت ربة البيت تقيم كئناً صغيراً للدجاجة أم الصيصان. وفي الجهة المقابلة عند نهاية سلسلة الجدار يقع الخُثْم وهو كُنْ آخر أكبر من الكُنْ الأول، وكان يتسع للعشرات من الدجاج، وقد بلغت مجموعة دجاجتنا في تلك الأيام في ساحة البيت نحو مائة دجاجة بينها عدد من الديكة الملونة الجميلة، تختال في مشيتها بريشها المتعدد الألوان وبأعرافها الحمراء المشرببة دوماً الى أعلى تحمل علامات الاستعلاء وكأنها الطواويس في تبخترها وفي خيلائها، تعلن ذكورتها بين إناث الدجاج.

تنادي ربة الدار أو مساعدتها من أفراد أسرتها، تنادي دجاجاتها المنتشرة في الحواكير وفي الطرقات في عصر كل يوم قبيل المغيب فتصيح: تiece، تiece، تiece، وفي الحال تأتي الدجاجات من كل حذب وصوب، طائرات مهرولات، متساقلات، متمايلات، في تلبية النداء، فتجتمع في عرصة الدار وصاحبها تنثر حبات الذرة البيضاء على الأرض. فلتقطها الدجاجات بنهم وبسرعة. وفي تلك الاثناء تأخذ السيدة في التأكد من عدد دجاجاتها، فتبين الدجاجات حسب ألوانها: السوداء والبيضاء والعلسية والخروبية، وتتفقد العتاقى او العتقيات، والواحدة عتقية أي العتيقة أو القديمة ويزيد عمرها عن عام، وتتأكد من وجود الدجاجة أم الرقبة الطويلة العارية من الريش، أو المجاجة المسرولة وهي ذات الريش الكثيف الذي يغطي ساقى الدجاجة وكأنه سروال ترتديه انثى محتشة. ثم لا تنسى من التأكد من وجود الدجاجة الممعوطة الريش او المشلحة، والدجاجة أم قنبرة ذات العرف الصغير فوق رأسها مثل عصفور القنبرة.

وبعد الاطمئنان على العدد الكامل لدجاجاتها، تتوجه الدجاجات - وقد تدربت على ذلك بحكم العادة - الى البيت في كُنْها أو خَمْها أو حتى فوق أكوام الحطب والكرايمي المخرون في الطابون أو في السقيفة.

والدجاجة عند مرحلة معينة من أيامها في انتاج بيضها، تلاحق صاحبها أثناء

النهار، تلاحقها أينما تذهب وكأنها تلح عليها بطلب خاص بها، فتنهرها صاحبها مثنى ومثلاث ورباع، فتبتعد ليس بعيداً أو تقف معلنة الاحتجاج بالصياح والفاق ما يدفع صاحبها الى التقاطها ببساطة عن الأرض، وحملها بين يديها، والدجاجة مستسلمة لها تمام الاستسلام، فتعلن السيدة صاحبها بعد أن تتحسس حرارة دجاجتها المرتفعة، تعلن أن الدجاجة "بدها ترقد" أي تطالب بالرقاد فوق البيض من أجل التفقيس وانتاج الصيصان، غريزة ربانية فطرها في الدجاج لاستمرار نوعه فوق الارض، وكم تكون فرحة الفلاحة عندما تكون غالبية الفقس صوصات إعلانا لتكاثر الدجاجات البيضاء عندها بدلا من صيصان الديوك.

وتعرف الفلاحة الديكة من بين الفقس، فهي تتميز بكثرة الصياح دون الصوصات، بل وتميز صاحبة الدجاج الأصح من بين تلك الديكة لتعتني به ولتجعل منه ملكاً على دجاجاتها فيما بعد. وتشير الى ذلك بالمثل الدارج "الديك الفصيح من البيضة بيصيح"، وكثيراً ما عجبت من أمر أم الصيصان في نقنقتها وهي تنادي صيصانها وصغارها لتشاركها في التقاط حبوب اكتشفتها (١).

ويستعمل الناس المثل السابق (الديك الفصيح...) للإشارة الى نجابة الإبن وذكائه، وأن ذلك الذكاء كان ملازماً لذلك الابن منذ أن جاء الى الوجود وتنسم رائحة الحياة. وصاحبة الدجاج متأكدة من أهمية خروج الدجاج الى البر والفضاء حتى يفعل في التراب، وهي حركات متتابعة تنثر فيه الدجاجة التراب بأصابعها بحثاً عما تأكله من حبوب وغيرها. والفلاحة المخضمة تقول بناء على تجاربها: أن الطفل "إن ما تفعل ما يكبر" أي أنه اذا لم يأخذ بنصيبه من الحركة والعبث حتى بالتراب - مثل الدجاجة - لن يكون طفلاً طبيعياً في نموه.

(١) بل أن أفراد الأسرة يدركون أن القادم الى بيتهم غريب ينكرونه ولا يحبونه بمجرد سماعهم لهيرير كليهم، ويدركون أن رب الأسرة وعزيزها قد قدم عندما يسمعون وقوقه الكلب خارج الدار، بل أن العلماء قد وضعوا الكلب - وهو يصنع صوتاً خاصاً - ضمن مجموعة الإنذار المبكر التي تعلن عن قرب وقوع "الزلازل"، نقرأ ذلك في كتب العلم وصفحه، لقد أدرك الوسط الشعبي قبل العلم أن لكل صوت عند الحيوان والطير مدلولاً ومعنى. وسبحان الله الذي علم الانسان الأسماء كلها.

وتعجبني أمثال كثيرة تصور الواقع وتعبر عنه أحسن تعبير، أمثال تداولها أهل قريتي كثيرهم واستوحوها من عالم الدجاج، فيصفون المرأة المدمرة لحياة زوجها الاقتصادية بأنها أي فلانة زي الحاجة المودرة، الله لا يبارك فيها، مثل تلك المرأة كمثل الدجاجة التي بتصير توذر، فتبيض بيضها في مكان تجهله صاحبها، وفي نفس الوقت يصف الوسط الشعبي زوج المرأة المودرة والتافه، بأنه مثل الحاجة اللي بتحككش على بيضتها. أي أن الحال في بيته مثل الزنبرك فلتان، بلا ضابط وبلا توجيه، بل اذا تظاهر الرجل الخائب بأنه المسيطر في بيته وأنه صاحب الأمر والنهي فيه، وأهل القرية يعرفون بأنه. كاذب في رجولته، يصفونه بخيلاء الديك، فيقولون فيه إنه "مثل الديش على المذيلة". "مثل الديك الأصل تبعه معروف وذيله منتوف" كناية عن فضيحته وتعريه ما يتوجب تغطيته عنده.

والديك عند القروية رمز للرجولة ورمز لإثباتها في المواقف الاجتماعية، فهي تسأل ولدها أو زوجها أو شقيقها عند عودته من منافسة مع أقرانه له مشهورة، أو من امتحان أو اختبار له، تسأله "هايمه؟ فرخة وللا ديش؟" فيجيبها الابن بخيلاء الديك معلنا سبقه ونجاحه وفوزه "ديش يم، ديش" أي رجل كما عهدتيني يا أمه.

ويصحو أهل الدار في القرية على "اميكسة" الديك مع خيوط الفجر الأولى البيضاء ويحافظ الديك على توقيت كيسته تلك، حتى أن الوسط الشعبي يثبت تلك العادة عند الديك وهي عادة ضبط وقت اعلانه لانبعاث النور، وبداية الخير في النهار من أوله عندما يطلب منه أن يكيكس في وقت يختاره له الوسط الشعبي، فيجيب الديك "كل شيء في وقته يا محلاه" ويعطي هذا القول نفس مدلول المثل القائل "كل شيء في غير أوانه يا هوانه".

وبالفطرة التي أوجدها الخالق في مخلوقاته من الإنسان أو الحيوان، يدرك الفلاح وحيواناته العلاقات المتبادلة بينهما سواء في البيت أو على الطريق أو في الحقل (١)

(١) بل لا نذهب بعيدا عندما نعرف أن الفلاحة تفهم الطيور والأنعام في بيتها، فعلى سبيل المثال وقد أدركت ذلك بنفسي مع والدتي - تعرف أن قبق الدجاجة وهو صوتها عندما تنادي الديك للسفاد، أي حتى يكبسها بلغة صاحبات الدجاج، وان انتعاضها هو صوت تصدره وهي تنجى الى مكان تضع فيه بيضتها ذاك اليوم.

فقد ذهبت الحكايات الشعبية بعيدا في وصف الإخلاص والحب بين الفرس الأصلية وبين صاحبها، أو بين الكلب وأفراد الأسرة التي يعيش في كنفها، وفي وصف الحنان وأثر التئان المتبادل بين البقرة وصاحبها. والنداء والاستجابة بين الراعي وأغنمه. وفي وصف الإحساس بالأمان والإسترخاء عندما تشعر به الأغنام والنعاج والأنعام وهي تستمتع بسماع صوت الشبابة والنأي.

كنت أرقب والدتي رحمها الله وهي تردد الأغاني للبقرة أثناء الحليب، فتدعن البقرة للغناء فتباعد بين ساقها، وتمنح الفرصة لصاحبها لكي تحلبها وكأنها تستمتع بأحان ترويدها، وبحركات أصابعها في البسط والقبض حول درتها. تطور الأمر الآن فأصبحت عمليات حلب البقر تجري على صوت الموسيقى، بل إن المسألة بين الفلاح وبعض حيواناته وصلت الى مشاركتها لنفس الفراش، فان أنسى لا أنسى قطتي وهي تشاركني فرشتي وكحاني في ليالي الشتاء، أداعب شعرها الناعم، وآتهدهد على تواتر شهيقها وزفيرها محدثة خنفرة خفيفة تتحول تدريجيا الى خرخرة كلما استغرقت القطة في النوم... فأنام على طبقاتها المتناسقة المتناغمة.

لقد حدثنا الأدب الشعبي عن الأدب النبوي وسيرته المثلى، كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قض طرف ثوبه لكي يترك "البسة" نائمة عليه دون أن يزعجها مكافئة لها بعد أن قتلت الحية التي كادت أن تلدغه.

جرت العادة في بلدتنا أن تقتني كل أسرة كلبا في بيتها. إما للحراسة أو لمرافقة قطيع الغنم، وقطعان البقر في المراعي ومساعدة الراعي. إقتنت عائلتي في قالونيا حتى سنة ١٩٤٣م ثلاثة كلاب، أذكر اسماءها على التوالي: أبو جامس وبطاح وفرهود والقصة مع أبو جامس كما يلي:

سافرت العائلة بكل أفرادها: الوالدان، والأولاد رجا وغالب، والإبنة نعمة الى لبنان لارتباط الوالد بالعمل مع الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر وزعيمها الديني والسياسي الأواحد حينذاك. كانت مشكلة فراق الكلب "أبو جامس" هي شغل العائلة الشاغل، وسبب قلقها وحيرتها، إنتقل أبو جامس بقرار من العائلة الى بيت الشقيقة إمدلة زوجة محمد خليل خضر مشعل في قالونيا الجنوبية، ليموت هناك بعد أسبوع كمدا وحزنا على فراق أصحابه، بعد أن توقف عن أكل طعامه طيلة تلك المدة، وقد

وصلتنا أخبار ونحن في قرية الذوق ميكيل من أعمال بيروت، وفاء عجيب قلما تجد مثله عند بني الإنسان.

والكلب على غير ما يظنه الناس في تشبيههم لأحدهم بأنه كلب تحقيرا أو إذلالا، فقد دلت الدراسات أن الكلب أكثر الحيوانات حساسية، وأثبتت تجاربهم - وقد قرأت عنها في العديد من الصحف والمجلات وفي بعض الكتب - كيف أن الكلب يرفض الإذلال والتحقير، بل ويهرب منهما بعد أن ينتقم لهما عندما يقعان عليه، وهو لا ينسى إذلاله وتحقيره أبدا. وقد قصت علينا الحكايات الشعبية على ألسنة العجائز من النساء، والشيوخ، - وذلك قبل معرفتنا بتجارب العلماء المهتمين بهذا الخصوص - كيف أن أحد الناس كان يتناول طعامه ويجوار كلبه مُقع يراقبه، الرجل يوهم الكلب أنه سيقدم له شيئا من طعامه، وكان كلما مدَّ يده بشيء منه سحب الرجل يده ووضع اللقمة في فيه، وكرر الرجل ذلك عدة مرات، فاستفز الكلب وحفز للهجوم عليه وقتله، وعاث في الطعام فسادا وبذر دُهره وذهب بعدها بعيدا... مقاطعا ومهاجرا.

وكانت الفرس الأصلية الحسنة عند من اقتناها من أهالي بلدتنا دار فخر ومجال اعتزازهم، فقد كانت تضي على صاحبها الجال والزينة والاحترام والجاء من خلال ما تتميز به الخيل من الجال والفتوة، والانطلاق والقوة، والذكاء والألفة، والفروسية والمودة وحتى عند الذين لا يملكونها ولا يركبونها يرون في الخيل فروسية تعجبهم مشاهدتها والتفرج عليها، وتجيش حيويتهم في كيانه لمشاهدتها. ومن منا لم يتعمق آية متاع الدنيا التي جاءت في سورة آل عمران: "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب" تبين هذه الآية أن التركيب الفطري للإنسان وعلى مدار الزمان قد تضمن ميله الى الخيل وهو ميل محبب ومُزِن.

إشتهر عبد الله محمد علي عسكر سلامة خطاب بفرس أصيلة أعقبها خصان قوي من ذريتها، كانت تأتيه الأفراس من القرى البعيدة والقريبة للشباية، ومن أجل أن ينزو عليها لقوته وإصالته.

اقتنى أيضا ناصر سعيد الخطيب أبو سعد فرسا، كان يطوف القرى والبلاد وهو

فوقها، أثناء قيامه بجباية الضرائب الحكومية آنذاك، ومن خيالة البلدة أيضا محمد جودة أبو سعد ومن بعده ولده أحمد الذي كان يطردها بين الاحراش والغابات التي كان يعمل في حراستها، يطردها فتجري خبياً فتحافظ على فتوتها وانطلاقها وتظل ضامرة لا كرش لها ولا شحم فيها يفقدها جمالها. وكان أحمد جودة أحسن وأمهر من يقوم بإطراد الخيل في بلدتنا قالونيا تلك الأيام. وكان أحمد أسعد غنام مشعل أحد أفراد الخيالة في إحدى فرق الخيالة العثمانية، احتفظ بفرسه منها، عند خروج الأتراك من البلاد. ومن الذين اقتنوا الخيل المرحوم ذيب عبود حيث كان يعمل جابيا.

ويعرف أهل قالونيا قبل عام الشتات الفرس الشهباء، ذات الغرة البيضاء، إنها فرس أحمد محمود حمدان لقح مشعل، أما فارس الشهباء فكان ولده محمد أحمد محمود صاحب الستة عشر ربيعا، وكانت الشهباء تعرف فارسها "محمد"، ولا تعدو بشدة إلا به، دون غيره. ذكرى ذلك الفارس تعبر الآن خيالي، وأراه وهو يبرق فوق الشهباء متجها الى أراضي الكروم، مارا بدارنا في إحدى أمسيات رمضان من عام ١٩٤٥، كنا على موعد مع مدفع الافطار، فوق سطح الدار، قمنا مشدوهين ونحن نسمع صوت الشهباء في صهيلها وقد جعلت من صوت ضبحها أخ، أخ، أخ نحنا يتردد صدها في كل كروم قالونيا وتعاميرها ينذر... بشيء رعب. غابت الشهباء عن ناظرنا، لنرى من بعيد إما غبارا كثيفا فوق الأرض عجيجا، أو شررا يتطاير من تحت حوافرها على الأرض الصخرية والحجرية، كانت أيدينا على قلوبنا، وألسنتنا تردد داخل أفواهنا (الله يستر)... سقط الفارس وتسمرت الفرس بجانبه اجلالا للموقف ووفاء لصاحبه. وفجعت القرية بموت الفارس، فقد قضى في عمر ندى غض. وكان رحمه الله الصديق الأول لشقيقي الأكبر رجا الذي بكاه بكاء مرا عند تشييع جنازته، حتى لفت اليه أنظار جميع المشيعين. وتتجلى ظاهرة الوفاء وقوة الذاكرة عند الأصايل من الخيول، فيما يقصه أهل بلدتنا قالونيا وما يرددونه عن فرس ناصر سعيد الخطيب: سرق أحد اللصوص الفرس ذات ليلة، وبحث عنها صاحبها لعدة أيام، وفي صباح ذات يوم وجدها معروضة للبيع في سوق الجمعة في القدس، وتعرفت الفرس على صاحبها بنداء خاص جعلته ينتبه اليها، اشتد الجدال بين الرجلين حتى اقتنعا آخر الأمر باللجوء الى الاحتكام عند حكيم السوق، وهما عادة يتواجدان هناك لفض مشاكل البيع والشراء، نزل الحكمان عند اقتراح ناصر الخطيب وهو الانتقال بالفرس

الى مدخل القرية عند عين الليمونة في قاع بلدتنا قالونيا، وصلوا هناك، وشربت الفرس ومن ثم ترك حبلها على غاربها، ودارت بوجهها وأخذت تصعد طريق العقبة من الجنوب الى نقطة بعيدة في شمال بلدتنا قالونيا دون أن يتبعها أو يتقدمها أحد، لا تلوي على شيء سوى الوصول الى بيت صاحبها وتقف أمام مذودها الذي اعتادت عليه في ساحة الدار، وعادت الأصيل الحسنة الى صاحبها!

وكان من الذين اقتنوا الجمل في قريتنا قالونيا أولاد إسبيغ في دار فارس الغليظ وعند الفقيسات أبو سعد، فقد ظلت عندهم، يستفيدون من ريعها مقابل نقلها الحبوب والتبن والقصول الى دور البلدة. وشيئ حزم القمح الى جرون البلدة وبيادها أيام الحصاد، يقودها في ذهابها وفي رجعتها الولد الصغير نايف فارس، تنقاد له كل الانقياد، يأمرها بالجثوم فتبرك على الأرض، في مجثم تنفرسه مرات ومرات، وتتمهل في قبول الجثوم فيه، ولكنها أخيرا تبرك ومهيبها (١) يزداد علوا ويشد اضطرابا، وتظل في رفع أهابها (٢) والجمل يضع عليها حملتها أو يضعه عنها، ثم تقوم بحملها الذي تنوء به العصبه أولو القوة، وقد يحل الجمل ما يزيد على ستمائة كيلو غراما على ظهره، ومن هنا جاء تشبيه الرجل فيه في الوسط الشعبي عندما ييدي نخوته تجاه انثاء، أما أو زوجة أو أختا، فيقول لها: "أنا جملك، أنا جملك" أي أنه على استعداد ليكفيها حمل أثقال الحياة عنها مهما ثقلت. والمرأة بدورها تدعو لجملها بطول العمر والحماية وتلطم وجهها وتقذ ثيابها اذا مات رجلها. فتتعاها "يا جمل" فاجل عند العرب كان في أمثالهم بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والقعود أو البكر بمنزلة الفتى، والقلوص بمنزلة الابنة أو الجارية، والسقب بمنزلة الصبي، والحائل بمنزلة الصبية، والحوار بمنزلة الولد، وأخيرا وليس آخرا البعير بمنزلة الانسان، ويبالغ العربي في تكريم إبله فيقول "الإبل لو تعرف الصلاة صلت" ويوصف الرجل الشديد بأنه جمل المحامل. وقد حدث مرة أن أعاظ نايف الصغير أحد جمال والده، فحقد عليه الجمل وتربص به حتى التقطه من خده، ولولا لطف الله وحسن توقيت والده لكان قد قضى عليه، فالجمل لا ينسى الاساءة أبدا. وان نسيها صاحبه العربي هذه الأيام؟

(١) صوت الجمل.

(٢) صوت الجمل أيضا.

أكتب عن الجمل كحيوان يكاد أهل قريتي من بعد النكبة أن ينسوه وخاصة مع تقدم وسائل النقل، وتحسن منتجات اللحوم والألبان وتعدد مصادرها في عالمي الطير والحيوان. كانت الجمل عماد الحياة عند العرب منها المركب والمغنم، وفيها المطعم والزينة، يحملون عليها أثقالهم وتجاراتهم في رحلات الشتاء وقوافل الصيف الى بلاد لم يكونوا ليبلغوها الا بشق الأنفس، ويقومون بها ثرواتهم، ويفتدونها بها أسراهم ويعدلون بها دياباتهم وثاراتهم، ويمهرون بها زوجاتهم وعرائسهم، ألم يشق عنته العبي في جمع ألف ناقة من النوق العصافير كشرط من شروط مهر حبيبته عيلة؟!

كيف العرب حياتهم وفقا لحياتها، يرحلون بها من مكان الى مكان، أكثر مرعى وعشبا، فتتبع بكلاً الربيع، والى موطن أكثر دفئا فتتوالد، كما بنوا كثيرا من لغتهم عليها فضربوا فيها الأمثال الكثيرة، وصاغ الشعراء في وصفها ووصف حداتها أروع القصائد، وتفننوا بذكرها في معلقاتهم وسموطهم التي دونوها، بعد أن تداولوها على ألسنتهم في عكاظاتهم ومناسباتهم.

والجمل كما شاهدته عن قرب حيوان أكل، يمضي الساعات المتواصلة في الأكل، ومن هنا جاء الوصف الشعبي للرجل النهم بأنه "أكل كالجمل" وبأنه "يدب دب الجمل ويقوم قبل الرجال" راقبته وهو يأكل كل شيء، أحسن أنواع النباتات كالحرفيش والقنديل، والنتش والبلان، وألواح الصبر بأشواكها، تساعده في ذلك شفته العليا المشقوقة وجلدها الحشن السميك وأسنانه القوية.

يتحمل الجمل الأسفار الطويلة وبدون ماء، ويتحمل الاختلاف الشديد في درجات الحرارة في الصحراء بجهاز خاص أوجده الله داخل جسمه لتنظيم تلك الحرارة فجسمه مغطى بطبقة جلدية سمكية عازلة، ومن تحته طبقة شحمية كثيفة، وأخفافه ثخينة واقية. وعيناه تحميها أهداب طويلة وحاجبان عاليان متطابقان، وأذناه تحميها شعيرات كثيفة من دخول الرمال فيها، وفتحتا المنخارين عنده مجهزتان بعضلات تمكنه من اغلاقهما أثناء العواصف الرملية.

تقول المعلومات العلمية في كتب الدراسة والمدارس، أن الجمل يستطيع أن يفقد ٣٠٪ من سوائله دون أن يترتب على ذلك خلل في وظائف خلاياه أو وظائف أعضائه،

ويحتفظ الجبل بالماء في أخفافه السمكة المفلطحة، ويفرز البول مركزاً من خلال كلية محضرة خصيصاً لهذه العملية الكيميائية الخاصة بالجبل وحده، ويتحمل درجات الحرارة العالية في الجسم قبل أن يبدأ بالتمرق، وقبل أن تنخفض معدلات النفس عنده. كل ذلك ساعده على الحد من الفاقد من السائل عنده عن طريق التبخر، انه حيوان الصحراء بلا منازع: "أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت".

كُتبت في الصفحات السابقة حول الجزء الأول في البيت القلواني، وحول الدار التحتا وملحقاتها ونشاطات أناسها وحيوانها وطيرها.

الجزء الثاني من البيت القلواني:

كان يضاف الى الدار التحتا - في قريتنا قالونيا قبل عام الشتات - دار أخرى يطلق عليها أصحابها الدار الفوقة أو العلية، اختار صاحبها أن يبنها فوق صخرة راسخة، كأساس بنائي عمراني لها، بحيث تعلو الدار التحتا التي وصفتها، والتي سبق أن بناها أمام تلل الصخرة في أغلب الاحيان بحيث يكون سطح الدار التحتا ساحة وشرفة واسعة للعلية بعد تصوينها، ويهتم صاحب الدار العلية، فيجعل في داخل حائطها خزانين تتعاون يد البناء مع يد النجار في جعلها ضمن زخارف الدار. وللعلية عادة شباكان، ألواحها الزجاجية مبزرة وملونة بشتى الألوان الجذابة.

يغطي أرض الدار الفوقة بلاط مربع لامع، كالمرآة، لونه أبيض يحيط به مربع أضلاعه مرصوفة بالبلاط البني أو الأسود، على رأس كل زاوية من زوايا المربع رسوم زخرفية للحية السوداء، رابضة ومشرّبة الرأس تحرس الدار على الدوام من الحسد والحساد. تقابل المربع الأرضي دائرة في السقف زينت برسومات وأشكال ذات طابع تجميلي زخرفي يتبدل من وسطها علاق خاص للتقنيد.

تظلل واجهة العلية مظلة خشبية تزينها ألواح القرميد الحمراء، وخير أمثلة العليات في بلدتنا قالونيا كانت، عليّة محمد سمرين وعليّة اسماعيل خليل وسعيد سلمان وأحمد حامد وعليّات دار علان ودار إخليل.

ارتكزت فلسفة البيت الكبير في بلدتنا قالونيا على استيعابهم العميق لبيئتهم المحلية

ولعناصر الطبيعة فيها، ولإدراكهم لفهم الأمن المتذبذب حينذاك في أواخر العهد التركي على وجه الخصوص في البلاد. كما أن الدين كان له الأثر المقدس في مساهمته في إيجاد ذلك "البيت الكبير" فأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تشير الى نمط البناء والعمارة حين يقول: "إن المسلمين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً" وحين يحدد حجم الحجرة بسابع جار. فنجد بيوت قريتنا قد بنيت على شكل تجمعات يسمى التجمع منها بالبيت الكبير، يضم كافة أسر العائلة كلها في أغلب الأوقات، أو يقيم فيه أكبر عدد من فضائل تلك العائلة مثل تجمع دار صباح حيث يسكن فيها أسر (فصائل) السادة: عيد صباح، وعلي عيد صباح، ومحمد صباح، وشحدة محمد صباح، وعائلة عبد الكريم صباح، وعائلة مصطفى صباح، وكذلك البيت الكبير الخاص بدار علان، وفيه كانت أسرة جمعة علان وأسرة محمود جمعة علان، وأسرة جميل جمعة علان، وعائلة شاكر جمعة علان، وعائلة رمضان علان، وعائلة داود رمضان علان...

ويستحق البيت الكبير اسمه بمجداً، حيث كانت تسكن فيه الأصول والفروع: المجد والمجدة والأب والأم والأبناء والأحفاد، حتى أبناء الأحفاد في بعض الأحيان. ويشارك أفراد العوائل في داخل تجمعهم في بيتهم الكبير حيواناتهم وطيورهم، وتطلق ألفاظ وتسميات أخرى على البيت الكبير تحمل طابع المهابة والعزوة والفتوة مثل بيت العيلة، أو "بيت الحمولة" فهو يشمل جميع أفراد الحمولة فيه. فيشارك الجميع في تحمل أعبائه يدا بيد وكثفا بكثف.

وكانت إدارة البيت الكبير يتولاها كبير العائلة من الرجال، المجد أو الأب، فيعمل الواحد منهما بمساعدة الأبناء لتحصيل القوت وتأمين ضروريات الأسرة المتواصلة بما فرض على الأسرة الكبيرة التقيد بوحدة الوظيفة داخلها، أي أن أفراد الأسرة من الرجال قد اشتهروا غالباً بالعمل في وظيفة واحدة، فني تجمع سليمان مشعل يعمل علي حسن سليمان، وموسى حسن سليمان، سليمان محمد حسن سليمان، وأحمد مصطفى حسن سليمان، يعمل كل أولئك الرجال في مهارة قيادة السيارات، فهم سواقون أبا عن جد...

وكذلك الحال من حيث وحدة الوظيفة في تجمع أولاد إخليل (الغليظ) عمل محمود حسن إخليل وقاسم حسن إخليل وأحمد حسن إخليل وعثمان حسن إخليل وعبد الله حسن إخليل، وعمر مصطفى إخليل كلهم عملوا بنفس الوظيفة في تمديد

خطوط الهاتف.

كان الفرد في البيت الكبير يتخذ رأيه من قبل كبير العائلة فقط، دون العودة الى رأي الزوجة أو الأبناء. على العكس مما نراه الآن من اشراك جميع أفراد الأسرة في اتخاذ القرار حول موضوع ما، هذا اذا لم تستأثر به شخصية الزوجة في هذه الأيام!!

تنضبط الأسرة الكبيرة بضوابط أساسية عرفية غير مكتوبة، متعارف عليها من قبل جميع الأفراد في المجتمعات القروية، ومن هنا فان العلاقات الأولية والمباشرة هي السمة التي كانت تبرز في الأسرة المركبة في البيت الكبير، على العكس مما نراه الآن من العلاقات الرسمية وغير المباشرة تسود بين أفراد الأسرة الواحدة أو الأسر الأخرى في الحمولة الواحدة، تغيرت القيم تغيرا جذريا، لا شيء هذه الأيام يمكن الاستفادة منه دون مقابل. اهتزت العادات والقيم والمبادئ. بل ومنها ما تغير تغيرا جذريا وأخذ التقليد يأخذ مكانه في سلوكيات الأفراد في الأسر. فالفرد الذي يعمل يعتبر نفسه مستقلا عن أسرته، بل أكثر من ذلك، فان مقولة "إن قدسية المرأة تكتمل في بيتها" اندثرت وأصبحت ماثرا مجدل، تتخلله نبرات وألفاظ السخرية والتهكم، وللأسف قبلت المرأة عن جهل وعن غباء - حتى لو تسنمت سنام الملكية أو الوزارة - أقول قد قبلت على نفسها أن تفقد قدسيتها. وقد ساعدها الرجل الضعيف في موقفها ذاك..

في بيت الحمولة كانت صفات الايثار والمحبة والتعاون والاحترام تزين حارات البلدة، وكانت الثقة هي الصفة السائدة بين ابناء الحمولة الواحدة، بل وبين أبناء البلدة كلها. وكان الشاب لا يتحرج من طاعته لكبار السن واحترامهم.

عيون بلدتنا قالونيا

أنعم الله علينا في بلدتنا قالونيا بأصول الخيرات كلها: من مواشي وحيوانات ودواب وطيور، فيها المركب والمغنم والمطعم، ومن حقول وبساتين ونتاج وثمار، ومن ينابيع ومسابيل مياه انبجست من أرضنا الطيبة، ومن عيون جارية كالعروق في الجسد، تجري بين جنائنا وبساتيننا الناضرة ودورنا الزاهرة في جنوب بلدتنا خاصة، يجري ماؤها الزلال حيث يشاء أصحاب البساتين والدور والحقول والجنان، سهلة لا تمتنع عليهم أبدا. في قالونيا اثنتا عشر عينا، تزيد عن عدد حمائل البلدة، كانت مشارب وعيون

لسقيانا نأخذ منها حاجتنا. لا يشاركنا فيها غيرنا من أهل القرى المجاورة، وأول تلك العيون:

١ - عين اليمونة:

أو العين التحتا. وتقع في قالونيا الجنوبية على بعد مائة متر من الشارع العام، الذي يقسم فلسطين الى شمال وجنوب، وعلى يمين الداخل الى بلدتنا من الجنوب. ويجاور العين منزل فوزي نسيبة، ويحيط بها حقول وبساتين وجنان طيبة تسقيها العين، والعين عبارة عن غرفة حجرية صغيرة مسقوفة بالاسمنت، قرب السقف مزارب قوي تضاح تندفق منه المياه بلا انقطاع أو توقف. يقف الرجل منا بطوله تحت المزارب يدش دشا براحته. وأمام غرفة المزارب بنيت بركة تتجمع فيها المياه بعمق متر ونصف قبل توزيعها على البساتين والجنان والدور حولها عن طريق فتحات عند حواف البركة السفلى، تفتح وتغلق حسب جدول زمني متفق عليه بين أصحاب الجنان والحقول والدور هناك.

وقد قدير لي أن أزور أطلال بلدي قالونيا برفقة اقرباء لي مع عائلتي عام ١٩٧٢ وقد أصرت النسوة معي على حمل عبوات من مائها العذب الزلال لأهلنا في عمان... سبحان الله! يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء!!!

٢ - العين الفوقا:

وتقع الى الشمال من العين السابقة مسافة ثلاثمائة متر بجوار منزلي حافظ نسيبة وفؤاد نسيبة، يصب مزاربها القوي من ارتفاع أقل من متر مباشرة في بركة أصغر مساحة وأقل ارتفاعا من بركة العين التحتا السابقة، تتجمع فيها المياه لتوزيعها لسقاية خضروات الأرض التي حولها. كانت تظلل البركة شجرتان معمرتان، لا تنفك أوراقها المتساقطة منها، تطفوا فوق صفحة الماء فيها، فتغطيها لتبدو أرض غرفة مكسوة ببلاط من الأوراق الملونة. ويظهر أن أولاد نسيبة قد مضى عليهم وقتا - مثل أبناء عائلة الحسيني - كانوا فيه يستأثرون بأحسن الأراضي بجوار العيون، اشتروها من فقراء البلدة أيام العثمانيين، قبل أن تنتقل من أيديهم الى أيدي مشتريين جدد!!!

٣ - عين الشامية:

وتقع في أراضي الجبيل في قالونيا الشرقية داخل مغارة صخرية شبه مستطيلة، يبلغ

طولها عشرة أمتار بعرض خمسة أمتار، وارتفاع مترين، وتقع بركة العين عند مدخلها. يدخل الرجل فيها فاردا قامته، وتضاء الشموع فيها من قبل أهل البلدة وخاصة من أهل دارى عطوة وعطية، تبركا في أمسيات الجمع والمناسبات. كانت بنات القرية يجدن فيها المكان المناسب للاستحمام متخفيات عن أعين المتطفلين من الأولاد.

٤ - عين علي جودة:

وتقع غرب عين الشامية الى الجنوب الغربي من دار موسى عبد ربه، وترتفع نسبة الملوحة في مياهها، مما كان يشجع المصابين بالحكة بالاستحمام فيها طلبا للشفاء من حركاتهم.

٥ - عين العصافير:

وتقع عند أسفل مستعمرة أرزا (موصة الفوقة) بالقرب من حرش التنطور، تحت شارع القدس - يافا. وهي غرفة مستطيلة مساحتها ما يقرب من عشرة أمتار مربعة، متوسطة الارتفاع ينحني الواقف داخلها، بابها صغير يقود أولا ومباشرة الى النقر الدائري وعمقه ثلاثون سنتمرا، ونصف قطره يبلغ ٥٠ سم ممتلئ دائما بالماء، سميت بهذا الاسم لأن العصافير هي الأكثر من بين المخلوقات التي تستفيد منها حيث تشرب وتأكل من ديدان العلق المتكاثرة هناك. كانت الابقار تدخل رأسها فتصل الى النقر وتشرب منه فتظهر تلك الديدان العلقية حول أفواهها بشكل ملحوظ، كانت تلك الديدان تشكل أهمية خاصة عند متعاطي الطب الشعبي، فقد كان يوصي حافظ أبو غزالة من القدس - وهو مطهر أولاد البلد - على كميات منها يستعملها في العلاج، وقد حدثني معزوزة حسن سمور رحمها الله، كيف أن الله قد شفاها بعلاجه لها، باستعمال تلك الديدان حول عينها.

٦ - عين الجسر:

وتقع بالقرب من الجسر الكبير تحت مقهى واستراحة نقولا، تنبع من أراضي خاصة يمتلكها صالح الحسيني، ويشرب من تلك العين الانسان والحيوان في بلدتنا.

٧ - عين السنيورة:

على بعد ثلاثين مترا من عين الجسر، شرق قالونيا الجنوبية، وتشرب منها العائلات المسيحية في البلدة، وهي عائلات نقولا وميري ويوسف مروم. ولعل اسمها "عين

السنيورة" أي عين السيدة الصغيرة في اللغات اليونانية والاسبانية والايطالية كان قد سمى بها تلك العائلات المسيحية التي استوطنت البلدة في اوائل العهد العثماني في القرن السادس عشر.

٨ - عين البيارة:

وتقع في أرض رباح الحسيني شمال بئر كدس اليهودي الى الجنوب في قالونيا الشرقية، وقد حفروا ذلك البئر في منطقة الحدود المشتركة بين أراضي رباح الحسيني وداوديلين اليهودي. ومن هنا كانا، أي الحسيني واليهودي يتقاسمان الاستفادة من البئر، وقد قام داوديلين بتوصيل المياه من العين الفوقة الى بئر ذلك، فضمن وفرة المياه ودوامها في بئر طوال الايام. وكان هدف يلن اليهودي، من ذلك العمل هو خدمة الكنيس اليهودي المجاور لبيت ولده كدس بجواره، ثم خطا داوديلين خطوة اخرى فقام نحفر عين جديدة في أرض البيارة يصلها الماء من بئر، وذلك لخدمة أراضيهم في البيارة والأراضي المجاورة. أي لخدمة أرضه وأرض رباح الحسيني! وقد سميت تلك العين باسم البيارة "عين البيارة".

وقد روى من اشترك نحفر ذلك البئر أي بئر كدس فقال: لقد حفرنا البئر على شكل النجاسة تامة وبعمق عشرة أمتار وقد ظلت عائلات اليهود عنتيبي وداوديلين وكدس، يشربون من تلك البئر ويستعملون مياهها طيلة فترة الاضراب الشهير بشهر الستة. وهم في أتم هدوء بال وأنظف حال.

ويلاحظ هنا أن العيون الثمانية السابقة ترافق الوادي الكبير والوادي الصغير شرق وجنوب بلدتنا قالونيا، وتقع يتابعها عند أقدم الوادين، أما العيون التالية فتقع كلها على السفوح الجبلية.

٩ - عين الجوز:

في الجنة عينان، اسمها تسنيم وسلسبيل، وفي قالونيا عين اسمها عين الجوز ماؤها أعذب مياه العيون في البلدة وفي غيرها، تمتاز مياهها بعذوبتها، ولصفائها ولسهولتها، يشرب منها سكان قالونيا الشالية والغربية بل ان الكثير من الأسر في المناطق الاخرى، والقريبة من العيون السابقة اعتادت على ارسال فتياتها ونسوتها لحضار ما تحتاجه لشربهم في منازلهم من مائها الزلال. عرفت بهذا الاسم نسبة الى شجرة الجوز المعمرة

لصاحبها الشيخ اسماعيل سالم كانت هناك. وتقع عين الجوز في السفح الجبلي عند قمة الحور في غرب قالونيا.

والعين عبارة عن مغارة بثرية بعمق أربعة أمتار. تهبط المرأة المستقية خمس عشرة درجة لتصل الى مصطبتها في القاع، اعتادت نسوة القرية ووارداتها بناء تلك الدرجات وترميمها. مصطبة العين شبه مربعة لا تزيد عن مترين مربعين في القاع وأكثر من ١ أمتار مربعة عند سقفها. فيها نقر صغير يصب فيه الماء مزاراب من ورق الشجر، تمزبه المرأة أو تستبدله، حسب الحاجة.

وعند عين الجوز يتجمع في العادة عدد كبير من الفتيات والنسوة الساقيات، وذلك لبعد العين الى حد ما عن العمران في البلدة، ولتجنب طريقها لتجمعات الشباب والرجال، فلا تضطر المرأة المستقية أن تمر بها كما كان الحال مع جالبة الماء من العين فوقاً أو من العين تحتاً، حيث كانت المرأة تضطر الى اجتياز طريق العقبة بين جماعات الرجال، والشباب القادمين من القدس أو الذاهبين اليها، وتضطر أغلب النسوة أن يجتزن دكان ومقهى اسماعيل خليل رمضان حيث تجلس هناك أعداد من ذكور البلدة من الشباب والشيخوخ. وكان منظر النسوة العائدات من عين الجوز منظراً جميلاً، هذه تجل فوق رأسها تنكة، وتلك حباها الله بجيد طويل، وبرقة قوية، تجل تنكتين وضعتهما بشكل مستقيم فوق حواة على رأسها، وكأنها الهة القوة تتحرك على الطريق يعلوها تاجها الطويل، وثالثة تجل برميلها الثقيل وهي تهرول لتصل الى بيتها ولتعيد الكرة مرة أخرى، وأخرى يسرن بحمولتهن الهوينى، وهن يتجاذبن أطراف الحديث، وعند العين، ومن نسوة العين تُعرف الأسرار، ومن ثم تفقد سريتها.

تتوقف النسوة عن الذهاب الى تلك العين عند المساء وفي الليل، ولا يحضرن اليها في الصباح الباكر لرهبة المكان وشدة ظلامه، فالعين في خور، في شق بين جبلين أراضيها مكتظة بالاشجار، والعين كما وصفت تثير الوجدان بشعوره وبلا شعوره، والعقل الشعبي مليء بخرافات الأرواح وطوافها، وقصص المردة السود، والحجاف، والعفاريت التي تجوب مثل ذلك المكان في الأماسي وفي العشيات وعند ساعات الصباح الاولى.

١٠ - عين الدجاج (عين الجاج):

تقع في أراضي دار بكر وتسمى أحياناً بعين دار بكر (درباس) غرب البلدة، ولا تبعد كثيراً عن عين الجوز، ولعل اسمها عين (الججاج) أو الدجاج يعود الى وقت كانت ترتع حولها وتشرب منها وتعيش فيها أعداد وفيرة من طير الشنار والدجاج البري. والعين عبارة عن بركة متوسطة حولها جدار دائري، يرتفع قليلاً عن قاعها يبلغ قطر البركة متران، شق قادم من الصخر خلف البركة يمدّها بالماء، وتجف هذه العين أغلب أيام الصيف، وقد حدث مرة أن غرقت فيها طفلة لمخليل بكر، وقد كانت في طور المشي أو الحبو في تلك العين، وفي الربيع كانت عين الدجاج مسرحاً ومراحاً للاستراحة وللرحلات والشطحات، تجذب بطيورها وبلاشجار التي تعلوها شالاً، طلاب جامع الشيخ حمد وشيوخهم، وغيرهم من أهالي البلدة.

١١ - عين فرحان:

حفرة واسعة دائرية نصف قطرها متر واحد وبعمق ٤٠ سم تنبع من أراضي شحادة بكر، وتقع في أرض محمد فرحان وباسم سميت، وهي على بعد نصف كيلو متر الى الشمال الغربي من عين الجوز، ولا يسموها سقف ولا يحيط بها جدار، عين ترابية تنشف في الصيف، وفي الربيع يشرب منها اصحاب الكروم وزوارها، وينقلون منها الماء لسقاية حيواناتهم.

١٢ - عين زديّة:

غار محفور في الصخر شمال عين الجوز مسافة خمسين متراً، خلف بلوطات الولي الشيخ حسين، كان صاحب هذه العين أولاد أسعد غنام (مشعل)، إشتراها منه ناصر الخطيب أبو سعد أيام الأتراك في البلاد.

آبار بلدتنا

أغنت عيون بلدتنا الطيبة أهلها عن حفر آبار خاصة في ساحات دورهم، ومع ذلك فقد كان في القرية عدد من الآبار حفرها أصحابها، أشهر تلت الآبار بئر اسماعيل خليل رمضان الذي يتوسط الساحة السماوية الخاصة بعشرات الغرف التي تعود

في ملكيتها اليه، وقد قدم ذلك البئر لأهالي بلدتنا أيام الحصار اليهودي لقريتنا من قبل مستوطنتي موصة وارزا، قدّم أجلّ الخدمات، فوفر المياه اللازمة للعائلات لتعذر وصول النسوة الى العين الفوقا أو العين التحتا حيث يشكلن أهدافا سهلة للقناصة اليهود. ومن الآبار المشهورة في بلدتنا أيضا بئر جامع الشيخ حمد، وبئر محمد علي سلامة عسكر وبئر دار أخليل في المطاين شرق الجفير، وبئر دار عيسى حمدان، وبئر الموسس في أراضي الصفحة وقد سقطت فيه إحدى نساء القرية حيث كانت برفقة زوجها الذي كان يعمل في الأرض حينذاك.

ولأهالي القرية بئر عام حفروه في أرضهم في منطقة دير نخلة قرب قرية القباب، يستفيد منه الجميع أيام الحصاد والبيدر. وأتذكر تماما بئر مصطفى رمضان في منطقة بيت مزّ، وهو البئر الوحيد الذي كانت تتوفر فيه المياه طول العام من بين الآبار السبعة المتواجدة هناك من أملاك حمولة عسكر في بيت مزّ، أقصى شال بلدتنا قالونيا، وتعرف تلك الآبار بآبار الجمع وجدت منذ العصر الروماني، وتجمع فيها أمطار الشتاء، آبار تعتمد على الأمطار والسيول السطحية وليس لها موارد مياه باطنية، وللأسف فقد رأيت بعيني كيف تمكن الإهمال من تلك الآبار فباتت جافة تماما طوال العام.

بيادر قالونيا

يرتبط البيدر في وجداننا بذكرى كثيرة وهي عزيزة علينا، فعلى البيدر كانت مراتع الصبا وألعاب الأولاد، وفوقه جرت احتفالات واحتفالات، أفراح الزواج، رقصة فيها النساء وغنت الصبايا، ودبك الشباب والرجال وسحج الكهول والشيوخ، وفوقه فرشت الحصر وبسطت البسط ومدت المناسف وهنأني الجريشة للرجال والنساء على السواء. وعلى البيدر تمت عمليات زهو واستعراض لمحصول التناج من حبوب أو ثمار، يتمثل أخيرا في الدرس والذرية أيام الحصاد من كل عام.

وقد اعتاد أهلنا في قريتنا قالونيا تسمية البيدر بالجرن تجاوزا، ففي الجرن كوعاء من خشب تُدقّ فيه القهوة أو كوعاء من الحجر تُدقّ فيه اللحم لعمل دحابر الكبة، وكذلك كوعاء طبيعي متسع تدقّ فيه الحبوب لفصلها عن قشورها وتبنيها

وقصوها.

وقد حرصت كل عائلة أن يكون لها بيديرا خاصا أو على الأقل تشترك عائلات الحمولة في جرن واحد، إلا أن زحف العمران والبناء والحراك الاجتماعي الاقتصادي أفقد كثيرا من عائلات البلدة لجرونها، فقد تحول أبناء علي سلامة عسكر مثلا، من مهنة الفلاحة والحراث للبذور والحصاد والتذراة الى حرفة البناء والمقاولات العمرانية، فأقاموا بيوتهم فوق بيادرهم. وكذلك كانت الحال في دار عطية وعطوة، ومع ذلك فقد بقيت هناك جرون كثيرة تعود في ملكيتها الى أصحاب البيوت المجاورة لها في أغلب الأماكن في بلدتنا. جرن صالح عبد ربه بجوار منزله، وجرن حسين سلامة شال أرض النقاشة، وجرن كايد شال قالونيا، وجرن إخليل في المطاين شرق أراضي الجفير، والبيدر الكبير في أراضي بيت مزّ في أقصى الشمال بالقرب من منطقة البيار. اعتاد أهل بلدتنا استعماله بالتناوب لدرس حصادهم وتذريته. وهناك جرن بجوار سليمان حسرنشعل بجوار منزل ذيب سمرين، وجرن لقح خلف بيوت الصرص وتحت دار أحمد محمود لقح، وجرن فارس إسبيغ أمام مغارة الأسد بمحاذاة جدار داره الغربي، وجرن بجوار موسى داود، وجرن عوض في الجنوب الغربي من قالونيا. وأتذكر أخيرا جرن الشيخ اسماعيل سالم الغليظ على طريق عين الجوز بالقرب من دار محمد سمرين غرب بلدتنا.

بعد حصاد القمح تجلّ الجبال والدواب الاخرى جزم القمح وشيله، فتنتقلها الى البيادر بعد أن يتم نقل الحصاد والقش، يفرد الفلاح ويبسط شيل القمح وينشرها فوق البيدر، ويشكل منها دائرة يسميها طرحة، يبلغ قطرها ما لا يقل عن ستة أمتار وبارتفاع متر على الأقل، تسير الدابة وغالبا يكون أبو شحيح (البغل) أو اثناه فوق الطرحة - يمر لوح الدراس المصنوع من الخشب الثقيل والسميل، يخفي تحته سكاكين حادة أو حجارة شديدة مدببة سوداء، غرزت في الجزء الاسفل من اللوح حتى تدرس القش وتفصله عن الحب، يقف فوق لوح الدراس صاحب البغل، والدابة تدور وهو يشدو بأغان البيدر، أو يضع ثقلا كبيرا فوق اللوح كحجر مثلا أو يجلس الصبيان والفتيات أثناء دوران الفدان بتوجيهه وإرشاده، وهو بين الحين

والحين يقلب الطرحة بذكران حديدي ذي خمس شعب مدببة، تقلب الطرحة عليها سافلها حتى تتم عملية التنعيم سنابل الطرحة كلها. فتصبح الطرحة في يومين ناعمة وجاهزة للعملية الثانية فوق البيدر وهي التذرية، وفيها يستعمل المذراة، وهي من أدوات البيدر مثل الذكران، مصنوعة من الخشب وهي عبارة عن يد طويلة مثل العصا تنتهي بكف مثبت فيها خمس مساطر خشبية برؤوس مدببة، وفي عملية الذرية يتم فصل الحب عن الموص الناعم جدا وعن التبن والقصول.

بعد أن يتأكد صاحب الطرحة من أنه قد تم تنعيمها، يقيمها على شكل كومة مخروطية كبيرة، وتتم عملية الذرية في الصباح الباكر أو في وقت الأصيل قبل المغيب حين ينتهز الفلاح في تلك الأوقات هبوب الريح وحركتها، ومن هنا قالوا في أمثالهم: "إن طاب هواك ذر على حبة صاحبك" حتى لو صادف وجود ضيفك باتجاه الريح وتعفيره بالغبار والهباء والقش.

يقف المذري خلف طرحته المخروطية ويبدأ بفرز كف المذراة فيها، ثم يرفعها عالية في الهواء وهي محملة بكمية من القش والحب، يرفعها عاليا في الهواء فتفعل الريح في الحمولة المتطايرة فعلها الرتيب. فالموص وهو التبن الناعم جدا يتطاير بعيدا لحفته المتناهية حيث يكون ركاما خاصا به، وكذلك الحال مع التبن وهو الأخشن من الموص فيكون تلة أمام ركام الموص، أما القصول وهو الأكثف والأخشن فيتكوم في كومة قريبة من المذري، وتسقط حبوب القمح لثقلها مباشرة عند قدمي صاحبها، وتبدو أخيرا للناظر أربعة تلال رسمت بعناية ونسقت بدرية.

وفوق البيدر تجري عمليات فصل القمح بالترتيب، تأتي العملية الثالثة وهي تعبئة الموص والتبن في أكياس الخيش الكبيرة والتي عرفت حينذاك عند الناس بـ "كيس أبو خط أحمر".

ينقل الموص الى الدار، ليقدم طعاما للانعام، اذا تعذر رعيها وثخ شعيرها. كما تستعمله سيدة الدار بمزجه مع طين الحوثر لصنع موقدها الذي كان يعرف بالموقدة، وقحف طابونها، وأما القصول فتمزجه كذلك صاحبته بروث الحيوانات وتستعمله بعد تجفيفه كوقود للطابون، وتستعمله بعد مزجه بطينة الحوثر المستخرجة من مطاين

بلدتنا. في بناء زقائنها وخوابيها، وفي تشكيل كواوين نار التدفئة في الشتاء، وفي صنع خم دجاجها وكبي صيصانها، وكذلك تستعمله لتطين جدران السقيفة، وحيطان الطابون، كملاط لاصق قوي يمنع دخول هوام الأرض وتسرب الماء والهواء إليها.

وتأتي بعد ذلك من عمليات البيدر العملية الرابعة وهي عملية كربة الحب وغربله يكرل الحب أولا بكرال واسع الفتحات نوعا لفصل حب القمح أو الشعير أو العدس أو الكرسة عن الرمل والحصى وبقايا القصول، ثم يغربل بعد ذلك بغربال دقيق الثقوب صغيرها، ليتم تنظيف الحبوب وفصلها عما تبقى معها من الحشائش والقش بعد العمليات السابقة، ومن ثم ينقل مخزنه في المطاير أو في الخواوي أو في الزقونات والبراميل في البيوت.

وصاحب الغلة يعرف أصحاب الحقوق عنده، يعرف أن موسم الحصاد، هو موسم سداد الديون ودفع الأجور، أجور الذين شاركوه في الحراثة وبذر الحبوب وحصاد الزرع، أجور الحراث وقطروسه (مساعدته)، ويعرف صاحب الغلة موعد قدوم ناطور الزرع وحارسها، يحضر الناطور الى البيدر فيأخذ أجرته تبنا وحبا حسب الاتفاق، وحرقة نظارة الزرع تداولها أهل بلدنا وأذكر ناطورين أشداء على الرعاة والنسوة الغريبات، ورحماء بالصبيان والأولاد وهما محمد سلمان (الغليظ) ومحمد سمرين (عسكر). وكان للواحد منهما سلطة الشرطي باتفاق أهل البلدة ومخاطيرها وكبارا القوم فيها، يمنع الواحد منهما الرعاة من الاقتراب بأغنامهم وأبقارهم من حقول القمح، ويخشاه الأولاد والصبيان فلا يعبثون في سنابل القمح أو ي تلفونها، وتحسب النسوة الغريبات للناطور ألف حساب اذا ما فكرت احداهن انتهاز فرصة غيابه، فتجمع الحشيش مخلوطا بسنابل القمح الخضراء، طمعا في الحصول على كمية من الفريكة فيها.

يطوف الناطور عادة في أرجاء البلدة ومناحيها مهما بعدت طالما فيها زرع أخضر للحبوب، ويكون طوافه خاصة وقت الظهيرة وعند المغيب.

يحضر الناطور الى البيدر الخاص بالحاج سلامة حسين، وقد كنت متواجدا عنده ذلك اليوم في بيدر شمال أرض النقاشة بمحاذاة منزل ابراهيم كته درباس، يحضر

الناطور ويبدأ الناطور وهو محمد سلمان الفليظ بالتحية:

السلام عليكم، "حلت البركة" فيرد عليه تحيته ويبارك له أيضاً، وعندما تحين عملية الكيل، يبدأ الحاج سلامة بذكر الله وبالبسمة، ثم يملأ الصاع بالقمح، الصاع تلو الصاع وهو يعدها بالطريقة التالية:

الله واحد، ملثي ثاني (أي لا شريك لله معه) ثلاث، أربع، خمس، ست، ثم يقول سمحة متجاوزا العدد سبعة، ثم يكمل بالله الامانة بدلا من ذكر ثمانية، واخيرا تسعد من الله بدلا من العدد تسعة، وذلك إمعانا في البعد عن ذكر العدد (٧)، لأن عدد سبعة عند الحاج سلامة وعند أهل بلدتنا - شأنهم في ذلك شأن عباد الله في القرى والمدن - عدد يتطير منه الناس ويتشاءمون من ذكره، فيتجاوزونه بعددين إمعانا في تجنبه وفي البعد عنه.

الفصل الثاني

أقسام القرية (قالونيا)

وتنقسم قريتي طبقا لمعالم طرقها الواضحة الى الأقسام التالية:

١ - قالونيا الفوقية (الشالية).

٢ - قالونيا الوسطى (وفيها قالونيا القديمة).

٣ - قالونيا الغربية.

٤ - قالونيا الجنوبية.

أما قالونيا الشمالية: وتحدها أراضي الجفير الشمالي وأراضي الشرفه والبص والكروم شمالا، ويحدها جنوبا طريق الزنانير - عين الجوز، ومن الشرق الجفير الجنوبي، ومن الغرب أراضي عين الجوز.

وعلى امتداد هذا الجزء من قريتنا الى الشمال، أقام المغتصبون اليهود مستوطنة ميفاسيريت يورشاليم، وعلى أعلى قمة في هذا الجزء من قريتنا، أقمنا المدرسة الجديدة عام ١٩٤٢ (١١) لتحل محل المدرسة التي كانت في منزل اسماعيل خليل رمضان لربع قرن من الزمان.

ويشكل هذا الجزء من قريتنا مثلثا تزدهم البيوت فيه عند قاعدته، فتكون المدرسة الجديدة رأس هذا المثلث، أما بيوت القاعدة فهي على التوالي من الشرق الى الغرب: بيوت أولاد علان: جميل ومحمود وداود وشاكر، ثم بيوت أولاد عايشة أحمد فرحان وشقيقه محمد فرحان ثم منزل آخر لمحمد فرحان أيضا، ومنزل أحمد موسى حمدان، ودور أولاد علي حمدان: حسين، محمد، ثم دار عايش. وداخل شبه متوازي أضلاع تقع على قاعدته بيوت: ناصر الخطيب وأولاد زايد الخطيب: عبد الله وحسن، ثم منزل سعيد الاصفر ومحمد جودة، والى الشمال من منزل محمود جودة "أبو وديع" -

(١) اشترى أهل البلدة قطعة الارض الخاصة بالمدرسة من أحمد عويدات أبو سعد. وكان قد سبق أن حدد سماحة الحاج محمد أمين الحسيني - زعيم فلسطين في تلك الحقبة - في احدي زياراته للبلدة أوائل ثلاثينات القرن العشرين - حدد تلك المنطقة كمكان مناسب للمدرسة الجديدة... وقد كان ذلك.

وفوق متوازي الأضلاع السابق، شكل آخر مثله فيه، دور أحمد عويدات، وحماد الطويل، ودار محمود الأصفر المعروفة بدار (معاش)، شرق هذا المتوازي كانت تقع الدور التالية: دار إبراهيم عياش، دار أخرى لأحمد عايشة، وإلى الشمال منها تقع دار أحمد حامد الخطيب، وإلى يمينها تقع دار إخليل الجديدة (أحمد إخليل)، وإلى جوار منزله، حفر بئر خاصة به، عرف ببئر دار إخليل في المطاين. وفي أقصى الغرب، وعلى حافة الكروم، بيت جديد يملكه سعيد الأصفر الغليظ، بناه قبل عام الشتات: ١٩٨٤ بسنة واحدة.

ثانياً: قالونيا الوسطى والشرقية:

ويحد هذا القسم من الشمال طريق الزناير المتصل بطريق عين الجوز، ومن الجنوب الوادي الكبير والوادي الصغير معاً وخصوصاً بعد التقائهما عند نقطة الجسر. أما من الشرق فتحدها جدر البلد بحرائقها وحبالها، وفي الغرب يحدها طريق العقبة.



تقع قالونيا القديمة على قمة هذا الجزء من بلدتنا الحبيبة التي دمر أغلب بيوتها زلزال وقع لها في عام ١٨٣٧م، والبيوت التي سلمت فيه إنشطرت وتشققت بسبب زلزال آخر، داهم البلدة عام ١٩٢٧م لتستعمل بعد ذلك من قبل أصحابها كمخازن للتبن والقصول والحبوب. ويشكل هذا الجزء المهجور من القرية حوشا كبيرا تعلوه المدرسة الجديدة، مدرسة الصف الخامس الجديد حينذاك سنة ١٩٤٥م والمدرسة في منزل يملكه الشيخ عبد الرحمن علي سالم. وتعلو حوش قالونيا القديمة منازل أولاد عبود، ودار أحمد مصلح، ودار رمضان طه، صهر طه اسعيد.

ويشكل هذا الحوش، حوش قالونيا القديمة السطح الخارجي لمنازل دار مشعل علي حسن، واحمد سليمان وعلي خضر ومجد أسعد وغنام مشعل. وتوجد في الحوش بقايا لمعصرة زيت وحجرها الضخم بالقرب من المقبرة الاولى، التي توقف الدفن فيها منذ أوائل الثلاثينات. والجدير بالذكر أن دارا عامة للضيافة تخص كل أهل القرية كانت في قالونيا القديمة، في حوشها، يستقبلون فيها ضيوفهم ويقدمون فيها القى للأغراب لثلاثة أيام، كل بدور في البيوت والعائلات في الأيام والشهور طيلة العام.

وكان أهل بلدتنا يستعملون هذا الحوش في أفراحهم وأعراسهم، يتجمعون ويغنون ويسحجون ويرقصون ويدبكون، يتخلل ذلك إستمتاعهم باحتساء القهوة المهباشية (١)، والشاي ذي التحلية على أضواء النتش والبلان والمحطب.

وفي هذا الحوش توجد مغارة دار يعقوب علي سلامة عسكر، والتي تذهب في عمقها الى مئات الأمتار، كانت تستعمل مخزنا كبيرا لعائلات دار عسكر. أما بيوت قالونيا القديمة في قاعدة الحوش: دار عبد الله درباس، والد أحمد وابراهيم عبد الله كته، ويقع غربا منه منزل علي صالح الشهير بأبي حنين أو عيده، والى الشمال من منزل عيده تقع بيوت سلامة عاصي وسليم سلمان ومنزل حسين لقح.

وعند عنق الحوش شرقا تقع دور خضر صالح مشعل، ومصطفى صلاح مخلوف والد ذيبه أمينة وهو غم لأولاد صلاح، والى الشمال تقع دار صبيح ودار حماد الطويل والد مصطفى وأحمد وذياب عويدات.

أما سطح المنازل الذي كان يستعمل كصالة للأفراح في بلدتنا، فيتكون من أسطح منازل المشاعلة: علي حسن، وأحمد سليمان، وعلي خضر، ومجد أسعد ثم منزل غنام. هذه المنازل المتلاصقة شكلت سطحا كبيرا كصالة واسعة.

وفي شرق المقبرة كانت بيوت أحمد الصرص القديمة ومنزل صالح عبد ربه. الى الشمال منها دار عطوة ودور بكر وخضر درباس والد قاسم، ودور عبد الله مجد عسكر ومجد عثمان ويعقوب علي سلامة.

والى الشمال الشرقي من مسجد الشيخ حمد تقع داره ابراهيم صبح. ومن خلال قوس نمر شرقا الى منازل مصطفى طه درويش وذيب مجد صلاح، وفوق سطح دار صلاح نجد سلما أثريا من الجير يقودنا الى علية دار سمرين القديمة (وكانت ولادتي عام ١٩٣٣ في تلك العلية).

وفي غرب قالونيا القديمة الى الشمال قليلا، تقع منازل صالح إعمار وحسين لقح، وتشرف المدرسة على هذين المنزلين تماما. وخلفهما يقع منزل مجد سلمان الغليظ.

ومن معالم هذا الجزء من قريتنا مسجد الشيخ حمد، ملاصقا للمقبرة الاولى للبلدة. ويضم المسجد مقام الشيخ العبد، أحد تابعيه، ومن سدة المسجد.

وتحدث أهل البلدة عن الشيخ حمد وعائلته، زوجته وأولاده، أنهم أقاموا وعاشوا، ثم ماتوا ودفنوا في قريتنا هناك، ومما يرويه الحاج مجد الصرص رحمه الله، وقد قابلته لآخر مرة في أوائل الثمانينات، وكان قد بلغ من العمر حينذاك مائة وأحد عشر عاما، روى لي أن أرض الشلال، جنوب القرية، عند النقاشة، وفي الوادي الغربي كانت وقفا للمسجد وللشيخ ولعائلته. كان لذلك الجامع قبة حسنة، صعدت فوقها مرارا، وكان شأن تلك القبة الخضراء شأن القباب، التي كثرت في بلاد وقرى الاسلام في أيام الفاطميين. ويظهر ان الشيخ حمد قد حط رحاله مع عائلته بنحوار المقبرة، قادما من مكان بعيد، يقنع أهل القرية بتقشفه وبمحرصه على مغايم الحياة الاخرى، التي من سبلها القيام على خدمة الموتى وضون حرماهم، ويعلم الناس أن احترام الانسان ميتا، كاحترامه وكحرمته حيا. وعندما حضرت الشيخ حمد الوفاة، دفن بنحوار المقبرة، وكان أهل البلدة قد اقتنعوا بكرامته، فبنوا المقام حوله ليتحول الى مسجد، يزور زوار المقبرة ويصلون في مقامه على روحه وعلى أرواح موتاهم... وتطور الأمر الى التبرك بذكره، والى القسم به والنذر له.

ضم مسجد الشيخ حمد غرفتين متجاورتين، تفتح كل منهما بابها على صالة خاصة تعلو إحداها الأخرى على هيئة مصطبة وكانت الصالة العليا المصطبة مكانا يجلس فيه تلاميذ حفظ القرآن يتحلقون حول شيخهم الذي يقوم بتحفيظهم القرآن، وهي مسقوفة، أما الصالة الأخرى حيث كان المحراب موجودا، وفي وسطها نافورة خاملة، فقد كانت سماوية غير مسقوفة، يصطف المصلون فيها، ويتراحمون يملأون الصاليتين والغرفتين في صلاة العيدين خاصة.

كان ضريح الشيخ، صاحب البركات، والذكرى العطرة عند أهل القرية القدامى على الأقل، يقع في الغرفة الجنوبية أمام الصالة السماوية. وكان الضريح دائم الإضاءة والانارة، بشموع وزيتون صاحبات النذر من الزائرات أو من الزائرين الرجال.

وكان يتناوب التعاون في الاشراف على خدمة المسجد، خدمة مجانية لوجه الله تعالى، الشيخ: اسماعيل سالم الغليظ، وأحمد سعيد الأصفر الغليظ، ومحمد جودة أبو سعد، وفي عيد الاضحى ذات مرة، قام موسى عبد الرحمن سالم الغليظ بدور الامام، وقرأ خطبة العيد واقفا على الأرض، فقد كان المسجد بدون منبر.

وفي الجنوب من قالونيا القديمة، كانت تقع بيوت قريبة في قدمها من تلك البيوت المهجورة في قالونيا القديمة. ويمتد هذا الجزء جنوبا حتى الوادي الكبير عند نقطة عين الجسر شرقا وقصر الحسيني في الوسط، يشرف على مجرى الوادي الصغير، وقنطرة مروان شرق طريق العقبة. ومن أكبر معالم هذا الجزء في بلدتنا "قصر الحسيني" فوق ربوة تحيط بها أشجار معمرة ضخمة من السرو وغيره. تتخلل المنطقة أبار خاصة، حولها أنقاض بناء معقود روماني، يطل هذا القصر على مستعمرة موصة التحتا، ومن ثم يتحكم بخط سير السيارات فوق طريق القدس - يافا. ولهذا القصر وأهله في لقاءاتهم بأهالي بلدتنا ورجالها ذكريات: يتحدث أهل القرية حول لقاء تم بين صاحب القصر، وبعض من رجالات بلدتنا كبار السن، يهنا منهم الشيخ مصطفى خليل رمضان عسكر، وكان موضوع الحديث بينهم حول زحف اليهود وشرائهم للأرض، تلك التي تريض فوقها مستعمرة أرزا (موتصة العليا)، وكان قد تساءل المتحدث وهو صاحب القصر عن كيفية وقوع كل هذه الأرض بيد اليهود فقيموا عليها تلك المستوطنة الفذة، فيجيبه الشيخ مصطفى رمضان رحمه الله، بحدة وعصبية وهو يقاطعه، فهو سيدك (جدك) الذي باعها. وفي رواية أخرى عند آخرين من أهل البلدة، فهو خالك الذي باعها لهم...



ثالثا: قالونيا الغربية:

والناظر في خارطة قالونيا الغربية يرى كيف أن أبناء الحملة الواحدة كانوا يحرسون على أن تكون بيوتهم متجاورة في تجمعات تكاد في غالبيتها تضم جميع الأبناء والاحفاد المنتمين إليها، ومن شذ عن ذلك منهم، فهم يعيدون تجمعاتهم في أحواش صغيرة لا تبعد كثيرا عن التجمع الكبير، وخير مثال على ذلك، تجده في التجمع الكبير لابناء الغليظ، يتجمعون على أحسن ما يكون التجمع نظاما ورحما. تبدأ بيوتهم داخل متوازي أضلاع - بيوت حسن إخليل وأولاده أحمد ومحمود وقاسم وعثمان وعبد الله وموسى حسن إخليل، ونجوار حسن إخليل إلى الشرق يسكن الشيخ إسماعيل سالم أحمد محمد معالي - وإلى الغرب من تجمع أولاد حسن إخليل، وعلى بعد عشرين مترا كانت دور الأخوين: الشهيد الشيخ علي محمود حمدان (أبو إبراهيم)، وأحمد محمود حمدان (أبو عزات). ثم منزل أحمد سلمان الغليظ الذي يطل من عليته على عليّة أخيه سعيد سلمان. وعلى الخط المواجه لنفس متوازي الأضلاع تقع من الشرق إلى الغرب بيوت محمد عبد حمدان، وإبراهيم العبد صبح، وطه اسعيد، ومحمد الصرص ومصطفى إخليل. وتحيط بأرض هذه البيوت الخمسة نبات الصبر الشوكي، تطل على مربع صغير، تقع فيه بيوت محمد كايد ومرشودة، وحسن الخطيب، ويوسف الخطيب، ومحمد جودة، وداود جابر، وعبد الله صالح، وأخيرا منزل إبراهيم موسى جودة.

وإلى الغرب من منزل محمد الصرص، بيدر واسع استعمل وقت الحصاد للدراس، ووقت الأفراح كصالة، يظهر فيها الفرحون علامات أفراحهم وانشراحهم من غناء ورقص وسمر. يطل ذلك البيدر على دور أولاد مصطفى إخليل.

يطل سعيد سلمان من عليته على منزلي أبناء عمومته فارس عبد الله الأصفر، وإخليل سلامة خليل عاصي، ونجوار منزل فارس عبد الله اسبيخ، يقع جرن كبير فيه مغارة الأسد، تعود إليه ملكيتها، ويشرف ذلك الجرن على منزل محمد أحمد مصلح زوج فاطمة خليل خضر مشعل، وهو من قرية جمزو، تزوج من بلدتنا واستقر فيها، ولم يخلف ذرية من الذكور وبناته اثنتان، زينت ورسمية.

وفي مثلث منبعج القاعدة جنوب طريق وسط البلد، تقع البيوت التالية: منزل

ومن معالم ذلك الجزء من القرية "شجرة التينة" الشهيرة بتينة عبد الرحمن، حيث ترتبط بذكرات متباعدة كثيرة عند أهالي بلدتنا، عند رجالها وعند نساها. فعندها يكمن قاتل ليقفل بريئا، بعد أن أخطأ هدفا كان يسير بنجوار، فيتسبب القاتل بمأساة شغل حائل البلدة، ردحا طويلا من الزمن، واكنوى أهل الفتيق بنيرانها. وعند التينة تنتهي زفة العريس (١)، ليعود المحتفلون بعريسهم إلى داخل القرية، وعند التينة يقف الرجال، وتطيل النسوة حديثها - يتحدثون وكأنهم يطلبون شهادتها على ما يدور بينهم.

وجنوب تينة عبد الرحمن تقع قنطرة مروان، وهي أرض على الطريق أمام قصر الحسيني، اغتصبها من أراضي السادة إسماعيل سالم ومحمد مطر ليجعلها مدخلا لقصره، وفوق قصر الحسيني أرض اليهودي "أبو داوديلن" أحد أعضاء المجلس البلدي في القدس، وإلى الجنوب من داوديلن تقع بيارة الحسيني، وفوقها تقع أرض صباح، وإلى شمالها قرية من منزل سلامة حسين تقع أرض هناك اسمها أرض البيك أو كرم البيك، اشترته مريم موسى حماة طه إسعيد الغليظ.

وتعود غالبية أرض ودور هذا الجزء من بلدتنا إلى ملاك من الغرباء ممن سكن قريتنا، إلى جانب ملاك من أهالي القرية. قصر الحسيني وداري وهبة نسبية وقاروق نسبية، وفوق قنطرة مروان إلى الشمال توجد دارة أخرى لرباح الحسيني، ونسير في طريق العقبة من الجنوب إلى الشمال لنمر أمام بيوت أولاد الشيخ حسين سلامة، محمد وأحمد وسلامة، وعلى حافة طريق عين علي جودة، قبالة الدور السابقة تقع دار صالح الزير ونجوار دار مصطفى صبيح. على يمين دور الشيخ حسين سلامة، تقع بيوت محمد موسى عبد ربه وأحمد موسى عبد ربه، وإلى الشمال تقع دور أولاد صباح: مصطفى ومحمد وعيد. وعند بداية طريق عين الشامية أو طريق الحبايل، يقع منزل عيسى حمدان، وإلى الشمال منه، تقع بيوت حسنين بركات وحسني بركات، وفي نفس الصف تجاه الشمال تقع دار محمود خضر صالح، ودار عبد الله الرط الشهيرة بدار ثريا، وهم من أهالي القسطل، استقروا في بلدتنا منذ وقت مبكر. وتقابل هذه المجموعة من البيوت منازل يوسف العبد عثمان، وعبد خليل العبد عثمان ومحمد خليل العبد عثمان، وإلى الشمال تقع بيوت أولاد عطية: محمد وسعيد وعادل.

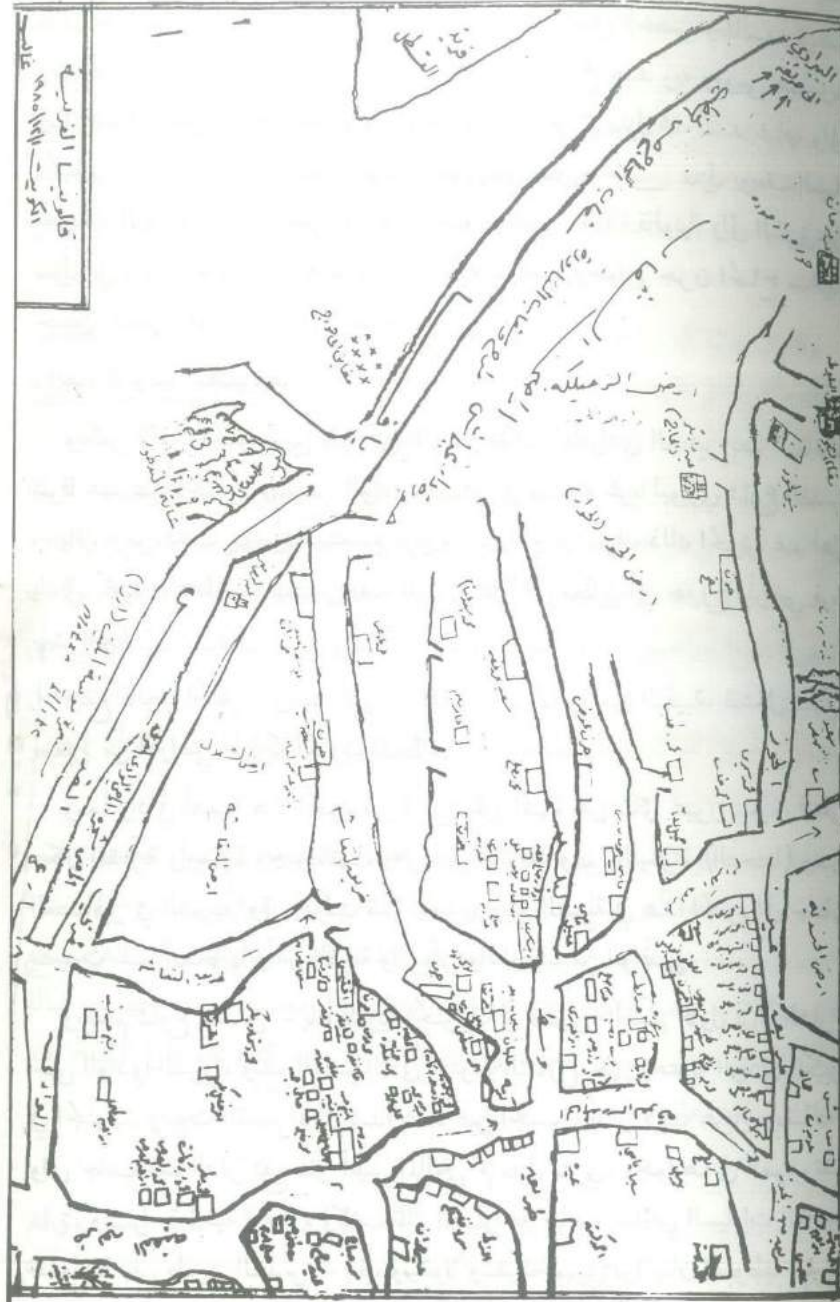
(١) كانت الزفة تصل أحيانا إلى دار حافظ وأحيانا أخرى تتجاوزها حتى أرض الزونية.

كرمة زوجة محمود المزرعاوي، ومنزل عليان خضر وخلفه، يقبع بجوار جرن واسع منزل سليمان حسن زريقة مشعل. ويطل عليان خضر من عليته على دور علي حسن سليمان، وموسى حسن سليمان، وأحمد مصطفى سليمان، وبين البيدين داخل ذلك المثلث، يقع منزل موسى داود جابر.

يمر القادم من الشمال في طريق الكروم، يمر بطريق النقاشة ليطل في أثناء الخدار على تجمعات أولاد حمدان (أفقيس) المشرفة على تجمع أولاد سمور: محمد عثمان، وسليمان عثمان، وإلى الشمال من تجمعات أولاد أفقيس يقع جرن أولاد صباح المجاور لبيوت عطوة وعطية، والتي تطل بدورها على منزل محمود سلمان الغليظ (أبو عطا)، وإلى جوار هذا المنزل محاذيا لطريق العقبة، تقع بيوت: يعقوب، وعبد الله، وعلي أولاد محمد علي سلامة عسكر، ونجوارها يقع الحوش الكبير ذي الخمسين غرفة، حوش اسماعيل خليل رمضان وأبناء عمومته رمضان وصافي وجمعة ومحمد خليل رمضان. وفي ذلك الحوش الكبير كانت المدرسة النظامية الأولى، وعليه اسماعيل خليل التي قدمها سكنا خاصا وبلا مقابل للشيخ حسن نسيبة زهاء ربع قرن من زمان تواجده في بلدتنا. وإلى جنوب حوش أولاد رمضان تقع بيوت محمد مطر ومحمود بركات ومحمد الصرص وأخيه ابراهيم.

وإلى الجنوب من بيوت أولاد سمور: محمد عثمان وسليمان عثمان، قرب نهاية طريق النقاشة كانت منازل شحادة بكر، وأحمد خليل بكر، وفي خاصرة أرض النقاشة، ومواجهة لتينة عبد الرحمن، بنى الشيخ حسن نسيبة دار جديدة له قبل النكبة لم يقدر له أن يسكنها، كما بنى ابراهيم مصطفى مختار القرية بيتا بجواره أيضا، لم يحظ بنصيب للسكن فيها بسبب الحروب والشتات.

وفي أقصى نقطة في شمال قالونيا الغربية وأمام الهضبة الصخرية التي تحدها أرض الجندبة، والتي تعود في ملكيتها إلى حافظ نسيبة، يقع منزل سعيد الأصفر الجديد، وتجاور أرض فيها ثلاث سروات معمرات باسقات، تعود في ملكيتها إلى الحاج محمد جودة، وتحت طريق عين الجوز مباشرة، يقع منزل محمد سمرين وعليته الشهيرة، ونجوار إلى الجنوب الاخوان محمد ابراهيم طليب مخلوف، ومحمود ابراهيم طليب مخلوف، وجارهم جميل عليان خضر مشعل، هذه البيوت تطل على جرن عوض صبيح جنوبا.



وعلى حافة الطريق في نقطة يلتقي فيها طريق الكروم بطريق وسط البلد، يقع منزل ذيب سمرين، وبيوت أولاد صالح خضر صالح مشعل (خضر وطالب ويوسف وعلي)، وتطل بيوت أولاد صالح خضر علي منازل صالح عبد ربه وموسى عبد ربه ويديرهم في الجنوب. وإلى الغرب يقع منزل عامر سليم، ثم منزل محمد أسعد غنام، وإلى الجنوب الغربي يقع منزل أحمد عوض الذي يطل بدور على منزل يوسف العبد حمدان (أبو فهد)، عند أقصى نقطة في الجنوب الغربي للبلدة قالونيا. وإلى الشرق من منزل أبي فهد يقع منزل إبراهيم عبد الله كنه درباس، ونجوار جرن الحاج سلامة حسين عسكر، فوق أرضه في النقاشة.

رابعاً: قالونيا الجنوبية:

وتكمن قالونيا الجنوبية بين الوادين: الوادي الكبير والوادي الصغير بعد التقائهما شرقاً عند عين الجسر، ويستمر الوادي الصغير في مسيرته غرباً ليواري شارع القدس - يافا، ويمر تحت خاصرة مستعمرة آرزا وحرشها، وكان يعرف ذلك الحرش عند أهل بلدي "بحر الشطور" فيستمر بعده الوادي غرباً إلى مطاين أبي جورج وأراضي قرية بيت نقوبا.

وتقع قالونيا الجنوبية وسط كثرة من أشجار الفاكهة المثمرة الطيبة، فتشكل بساكن صغيرة من الأراضي المباركة الحيرة، المعطاء.

ومما زاد في أهمية هذا الجزء من قريتي وفرة المياه على شكل عيون نبعية، تسقي سكان القرية وأرضها وحيواناتها، وهي عين الفوقة، وعين الليمونة (التحتا) وعين العصافير في الغرب. وقد حولت تلك العيون أرض القرية في هذا الجزء إلى جنان يتحدث عنها أصحابها وأهل القرية والزوار والضيوف من الوافدين.

ويقسم شارع القدس - يافا قالونيا الجنوبية إلى قسمين: القسم الأول شمال الشارع حتى الوادي الغربي، ويقع القسم الثاني جنوب الشارع حتى يحتويه الوادي الكبير في الجنوب. وبيوت القسم الأول تبدأ عند عين الجسر، بدار ذيب عزيزة وبقالته، وإلى جانب تلك الدار تقع دار أنيس المالحى ثم منزل متري، ونجوارها في الغرب تقع دار، واستراحة أخيه نيقولا، وكانت تلك الاستراحة خاصة بسائقي السيارات القادمة لحملتها على طريق القدس - يافا، ونيقولا وشقيقه متري يونانيان استوطنا القرية

أيام الشباب في العهد العثماني. ووصل نيقولا إلى أرذل عمر فيها، تعطف عليه نساء القرية ورجالها حتى مات.

ويعرف أهل بلدي معي كراج باصات البلدة بنجوار بيت كدس اليهودي، وقد وصل عدد باصات القرية قبل الخروج الكبير منها إلى ثلاث باصات، خرج بها أصحابها من المشاعلة عام ١٩٤٨ لتعمل على خط الزرقاء - عمان (١)، ثم اقتصر نشاطها على النقل الداخلي في مدينة الزرقاء، عوضاً عن تنقلاتها بين قالونيا - القدس في سابق عهدها.

ونجوار بيت كدس يقع بئر المعروف، ونجوارهما تقع دار سليم سلمان الغليظ، وخلفه تقع دار فاروق نسيبة، ويعلوها منزل فوزي نسيبة بالقرب من عين الليمونة (العين التحتا). وعند العين الفوقا تقع دارة لحافظ نسيبة.

أما بيوت القسم الثاني من قالونيا الجنوبية والتي تقع جنوب شارع القدس - يافا فهي من الشرق إلى الغرب: دار الشيخ اسماعيل سالم أولاً قبل أن قام بشرائها قاسم خضر، وعند قبالة المنزل المذكور توجد مطحنة الغلال، على الشارع مباشرة، وكانت تخص الشيخ اسماعيل سالم الغليظ، وقد شارك مرة أحد أصحاب المطاحن في عين كارم واسمه نعمان حنا جريس في تشغيل تلك المطحنة في بلدتنا، إلا أن العملية لم تكل بالنجاح. ومن ثم كان أهل البلدة يذهبون إلى عين كارم لطحن حبوبهم أو عصر زيتونهم في مطحنة ومعصرة جعينة العكرماوي.

وإلى أقصى الشرق في مكان بارز على جبل الصفحة يقع منزل محمود غنيم والمعروف بكينته "أبو سالم" وإذا اتجهنا إلى الغرب فوق الجسر نمر على يسارنا بالبساتين المجاورة لأرض الدباغة وملعب كرة القدم فيها. وبعدها إلى الغرب تقع المقبرة المركزية للبلدة وتليها أرض البرونية. ويقع منزل محمود حسن الخطيب قبالة المقبرة جنوباً. وعلى طريق الحبل الموصلة إلى طريق عين كارم تقع دارة الشيخ عبد الرحمن سالم الغليظ.

(١) عملت باصات البلدة أولاً على خط أريحا - عين السلطان وعقبة جبر حتى عام النكسة ١٩٦٧.

بعد منزل محمود حسن الخطيب، تقع بيوت ابراهيم محمود مشعل، ومجد علي مشعل الشهير بـ "شقيز" (تصغير صفة أشقر)، فقد كان شديد بياض البشرة، وإذا شعر أشقر، وإلى الشمال الغربي منها يقع منزل سليم محمد خضر ثم منزل خضر صالح. وعند بداية منعطفات القسطل الحادة، تقع بيوت تيم علي خضر، و خليل خضر وأولاده: مجد وعارف، وفي العمق جنوباً، وبين أشجار التين والمشمش تقع داره طه ورده العكرماوي. ولا أنسى ونحن بصدد تسجيل بيوت هذا الجزء من بلدتنا الحبيبة قالونيا، أن نسجل منزل السيدة لطيفة وزوجها سعيد أسعد غنام مشعل، وتقع عند نقطة يتفرع فيها الشارع الجديد (القدس - يافا) إلى الطريق القديم، طريق القسطل اللولبي. وقد شقت حكومة الانتداب هذا الطريق، واتضحت معالمه المعروفة منذ عهد عبد الملك بن مروان الأموي - في حكم الدولة الأموية، شقته لتتفادى خطورة ومحاذر طريق القسطل عام ١٩٤٥م.

ومن معالم هذا الجزء في قالونيا زيتونة معمرة "مباركة" كان يتحدث أبناء البلدة عنها أنها من بقايا مقام له قدسيته أسموه مقام عمر بن الخطاب، وهي تقع إلى الغرب من استراحة ومقهى نيقولا. وقد كان أهل البلدة يوقدون الشموع، ويوفون النذر عندها يومي الاثنين والخميس. وكما أشرت في مكان آخر في كتابي هذا، لا يزال بعض من ملاك أرض "الجنانين" والبساتين على أنها تقع في حوض عمر بن الخطاب، منذ أن طوّبت الأرض لأول مرة في عهد رجب باشا التركي عام ١٧٢١م.

وإلى الشرق من تلك الزيتونة كانت توجد حجارة ضخمة من بقايا معبد قديم، يصر يهود المستوطنين في موصة الفوقة والتحتة على أنها بقايا كنيس يهودي قديم، وقد حافظوا على ذلك المكان ومنعوا حكومة الانتداب من محاولة طمسه من الوجود فمنعت مديرية الأشغال من أن تقتطع من تلك الأرض وهي بصدد توسيعها للشارع هناك عام ١٩٤٤، فاضطرت حكومة الانتداب أن تشق طريقاً آخر في سبيل المحافظة على آثار ذلك الكنيس.

ولقد روى يهود موصة أليت، لبعض رجالات قريتنا أن السهل الواسع المجاور للوادي الكبير، بجوار زيتونة عمر بن الخطاب وامتداده حتى اتصاله بالمرج، كان مسرحاً للمعارك بين داود وجالوت، وكان داود مع أخوته الثلاثة، وكان أصغرهم يرعى الغنم. فرأى جالوت وهو يطلب المبارزة، فالتمس داود اذناً من مليكه طالوت، قائد

الجيش العبري آنذاك أن يقتل جالوت، فتقدم داود ومعه خمسة حجارة انتخبها من الوادي ومعه مقلاعه، وكان جالوت يسير في ذلك السهل، وفي قبالة، على قمة الصفحة ظل داود يترصد به ويترصده حركاته، وعندما تيقن لا محالة صائده وزن مقلاعه ليصوبه إلى وجه جالوت، فيتعمد أن يخطئه ليصيبه بحجره الثانية في جبهته، ويقضي عليه.

ويعلل اليهود عدم إصابته بالحجر الأول أن داوداً أراد جالوتاً أن ينظر تجاهه فرمى بالحجر الأول ليقع بالقرب من جالوت، فإلتفت جالوت يستطلع مصدر الحجر، فينتهز داود مواجهة وجه جالوت نحوه، فيرميه بحجره الثاني... ليقتله!

للتدفئة.

ظلت تلك البيوت، بيوت البستان مهجورة، لم يحاول أحد من أهل قريتي الاقتراب منها.

والى الشرق من أراضي شعبة بيطار، تقع أراضي بئر غزال، وفيها أرض اشتراها جمعة رمضان عسكر عام ١٩٤٠ من السيد ابراهيم مصطفى طه حمدان، يشترك في ملكيتها من المشاعلة علي حسن سليمان وموسى حسن سليمان وخضر صالح، وورثة أحمد مصلح وطه أسعيد الغليظ وأحمد بركات وغيرهم.

وفي محاذة أرض السواركة، والى الشرق من أراضي بئر غزال تقع أراضي قطعة اللوح لأحمد بركات، ومصطفى رمضان، ولعبد الله محمد علي سلامة وأخيه علي وذئب سمرين، وتمتد أرض قطعة اللوح الى نقطة فوق أراضي عين طلعة في الشرق، فتعرف هناك بأرض لوزة، وموارسها الحد الفاصل بين أراضي قالونيا وأراضي بيت سوريك في الشمال والشمال الشرقي خاصة. ويمتلك تلك الموارس مع غيرهم من أهل قالونيا السادة: أولاد صباح درباس، وأولاد حمدان خطاب، وأولاد جمعة رمضان، ومحمد مطر الخطيب، الذي ورث حصته هناك عن والدته ذبية درويش من دار حمدان. ويشترك مع هؤلاء ومع غيرهم في موارس لوزة سعيد خضر، ويشارك كل من أحمد محمود غنام وسلامة حسين في ملكية مارس عراق عثمان هناك. ويمتلك في لوزة السادة محمود عويدات ومحمود بركات في منطقة عراق أيوب.

وعند أقصى نقطة في الشمال الغربي لبلدتنا قالونيا، تقع أرض الكروم وأرض البص: كروم محمد جودة وأحمد جودة أبو سعد، وكرم أبو حنين، وكرم أعمر، وهناك كرم لليهودي شمعون بروزة "أبو روزة" عبارة عن ٦ دونمات تسرب لليهود، ومن أرض الكروم أرض المراح لأحمد محمود لقح بجوار أرض بكر درباس، والحلّة وعراك عزيزة عثمان لعادل عطية والحاج صافي رمضان، وجمعة ومصطفى رمضان، وأحمد محمود لقح.

وتقع بجوار أرض الكروم، أرض البص التي تمتلئ ماء وطنينا أكثر من غيرها من الأرض المجاورة في الشتاء، فسميت بهذا الاسم "البص"، بص الربع لمحمد مطر ولناصر الخطيب أبو سعد وعبد الله محمد، وحسين سلامة عسكر، وبص يوسف

والى شمال حريقة الخطيب وعلى طريق الجفير وآبار بيت مزنة، تقع مطينة أحمد إخليل وبئر ودارته الجديدة، والى الغرب منها تقع مطينة رحيم وببغش مع مارس زيتون هناك. والى الشمال الشرقي، بمحاذاة جذر البلدة الشرقية يقع عراق الزناير لجميل عويدات ومحمود بركات. ويقع كرم القاضي قرب منطار عيسى حمدان لمحمد صباح، وحبلّة الشويات لعويدات ولحمود بركات... وغيرهم.

ثانياً: في شمال قريتنا قالونيا تقع أراضي الجفير، لزراعة الحبوب الموسمية من القمح والشعير والحمص والعدس والكرسنة، ومن أصحابها: أولاد عبود وأولاد أحمد إخليل وجودة وأولاد محمد سمرين وغيرهم. وفي الشمال من أراضي الجفير الشمالي تقع أراضي قرنة الشعار محاذية لأراضي الجفير، ومن أصحابها أولاد فرحان وحسن عايشة وأخوته ومحمد سمرين وغيرهم... وبين أرض قرنة الشعار وأرض بيت مزنة تقع جسورة التخيلة، يشترك في ملكيتها عبد الله محمد علي سلامة عسكر، والحاج عيد صباح درباس، والشيخ مصطفى رمضان ومحمد مطر عسكر وغيرهم. والى الشمال الغربي تقع قرنة سويد، ومن أصحابها: الحاج محمد جودة أبو سعد، وطه إسعيد الغليظ، وهي موارس تكثر فيها أشجار الفواكه، وخاصة التفاح البلدي الأصفر الصغير، وفي اتجاه بيت سوريك تقع أرض بيت مزنة لأولاد بركات مخلوف وإسماعيل خليل عسكر، وتقع هناك أيضاً كروم البيار وأهمها: كرم المدامر لمصطفى رمضان ومحمد صباح، ومن الذين يمتلكون أرضاً في كروم البيار السادة، عيسى حمدان ومحمد طليب مخلوف وشقيقه محمود، وغيرهم... وتقع في تلك البقعة آبار رومانية: عشرة آبار وأقواس أثرية كانت لا تزال قائمة هناك حتى عام ١٩٤٧، شاهدتها حينذاك.

وعند قبة عبد العزيز، أقصى الشمال الغربي تقع أراضي شعبة بيطار، وتخص أصحابها مصطفى طه حمدان وأولاد علان من دار حمدان وأولاد كته درباس، ومحمد مطر وأولاد جمعة رمضان عسكر خطاب وغيرهم، ومما يذكر هنا ان قالونيا "جديدة" بنيتها مشاريع الإسكان التصفوية، وأسمتها قرية البستان، من خمسة عشر بيتاً - أقيمت في ذلك المكان بديلة عن قالونيا العتيقة الباقية،

العبد عثمان بجانب نبع اعمر، وبص الجورة لمصطفى رمضان، ومصطفى طه حمدان.

وبجانب أرض البص تقع خربة فرحان لحسن عايشة واخوته محمد فرحان، وموسى ومارسان للشيخ اسماعيل سالم ولمحمد مطر، لا زراعة فيهما، ومارسان لشحادة بكر ومثلهما لأخيه خليل، غير مزروعة أيضا، ومارسان لمصطفى طه خطاب وكرم آخر لابراهيم موسى جودة، وزيتونات عين فرحان لأحمد محمود لقح، وتحت عين فرحان توجد أرض جورة أولاد جودة، وفوق عين فرحان يقع مارس لأحمد محمود لقح وجمعة مصطفى رمضان وسعيد خضر... وغيرهم. وعند باب الكروم توجد كروم طه اسعيد (الغليظ)، ومصطفى صباح (درباس) ولعبد الله محمد علي سلامة (عسكر)، ولمحمد مطر عسكر، ولحمود لقح (مشعل)، وكرم ابراهيم عبد الله درباس وعلي جودة (أبو سعد).

والى الشرق من الكروم وأرض البص، تقع أراضي الشرفة وأراضي التعامير. وتقع التعامير فوق عراق علي اسماعيل وتوجد هناك تعميرة محمد عثمان وأخيه سليمان عثمان، وتعامير أولاد بركات، وعلي امتداد عراق علي اسماعيل تمتد أرض الشرفة شرقا لأصحابها محمد جودة أبو سعد، وسعيد الحسيني، والى الجنوب من أرض الشرفة تقع أرض الجندبة لحافظ نسيبة ومحمد صباح.

وفي قرنة الشعار كرم اليهودي، استطاع أحد أهالي القرية وهو قاسم خضر درباس أن يشتريه من اليهودي بعد محاولات مضنية تكلفت أخيرا بالنجاح عام ١٩٤٠م، والذي قرأ ما جاء في دستور الوكالة اليهودية في المادة الثالثة منه: "تستملك الأراضي كملك لليهود وتسجل باسم صندوق رأس المال القومي اليهودي، وتبقى مسجلة باسمه الى الأبد (على حد زعمهم) كما تظل هذه الأملاك ملكا للأمة اليهودية (كما يتوهمون) غير قابلة للانتقال... تعالى الله عما يذكرون ويكتبون!

أقول والذي قرأ ذلك يعرف مدى الجهد والجهد اللذين بذلهما قاسم خضر درباس في استرجاع ذلك الكرم وشرائه من جديد...

وبجانب كرم قاسم درباس المذكور يوجد كرم العبد عثمان مخولوف، وكرم عطوة

مخولوف، وكرم سليمان سلامة عاصي غليظ، وكرم محمود لقح، وعماداته كرم لموسى فرحان أيضا.

ثالثا: وفي غرب قريتنا قالونيا عند مطاين أبي جورج تقع أراضي الشعاب، وتسير الشعاب شمالا لتتصل بالحصاميص، وتمتد غربا حتى أراضي قرية بيت نقوبا حيث تقع حريقة البيراوي، لمحمد مطر، وجمعة رمضان، والشيخ حسين سلامة، وعبد الله علي سلامة، ولإسماعيل خليل رمضان، وأخيه محمد خليل. ومن يملك في الحصاميص أولاد خضر مشعل وأولاد الخطيب أبو سعد، ومحمود بركات مخولوف وأولاد جودة: محمد وأحمد، ويوسف العبد عثمان وأخوه محمد... ويشاركهم هناك اليهودي شمعون برون.

أما ملكية أراضي الشعاب فيشارك فيها من أهل قريتنا قالونيا مع غيرهم السادة: ورثة عياش من دار حمدان، ورثة صلاح من دار مخولوف السادة: ذيب وسعيد وعبد الله ومحمد، والسيد يوسف العبد عثمان وصالح عبد ربه وكلهم مخولوف، ولا ننسى شعب الحاج حسن الخطيب وشعاب مراح البارودة، وموارس المطاين للسادة: محمد مطر، وورثة صباح درباس، والحاج سلامة حسين سلامة، وكرم عودة لسعيد أسعد، ومصطفى صباح وحسين غنيم مشعل... وصلاح مخولوف... وأخيرا كرم خليل خضر مشعل وهو أكبر الكروم هناك إذ تبلغ مساحته أربعون دونما... وفي أقصى الشمال عند حدود بيت سوريك تقع في أرض الشعاب عين يعرفها رواد بلدتنا قالونيا القدامى، تسمى "عين جميل" في وعره صلاح وشعابه ومطاينه.

وتقع الى الغرب من بيوت البلدة قالونيا أرض الحور. وتمتد الحور من الشمال عند عين فرحان حتى الجنوب عند عين العصافير تحت شارع القدس - يافا، مارة بعين الجوز... وتكثر أشجار الفاكهة في تلك الأرض وخاصة فاكهة الأجاص الطيب لأصحابها أولاد خضر مشعل والشيخ اسماعيل سالم بالقرب من عين الجوز، وبجانبه خور شحادة بكر، وخور ذيب سمرين وخور صباح درباس وخور الحاج سلامة حسين، وخور محمود لقح، ويوسف ومحمد العبد عثمان مخولوف...

والى الغرب من أرض الحور تقع أرض الزحليقة، وتتصل بأرض الشعاب وتخص محمد سمرين وأولاده، وأولاد محمد عثمان وسليمان عثمان عسكر، وناصر الخطيب أبو سعيد، ومواجهة عين العصافير تقع ازحليقة أولاد عويدات، وأرض الزحليقة مملوءة بالصخور الملساء التي يصعب السير فوقها. وتتسبب في انزلاق وزحليقة مياه الأمطار، ولذلك كانت في غالبيتها أرض جرداء تزرع حبوبا الا في موارس معدودة في جنوبها، حيث ترى فيها أشجار الفاكهة وكرمة العنب. وفي أقصى شمال أرض الزحليقة عند بلوطة الشيخ حسين تقع خربة عويدات شمالا شرقا، يقابلها في الشمال الغربي - عند أراضي أبي غوش - في موارس الغربيات، قطعة الأرض المسماة بباطن الشمس لمحمد صباح درباس وجميل عويدات أبو سعد وغيرهما.

رابعا: في الجنوب: وفي امتداد أرض بلدتنا في الشرق نحو الجنوب تمر بأرض العراق وتخص الشيخ اسماعيل سالم الغليظ و خليل بكر درباس، ومحمد عثمان سمور، وأولاد الزبير محمد وحماد وعيد من الغليظ، ويشارك في ملكية أرض العراك أولاد صباح، وأحمد موسى حمدان وعلي جودة وعوض صبيح، وتمتد أرض العراق جنوبا لتشمل موارس وكروم عبود وحامد الخطيب أبو سعد.

وغرب العراق وجنوبه تمتد أرض الحبايل، وهي عبارة عن شرائط من الأراضي المنبسطة والمستوية والمحاذية للوادي الكبير، وقد أقيمت جدر اسمنتية وسلاسل حجرية ومصاطب اصطناعية على جانب الوادي لمنع انجراف التربة أمام مياه الوادي الطاغية في الشتاء، وتشترك عائلات كثيرة من أهلنا في بلدتنا في استملاك أرض الحبايل منها: ورثة ذيب صلاح وسعيد صلاح، وأولاد اخيل غليظ، ومحمد سلمان الغليظ، ومحمود بركات مخلوف واخوته، ومحمد سمرين عسكر وسلامة حسين عسكر ودار جابر مشعل، وطه اسعيد غليظ.

وتقع الى الجنوب من أرض الحبايل، أراضي عين الشامية لأولاد عطوة وعطية ومصطفى صباح و خليل بكر، ثم تليها أراضي عين جودة، لجمعة رمضان عسكر وناصر الخطيب أبو سعد، وأولاد جودة أبو سعد، وحسن الخطيب أبو سعد، ومحمد مطر عسكر. وعلى طريق القصبة بجوار منزل موسى عبد ربه يملك عويدات أرضا، والى الجنوب من تلك العيون تقع أراضي الجسر الخاصة بأولاد

بركات وأولاد علي أبو حنين، ومن ثم كرم الحسيني وأرضه التي فيها قصر المشهور وأمامه قنطرة مروان تعود في ملكيتها الى محمد مطر عسكر والى الشيخ اسماعيل سالم الغليظ، وبجوار أرض رباح الحسيني تقع أرض لليهودي داوديلن والى جانبها تقع أرض البيارة لرباح الحسيني أيضا. والى الشمال من تلك الأرض تقع أرض تينة عبد الرحمن الشهيرة عند أهل بلدتنا، والى جانبها أرض لدار صباح درباس وفوقها أرض تسمى "أرض البيك"، اشترتها منه السيدة مريم موسى حماة طه اسعيد (والدة زوجته). أما من ناحية الجنوب فتقع أرض البرونية، وبجوارها على شارع القدس يافا يقع منزل عبد الرؤوف نسيبة وأرضه. وفي موارس الوادي الغربي والغربيات يشارك عبد الرؤوف نسيبة في ملكيتها أولاد صباح ومصطفى طه وعيسى حمدان ومحمد عثمان سمور وأحمد محمود لقح وعبد الله محمد علي سلامة وغيرهم. وبموازاة الوادي الغربي تمتد أرض النقاشة حتى تحاذي طريق العقبة في الشرق عند أرض ذيب نسيبة التي اشترها منه حسن نسيبة معلم القرية ليبنى فيها دارا جديدة له، وفوقها تقع نقاشة دار علان خطاب وفي الداخل بالقرب من منازلهم تقع أرض النقاشة لخليل بكر وعثمان سمور وحسين سلامة، ومصطفى طه حمدان، ونقاشة عبد الله درباس. ثم تمتد أرض النقاشة حتى باب الغربيات وأراضي الغربيات، وفي مواجهة عين العصافير وفيها دار يوسف العبد حمدان مشعل.

والى الجنوب من الشارع العام القدس - يافا القديم، تمتد أرض الحبله وأرض السيل لأصحابها ومنهم: رباح الحسيني والشيخ عبد الرحمن علي سالم الغليظ والحاج حسن الخطيب أبو سعد ومحمود خضر و خليل خضر مشعل وطه ورده العكرماوي. وفي الجنوب الشرقي تقع أراضي الصفحة فوق منزل الشيخ اسماعيل سالم الذي اشتره منه قاسم خضر درباس قبل الشتات بعامين، ويشترك في ملكيتها الموسوس، ورشدي الحسيني من القدس وحسين غنيم. وخلف أراضي الصفحة فوق بئر ميخائيل وحتى أراضي قرية لفتا تقع أراضي القوس الشرقي، يمتلك معظمها محمد خضر صالح مشعل.

أراضي دير نخلة:

يعود سبب تملك أهالي بلدتنا الحبيبة قالونيا لأراضي خربة دير نخلة - كما سمعت من كبار رجال القرية وكما عرفت خاصة من السيد محمد اسماعيل عن والده الشيخ الفاضل اسماعيل سالم معالي سالم الغليظ رحمهما الله معا - قالوا:

تقع دير نخلة غرب قرية عمواس وبالقرب من قرية القباب، وأن الحكومة العثمانية رأت قبل مئات السنين أن أراضي منطقة القدس وقراها الغربية لا تفي بحاجات السكان الزراعية، وبالتالي فإن ظروفهم الحياتية ستظل صعبة شديدة، فكان أن تم تملك معظم القرى الغربية: فكانت مثلاً دير خروبة من نصيب أهالي قرية بيت اكسا، وكانت سلبيت وأراضيها من نصيب قرية بدو. أما أراضي دير نخلة وهي عبارة عن ٣٦ قيراطا ضرب ٢٤ دونما، أي ستمائة وأربعة وعشرين دونما، تم توزيعها على عائلات البلدة كلها في قالونيا... ومما يجدر ذكره هنا أن أهالي بلدتنا اشتدت بهم الحاجة إلى أن يستكملوا مرة ضريبة الأراضي التي يملكونها في دير نخلة، فاستعانوا بسعيد الحسيني الذي استعد أن يدفع الضريبة بشرط أن يصبح مشاركا لأهالي البلدة في ملكيتها... ومنذ أن وزعت تلك الأرض في دير نخلة على أهالي بلدتنا وهم مواظبون على دفع العشار والضرائب المطلوبة عنها... وترى هنا كيف أن مصطفى رمضان عسكر قام بدفع ذلك في عامي ١٩١٩ و ١٩٢٢ ومن بعده أحفاده.

لا يزال الكثيرون من أهل قريتي الملاك يحتفظون بصكوك ملكيتهم ومستنداتهم القانونية من خرائط وبيانات ضريبية وإيصالات الأعشار... وأوراق ثبوتية أخرى. كل مستند أو وثيقة أو وصل يحمل توقيع أحد المسؤولين في حكومة الانتداب البريطاني، وبعضها قديم جدا، ويحمل إشارات الباب العالي، ويوضح بالارقام المفصلة والأختام البينة قيمة ضريبة الأملاك والأعشار باسم صاحب الأرض ووريثها أبا عن جد. في أعلى كل مستند تظهر جملة "حكومة فلسطين"، والدرع البريطاني، وفوق بعضها تظهر طرة الملك جورج السادس، تثبت أن هذه المستندات صدرت في ظل التاج البريطاني، وتثبت أن المالك الحقيقي هو عربي فلسطيني من قالونيا... وليس يهوديا مغتصبا يحمل صك ملكية مزور، صدر عن المغتصبين يهود في القدس أو تل أبيب أو في بئر السبع... ومنذ عام ١٩٤٨ فقط زمن اغتصاب الأرض وطرد أصحابها أو قتلهم.

وصك ملكية حسين أحمد أبو غنام لمسكنه في قالونيا في منطقة أراضي الصفحة والمقام على أرضه هناك وتبلغ في مساحتها ستة آلاف وثلاثمائة وخمسون مترا حسب رخصة البناء المؤرخة في ١٩٤٦/١٠/٢٣ وتحمل رقم BPJ/71/89 إلى جانب مخطط البناء للسكن نفسه والمؤرخ في ١٩٤٦/١٠/٢٥ ويحمل الرقم نفسه ليس إلا مثالا واحدا لما يحمله أصحاب الأرض والمنازل الحقيقيين من أهل بلدتنا قالونيا من ثبوتات لملكيتهم هناك. ولما كانوا يدفعونه من ضرائب تدخل تحت ضريبة الأملاك وضرائب الأعشار في أعوام ١٩١٩ و ١٩٢٦ و ١٩٢٩ و ١٩٣٥... ١٩٤٤.

وقد زرت والتقيت بكثير من أهل قريتي قالونيا فوجدت منهم من يتمسك ويحافظ - بعناد يفتت الصخر - على مفاتيح البوابات الأمامية لمنازلهم في قريتنا... شاهدت أحد تلك المفاتيح عند الحاج محمد مطر الخطيب عسكر خطاب، رأيته مفتاحا ضخما داكنا، ضخامته ولونه يحاربان الصدا، صدا المكان والزمان الفلسطينيين، ويحتفظ بلبعان قبضته، احتفاظ صاحبه بتجديد إصراره على العودة الحتمية إلى قريته وإلى حقله ومنزله، حتى لو بُدلت الأقفال أو هدمت المنازل أو أسكنت من قبل الغزاة واللصوص من المغتصبين يهود... ويتحدث الحاج محمد مطر الخطيب فيقول: إن مثل هذه المفاتيح والأوراق الثبوتية تذكرنا دائما بأمر ثلاث وهي:

- ١ - بالعودة الحتمية إلى قريتنا قالونيا... إلى بيوتنا وحقولنا.
- ٢ - بالمذلة التي ذاقها كل فلسطيني والتي عشناها جميعا في أرض الشتات خارج قريتنا قالونيا وبلادنا فلسطين.
- ٣ - بأهميتها... وما أهميتها العاطفية عندنا الآن إلا مرحلة أولى نحو تحقيق قيمتها الفعلية على أرض الواقع... هناك في قريتنا قالونيا.

No. **F** 269660

ממשלת מלשתינה (א"י)

מכילה על מסים ושל بالضريبة المحصلة REVENUE TAX RECEIPT

[illegible]

مقبوض الاموال

تلس	ثمرة	اسم الفضا	الفرع الذي اخذله	اسم وشجرة المكلف بالدفن	س
٢٢٠/٧٥	٥	حمر	دريخ	عصا من خشب الكاه	٥
الجميع	الجميع	الاراضي	وكر التبن	رسم	
معري	تري	مع الضمام	مع الضمام	القنم وسان الحيوانات	بدل الطريق
ملين	بارو	بارو	بارو	مع الضمام	تقاسيط
غروش	غروش	غروش	غروش	بارو	غروش
٥	٥				القط الاول
					الثاني

سار تحصيل المبلغ المذكور اعلاه (حمر و ثمنه) غروش (ثمنه) ملين معري
 ٢٢٠٥١٩٩
 مدير المصارف
 محمد بن عبد الله

Revenue Form FR 2-A

نمونه فر ۱۰۳۰

Revenue Tax Receipt

45831 مقبوض اموال الماله

No. of Cash Book	رقم دفتر الصدف	District	قضاء	Serial No.	رقم السال
No. of Assessment	رقم دفتر التقييم				
Kind of Taxes	نوع الاموال	Past Year	السنة الماضية	Current Year	السنة الحالية
		IT	مليم غروش	PT	مليم غروش
Werko	ويركو				
Winter	شوي				
Summer	صيفي				
Orange	برتقال				
Animal Tax	اقدام وحوانات				
Total	المجموع				
Received from	وصلني من				
the sum of	مبلغ				
on a/c of	عن مال				
for the financial Year	عن السنة المالية				
Date	تاريخ	Signature			

(تھا ایک برابر پہاسی ۱ غروشد)

ولایت	لوا	قضا	اور ذی اقریب	مکلف کے اسم و شہرہ	کتابہ نمبر دسی
		حکومت	کلاں	محمد رفیع رحمانہ و شہرہ	۱۲۷

تَقَاسِيْطُ تَأْدِيَةٍ

پہلی قسط	ایکلی قسط	اردنی قسط	دوہمی قسط

۸۱	مفردات دقترندہ کی صرفہ نویسی	دربہ کوئی مقدمہ و لٹری
----	------------------------------	------------------------

[illegible]

اشیرتہ کرہ نیک یگونی *افندی* یارودہ عیارندہ
مال قلنک مهر کی ری



تذکرہ مک و رکوبی و راجک آدمہ تاریخ تلسی

۱۳۰۰

خطار ۱ - رسمی مقبول علم و خبری مقامات اهل القریں تحصیل اولورو ایسے مستر اولور .
 ۲ - ورکوں کا بقدری پیش غرض دیا ہون اولورو ایسے غما . رسمی آلیہ جنتن یا لکرت کرہ پاسی

F. 49.

GOVERNMENT OF PALESTINE

حكومة فلسطين

ממשלת פלשתינה (א"י)

No. D 983049

קבלה על מסים ושלל بالضريبة المتحصلة REVENUE TAX RECEIPT

District	لو	Instalment	قسط
Sub-District	مناخ	Register No.	رقم السجل
Village	قرية	Folio No.	رقم الصفحة
	كفر		مساحة
Kind of Taxes	Arrears	Curr. Year	Total
نوع الضرائب	المأخوذات	السنة الحالية	المجموع
نوع المسكن	مباني	السنة الحالية	كل
	L.P.	Mils	L.P.
	ج.ف.	مل	ج.ف.
	مست	مست	مست
House and Land Tax	ضريبة المنازل والاراضي		
Bural Property Tax	ضريبة الاملاك في القرى		
Urban Property Tax	ضريبة الاملاك في المدن		
Animal Tax	ضريبة الحيوانات		
Tithes	اعشار		
Other Taxes	ضرائب اخرى		
TOTAL	المجموع كل		
Received from	وصل من		
the sum of	مبلغ		
on a/c of	على حساب		
Date	التاريخ	Signature	التوقيع

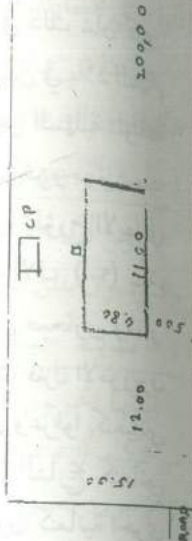
REGIONAL PLANNING AREA
DISTRICT JERUSALEM

VILLAGE COLONIA
OWNER HUSEIN AHMED ABU KHANEM
ARCHITECT NEEB M NASSAR
CLASS OF BUILDING DWELLING
BUILDING MATERIALS STONE / CONCRETE
PLOT AREA 6350 m²
BUILDING AREA 52.80 m²
VOLUME 19600 m³
DATE 6.7.46

SIGNATURES OF
ARCHITECT

OWNER

KEY PLAN 1/25000



REGIONAL PLANNING COMMITTEE
JERUSALEM DISTRICT, JERUSALEM
BUILDING PERMIT SUB-COMMITTEE
Permit No. 100/101/102/103/104/105/106/107/108/109/110/111/112/113/114/115/116/117/118/119/120/121/122/123/124/125/126/127/128/129/130/131/132/133/134/135/136/137/138/139/140/141/142/143/144/145/146/147/148/149/150/151/152/153/154/155/156/157/158/159/160/161/162/163/164/165/166/167/168/169/170/171/172/173/174/175/176/177/178/179/180/181/182/183/184/185/186/187/188/189/190/191/192/193/194/195/196/197/198/199/200/201/202/203/204/205/206/207/208/209/210/211/212/213/214/215/216/217/218/219/220/221/222/223/224/225/226/227/228/229/230/231/232/233/234/235/236/237/238/239/240/241/242/243/244/245/246/247/248/249/250/251/252/253/254/255/256/257/258/259/260/261/262/263/264/265/266/267/268/269/270/271/272/273/274/275/276/277/278/279/280/281/282/283/284/285/286/287/288/289/290/291/292/293/294/295/296/297/298/299/300/301/302/303/304/305/306/307/308/309/310/311/312/313/314/315/316/317/318/319/320/321/322/323/324/325/326/327/328/329/330/331/332/333/334/335/336/337/338/339/340/341/342/343/344/345/346/347/348/349/350/351/352/353/354/355/356/357/358/359/360/361/362/363/364/365/366/367/368/369/370/371/372/373/374/375/376/377/378/379/380/381/382/383/384/385/386/387/388/389/390/391/392/393/394/395/396/397/398/399/400/401/402/403/404/405/406/407/408/409/410/411/412/413/414/415/416/417/418/419/420/421/422/423/424/425/426/427/428/429/430/431/432/433/434/435/436/437/438/439/440/441/442/443/444/445/446/447/448/449/450/451/452/453/454/455/456/457/458/459/460/461/462/463/464/465/466/467/468/469/470/471/472/473/474/475/476/477/478/479/480/481/482/483/484/485/486/487/488/489/490/491/492/493/494/495/496/497/498/499/500/501/502/503/504/505/506/507/508/509/510/511/512/513/514/515/516/517/518/519/520/521/522/523/524/525/526/527/528/529/530/531/532/533/534/535/536/537/538/539/540/541/542/543/544/545/546/547/548/549/550/551/552/553/554/555/556/557/558/559/560/561/562/563/564/565/566/567/568/569/570/571/572/573/574/575/576/577/578/579/580/581/582/583/584/585/586/587/588/589/590/591/592/593/594/595/596/597/598/599/600/601/602/603/604/605/606/607/608/609/610/611/612/613/614/615/616/617/618/619/620/621/622/623/624/625/626/627/628/629/630/631/632/633/634/635/636/637/638/639/640/641/642/643/644/645/646/647/648/649/650/651/652/653/654/655/656/657/658/659/660/661/662/663/664/665/666/667/668/669/670/671/672/673/674/675/676/677/678/679/680/681/682/683/684/685/686/687/688/689/690/691/692/693/694/695/696/697/698/699/700/701/702/703/704/705/706/707/708/709/710/711/712/713/714/715/716/717/718/719/720/721/722/723/724/725/726/727/728/729/730/731/732/733/734/735/736/737/738/739/740/741/742/743/744/745/746/747/748/749/750/751/752/753/754/755/756/757/758/759/760/761/762/763/764/765/766/767/768/769/770/771/772/773/774/775/776/777/778/779/780/781/782/783/784/785/786/787/788/789/790/791/792/793/794/795/796/797/798/799/800/801/802/803/804/805/806/807/808/809/810/811/812/813/814/815/816/817/818/819/820/821/822/823/824/825/826/827/828/829/830/831/832/833/834/835/836/837/838/839/840/841/842/843/844/845/846/847/848/849/850/851/852/853/854/855/856/857/858/859/860/861/862/863/864/865/866/867/868/869/870/871/872/873/874/875/876/877/878/879/880/881/882/883/884/885/886/887/888/889/890/891/892/893/894/895/896/897/898/899/900/901/902/903/904/905/906/907/908/909/910/911/912/913/914/915/916/917/918/919/920/921/922/923/924/925/926/927/928/929/930/931/932/933/934/935/936/937/938/939/940/941/942/943/944/945/946/947/948/949/950/951/952/953/954/955/956/957/958/959/960/961/962/963/964/965/966/967/968/969/970/971/972/973/974/975/976/977/978/979/980/981/982/983/984/985/986/987/988/989/990/991/992/993/994/995/996/997/998/999/1000/1001/1002/1003/1004/1005/1006/1007/1008/1009/1010/1011/1012/1013/1014/1015/1016/1017/1018/1019/1020/1021/1022/1023/1024/1025/1026/1027/1028/1029/1030/1031/1032/1033/1034/1035/1036/1037/1038/1039/1040/1041/1042/1043/1044/1045/1046/1047/1048/1049/1050/1051/1052/1053/1054/1055/1056/1057/1058/1059/1060/1061/1062/1063/1064/1065/1066/1067/1068/1069/1070/1071/1072/1073/1074/1075/1076/1077/1078/1079/1080/1081/1082/1083/1084/1085/1086/1087/1088/1089/1090/1091/1092/1093/1094/1095/1096/1097/1098/1099/1100/1101/1102/1103/1104/1105/1106/1107/1108/1109/1110/1111/1112/1113/1114/1115/1116/1117/1118/1119/1120/1121/1122/1123/1124/1125/1126/1127/1128/1129/1130/1131/1132/1133/1134/1135/1136/1137/1138/1139/1140/1141/1142/1143/1144/1145/1146/1147/1148/1149/1150/1151/1152/1153/1154/1155/1156/1157/1158/1159/1160/1161/1162/1163/1164/1165/1166/1167/1168/1169/1170/1171/1172/1173/1174/1175/1176/1177/1178/1179/1180/1181/1182/1183/1184/1185/1186/1187/1188/1189/1190/1191/1192/1193/1194/1195/1196/1197/1198/1199/1200/1201/1202/1203/1204/1205/1206/1207/1208/1209/1210/1211/1212/1213/1214/1215/1216/1217/1218/1219/1220/1221/1222/1223/1224/1225/1226/1227/1228/1229/1230/1231/1232/1233/1234/1235/1236/1237/1238/1239/1240/1241/1242/1243/1244/1245/1246/1247/1248/1249/1250/1251/1252/1253/1254/1255/1256/1257/1258/1259/1260/1261/1262/1263/1264/1265/1266/1267/1268/1269/1270/1271/1272/1273/1274/1275/1276/1277/1278/1279/1280/1281/1282/1283/1284/1285/1286/1287/1288/1289/1290/1291/1292/1293/1294/1295/1296/1297/1298/1299/1300/1301/1302/1303/1304/1305/1306/1307/1308/1309/1310/1311/1312/1313/1314/1315/1316/1317/1318/1319/1320/1321/1322/1323/1324/1325/1326/1327/1328/1329/1330/1331/1332/1333/1334/1335/1336/1337/1338/1339/1340/1341/1342/1343/1344/1345/1346/1347/1348/1349/1350/1351/1352/1353/1354/1355/1356/1357/1358/1359/1360/1361/1362/1363/1364/1365/1366/1367/1368/1369/1370/1371/1372/1373/1374/1375/1376/1377/1378/1379/1380/1381/1382/1383/1384/1385/1386/1387/1388/1389/1390/1391/1392/1393/1394/1395/1396/1397/1398/1399/1400/1401/1402/1403/1404/1405/1406/1407/1408/1409/1410/1411/1412/1413/1414/1415/1416/1417/1418/1419/1420/1421/1422/1423/1424/1425/1426/1427/1428/1429/1430/1431/1432/1433/1434/1435/1436/1437/1438/1439/1440/1441/1442/1443/1444/1445/1446/1447/1448/1449/1450/1451/1452/1453/1454/1455/1456/1457/1458/1459/1460/1461/1462/1463/1464/1465/1466/1467/1468/1469/1470/1471/1472/1473/1474/1475/1476/1477/1478/1479/1480/1481/1482/1483/1484/1485/1486/1487/1488/1489/1490/1491/1492/1493/1494/1495/1496/1497/1498/1499/1500/1501/1502/1503/1504/1505/1506/1507/1508/1509/1510/1511/1512/1513/1514/1515/1516/1517/1518/1519/1520/1521/1522/1523/1524/1525/1526/1527/1528/1529/1530/1531/1532/1533/1534/1535/1536/1537/1538/1539/1540/1541/1542/1543/1544/1545/1546/1547/1548/1549/1550/1551/1552/1553/1554/1555/1556/1557/1558/1559/1560/1561/1562/1563/1564/1565/1566/1567/1568/1569/1570/1571/1572/1573/1574/1575/1576/1577/1578/1579/1580/1581/1582/1583/1584/1585/1586/1587/1588/1589/1590/1591/1592/1593/1594/1595/1596/1597/1598/1599/1600/1601/1602/1603/1604/1605/1606/1607/1608/1609/1610/1611/1612/1613/1614/1615/1616/1617/1618/1619/1620/1621/1622/1623/1624/1625/1626/1627/1628/1629/1630/1631/1632/1633/1634/1635/1636/1637/1638/1639/1640/1641/1642/1643/1644/1645/1646/1647/1648/1649/1650/1651/1652/1653/1654/1655/1656/1657/1658/1659/1660/1661/1662/1663/1664/1665/1666/1667/1668/1669/1670/1671/1672/1673/1674/1675/1676/1677/1678/1679/1680/1681/1682/1683/1684/1685/1686/1687/1688/1689/1690/1691/1692/1693/1694/1695/1696/1697/1698/1699/1700/1701/1702/1703/1704/1705/1706/1707/1708/1709/1710/1711/1712/1713/1714/1715/1716/1717/1718/1719/1720/1721/1722/1723/1724/1725/1726/1727/1728/1729/1730/1731/1732/1733/1734/1735/1736/1737/1738/1739/1740/1741/1742/1743/1744/1745/1746/1747/1748/1749/1750/1751/1752/1753/1754/1755/1756/1757/1758/1759/1760/1761/1762/1763/1764/1765/1766/1767/1768/1769/1770/1771/1772/1773/1774/1775/1776/1777/1778/1779/1780/1781/1782/1783/1784/1785/1786/1787/1788/1789/1790/1791/1792/1793/1794/1795/1796/1797/1798/1799/1800/1801/1802/1803/1804/1805/1806/1807/1808/1809/1810/1811/1812/1813/1814/1815/1816/1817/1818/1819/1820/1821/1822/1823/1824/1825/1826/1827/1828/1829/1830/1831/1832/1833/1834/1835/1836/1837/1838/1839/1840/1841/1842/1843/1844/1845/1846/1847/1848/1849/1850/1851/1852/1853/1854/1855/1856/1857/1858/1859/1860/1861/1862/1863/1864/1865/1866/1867/1868/1869/1870/1871/1872/1873/1874/1875/1876/1877/1878/1879/1880/1881/1882/1883/1884/1885/1886/1887/1888/1889/1890/1891/1892/1893/1894/1895/1896/1897/1898/1899/1900/1901/1902/1903/1904/1905/1906/1907/1908/1909/1910/1911/1912/1913/1914/1915/1916/1917/1918/1919/1920/1921/1922/1923/1924/1925/1926/1927/1928/1929/1930/1931/1932/1933/1934/1935/1936/1937/1938/1939/1940/1941/1942/1943/1944/1945/1946/1947/1948/1949/1950/1951/1952/1953/1954/1955/1956/1957/1958/1959/1960/1961/1962/1963/1964/1965/1966/1967/1968/1969/1970/1971/1972/1973/1974/1975/1976/1977/1978/1979/1980/1981/1982/1983/1984/1985/1986/1987/1988/1989/1990/1991/1992/1993/1994/1995/1996/1997/1998/1999/2000/2001/2002/2003/2004/2005/2006/2007/2008/2009/2010/2011/2012/2013/2014/2015/2016/2017/2018/2019/2020/2021/2022/2023/2024/2025/2026/2027/2028/2029/2030/2031/2032/2033/2034/2035/2036/2037/2038/2039/2040/2041/2042/2043/2044/2045/2046/2047/2048/2049/2050/2051/2052/2053/2054/2055/2056/2057/2058/2059/2060/2061/2062/2063/2064/2065/2066/2067/2068/2069/2070/2071/2072/2073/2074/2075/2076/2077/2078/2079/2080/2081/2082/2083/2084/2085/2086/2087/2088/2089/2090/2091/2092/2093/2094/2095/2096/2097/2098/2099/2100/2101/2102/2103/2104/2105/2106/2107/2108/2109/2110/2111/2112/2113/2114/2115/2116/2117/2118/2119/2120/2121/2122/2123/2124/2125/2126/2127/2128/2129/2130/2131/2132/2133/2134/2135/2136/2137/2138/2139/2140/2141/2142/2143/2144/2145/2146/2147/2148/2149/2150/2151/2152/2153/2154/2155/2156/2157/2158/2159/2160/2161/2162/2163/2164/2165/2166/2167/2168/2169/2170/2171/2172/2173/2174/2175/2176/2177/2178/2179/2180/2181/2182/2183/2184/2185/2186/2187/2188/2189/2190/2191/2192/2193/2194/2195/2196/2197/2198/2199/2200/2201/2202/2203/2204/2205/2206/2207/2208/2209/2210/2211/2212/2213/2214/2215/2216/2217/2218/2219/2220/2221/2222/2223/2224/2225/2226/2227/2228/2229/2230/2231/2232/2233/2234/2235/2236/2237/2238/2239/2240/2241/2242/2243/2244/2245/2246/2247/2248/2249/2250/2251/2252/2253/2254/2255/2256/2257/2258/2259/2260/2261/2262/2263/2264/2265/2266/2267/2268/2269/2270/2271/2272/2273/2274/2275/2276/2277/2278/2279/2280/2281/2282/2283/2284/2285/2286/2287/2288/2289/2290/2291/2292/2293/2294/2295/2296/2297/2298/2299/2300/2301/2302/2303/2304/2305/2306/2307/2308/2309/2310/2311/2312/2313/2314/2315/2316/2317/2318/2319/2320/2321/2322/2323/2324/2325/2326/2327/2328/2329/2330/2331/2332/2333/2334/2335/2336/2337/2338/2339/2340/2341/2342/2343/2344/2345/2346/2347/2348/2349/2350/2351/2352/2353/2354/2355/2356/2357/2358/2359/2360/2361/2362/2363/2364/2365/2366/2367/2368/2369/2370/2371/2372/2373/2374/2375/2376/2377/2378/2379/2380/2381/2382/2383/2384/2385/2386/2387/2388/2389/2390/2391/2392/2393/2394/2395/2396/2397/2398/2399/2400/2401/2402/2403/2404/2405/2406/2407/2408/2409/2410/2411/2412/2413/2414/2415/2416/2417/2418/2419/2420/2421/2422/2423/2424/2425/2426/2427/2428/2429/2430/2431/2432/2433/2434/2435/2436/2437/2438/2439/2440/2441/2442/2443/2444/2445/2446/2447/2448/2449/2450/2451/2452/2453/2454/2455/2456/2457/2458/2459/2460/2461/2462/2463/2464/2465/2466/2467/2468/2469/2470/2471/2472/2473/2474/2475/2476/2477/2478/2479/2480/2481/2482/2483/2484/2485/2486/2487/2488/2489/2490/2491/2492/2493/2494/2495/2496/2497/2498/2499/2500/2501/2502/2503/2504/2505/2506/2507/2508/2509/2510/2511/2512/2513/2514/2515/2516/2517/2518/2519/2520/2521/2522/2523/2524/2525/2526/2527/2528/2529/2530/2531/2532/2533/2534/2535/2536/2537/2538/2539/2540/2541/2542/2543/2544/2545/2546/2547/2548/2549/2550/2551/2552/2553/2554/2555/2556/2557/2558/2559/2560/2561/2562/2563/2564/2565/2566/2567/2568/2569/2570/2571/2572/2573/2574/2575/2576/2577/2578/2579/2580/2581/2582/2583/2584/2585/2586/2587/2588/2589/2590/2591/2592/2593/2594/2595/2596/2597/2598/2599/2600/2601/2602/2603/2604/2605/2606/2607/2608/2609/2610/2611/2612/2613/2614/2615/2616/2617/2618/2619/2620/2621/2622/2623/2624/2625/2626/2627/2628/2629/2630/2631/2632/2633/2634/2635/2636/2637/2638/2639/2640/2641/2642/2643/2644/2645/2646/2647/2648/2649/

الفصل الرابع قالونيا في التاريخ

الكنعانيون بناء مدن، ذات حصون وأسوار، وكانت تعيش في رغد من العيش، بلاد كنعان (فلسطين)، تفيض لبنا وعسلا. وقد بلغ عدد المدن التي بناها
يون في فلسطين حينذاك مائة وثمان عشرة مدينة حتى ١٣٠٠ ق.م، ذكرت كلها في

من المدن العربية الكنعانية، التي صاحب وجودها وجود الكنعانيين في بلاد الشام في هذه العجالة التاريخية أن أذكر بعض المدن العربية الكنعانية بناها
وببلاد ما بين النهرين منذ أن نزع الكنعانيون سنة ١٤٠٠ ق.م من الأرض السهلية الوايون العرب، والتي أقاموها خاصة في منطقة القدس، وفي قراها الشالية:
على الساحل الشرقي للخليج العربي في شبه الجزيرة العربية، وكان خروجهم بسيدينة ييوس ودويلتها:

تحول جيولوجي أصاب جزيرة العرب على حد قول ليوت كاتياني، المؤرخ الايطوس أول اسم عربي كنعاني لمدينة القدس، بناها اليوسيون سنة ٣٠٠٠ ق.م
الذي قال مع غيره من المؤرخين أن الجزيرة العربية كانت قبل تسعة آلاف (٩٠٠٠) سبيون بطن من بطون العرب الكنعانيين.

جنته، وفيها كانت تقع جنة عدن، غير أن تحولا جيولوجيا حولها الى صحارى وقف
وجفاف، مما دفع بطونا كثيرة من قبيلة الكنعانيين العربية الى الهجرة، فنزل الآموريون
سوريا، وعرفوا في التاريخ بكنعانيي سوريا، ونزل الفينيقيون لبنان وعرفوا بكنعاني
لبنان، ونزل البابليون أرض ما بين النهرين "العراق"، وعرفوا في التاريخ بكنعاني
العراق. وأما في جنوب سوريا، (فلسطين فيما بعد) فقد نزلتها بطون كنعانية اخرى
على دفعات وموجات، فحطت تلك البطون العربية رحالها في أماكن متفرقة،
السهول والوديان، في الجبال المرتفعة المحاذية للسهول أو الجبال التي تنتهي
بالصحراء. وقد عاش الكنعانيون متفرقين ومتنازعين، حتى المدن التي أقاموها ظلت

متفرقة، تعيش دويلات (١) مدن صغيرة قلما تتحد في ظروف تعرضها لغزو خارجي
تتحد لحكم خوفها من الفناء وتحكم غريزة الدفاع عن وجودها.

(١) كل جماعة تتألف من مدينة، تحيط بها منطقة أصغر منها، وكانت الجبال.. وهي
الحواجز الطبيعية. تفصل سكان كل دويلة مدينة عن سكان دويلة مدينة أخرى،
والسبب الوحيد لفشل الكنعانيين العرب في تكوين أدنى مستويات الوحدة السياسية
بحيث تكون أكبر من دولة المدينة، وفشلهم في ذلك فضلا تاما مما أدى الى فئائهم.. أو
كادوا.. أهوائهم.. لقد أحجموا عن قبول التضحية الواجبة ببعض حرياتهم وبعض
امتيازاتهم.. شأنهم في ذلك نفس الشأن مع أجيال، وأجيال أحفادهم في العالم العربي في
القضايا المصرية هذه الأيام..!! وبطبيعة الحال فإن التاريخ يرفض نظام دول المدن بل
يهزأ به، والحكم بفنائهم مؤجل، فقد أثبت التاريخ أن هذا الأسلوب في الحكم ليس له
أي بعد تاريخي فيما بعد سواء كان بعدا ماديا يتمثل في حضارة ومدينة أو روحيا يعبر
عن مثل عليا.

مدينة موصة:
كانت مدينة موصة ودويلتها من أملاك الحويين أيضا، وعلى أنقاض مدينة موصة
مدينة الكنعانية قامت فيما عرف في الأزمنة المعاصرة بقرية قالونيا، كلمة موصة
مدينة كنعانية معناها "الخروج".

ولفظ موصة يعيش في ذاكرة التاريخ على امتداد عصور وحقبه. يعيش لفظ
موصة في كتب التاريخ ومراجعته ومصادره في صور عدة، أحاول حصرها وشرحها هنا
بما دخل عليها من تغيير، مثل اضافة أو تشكيل.. بفعل الزمن وتأثير تداخل لغات

أقوام توالى على غزو واحتلال أرض كنعان منذ الزمن الغابر حتى هذه الأيام.

الغريب أن هذا الاسم "موصّة" يطلق - بعد أن انتقلت شدّة الصّاد (ص) الى ميمها مع اضافة حرف العين (ع) الى أولها، أقول يطلق على مغارة يعرفها كل أهل البلدة الذين عاشوا في قريتهم حتى قبيل الشتات عام ١٩٤٨، كان هذا الاسم يطلق على مغارة في قريتنا اسمها مغارة "عمّوصة" وهي مغارة عجيبة، كبيرة تقع في الشمال الشرقي من بلدتنا قالونيا على طريق الزنانير المتجه الى الشرق.

وهذه المغارة تختلف عن المغارات المعروفة في قرانا في بلادنا فلسطين، فهي متسعة في مدخلها، بحيث تتسع لمرور ثلاثين فارساً يمتطون خيولهم في المرة الواحدة. وهي طويلة الممرات، ومتسعة الدهاليز، تقود المتوغل فيها، في ممراتها الداخلية الى مخارج توصله الى شبكة من مغارات الزنانير الواقعة على بعد كيلو مترين على الطريق الآخر من حدود البلدة شمالا الى الشرق، في نقطة تطل على خربة عين طلعة.

المعلومات الطبوغرافية البسيطة والقليلة التي جمعها نفر من أبناء قريتي، ممن كانت تحذوهم روح المغامرة، وحب المحاولة، والاستكشاف، تفيد أنهم ساروا داخلها وتوغلوا فيها مسافات طويلة، ومما قالوه يشير بأن لتلك المغارة، مغارة عمّوصة طولاً في العمق، لا يستهان به، بل يثير الاهتمام.

والذي نعرفه من قراءتنا لتاريخ الكنعانيين أنهم كانوا بناء مدن فوق الجبال، وذات تلال وحصون، وأنفاق، وكهوف، بناء مدن تتميز بكل ما يساعدها وينفعها في الحروب، سواء في الهجوم أو الدفاع، وخاصة أنها كانت مدن دويلات صغيرة لا قوة لها ولا مناعة في تفرقها وعدم وحدتها، لصد الغزاة من الأقوام الغزاة...

تذكرني مغارة عمّوصة وممراتها، بالممر الشهير، الذي استعمله الكنعانيون خصيصاً بين تل موريا (١) في القدس، حيث توجد قبة الصخرة - وبين تل أوغل الكنعاني حيث توجد مياه عين الدرج في قرية سلوان. وأتذكر ما قرأته كيف أن العبرانيين ظلوا يحاولون الاستيلاء على القدس منذ يوشع بن نون وحتى مجيء الملك داود وما سقطت القدس أبداً الا بعد أن سقط ممر موريا - أوغل في أيديهم، وصارت مياه عين الدرج تحت سيطرتهم، حينذاك، وبعد ١٥ سنة سقطت القدس (أورسالم)، ثم سقطت كل دويلات المدن الكنعانية في منطقة القدس الشمالية.

وعلى الرغم من قلة المصادر التي تتحدث عن الأحداث التي وقعت في تلك الفترة، الممتدة بين دخول يوشع بن نون - خليفة موسى، وبين مملكة داود، وسليمان ولده من بعده، الا أننا نستطيع أن نقول أنه منذ أن غزا يوشع بن نون بلادنا وبطش بأهل كنعان عام ١٢٣٠ ق.م حتى قيام مملكة داود، والعبرانيون في حروب مستمرة ضد العرب الكنعانيين. ظلوا في حروب امتدت أكثر من ١٥٠ سنة، والقدس قلعة حصينة بيد اليوسيين تهزأ بالعبرانيين الى أن اكتشف داود وقادته نفق تل - أوغل، فاستولوا عليه ومن ثم على مدينة القدس حينذاك. سقطت اورسالم وسقطت دويلات المدن الكنعانية كلها بيد العبرانيين عام ١٠٠٤ ق.م، ومن ضمنها دويلة مدينة موصّة، وكانت آخر معاقل الحوئين الكنعانيين العرب التي خرجوا منها فشهدت مدينة موصّة بذلك آخر خروج للعرب الكنعانيين في ذلك الزمن الغابر في اوائل القرن التاسع ق.م. فقتل قادة سليمان ملوك الكنعانيين، ودمروا دولهم وعددها ١١٨ دولة، فاستقر الأمر للعبرانيين حتى موت سليمان عام ٩٢٨ ق.م لتنتهي مملكة العبرانيين الموحدة ولتنقسم الى قسمين، قسم في شال أرض كنعان وهو دولة اسرائيل وعاصمتها السامرة، وقسم في الجنوب وهو دولة يهوذا وعاصمتها أورشاليم (الاسم الكنعاني للقدس بتحريف عبري).

يقول يوسفوس المؤرخ اليهودي: لقد شهد خط المدن الكنعانية الأوسط والذي يمتد من مدينة يفتوح (الاسم الكنعاني لقرية لفتا) ويمر باتجاه الغرب بمدينة موصّة، وليتوغل الخط جهة الغرب حتى مدينة يعاريم (أبو غوش)، يقول أن هذا الخط شهد نشاطاً عسكرياً، وحروباً طاحنة بين جماعات راحيل، في حروب الشمال والجنوب بعد زوال امبراطورية داود وسليمان، وصار هذا الخط يشكل النقاط الحدودية الاولى بين دولتي العبرانيين حينذاك.

يقول يوسفوس، أشهر من كتب عن التاريخ اليهودي عبر العصور الغابرة، يقول أن موصّة مدينة كنعانية، كانت حصّة "بنيامين حتى عام ٥١٥ ق.م أثناء حكم الفرس لأرض كنعان، وبناء هيكل سليمان للمرة الثانية. ويقول أيضاً أن موصّة كانت مشهورة حينذاك بأشجار الصفصاف، وهناك على تلك البقعة، أي بقعة مدينة موصّة أنشأ فسباستيان أيام تيطس القائد الروماني، سنة ٦٥ ق.م أنشأ مستوطنة صغيرة كتب اسمها بحروف Qoloniya (كولونيا)، بناها جنوده المسرحين من الخدمة العسكرية، ليستريحوا

فيها بعد الحروب الطاحنة، وليعملوا في الزراعة.

ويستمر يوسفوس فيذكر أن اسم موصّة يعيش في صورة أخرى، ويشير إلى أن خربة بيت مزّة Kherbit el Mizze - والتي تقع على بعد ٢ كم (شمال) قريتنا قالونيا وفيها أراضينا ومن حقولنا قسم كبير) - إنما تنتسب إلى اسم موصّة، التي ورد اسمها على حد قول يوسفوس في التوراة، وأضيف هنا أن اسمي Motza Tahit وموتزا التحتا، Motza Illit وموتزا العليا ينتسبان إلى اسم موصّة العربي الكنعاني. وللأسم الكنعاني موصّة، وكذلك للاسم العبري موتزا، نفس الايقاع الصوتي، ويدلان على معنى يتضمن كلا اللفظين، موصّة تعني "خروج" بالعربية الكنعانية، وموتزا تعني "طرد" في اللغة العبرية، والخروج والطرده عملية حركية اجتماعية صعبة واحدة.

والذي يتمن ويدقق النظر في دراسة خريطة قالونيا الشمالية، يرى امتداد أراضي الجفير فوق بطاح قرية عموصة، والجفير لفظ كنعاني يعني "جرب السهام" أو مخازن السلاح، ويرى كيف أن قريتنا تقع بين أماكن أضيفت إليها ألفاظ الخرائب أو مفردات الحرائق، فهي تقع بين حريقة بير السلم التي تضم حريقة دار مصطفى طه وحريقة أراضي دار عياش وحريقة مجد سمرين وحريقة دار الخطيب وحريقة دار حامد وحريقة دار عبود، وإلى الشرق من تلك الأراضي التي تنتسب إلى الحرائق تقع الحُرب، وأشهرها خربة عين طلعة على الحدود الشرقية عند التقائها بأراضي قرية بيت اكسا.

أما من ناحية الغرب فتقع أراضي حريقة البيراوي وإلى جنوبها خرب كثيرة منها خربة فرحان. أما الحدود الشمالية لقريتنا فتقع أراضيها في خربة بيت مزّة بآثارها وأبارها الرومانية.

وكانت مدينة موصّة ودولتها في بلدتنا قالونيا تضم أراضيها التالية:

١ - أراضي الجفير الشمالي فوق بطاح مغارة عموصة وأراضي الجفير الجنوبي.

٢ - أراضي الحرائق في الشرق وفي الغرب (حريقة بير السلم وحريقة البيراوي) شاملة لأراضي التعامير والحصاميص والشعاب.

٣ - أراضي خربة بيت مزّة في الشمال متضمنة أراضي الشعار ومنطقة اللوح وجسورة النخيلة وأراضي بئر غزال، وشعبة اسبيتان وأراضي جورة سويد.

٤ - وفي الجنوب تمتد من أراضي القوس الشرقي على مسار الطريق إلى دير ياسين، طريق العقبة البيضاء فوق جسر موصّة التحتا.

أخلص من هذه التسميات: خروج، طرد، خرب، حرائق، مخازن السلاح، جرب السهام، ومن تلك الاشارات مثل: أراضي اسبيتان وهي اشارة مخففة لاسم القائد الروماني فسباستيان، أحد قواد تيطس الروماني، وصاحب الانتصار الأخير في المعارك بين الرومان واليونانيين. من هذه التسميات وتلك الاشارات أخلص إلى أنه كان لبلدتنا، ولموقعها العربي الكنعاني، ولتسمياتها وتقلبات تلك الاسماء تحت نظام أصوات اللغات العربية والعبرية والفارسية واليونانية والرومانية، تحت نظام أصوات تلك اللغات، ونظام مخارج حروفها، أقول كان لقريتنا وظيفة عسكرية جرت فيها، وفوق بطاحها، معارك عنيفة واقتتال وتطاحن وطرده وخروج. ونحن نرى ونحس كيف أن هذه الألفاظ بمعانيها وبتدولاتها وبظلالها، ما هي الا بصمات للأحداث التي جرت فوق أرض كنعان العربية. يقع الحدث الخطير في المكان وفي الزمان، فيطلق عليه، ومن ثم يلتصق به فتعرف به الساحة، وتشير إليه اللفظة في سجلات الدواوين وفي ثناء الروايات والأخبار التي يرويها التاريخ، فتعطينا المعاني الكيكية والدموية التي عاشتها مدن فلسطين وقراها.

يقول التاريخ أنه ليس على سطح الأرض بقعة اقتتل فيها الدول العظمى كما اقتتل في أرض فلسطين. وكان النزاع دائماً ينشب على فلسطين بالذات: غزاها واقتتل فيها واحتلها وأقام فيها وخرب أو طرد منها كل من: الكنعانيين العرب والمصريين وفراعنتهم والعبرانيين والفلسطينيين والآشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان والبيزنطيين والاسلاميين والصليبيين والأيوبيين والمماليك والأتراك والانجليز وأخيراً سوف يطرد منها اليهود. سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً. كل أولئك اقتتلوا فوق أرض فلسطين ولا تزال حتى الآن مسرحاً للتطاحن العالمي، ومن هنا نفهم كيف أن بلادنا فلسطين برمتها، بكل بقاعها وجبالها وتلالها وسواحلها وسهولها، كلها قد اصطبغت بالدماء وابتليت بالحرائق والخرائب، صبغة تعطي الحق لمن يقول من المؤرخين والمحللين بأن المعركة التي سينتهي بها نظام العالم الحاضر ستدور رحاها فوق سهول فلسطين.

متى ظهرت كلمة قالونيا

تدلنا اشارات التاريخ أن كلمة قالونيا ظهرت أول ظهورها في العصر اليوناني، عندما استتب الأمر لهم في أرض كنعان عام ٣٢٢ ق.م بحروف Colon "كولون" وهي تعني عندهم، في لغتهم اليونانية "الفلاحين الذين يعجزون عن وفاء وتسديد ديونهم، فيستولي الدائنون على أراضيهم ويجبرونهم على العمل فيها واستثمارها لحسابهم حتى يستوفوا ديونهم".

ويذكر التاريخ كيف أن السلوقيين حكام سوريا بعد الاسكندر، أرسلوا انطونيوس سنة ١٦٧ ق.م الى جنوب سوريا (فلسطين) (١)، وذبح من اليهود أكثر من ٨٠ ألفا بمساعدة متلاوس اليهودي الذي خان قومه، وعين انطونيوس هذا "أبوليناس" رئيسا للجزية يعمل تحت أمرته ٢٢ ألف من المجند، لجمع الضرائب بالبطش والعنف، وكان مدير المال ذاك هو المسيطر الفعلي على جميع البلاد في فلسطين. ويختار عادة من بين أحبار اليهود ممن اتصف بالغلظة والقسوة، فساءت أحوال الكولونيين، ولما كانت الديون مثقلة بفوائدها فاحشة، وكانت تحسب على أساس الفائدة المركبة. (وكانت البلاد قد عرفت البنوك في هذا العصر بالذات) فإن الكولونيين (الفلاحين) كانوا يعجزون عن تسديد ديونهم وبذلك يبقون في حانة رق دائم وعبودية مستمرة.

ومن أكبر مميزات العصر اليوناني في بلادنا فلسطين أن انتشرت اللغة اليونانية في البلاد انتشارا أصبحت فيه لغة البلاد الرسمية الى جانب اللغة الأرامية، ومن هنا كانت كلمة كولون Colon من ضمن الكلمات اليونانية التي دخلت في اللغة الرومانية من بعدها في فلسطين.

لما جاء الرومان وقضوا على الحكم اليوناني في بلادنا سوريا وخاصة في فلسطين سنة ٧٠ ق.م أيام القائد تيطس، وبفعل الانتشار الثقافي والحراك البشري والتفاعل الاجتماعي كان أن أدخل الرومان في لغتهم مفردات يونانية عديدة مع تحريفات تحتها أسس لغتهم من مفردات وقواعد وأصوات، فصارت كولون Colon اليونانية. Qoloniya في الرومانية.

والناظر في أطلس العالم يجد اسم Qoloniya منتشرا فوق خرائط الدول والجمهريات في أوروبا وفي غيرها... أطلقها الرومان في البلاد التي غزوها هنا وهناك في أنحاء امبراطوريتهم، أطلقوها كولونيا Qoloniya على الشعوب البرابرة (الشعوب غير الرومان) التي كان يحكمها الأباطرة، وينقلوهم من بلادهم الأصلية الى أملاكهم في روما وفي غيرها للعمل فيها، ويجبرونهم على البقاء فيها وأخلافهم من بعدهم...

وفي أيام تيطس أقيمت مستعمرة في بلدتنا قالونيا لسبعمئة من جنوده المسرحين من الخدمة العسكرية، نقلوا من بلادهم الى أملاك الرومان في بلدتنا لتكون لهم استراحة عززت مجنود من غير أهل البلاد فتحولوا فيها الى مزارعين يحملون اسم Qoloniya أي كولونيا عام ٦٥/٧٠ ق.م.

ومما هو جدير بالذكر أنه في الفترة بين ٤٩ ق.م. و ٤م وهي فترة حكم هيرودوس الروماني صاحب لقب ملك اليهود، أصيبت البلاد في عهده عام ٢٢ ق.م بمجاعة راح ضحيتها خلق كبير بسبب الجفاف والقحط وشح المياه، فاشترى هيرودوس من مصر حبوبا وبذورا ووزعها على الكولونيين، وأوجد أعمالا وأشغالا لهم حتى لا يجوعوا، ويقول الدس في كتابه تاريخ سوريا وفلسطين ان هذا هو السبب الذي حدا بهيرودوس لبناء القلاع والحصون في المدن وفي المستعمرات، وفي هذه الفترة بالذات بنيت القلعة الرومانية Castellum أو القسطل على ارتفاع ٨٨ مترا عن سطح البحر، وهي قرية القسطل لتقوم على حراسة الطريق الرئيسي، مهمة عسكرية انيطت بها مقابل المهمة الزراعية التي انيطت بكولونيا، قبالتها في الشمال الشرقي.

ويتذكر معي أهل قالونيا ما قبل الشتات الآبار العشرة الرومانية، الآبار الكفرية، والأقواس الرومانية في أراضي خربة بيت مزة أقصى الشمال من قريتنا في أراضي تخص محمد مطر الخطيب، ومحمد ابراهيم طليب، كما كنا نشاهد في بيت مزة بناء أثريا منقورا ومحفورا على صخرة هناك، وعليه كتابة أسماء الأمكنة وتلك الأقواس تشير الى أصحابها وفترات حكمهم.

هذا ولا يزال بقايا الطريق الروماني لعربات الخيول واضحة المعالم في أراضي بئر غزال، وقطعة اللوح شمالا بجانب الآبار العشرة، هذا الطريق يكتمل جنوبا بطريق بري يمر ببئر ميخائيل في أراضي القوس الشرقي متجها الى القدس مارا على مقربة من قرية

دير ياسين، حتى عام ١٩٤٨م. وكان لهذا الطريق استراحة تقع في خربة أراضي لوز في أقصى الشرق، من حدود بلدتنا وبجانبها آثار تدل على بركة للماء كبيرة، بركة رومانية وبقايا وأنقاض لاستراحة رومانية قديمة، كان يشرب منها المسافرون وخيولهم عند توقفهم للاستراحة فيها.

وفي أراضي قالونيا الجنوبية بالقرب من الجسر وخلف بيوت متري ونقولا، كان لا يزال توجد بركة يطلقون عليها اسم "بركة أبي يعقوب" يقولون عنها انها بركة رومانية قديما أيضا عمقها ٤ أمتار ومساحتها ١٠ * ١٠ مترا مربعا، يتجمد الماء فيها اثناء فصل الشتاء، وكان من أهل قريتنا من يمشي فوقها وهي في حالة التجمد، ويتحدث أهل قريتنا عن غرق أحد "العبد" كان في خدمة دار الحسيني في تلك البركة. ومن ثم صار يطلق عليها اسم بركة "العبد" بعد غرقه فيها.

الفصل الخامس (جذورنا)

سكان بلدتنا قديما وحتى عام الشتات ١٩٤٨

اخطف المؤرخون والباحثون وحفظة الأنساب ومقلدوهم، في تعريف العنصر العربي الصحيح، واختلفوا أيضا في أساليب استخلاص هذا العنصر، وفي طرق تنقيته من العناصر المختلفة، من فارسية ويونانية ورومانية، وبيزنطية، وكردية، ومغولية، وتركية... كل تلك العناصر وغيرها اتصلت بالعنصر العربي، وأثرت فيه، وأثر فيها على تتابع الأحداث ومر العصور، عبر الرحلات والغزوات والفتوحات، وتبادل المنافع وتعاطي التجارات.

ولما كان هذا هو الحال، كنت ممن لا يهتم في أن يعرف العربي منا نسبة صحيحا صريحا نقيا الى قبيلة من قبائل العرب في الجزيرة العربية أو في غيرها.

إن الساذج فقط من يصدق أن جميع السكان في نجد وحجاز ويمن، وجزيرة العرب وخليجها، وأجيال الأجيال من الأبناء والأحفاد، منذ عصور الجاهلية الأولى الى هذا العصر الذي نعيش فيه، قد حفظوا لأنفسهم أنسابا صريحة صحيحة ترفعهم الى عدنان أو قحطان، الى قيس أو ين أو الى أية قبيلة من القبائل، حيث أن تسجيل الأنساب وزرع أشجاره على الورق، سنة استنتها طبقات خاصة من العرب في بعض الأوقات، ليسمو بأسماء الشرف والسادات، وليصبغوا على أنفسهم مظاهر الاستعلاء والأرستقراطية، ولينالوا بها امتيازات تحمي لهم منافعهم ومصالحهم على حساب الآخرين من بني جلدتهم، وهم في كل أوقاتهم يبتدعون وينسجون تلك الأنساب، اذا غلبهم عليها الاختلاط أو النسيان أو الضياع.

ومن هنا لا يتوقع ابن قريتي أن آخذ بيده وسط متاهات القبائل وبطونها وأفخاذها وعشائرها وفصائلها، من خلال ما يعرف بشجرة العائلة منذ القدم حتى الآن، لأوصل نسبة بنسب احدى القبائل العربية الشمالية أو الجنوبية في الجزيرة العربية أو في غيرها. وكل ما أدونه هنا في كتابي هذا عن النسب الى القبائل القديمة انما هو على سبيل الافتراض العلمي، الذي يحتاج الى تحقيق وتدقيق من بعدي، يقوم به الشباب القلواني

المتعلم الذي تدخل مثل هذه الأمور في دائره اهتمامه.

أولاً: سكان قريتنا في الزمن الغابر سنة ١٢٠٠ ق.م

سكنها الحويون أيام كانت قريتنا قالونيا "دولة مدينة موصة الكنعانية" أيام دويلان المدن الصغيرة في أرض كنعان، والحويون بطن عربي من بطون الكنعانيين العرب، أول سكان فلسطين.

وفي سنة ١٠٤ ق.م سقطت مدينة ييوس (القدس) بيد الملك داود ملك العبرانيين، وسقطت بعدها دويلات "نظام المدن الفاشل" ومن ضمنها دويلة مدينة موصة وكانت موصة آخر معاقل الحويين في ذلك الزمن الغابر، وطردهم العبرانيون بعد أن بطشوا بخلق كثير منهم بالذبح والتقتيل والتحريق فحل فيها العبرانيون وسكنوها محل الحويين العرب. فنفذ اليهود العبرانيون بذلك، ما كتبه أحبارهم ورجال دينهم في توراتهم المحرفة على لسان ابراهيم وموسى على حسب ادعاءاتهم، فبطشوا وقتلوا وحرقوا العرب، وأخذوا أرضهم، ومن ثم اقتسموها حسب عشائهم وأسباطهم.

وفي سنة ٥١٥ ق.م واثناء حكم الفرس لأرض كنعان (فلسطين) كما قال المؤرخ اليهودي يوسفوس، كانت موصة (قالونيا) قد أصبحت من حصص سبط بنيامين وأطلقوا عليها اسم موتزا Motza (١).

وفي العهد اليوناني، وفي عام ٣٣٢ ق.م بطش خلفاء الاسكندر الأكبر باليهود وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ومن عاش منهم عاش في حالة رق دائم لفقرهم، ولعجزهم عن سداد ديونهم، وكان النظام الاقتصادي اليوناني في ذلك الزمن يقضي بتجميع أولئك الفلاحين العبيد في أماكن خاصة عرف المكان الواحد منها فيما عرف ولأول مرة باسم كولون Colon وهو بذلك حل محل الاسم العبراني لقريتنا "موتزا".

ولما جاء الرومان أيام القائد فسبسيان وولده تيطس من بعده تحولت موصة بأسرها الى استراحة العسكر أو "دار العسكر" أسكنها تيطس عام ٧٠ ق.م جنوده المسرحين من الخدمة العسكرية، فتحول الجميع الى حياة الزراعة.

ويذكر يوسفوس المؤرخ اليهودي الأشهر أن عددهم كان سبعمائة جندي سنة ٦٥ ق.م وقد كانوا من الفرق العربية والسورية والآرامية، الموضوعة تحت قيادة تيطس، ومن بقايا الكنعانيين أصحاب الحظ في الحياة، والذين لم يتعرضوا للتصفية الجسدية لأكثر من مرة على يد العبرانيين، تحت قيادة يوشع بن نون خليفة موسى وتحت قيادة داود وسليمان فيما بعد.

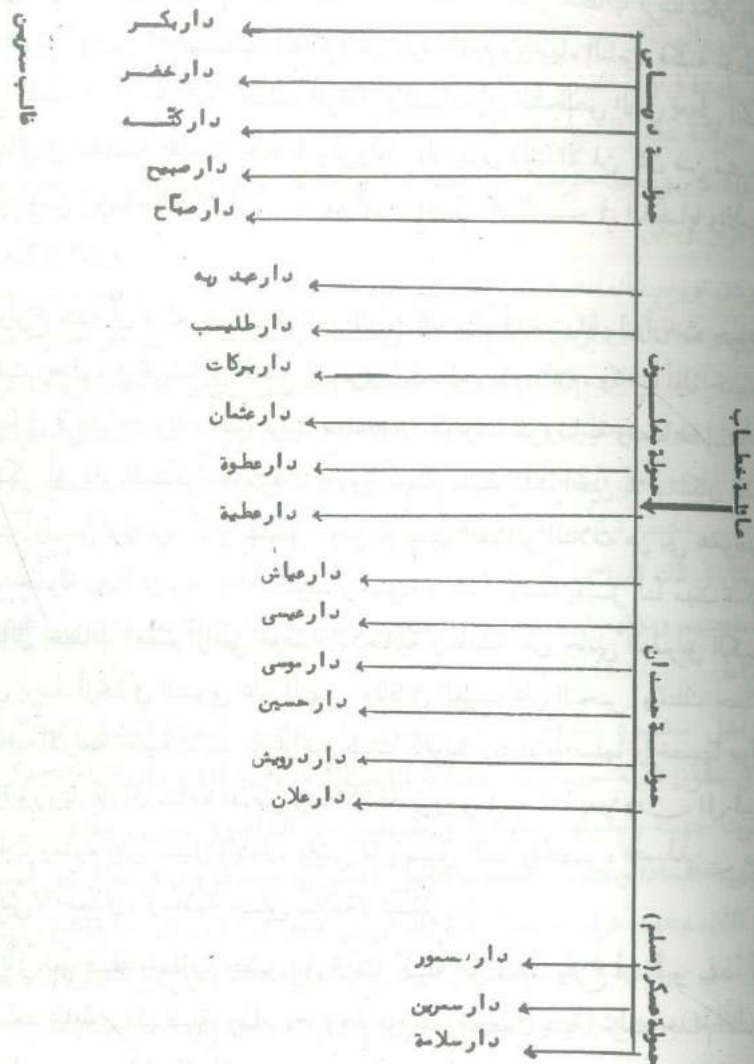
والقوات العربية السورية مزيج من القبائل العربية، وغير العرب الذين نزلوا أرض كنعان (فلسطين) بينما الكنعانيون مستقرين فيها، وهذه القبائل هي: الاموريون، والمعيتون، والآروميون، والمؤابيون، والعمونيون الذين انصهروا في بوتقة العربية الكنعانية، فثبتوا في أراضيهم ولم ينفكوا أو يقتلعوا فيها رغماً من موجات الغزوات والفتوحات التي مرت بهم.

ثانياً: في العصر الاسلامي:

شارك مع عمر بن الخطاب أربعة آلاف صحابي في استلام مدينة القدس من أرطوبون الروم بعد فتحها (١) عام ٦٣٦م، وكان ضمن الجيش الاسلامي الفاتح رهط من آل عمر بن الخطاب وشيعته، وعلى رأسهم ولده (عبد الله بن عمر بن الخطاب وشقيقه سالم بن عمر بن الخطاب) وكان مع أولئك الصحابة جمهور عظيم من قبائل العرب من لخم وجذام وغيرهم من قبائل قحطان اليمنية أو عدنان الحجازية، شاركوا في الفتح الاسلامي لبلاد الشام وفلسطين ومصر، كما شاركوا في الانتشار في البلاد، فمنهم من ارتحل وغاب، ومنهم من فضل البقاء فيها، والتوطن على أرضها، وهذا يفسر لنا أن بعضاً من سكان القرى ينتهون بنسبهم الى ولدي عمر عبد الله وسالم. ويطلق على أولئك اسم "العمريون" نسبة الى عمر بن الخطاب والد عبد الله وسالم. وقد يطلق عليهم اسم "العدويون" نسبة الى عدى قبيلة عمر أو اسم "المخزوميون" نسبة الى أحد بطون عدى أو اسم "البكريون" إحدى عشائهم، وكل هذه الاسماء تشير الى قبيلة عمر وعشائرها وأفخاذها. وعلى هذا فأنا أعلن هنا أنه ليس في بلدتنا عمريون أو عدويون أو بكريون أو مخزوميون، أي ليس في قريتنا من ينسب الى عمر أو الى فصيلته أو عشيرته أو قبيلته.

ان وجد في قريتنا أماكن تحمل اسم عمر بن الخطاب مثل بساتين وجناين الجسر التي تقع في حوض اسمه "حوض عمر بن الخطاب" أو مثل تلك الشجرة المعمرة والتي كان يتبارك بها بعض من أهل قريتنا قبل عام ١٩٤٨ ويسمونها شجرة عمر بن الخطاب، فذلك قد يشير الى أن أحدا من رهط عمر بن الخطاب، أي من أهله حدث أن مر من هناك، وأقام فترة من الوقت فيها ثم ارتحل عنها، أو قد يكون عمر بن الخطاب قد استراح في تلك البساتين، وهو في طريقه لزيارة قرية عمواس التي تبعد ٤ كم الى الشمال الغربي من قريتنا، وتحت الحاح مستشاريه من المسلمين المرافقين له بعدم اتمام مسيرته الى أرض الطاعون (عمواس) حينذاك، امثل لنصيحتهم وخاصة بعد أن ذكره تحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (١)، فعاد أدراجة الى القدس ولم يتم رحلته الى عمواس لتفقد حال الجند والصحابة تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح ومعه معاذ بن جبل، بعد أن داهمهم الطاعون فيها سنة ٦٣٩م. والمعلوم تاريخيا أن عمر زار مدينة القدس مرتين: المرة الاولى عند فتحها واستلامها من الروم، والمرة الثانية عام ٦٣٩م، وقد اختلف المؤرخون في تعيين الطريق الذي سلكه عمر في زيارته الثانية لمدينة القدس، كما اختلفوا في تحديد المكان الذي انصاع فيه عمر لرأي مشيخة قرش ومستشاريه من الصحابة من الانصار والمهاجرين في عدم دخول عمواس، بعد أن كان قريبا منها. فخلف وراءه اسمه يطلق على بساتين ذلك الحوض الذي ظل يعرف باسم حوض عمر بن الخطاب في دواوين الطابو أيام الحكومة العثمانية والبريطانية من بعدها، وظل الحاج محمد مطر الخطيب / عسكر، يحمل كوشان الطابو أي سند ملكية ذلك الحوض الذي عرف باسم حوض عمر بن الخطاب الى اليوم.

(١) عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال صلى الله عليه وسلم "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها، فلا تخرجوا منها فرارا"، ص ٢٠٨، باب ما يذكر في الطاعون، الجزء (٢) من كتاب "فتح الباري في شرح صحيح البخاري".



أما خطاب جد حمولة خطاب في قالونيا، فهو أحد عرب الجنوب (١) من القحطانيين، سكان اليمن القدماء، شارك في حروب الفتح الاسلامي. بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وانطفأت نيرانها وتخلصت من أثقالها، اختار خطاب قريتنا مكان إقامة واستقرار، ويشير اسم خطاب، أنه كان من علية القوم ووجهاء الناس، فكلمة خطاب تعني المتصرف في الخطبة، خطبة الرجال والنساء، أي الشخص الذي يعطي الحكم النهائي في القضية، قضية الخطبة والزواج، ولا يتأتى ذلك إلا لمن كان من مشيخة القوم ومن رؤساء الناس الذين بأيديهم أمور فصل الخطاب في القضايا والأمور الصعبة في القوم.

وأرجح بثقة أن قبيلة خطاب بجائلها الأربع كانت قد أناخت ابلها وأرخت جياها وحلت رجالها في قريتنا في الفتح العمري لفلسطين عام ٦٣٦م، وكانت أول حمائلها سكنا في قريتنا حمولة مسلم، نزلت Qoloniya كولونيا الرومانية ومعناها استراحة العسكر أو دار العسكر، فعرفت حمولة مسلم منذ ذلك الحين باسم المكان الذي كانت أول من نزل فيه "دار عسكر" ومن ثم تبعها العشائر الثلاث من بني عمومتهم وهم حمولة حمدان وحمولة مخلوف وحمولة درباس، وهذا يفسر لنا سبب ملكية حمائل خطاب لمعظم أراضي موصة الكنعانية وخاصة على جانبي الطريق الكبير. الذي يربط أريحا في الشرق على النهر، ويافا في الغرب على البحر. وتمتلك حمائل خطاب الأربعة حصّة الأسد من أراضي بلدتنا قالونيا برمتها، وأفضلها وأخصبها موقعا وثمارا وزرعا. بل أن سادة الأرض وملاكها المعروفين في بلدتنا يعودون إلى قبيلة خطاب ومنهم على سبيل المثال، وليس على سبيل العد والحصر: مصطفى طه درويش / حمدان، وسلامة حسين سلامة / عسكر.

وتأتي بعد قبيلة خطاب حضورا في قريتنا "قبيلة أبو سعد" وأرجح أن "أبو سعد" أو بنو سعد ينتمون إلى قبيلة جذام (٢) وهم قوم من قحطان يمنية، نزلت جذام الشام وفلسطين ومصر قبل الاسلام وبعده، وجذام فلسطين هم قوم شعيب عليه السلام.

بعد أن استتب الأمن لصلاح الدين الأيوبي في القدس أتى بعدد من القبائل العربية وعشايرها من الشام ومن مصر ومن الأرجاء المختلفة في فلسطين، أتى بها وأقطع لهم الأراضي في القدس وفي القرى المجاورة لها، فتوطنوا فيها، وكان من ضمن تلك القبائل والعشائر بنو الحارث، وبنو مرة، وبنو زيد، وبنو سعد، فنزلت عشيرة بنو سعد ببلدتنا في تلك الفترة أي بعد الفتح الصلاحي ١١٨٧م، فاقتطع صلاح الدين لبني زيد حراسة عقبة الشيوخ في القدس ونشرهم في الوادي الذي يحمل اسمهم في قضاء رام الله وأناط ببني سعد حراسة باب الخليل (١) في القدس وانتشروا في قريتنا ليتخذوا منها دار قرار وسكن.

وكان توزيع تلك القبائل والعشائر ضمن خطة بعيدة النظر، وضعها صلاح الدين الأيوبي ونفذها على أرض الواقع تحسبا لما اعتاد عليه الصليبيون من أمور الغدر والخيانة أثناء زيارتهم لبيت المقدس حجاجا، وتجارا في مواسم حجهم وتجارهم، فينقلوا جنودا ويحتلون المدينة، فرتب صلاح الدين توزيع تلك القبائل واسكانها مدينة القدس وفي البلدان والقرى المجاورة، بل غطت معظم أنحاء فلسطين، وكان من ضمن الخطة ترتيب المواسم المعروفة في أوقات معينة تلتقي فيها تجمعات تلك القبائل في تلك المواسم، كموسم النبي موسى، يرد فيها المسلمون متعاقبين إلى القدس مع أسلحتهم ومؤنهم استعدادا وتحسبا لما قد يقوم به الافرنج والصليبيون من الغدر والخيانة.

وأهل عشيرة مشعل، في قريتنا ينتمون إلى عشيرة المشاعلة الحجازية (٢) وهي إحدى بطون قبيلة جهينة من قضاة القحطانية، وبعد الفتوحات الاسلامية، انتشرت جهينة وبتونها وعشايرها في فلسطين. وفي الشام وفي مصر، وهذا يفسر لنا أن لجهينة أفضاذا وعشائر يقطنون القطر المصري، ويتمركزون في مكان يحمل اسمهم حتى الآن، وهو "عرب جهينة" على بعد أربعين كيلو مترا شمال غرب القاهرة، وكثيرا ما نزلنا في ضيافتهم أثناء دراستنا في القطر المصري، وأثناء زيارتنا لاصدقائنا منهم، وكان الكبار منهم يشيرون إلى وجود أقارب لهم في فلسطين وفي السودان أيضا.

(١) الفصل في تاريخ القدس / عارف العارف.

(٢) فلسطينيات، م.م. الدباغ.

(١) على سبيل الترجيح.

(٢) فلسطينيات، م.م. الدباغ.

وأخرج أن حمولة مشعل وفدت الى قالونيا خلال عصور الحكم المملوكي لبلا مصر والشام وفلسطين، وتمتد هذه العصور في الفترة بين عام ١٢٥٠م و ١٤٩٥م، جاءت المشاعلة ضمن الجيوش المصرية بقيادة قادة من غير العرب قادوا جيشا خليطاً من مصريين وعرب وهنود وأتراك وخوارزميين، في حملات مقدسة حاربت المغول، وقاتلت الصليبيين وفي حملات تقاتل فيها المسلمون: مهاليك وأيوبيون، ومن هؤلاء وأولئك قاتلوا العثمانيين والأتراك.

أما عشيرة الغليظ، فهي أحدث العشائر حضوراً في قرينتا، وفدوا اليها على وجه الترجيح قبيل الحملة الفرنسية على فلسطين أي قبيل عام ١٧٩٩م وأثناء الحكم القلوي لمصر. جاء الكثيرون من المصريين الى فلسطين، فمنهم من نزلها زائراً وفريق مستوطناً (١)، وآخر هارباً من نظام الخدمة الالزامية في الجيش المصري الذي وضعه النظام القلوي في مصر، في هذه الفترة كانت جموع غفيرة من الجيش المصري تستقر في قرى وبلدان فلسطين، وكان ذلك من أهم الاسباب التي احتج بها ابراهيم باشا في حملته عام ١٨٣٠م على فلسطين، وهو استرداد الهاربين من الجيش المصري في فلسطين.

ان استمرار تبادل الزيارات (٢) بين عشيرة الغليظ في مدينة طنطا في مصر وحمولة الغليظ في بلدتنا، وهي ظاهرة لم تكن قائمة مع عشيرة مشعل في مصر وشريحتها في قالونيا مثلاً، لتدل هذه الظاهرة أيضاً على استمرارية تواصل، ظل قائماً بين قسمي عشيرة الغليظ في قالونيا وفي طنطا، فلم تؤثر أيام الزمان في هذا التواصل بعد، فتوقفه أو تلقي عليه أستاراً صفاقاً أو رقاقاً من النسيان.

في قرينتا سبع حمائل وهي: حمولة عسكر وحمولة حمدان وحمولة مخلوف وحمولة درباس وتنتهي كلها الى دار خطاب، أما الثلاث الاخرى فهي حمولة "أبو سعد"، وحمولة مشعل وحمولة الغليظ.

(١) أثناء حكم أسرة محمد علي باشا. وقد جاءوا من جزيرة قولة في البحر الابيض المتوسط.

(٢) ان استمرار الزيارات من قِبل عدد من فقهاء آل الغليظ في مدينة طنطا الذين كانوا يقدون الى بلدتنا وينزلون ضيوفاً على المرحوم الشيخ اسماعيل سالم حيث يقيمون في مسجد الشيخ حمد حلقات الذكر والتي كان يحرس مشايخ الطرق الصوفية على اقامتها في تلك الايام، لظاهرة تشير الى الرابطة بين قسمي الغليظ في قالونيا وفي مصر.

كان عدد سكان بلدتنا وهم أهل السبع حمائل المذكورة في السنوات الآتية على التوالي: كان عددهم في بداية ١٩٢١ خمسمائة وتسع واربعون نسمة، وفي عام ١٩٣٠م بلغوا ستمائة وثلاثة وثلاثين شخصاً، وارتفع عددهم عام ١٩٤٥م الى تسعمائة وعشرة أشخاص وفي عام الشتات ١٩٤٨ قبل الخروج وصل عددهم الى تسعمائة وثمانين شخصاً بما فيهم القلوانيون من سكان مدينة غزة، وهذه الأرقام مأخوذة من واقع احصائيات قام بها أهل البلدة قبيل الشتات، الى جانب ما ذكر بهذا الخصوص في بعض كتب التاريخ المعاصرة.

ثالثاً: سكان قرينتا في المائة وخمسين عاماً المنصرمة حتى عام الشتات ١٩٤٨م:

وتضم خطاب أربعة حمائل: وهي حمولة عسكر، حمولة حمدان، حمولة مخلوف، وحمولة درباس.

١ - أما حمولة عسكر فتضم: ثلاثة أدور (جمع دار) وهي: دار سلامة، ودار سمرين، ودار سمور.

وفصائل دار سلامة:

تضم الدار الأفراد الأقربين في مجموعات من الفصائل، أي من الأسر التي تؤدي أعضاؤها تحت أجنحتها. (وفصيلته التي تؤويه، أي أسرته).

* سلامة شعبان سلامة وتزوج من سرية عطية وهي أم حسين سلامة شعبان سلامة بدلاً بأخته فاطمة شعبان التي تزوجت من عطية في حمولة مخلوف.

* حسين سلامة شعبان سلامة وتزوج ثلاث زوجات هن:

١ - عثمان سمور "أم سلامة".

٢ - صبيحة محمد عبد ربه من قرية الرام "أم محمد".

٣ - عزيزة محمد علي سلامة "أم أحمد" وعزبة تلك كان لها الزواج الثاني، بعد أن توفي عنها زوجها الاول واسمها حمدان بركات في العسكرية العثمانية.

* سلامة حسين سلامة شعبان سلامة كان متزوجاً من فاطمة محمد علي سلامة شعبان سلامة عسكر وهي "أم شعبان".

* محمد حسين سلامة شعبان سلامة وتزوج من ثنتين: الأولى نعمة العبد عثمان صلاح من مخلوف وهي "أم حسين" وبعد وفاتها تزوج من عزيزة محمد عطوة من مخلوف وهي "أم خليل".

* أنجد محمد علي سلامة شعبان سلامة، واحد زوجاته كانت شقيقة عثمان حسن سمور. وزوجته الثانية كانت عزيزة بركات، والثالثة اسمها شيخة من قرية قطنا.

* عبد الله محمد علي سلامة شعبان سلامة وتزوج من عزيزة خليل أبو خروبة من دار عرباش في قرية عين كارم.

* علي محمد سلامة شعبان سلامة وقد تزوج من امدللة صالح علي سلامة شعبان سلامة، وهي أم ابراهيم.

* صالح علي سلامة شعبان سلامة، كان زوجا لامرأة من بيت نقوبا واسمها نعمة غصون وهي "أم مصطفى" والذي بدوره تزوج من عائلة أمه في بيت نقوبا أيضا.

* يعقوب علي سلامة وقد تزوج من الحليل مقتريا في العسكرية وخلف له ولدان وهما: جروان وأيوب وابنة اسمها وهيبة.

* أحمد حسين سلامة وتزوج سارة علي محمد علي سلامة شعبان سلامة عسكر وهي أم عزت.

* شعبان سلامة حسين سلامة شعبان سلامة وزوجته نعمة محمد عبد الله سمرين وهي أم نصري رحمها الله.

* ابراهيم سلامة حسين سلامة شعبان سلامة وزوجته نزهة عبد الله نجبية وهي أم فهي من قرية بيت نقوبا.

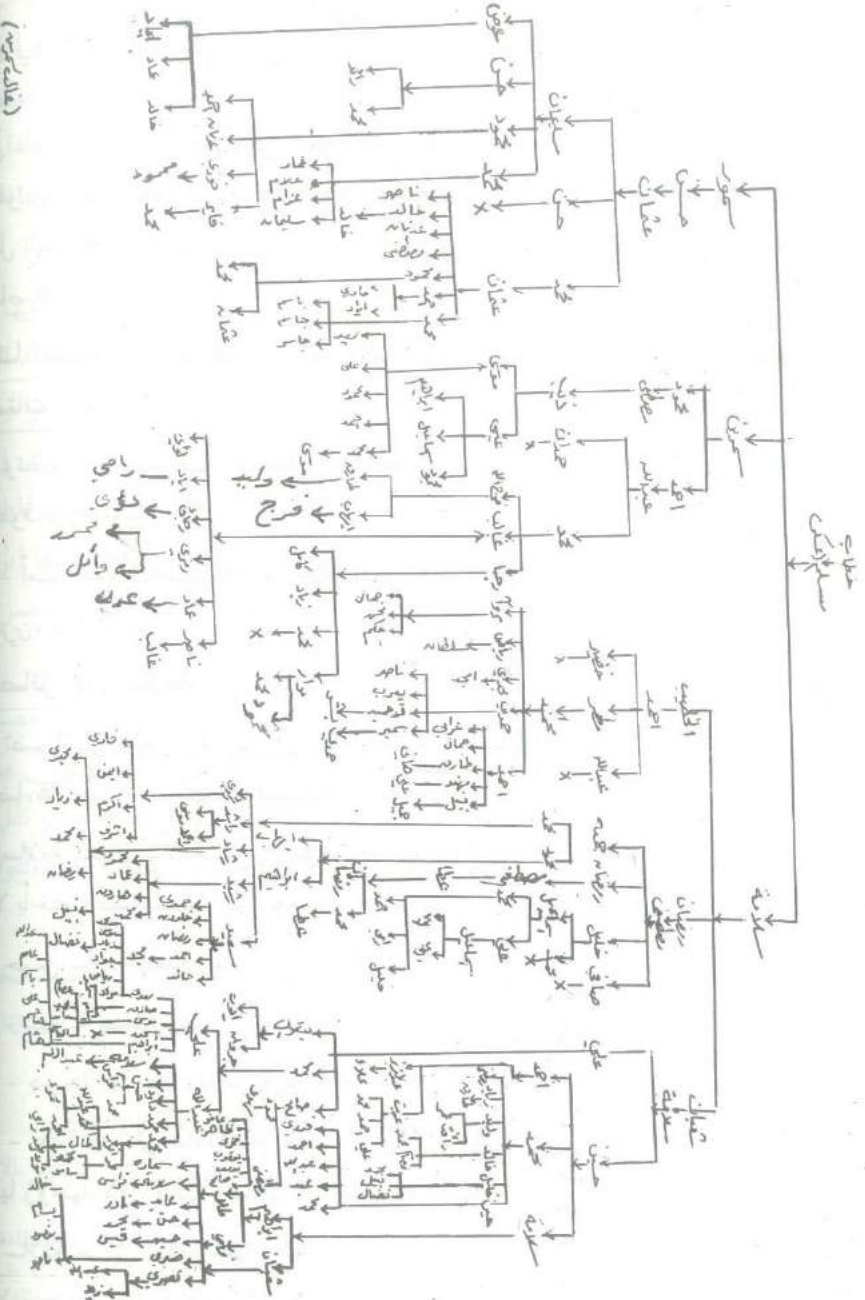
* محمد أمين عبد الله محمد علي سلامة، وقد تزوج من نعمة حسين سلامة شعبان سلامة.

* ابراهيم علي محمد علي سلامة شعبان سلامة، وزوجته من بيت نقوبا واسمها يسرى أحمد حسين.

أما فصائل دار رمضان: فهي على الوجه التالي:

* وأبدأ بما استطعت تقصيه في بحثي حول هذه الدار، برمضان الثاني وبأخوته الذين عاصروا ستينات القرن التاسع عشر.

(دار الجبل)



* رمضان مصطفى رمضان وكان زوجا للسيدة نعمة الرهوان من قرية عمواس.

* خليل مصطفى رمضان وكان زوجا للسيدة صبحه جبران من دار حمد مشعل.

* صافي مصطفى رمضان وتزوج صبحه امجد من قرية قطنا.

* جمعة مصطفى رمضان وتزوج من خضرة عبد السلام من قطنا، وهي ابنة عم صبحه زوجة صافي.

* مصطفى رمضان مصطفى رمضان فقد تزوج من يامنة خليل وهي أم عطا.

* محمد خليل مصطفى رمضان فقد تزوج من ذبية رمضان مصطفى رمضان، وتزوج ثانية من شفيقة حسين بركات من دار مخلوف.

* اسماعيل خليل مصطفى رمضان تزوج أولا من معزوزة مصطفى رمضان عسكر وتزوج ثانية من زهرة مصطفى طه أرملة موسى فرحان.

* علي اسماعيل خليل مصطفى رمضان، مصطفى رمضان وتزوج من سريا مصطفى رمضان.

* محمود جمعة مصطفى رمضان وزوجته معزوزة حسن عثمان سمور.

* محمود جمعة رمضان وزوجته: الاولى ابنة عمه فاطمة صافي رمضان والثانية منى علي محمد علي سلامة عسكر.

* عطا مصطفى رمضان، فقد تزوج من علياء اسماعيل خليل مصطفى رمضان.

فصائل دار الخطيب (عسكر):

* أحمد الخطيب سلامة مسلم وتزوج من مريم حسين سلامة وهي أم مطر وخضير، وتزوج أحمد الخطيب من امرأة أخرى "أم عبد الله" الذي لم يسبق له أن تزوج.

* خضير أحمد الخطيب وتزوج من امرأة من قرية سنجل ولم يكن لهما نصيب من الذرية.

* مطر أحمد الخطيب وتزوج من ذبية درويش من دار حمدان، وهي ابنة عم مصطفى طه، وهي أم محمد.

* محمد مطر أحمد الخطيب، وتزوج من زريفة محمد علي سلامة من دار عسكر.

فصائل دار سميرين:

* هاجر عبد الله أحمد سميرين من قريته قالونيا الى قرية ساكب قضاء عجلون في أوائل الستينات من القرن التاسع عشر، وساكب قرية من قرى مدينة جرش في شرق الاردن. وكانت هجرته تحت وطأة المعاملة القاسية والاضطهاد اللذين كان يمارسهما ضده عمه محمود سميرين، عقب وفاة أبيه أحمد. وهناك في قرية ساكب استقر عبد الله أحمد سميرين ليتزوج عدة زوجات، كان آخرها من قرية برما / اربد فينجب منها ولدين هما محمد وحمدان. قتل حمدان وهو شاب بسبب غرامياته، ولم يتزوج.

* محمد عبد الله أحمد سميرين، تزوج من فاطمة عبد اللطيف المفلح عياصرة من ساكب، رزق منها بسبعة ذكور عاش منهم ثلاثة بعد عودته الى أرض أجداده، وأرضه في قريتنا الحبيبة قالونيا.

* مصطفى محمود سميرين وتزوج امرأة من عين بيرود وهي أم ذيب.

* ذيب مصطفى محمود سميرين وتزوج أولا من شفيقة منصور الخطيب (أبو سعد)، ثم تزوج ثانية من أمنة صالح خضر مشعل وهي أم عيسى وموسى.

فصائل دار سمور:

* عثمان حسن سمور مسلم وزوجته معزوزة محمود سميرين شقيقة مصطفى سميرين، وهي أم حسن، وتزوج ثانية من عزيزة عثمان صلاح من مخلوف.

* حسن عثمان سمور مسلم وزوجته عزيزة بركات أرملة محمد علي سلامة.

* محمد عثمان حسن سمور وتزوج من طرفة رزق جابر من قرية الرام، وهي أم عثمان.

* سليمان عثمان حسن سمور مسلم وتزوج من فاطمة محمد خليل رمضان عسكر.

* عثمان محمد عثمان حسن سمور مسلم وزوجته فضاة صالح عيسى حمدان من دار حمدان.

* محمود سليمان عثمان وزوجته يامنة محمد حسين سلامة عسكر.

٢ - حمولة حمدان (خطاب) وديارها: دار علان، دار درويش، دار موسى، دار عيسى، دار حسين، ودار عياش.

أما دار علان:

- * وتزوج علان صالحة العلي درويش من دار حمدان، وهي عمة مصطفى طه درويش. كانت من المعمرات في بلدتنا، فقد عاشت أكثر من ١٠ سنة.
- * رمضان علان، تزوج من لبيبة مصطفى سليمان من مشعل وهي أم داود.
- * جمعة علان وتزوج من زريفة موسى حمدان.
- * جميل جمعة علان وتزوج من رشيدة صبح وهي "أم أحمد".
- * محمود جمعة علان وزوجته فاطمة محمد علي حمدان.
- * شاكر جمعة علان حمدان وزوجته فوزية مصطفى طه درويش وهي "أم صبري".
- * داود رمضان علان وتزوج فاطمة ذياب.

فصائل دار درويش:

- * تزوج درويش حمدان من عليّة علي سلامة عسكر.
- * مصطفى طه درويش حمدان وزوجته من نابلس واسمها فتيحة الخاروف وهي أم محمد، وكان قد تزوج قبلها من نعمة فرحان (أبو سعد) أم ولديه ابراهيم ويوسف.
- * محمد مصطفى طه درويش حمدان وتزوج أيضا من نابلس واسم زوجته قدسية الخاروف، وله منها ستة أبناء.
- * ابراهيم مصطفى طه درويش حمدان وتزوج أولا من نعمة علي حمدان (أم بهية) ثم تزوج من أميرة الغوانمة من القدس.
- * عمر محمد مصطفى طه حمدان وتزوج من نادية الخاروف من نابلس.
- * فؤاد محمد مصطفى وزوجته بهاء ابراهيم مصطفى.
- * أحمد محمد مصطفى وزوجته فاطمة عبد الله زايد الخطيب.
- * عبد الغني وزوجته امتياز جبر فرحان.
- * عزت وزوجته اسمهان إخليل.
- * زُرُق موسى حمدان بولد واحد اسماء "أحمد" وقد تزوج أحمد موسى حمدان من

أمونة حمدان "أم ذبية". وأحمد موسى حمدان من شيوخ بلدتنا الأفاضل، وهو مؤذن مسجد القرية: مسجد الشيخ حمد وصاحب الفضل في إيقاظ أهل القرية في ليالي رمضان في وقت السحور... رحمه الله وأثابه خيرا.

- * عيسى حمدان وزوجته فرحة فرحان وهي أم صالح وأحمد ولم يكن لهما ذرية من الأولاد وكان صالح عيسى حمدان قد تزوج من فاطمة عثمان حسن سمور عسكر.

فصائل دار حسين:

- * محمد علي حسين حمدان وكان قد تزوج من نفيسة بركات وهي أم عبد من مخلوف.
- * محمود علي حسين حمدان وكان قد تزوج وصفية مصطفى طه وهي أم يحيى.
- * حسين علي حسين حمدان وزوجته نزهة مصطفى طه وهي "أم عدنان".
- * عبد محمد علي حسين حمدان وزوجته سعاد صالح عيسى حمدان.

فصائل دار عياش:

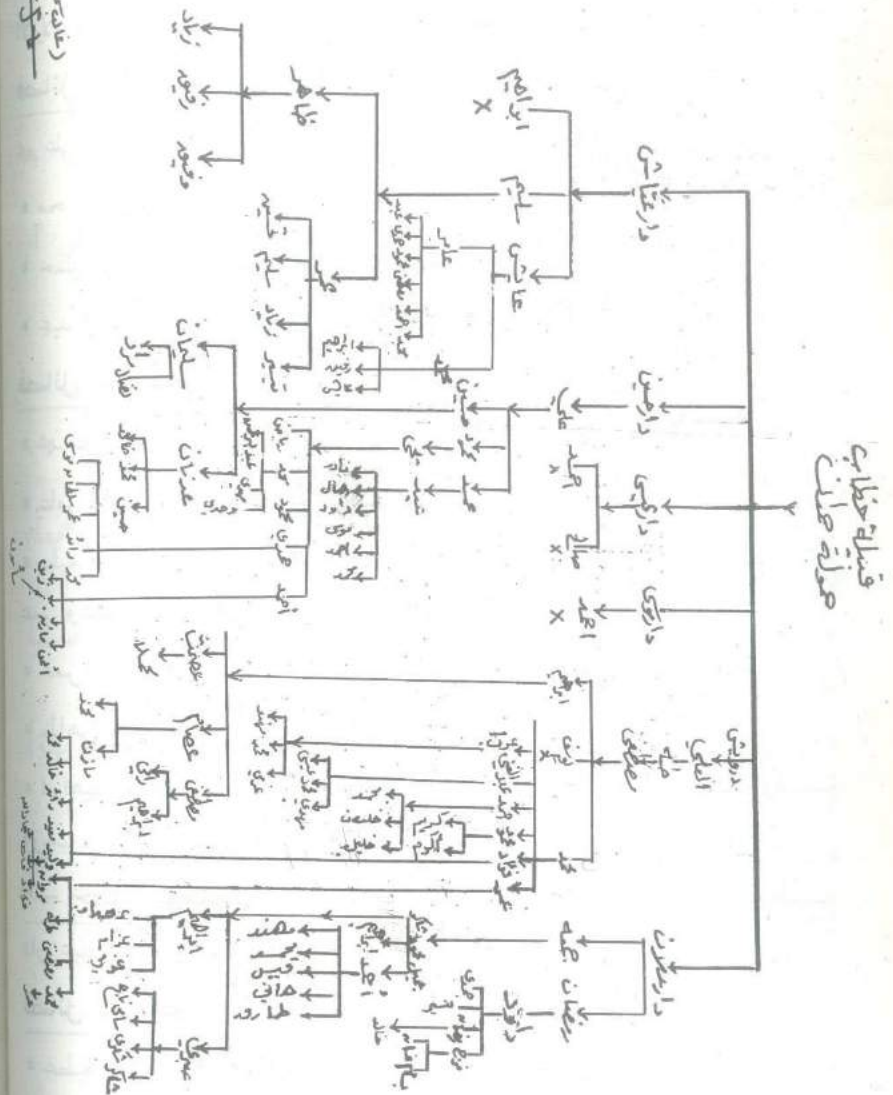
- * محمد عياش عياش وزوجته حليلة ابراهيم عياش.
- * عامر عياش وزوجته شفيعة ابراهيم عياش.
- * سليم عياش وزوجته فاطمة بركات (أم ظاهر) وتزوج ثانية من ست البنات "أم عمر وعامر" ابنة شحادة بكر.
- * عمر سليم عياش وزوجته عريفة محمد عياش ثم تزوج عزيزة جميل جمعة.
- * ظاهر سليم عياش وزوجته زواهي صالح عيسى حمدان.
- * ابراهيم عياش حمدان وزوجته زهية عيسى حمدان أم شفيقة وحليمة وفاطمة وزينب.

٢ - حمولة مخلوف وتضم الأدر التالية: دار عطية، دار عطوة، دار طليب، دار عبد ربه، دار عثمان العبد، دار بركات.

فصائل دار عطية:

- * عطية مخلوف تزوج من فاطمة شعبان سلامة عسكر وهي أم أحمد بدلا بشقيقته سريّة التي تزوجت في دار سلامة شعبان عسكر.

(مختصر)



- * أحمد عطية مخلوف وتزوج درباسه صباح، وهي أم عطية الثاني.
- * عبد الله عطية مخلوف وزوجته حبسة الرامية من قرية الرام، وهي أم عادل.
- * محمد عطية مخلوف وزوجته حليلة بكر وهي "أم سعيد".
- * محمود عطية مخلوف وقد تزوج من طرفة رزق جابر من قرية الرام، ولم تنجب منه حيث سافر الى أمريكا مهاجرا كلية.
- * عطية أحمد عطية مخلوف وتزوج من محبوبه مصطفى طه درويش حمدان.
- * علي أحمد عطية مخلوف وزوجته قاطمة مصطفى طه درويش حمدان.
- * سعيد محمد عطية مخلوف وتزوج ظريفة أحمد عطية مخلوف وهي أم عبد الكريم.
- * عادل عبد الله عطية وزوجته الاولى ابنة عمه امدلله أحمد عطية والثانية زوجة من غزة.
- * طاهر عبد الله عطية وزوجته نعمة أحمد عطية.
- فصائل دار عطوة:
- * عطوة مخلوف وزوجته صبحه كته درباس وهي أم حمدان.
- * حمدان عطوة مخلوف وتزوج أولا من خديجة خضر درباس، ومن بعدها تزوج أرملة عبد الله عطية مخلوف: حبسة الرامية.
- * محمد عطوة مخلوف وقد تزوج خضرة محمد طليب من مخلوف.
- * ابراهيم حمدان عطوة وزوجته حمدة محمود بركات.
- فصائل دار طليب:
- * محمد ابراهيم طليب وزوجته من ملكا / درعا واسمها السيدة نعمة وهي "أم أحمد" رحمهما الله معا.
- * أحمد محمد ابراهيم طليب وزوجته هنية محمد الصرص من الغليظ وهي أم محمد.
- * حسن محمد ابراهيم طليب لم يتزوج وقد وافاه الأجل صبيّا اثر حادث سيارة جنوب بلدتنا قالونيا.
- * محمود ابراهيم طليب وزوجته صاحبة صالح عبد ربه وهي "أم عيسى".

* عيسى محمود ابراهيم طليب وقد تزوج من ابنة عمه فاطمة محمد ابراهيم طليب.

فصائل دار عبد ربه:

* موسى عبد ربه مخلوف وزوجته خلية سالم من الغليظ.

* صالح عبد ربه وزوجته صفية صباح من درباس وهي أم علي.

* أحمد موسى عبد ربه مخلوف وزوجته الاولى صفية محمود حمدان لقح من مشعل وتزوج ثانية من محبوبة السوركية، من قرية بيت سوريك.

* محمد موسى عبد ربه مخلوف وزوجته عزيزة جبر من دار زغب في عين كارم وهي أم موسى.

* مصطفى موسى عبد ربه مخلوف وزوجته آمنة خضر مشعل ولم ينجبا ذرية من الذكور.

* أحمد صالح عبد ربه وزوجته زريفة محمد صباح وهي أم عوني.

* علي صالح عبد ربه مخلوف وزوجته طلة محمود البدوي.

* عبد صالح عبد ربه مخلوف وزوجته جميلة من سلوان، وزوجته الثانية من دار مخلوف، واسمها حلوة العبد عثمان.

* محمد صالح عبد ربه وزوجته تمام الحاج محمد المزرعاوي.

فصائل دار عثمان العبد:

* خالد العبد عثمان لم ينجب ذكورا وكان قد تزوج من صديقة أحمد بركات.

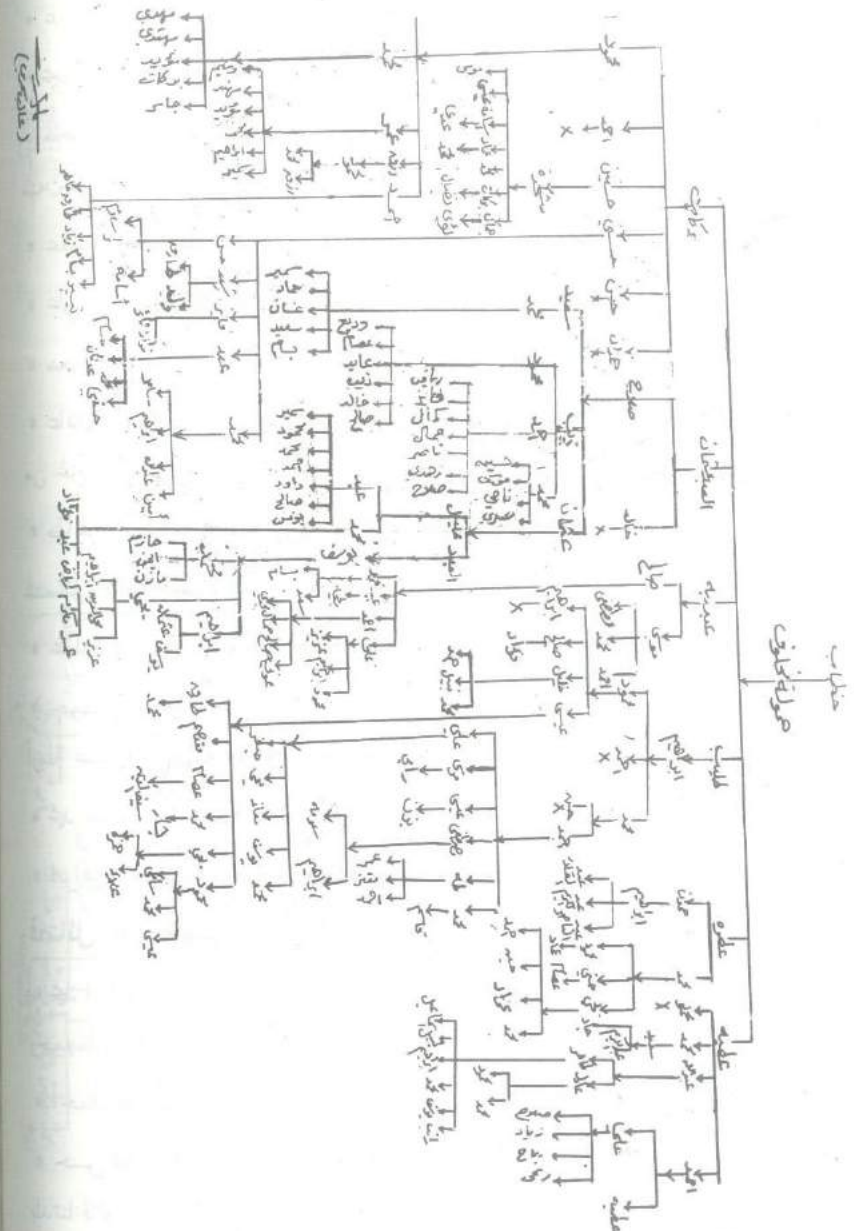
* صلاح العبد عثمان وكان له أولاده، عثمان وذيب وسعيد.

* أما عثمان فكان له ولدان: العبد و خليل، وابنة اسمها عزيزة تزوجت عثمان حسن سمور في عسكر.

* ذيب صلاح العبد عثمان وزوجته عائشة علي خضر من مشعل وهي أم محمد.

* العبد كان له ولدا اسمه يوسف العبد عثمان صلاح الذي تزوج من صديقة أحمد بركات أرملة أخيه خالد.

* محمد ذيب صلاح وزوجته عزيزة خليل.



* أحمد ذيب صلاح وزوجته بهية محمد عثمان حسن سمور ومن بعدها تزوج بأخرى من غزة.

* محمود ذيب صلاح وزوجته يسرى طالب من مشعل.

* محمد خليل العبد عثمان وزوجته حسية صالح عبد ربه / مخلوف.

* عبد خليل عثمان وزوجته رسمية محمد عثمان / عسكر.

* محمد سعيد صلاح مخلوف وزوجته فهمية ذيب صلاح.

فصائل دار بركات:

* حمدان بركات وزوجته عزيزة محمد علي سلامة، وتوفي في العسكرية التركية دون خليفة من ورائه.

* حسن بركات لم يسعفه عمره فيتزوج.

* حسني بركات مخلوف وتزوج من دير ياسين: أمينة اسماعيل، وهي أم محمد.

* حسنين بركات وزوجته نعمة الزير وهي أم شحدة. أما شحدة فقد تزوج من ابنة عمه فهمية محمود بركات.

* محمود بركات وزوجته عزيزة أحمد عطية، كما تزوج أرملة أخيه أحمد فضية من مشعل.

* أحمد بركات وتزوج من مشعل زوجة اسمها فضية ولم يرزقا ذكورا.

٣ - حمولة دار درباس وتضم الدور التالية: دار خضر، دار كته، دار صباح، دار صبيح، دار بكر.

فصائل دار خضر درباس:

* خضر درباس وتزوج من مشايخ عطية مخلوف.

* قاسم خضر درباس وتزوج أولا من حمدة عطوة مخلوف ثم تزوج ثانية من شفيقة منصور أبو سعد.

* محمد خضر درباس وتزوج من نعيمة منصور الخطيب من أبي سعد.

* سعيد خضر درباس وزوجته فاطمة عطوة وهي "أم نمر".

* سامي قاسم خضر درباس وزوجته مشايخ محمد خضر وتزوج فيما بعد ثانية من فاطمة خويص من الطور.

* أحمد قاسم خضر درباس وتزوج من عزيزة محمد خضر أولا ثم زوجة سورية.

* نمر سعيد خضر درباس وتزوج من سميرة قاسم خضر أولا ثم من سلمى سليم عياش.

* أحمد سعيد خضر درباس وتزوج شفيقة أحمد قاسم خضر.

* إبراهيم سعيد خضر درباس وزوجته جميلة محمود شحادة بكر.

فصائل دار عبد الله كته:

* عبد الله كته وتزوج من عزيزة خضر أخت قاسم خضر درباس وهي "أم محمد".

* نعمان عبد الله كته وتزوج من خديجة خضر درباس.

* أحمد عبد الله كته وتزوج من نعمة عطية وهي أم عبد الله الثاني.

* إبراهيم عبد الله كته وتزوج من فاطمة مصطفى صباح وهي أم صالح.

* صالح إبراهيم عبد الله كته وتزوج من زريفة سعيد خضر ثم تزوج من ابنة موسى داود جابر.

* عبد الله أحمد عبد الله كته وزوجته أمينة ابنة خضر البدوية، مطلقة عبد الكريم محمد صباح.

فصائل دار صباح:

* صباح درباس الأول وتزوج فاطمة العلي حمدان (من المعمار، مثل شقيقتها صاحبة العلي زوجة علان من دار حمدان).

* مصطفى صباح درباس وتزوج صبرة بكر وهي أم محمد.

* عيد صباح درباس وتزوج من نعمة عطية وهي أم علي.

* محمد صباح درباس وزوجته عزيزة عبد الله كته.

* علي عيد صباح درباس وتزوج من يامنة خليل (من لفتا) مقابل زواج عمته معزونة صباح في قرية لفتا.

* محمد مصطفى صباح وتزوج من مريم عيد صباح.

* شحدة محمد صباح درباس وتزوج من زهور صالح عبد ربه / مخلوف.

* عبد الكريم محمد صباح وتزوج من عزيزة علي عيد أولا، ثم من قرية غرناطة / مادبا من اخرى اسمها أمينة.

فصائل دار صبيح:

* عوض صبيح درباس وتزوج من هنية عثمان.

* مصطفى صبيح درباس وتزوج من ابنة الزير الغليظ، من السيدة عائشة الزير.

* محمد عوض صبيح درباس وتزوج من صبة صبيح وهي أم علي.

* أحمد عوض صبيح درباس وزوجته نجية مصطفى طه.

* صبيح مصطفى صبيح وزوجته زريفة عوض وهي أم مصطفى.

* مصطفى صبيح مصطفى صبيح درباس وزوجته عزيزة محمد من دار مشعل.

فصائل دار بكر:

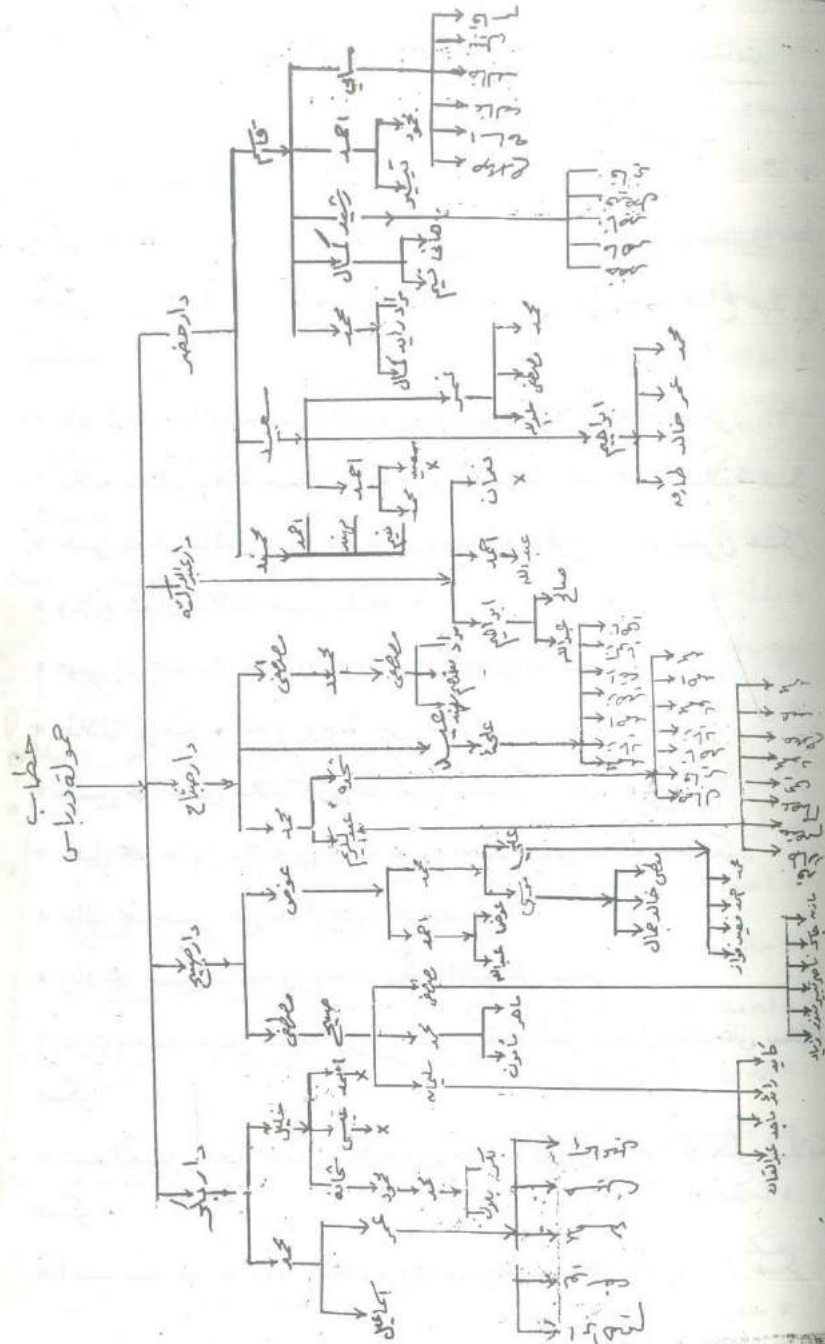
* خليل بكر درباس وزوجته صبحه صباح شقيقه مصطفى صباح "أم أحمد".

* شحدة بكر درباس وزوجته حمدة عطوة ثم مريم جابر شقيقة داود جابر من مشعل.

* أحمد خليل بكر درباس وزوجته الحاجة عزيزة مصطفى صباح ثم الحاجة خضرة البدوية / غرناطة / مادبا.

* عيسى خليل بكر درباس وزوجته فاطمة شحدة بكر.

* محمود شحدة بكر درباس وزوجته عزيزة مصطفى رمضان عسكر.



الجدور الحية الممتدة لعوائل خطاب في الشتات

١ - حمولة عسكري: دار سلامة:

- * نصري شعبان سلامة حسين سلامة، تزوج من حياة عيسى طليب مخلوف.
- * صبري شعبان سلامة حسين سلامة وتزوج من نوال أحمد صالح عبد ربه / مخلوف.
- * عايد شعبان سلامة حسين سلامة وزوجته سريا ابراهيم سلامة عسكري.
- * سلامة شعبان سلامة حسين سلامة وزوجته سهيلة أحمد حسين سلامة عسكري.
- * حسن شعبان سلامة حسين سلامة وزوجته نجوى فرج الله محمد سميرين عسكري.
- * وسارة شعبان سلامة حسين سلامة.
- * فهمي ابراهيم سلامة وزوجته من بيت نقوبا سهيلة طه.
- * طلال ابراهيم سلامة وزوجته ليلى أحمد حسين سلامة / عسكري.
- * حسين محمد حسين سلامة وزوجته عزيزة سليمان عثمان / عسكري.
- * خليل محمد حسين سلامة وزوجته عزيزة أحمد حسين سلامة / عسكري.
- * خالد محمد حسين + رجاء ابراهيم علي عسكري.
- * زياد محمد حسين سلامة وزوجته نعمة ابراهيم علي عسكري.
- * عزت أحمد حسين سلامة وتزوج من عزيزة محمد أمين عبد الله محمد علي سلامة / عسكري.
- * عبد العزيز أحمد حسين سلامة وزوجته دلال ابراهيم علي محمد علي سلامة / عسكري.
- * أحمد عبد الله محمد علي سلامة وتزوج من زينب محمد مطر الخطيب / عسكري.

* محمود صالح علي سلامة فقد كانت زوجته سريه سلامة حسين سلامة / عسكري.

- * سعدي ابراهيم علي وزوجته كوثر سعيد عطية.
- * صادق ابراهيم علي وزوجته جهاد محمد حسين سلامة.

فصائل دار رمضان:

- * محمد اسماعيل خليل مصطفى رمضان وتزوج من انشراح عبد مصطفى من الغليظ.
- * اسماعيل علي اسماعيل خليل مصطفى رمضان وتزوج من ابتسام محمد فرحان / أبو سعد.
- * سعيد محمد جمعة رمضان وتزوج من رقية محمد مطر أحمد الخطيب / عسكري.
- * رشيد محمد جمعة رمضان وتزوج من هاجر عبد خليل العبد عثمان / مخلوف.
- * رشاد محمد جمعة رمضان وتزوج من مهيأ عطا مصطفى رمضان / عسكري.
- (زينب).
- * راشد محمد جمعة رمضان وتزوج من عايدة عطا مصطفى رمضان / عسكري.
- * رشدي محمد جمعة رمضان وتزوج من كريمة أحمد عبد الله محمد علي سلامة / عسكري.
- * ناصر محمد جمعة رمضان وتزوج أمريكية من أصل يوناني.
- * خالد سعيد محمد جمعة رمضان وتزوج من ناهد فرج الله سميرين / عسكري.
- * أحمد سعيد محمد جمعة رمضان وزوجته مها فرج الله سميرين / عسكري.
- * محمد رشيد محمد جمعة رمضان وزوجته حنان فرج الله سميرين / عسكري.
- دار الخطيب / عسكري:
- * أحمد محمد مطر أحمد الخطيب وتزوج من لطايف عبد الله محمد علي سلامة عسكري.
- * حمدي محمد مطر أحمد الخطيب وتزوج من شيخة عبد الله محمد علي سلامة

عسكر.

* مجدي محمد مطر أحمد الخطيب وتزوج من جمال محمد جمعة رمضان / عسكر.

* رياض محمد مطر أحمد الخطيب وتزوج من مريم عبد الفتاح يوسف من سنجل وهي أم سلطان.

* مروان محمد مطر أحمد الخطيب وتزوج من مهدي محمود علي صالح علي سلامة / عسكر.

* سمير حمدي محمد مطر الخطيب وتزوج من سر غالب محمد سمرين / عسكر.

* توحيد حمدي محمد مطر الخطيب وتزوج من هيام خليل عياد / أبو ديس / القدس.

* نبيل أحمد مطر الخطيب، وشقيقه مهند أحمد مطر الخطيب تزوجا في لندن بزوجات انجليزيات.

* طارق أحمد محمد مطر الخطيب فقد تزوج من هدى أحمد عبد الله محمد علي سلامة / عسكر.

* أمجد مجدي محمد مطر الخطيب فزوجه جميلة عبد المعطي من قرية عقربة.

دار سمرين:

* رجا محمد عبد الله أحمد سمرين فقد تزوج من سيدة كامل عبد المقصود / القاهرة.

* غالب محمد عبد الله أحمد سمرين فزوجه مريم محمد مطر أحمد الخطيب / عسكر.

* فرج الله محمد عبد الله أحمد سمرين تزوج من رابعة محمد مطر أحمد الخطيب / عسكر.

* عيسى ذيب سمرين تزوج من قرية بدو. وشقيقه موسى ذيب مصطفى سمرين فزوجه من بيت دكو.

* نزار رجا محمد عبد الله أحمد سمرين تزوج من آمال / كفر الزيات / مصر.

* زياد رجا محمد عبد الله أحمد سمرين وتزوج من ايمان عثمان محمد عثمان سمور / عسكر.

* ناصر غالب محمد عبد الله أحمد سمرين فقد تزوج من أسمى حمدي محمد مطر الخطيب / عسكر.

* عماد غالب محمد عبد الله أحمد سمرين وزوجه أروى حمدي محمد مطر الخطيب / عسكر.

* رمزي غالب محمد عبد الله سمرين وزوجه كفاح سعيد محمد جمعة رمضان / عسكر.

دار سمور:

* محمد عثمان محمد عثمان حسن سمور وتزوج من رفقة طاهر سليم عياش في شيكاغو / أمريكا.

* أحمد عثمان محمد عثمان حسن سمور وتزوج في أمريكا من حياة ابراهيم خميس ابنة فاطمة محمد عياش.

* محمود عثمان محمد عثمان وتزوج من سميرة عبد الله حسن اخليل / غليظ.

* مصطفى عثمان محمد عثمان وتزوج من بثينة محمود شحادة بكر / درباس.

* خالد عثمان محمد عثمان حسن سمور وتزوج أمريكية.

* سليمان محمد سليمان عثمان تزوج من فاطمة عبد الله حسين أخليل / غليظ.

* عزام محمد سليمان عثمان حسن سمور وتزوج من نهاية الصدر.

* فايز محمود سليمان عثمان حسن سمور وتزوج من معزونة محمود زيدان من سيلة الظهر.

* حسن سليمان عثمان حسن سمور وتزوج من فاطمة عثمان محمد عثمان سمور.

* عوض سليمان عثمان حسن سمور وزوجه ليلى مشهور محمد فرحان / أبو سعد.

دار علان:

* صبري شاکر جمعة علان وزوجته زهرة جميل جمعة علان / حمدان.

* ابراهيم شاکر جمعة علان وزوجته لیلی عبد صالح عبد ربه / مخلوف.

* أحمد جميل جمعة علان وتزوج من نظمية شاکر جمعة علان ثم من قرية أبي غوش.

* شاکر صبري شاکر جمعة علان وتزوج أولا من ابنة محمد شحادة بکر درباس ثم من ابنة موسى يوسف العبد عثمان / مشعل.

دار درويش:

* فؤاد محمد مصطفى حمدان وتزوج من بها ابراهيم مصطفى طه حمدان.

* عبد الغني محمد مصطفى طه حمدان وتزوج من امتياز جبر صالح جبران / مشعل وأما فاطمة ابراهيم عياش.

* أحمد محمد مصطفى طه حمدان وزوجته فاطمة عبد الله زايد (أبو سعد).

* محمود محمد مصطفى طه حمدان وزوجته هيام الخليلي.

* عزت محمد مصطفى طه حمدان وزوجته اسمهان عبد الرحيم خليل من لفتا.

* مصطفى ابراهيم مصطفى حمدان وتزوج من طرفة عثمان محمد عثمان / عسكر.

* عصام ابراهيم مصطفى حمدان وزوجته هيا الخطيب من القدس.

* عصمت ابراهيم مصطفى حمدان وزوجته سمر سعيان من يافا.

دار حسين:

* يحيى محمود علي حسين حمدان وزوجته نعمة محمد علي حمدان.

* سليمان حسين علي حسين وزوجته ميسر محمود علي حسين / حمدان، والثانية نجاح محمد مصطفى طه.

* عدنان حسين علي حسين وزوجته عائشة محمود ابراهيم طليب / مخلوف.

٢ - حمولة مخلوف:

دار عطية:

* عبد الكريم سعيد محمد عطية وتزوج عايدة أحمد صالح.

* جاد سعيد محمد عطية وزوجته هدى أحمد عبد الله محمد علي سلامة عسكر.

* محمد عادل عبد الله عطية وزوجته نهاد محمد صباح.

* محمود عادل عبد الله عطية وزوجته عريفة داود محمد من الرام.

* راتب طاهر عطية وزوجته من قرية بيت دجن.

* اساعيل طاهر عطية وزوجته ابنة الحاج محمد أحمد الحاج.

* نبيل طاهر عبد الله عطية وزوجته صباح أحمد الحاج.

دار عطوة:

* عبد الناصر ابراهيم حمدان عطوة وزوجته نادرة الدرزي.

* عبد القادر ابراهيم حمدان عطوة وزوجته انعام ربي عيسى من الرام.

* عبد الكريم ابراهيم حمدان عطوة مخلوف وزوجته فداء الدرزي.

* حسني محمد عطوة مخلوف وزوجته أم عصام من ألمانيا قبل أن يفترقا.

* محمود محمد عطوة وزوجته نعمة سعيد خضر درباس.

* يحيى محمد عطوة وزوجته مريم سعيد خضر.

دار طليب:

* محمد أحمد محمد ابراهيم طليب وزوجته نوال خضر صالح / مشعل.

* طه أحمد محمد ابراهيم طليب وزوجته سميرة أحمد محمد الصرص / الغليظ.

وكذلك تزوج أخوه عيسى شقيقتها ختام أحمد الصرص.

* مصطفى أحمد محمد ابراهيم طليب وزوجته ازدهار علي الصرص، كما تزوج

شقيقه علي اختها عزيزة علي الصرص.

* موسى أحمد محمد ابراهيم طليب وقد تزوج مريم أمين محمد الصرص.

* خليل محمود ابراهيم طليب وقد تزوج عزيزة حسين علي حمدان، وتزوج شقيقه صالح من زهرة أحمد محمد ابراهيم طليب.

* ابراهيم محمود ابراهيم طليب وزوجته رابعة محمد عايش.

* محمود عيسى محمود ابراهيم طليب وزوجته الهام عدنان علي حسين / حمدان.

* يحيى عيسى محمود ابراهيم طليب وزوجته أمل حنجر من طيرة حيفا، وتزوج شقيقه محمد من أمل خليل من الرملة.

* عصام عيسى محمود ابراهيم طليب وزوجته ميرفت أمين من نابلس، وتزوج شقيقهم الصغير طارق من اسبانية.

دار عبد ربه:

* عوني أحمد صالح عبد ربه وزوجته ربيعة علي صالح عبد ربه / مخلوف.

* مجدي أحمد صالح عبد ربه تزوج من هدى وهي من دورة الخليل.

* ابراهيم علي صالح عبد ربه وتزوج من اسبانية، كما شقيقه محمود علي صالح وزوجته الأولى آمنة عبد صالح عبد ربه والثانية حلوة العبد عثمان.

دار عثمان العبد:

* يحيى يوسف العبد عثمان وتزوج فاطمة محمد ذيب / مخلوف.

* عزيز يحيى يوسف العبد عثمان وتزوج من ماجدة أحمد حسين سلامة / عسكر.

٤ - حمولة درباس:

* رشيد قاسم خضر درباس وتزوج من فاطمة محمد خضر درباس.

* كمال قاسم خضر درباس وتزوج من كاملة محمد خضر درباس ثم من فلبينية.

* محمد قاسم خضر درباس وتزوج من سعاد محمد خضر، ويلاحظ أن الاخوة الخمسة سامي واحمد ورشيد وكمال ومحمد كانوا قد تزوجوا الأخوات الخمس وهن بنات عمهم.

* محمد نمر سعيد خضر وزوجته زينب محمد محمود الصرص، وتزوج شقيقه مصطفى من ابنة السيد محمد علي أبو حنين.

* عبد الله نمر سعيد وزوجته علا محمد تاجي أبو خويص من الطور.

* عمر ابراهيم سعيد خضر وزوجته علا غازي الشرع من اربد، أما شقيقه الأكبر محمد فقد تزوج من سمر عدنان العطوط / نابلس.

* خالد ابراهيم سعيد خضر وزوجته مها محمد النصر الله من السامرية.

دار صباح:

* ناجي علي عيد صباح وزوجته رابعة محمد خضر درباس.

* مصطفى محمد مصطفى صباح وزوجته فيروز من طولكرم.

دار صبيح:

* موسى محمد عوض صبيح تزوج هنية أحمد عوض صبيح.

* علي محمد عوض صبيح درباس وزوجته خديجة أحمد حامد الخطيب / أبو سعد.

* سليمان صبيح مصطفى وزوجته عناية أحمد عوض، أما محمد صبيح فقد تزوج من السيدة مريم محمد صبيح.

دار بكر درباس:

* محمد محمود شحادة بكر وزوجته نعمة علي ابراهيم صبح.

* حسين عمر محمد بكر درباس وزوجته فادية، اسماعيل عمر محمد بكر وزوجته ابنة شحادة محمد صباح درباس.

* يوسف عمر محمد بكر درباس وزوجته من قرية العيزرية / القدس.

* محمد عمر محمد درباس وزوجته ابنة علي عوض درباس.

٥ - حمولة أبو سعد: (وأدورها: دار الخطيب، دار عطا الله، دار فرحان، دار حماد الطويل، ودار حمدان "أفقيس").

فضائل دار الخطيب:

* سعيد الخطيب وزوجته الاولى نعمة أحمد سمرين عمه والد الباحث ومن هنا سبب

مخاطبة غالبية أهل الخطيب لنا نحن دار سمرين على أننا من أخوانهم، ونبادلهم نحن باعتزازنا بهم كأبناء عمّة لنا، أما الزوجة الثانية فهي عزيزة جودة عطا الله أم ذيب.

* منصور سعيد الخطيب وكان قد تزوج هلاله حمود الخطيب ولم يخلف أبناء ذكورا وكانت خلفتهما ابنتين اثنتين الأولى شفيقة منصور وشقيقتها نعيمة منصور.

* ناصر سعيد الخطيب أبو سعد وزوجته الأولى ذيبة عبود وهي أم محمد وأحمد وعبد، وتزوج ثانية من أرملة أخيه زايد سعيد الخطيب وهي فاطمة سعيد أسعد.

* ذيب سعيد الخطيب تزوج من تفاحة حمود الخطيب وهي أم يوسف وأم محمد.

* زايد سعيد الخطيب أبو سعد وتزوج من فاطمة سعيد أسعد وهي أم عبد الله.

* كايد سعيد الخطيب أبو سعد وزوجته عليّة حمد من دير دهبان.

* محمد ناصر سعيد الخطيب وكانت زوجته من دار درباس واسمها معززة خضر.

* أحمد ناصر سعيد الخطيب أبو سعد وتزوج من سعاد الحاج حسن الخطيب.

* عبد ناصر سعيد الخطيب أبو سعد وتزوج من يافا، من عائلة عماشة.

* يوسف ذيب سعيد الخطيب أبو سعد وتزوج من قرية سلوان من عائلة شعبان واسمها أمينة أحمد شعبان.

* أما محمد ذيب الخطيب فلا ذرية له.

* عبد الله زايد سعيد الخطيب، فقد تزوج من عزيزة محمد عثمان حسن سمور عسكر وهي أم لطفي.

* حسن زايد سعيد الخطيب أبو سعد فقد تزوج يامنة محمد علي جودة عطا الله.

* محمد كايد سعيد الخطيب فقد تزوج من فاطمة داود جابر.

* حسن مصطفى الخطيب وتزوج من تيمة عبد الله لقح ثم من صبرة إ خليل.

* يوسف حسن مصطفى الخطيب أبو سعد وتزوج من عائشة مصطفى عبود وهي أم يحيى.

* محمد حسن مصطفى الخطيب لم يخلّف من الذرية أحدا، حيث لم يسبق له أن تزوج أبدا.

* يونس حسن مصطفى الخطيب وكان قد تزوج من رشيدة محمد جودة، ثم تزوج ثانية من السيدة عيدة وهي أم سير.

* محمود حسن مصطفى الخطيب زوج ثريا مفلح سيدة من نساء بيت دكو.

* أحمد حسن مصطفى الخطيب وتزوج من بهية إبراهيم مصطفى طه درويش.

* مصطفى حسن مصطفى الخطيب وزوجته أنيسة أحمد عائشة.

* معي الدين حسن الخطيب وتزوج من أمينة جبران من قرية لفتا.

* أحمد حامد حمود الخطيب وتزوج من فاطمة الحاج حسن الخطيب أولا ثم من سيدة أخرى من بيت ساحور اسمها نعمة.

* أما والده حامد حمود الخطيب فقد تزوج من صبرة عبود الخطيب.

* فارس أحمد حامد حمود الخطيب أبو سعد وتزوج من فاطمة محمد علي جودة.

* فخري أحمد حامد حمود الخطيب أبو سعد وتزوج من وجيهة قاسم خضر "أم مفيد".

* مصطفى عبود حمود الخطيب أبو سعد كان قد تزوج من نصرة سعيد شقيقة ناصر سعيد الخطيب.

* عبد مصطفى عبود حمود الخطيب أبو سعد تزوج من صديقة حامد وهي أم مصطفى.

* محمد مصطفى عبد حمود الخطيب أبو سعد تزوج من فاطمة كايد ثم تزوج من أرملة عمه ذيب، بديعة من القدس.

* مصطفى عبد مصطفى عبود حمود الخطيب أبو سعد وتزوج من خديجة أحمد حامد.

* محمد عبد مصطفى عبود حمود الخطيب وتزوج من نعمة صبح.

* ذيب عبود حمود الخطيب أبو سعد وتزوج من بديعة المقدسية قبل أن تزوجها ابن أخيه بعد وفاته. وكان قد سبق وتزوج من صاحبة سعيد الخطيب أولا.

* عمر ذيب عبود حمود الخطيب أبو سعد وتزوج من السيدة شفيقة صبح.

* فهمي ذيب عبود كان قد هاجر الى أمريكا ليتزوج حيث يكون.

فصائل دار جودة عطا الله:

* جودة عطا الله أبو سعد تزوج شفيقة علي أبو حنين من بيت حنينا. وكان قد استقر به المقام في بلدتنا قالونيا في بيت خاص به ملحق به قسم للبقر والماشية ويمتلك كثير من سكان بلدتنا أرضا لا بأس بها، أما زوجة محمد جودة فكان اسمها عزيزة أبو حنين.

* أحمد جودة عطا الله أبو سعد زوج حصن موسى حمدان وهي أم محمود.

* علي جودة عطا الله أبو سعد تزوج أمونة موسى حمدان وهي أم محمد.

* موسى جودة عطا الله أبو سعد تزوج من شبيخة اعمر.

* أحمد محمد جودة عطا الله أبو سعد تزوج من نعمة ذيب الخطيب ثم تزوج ثانية من قرية لفتا، شفيقة خليل وهي شقيقة زوجة علي عيد صباح درباس واسمها يامنة خليل.

* موسى محمد جودة عطا الله أبو سعد تزوج ابنة محمد سلمان الغليظ واسمها نعمة، وهاجرا معا الى أمريكا.

* محمود أحمد جودة عطا الله أبو سعد وتزوج خضرة أحمد اللوزية من خربة اللوز وهي أم وديع.

* وديع محمود أحمد جودة عطا الله أبو سعد وزوجته بهيرة محمود الحاج الخطيب أبو سعد، أما اخوته محمد وأحمد فقد هاجرا الى أمريكا وتزوج الأول من امرأة انجليزية والآخر من أمريكية.

* خليل علي جودة عطا الله وتزوج من السيدة مريم حماد الطويل.

* محمد علي جودة عطا الله وتزوج من السيدة صبحه كايد.

* علي محمد علي جودة عطا الله وتزوج من عزيزة محمد ناصر الخطيب أبو سعد.

* أحمد محمد علي جودة عطا الله أبو سعد وتزوج من رابعة يوسف ذيب.

* محمود محمد علي جودة وتزوج من سورية "أميمة حسن منصور".

* ابراهيم موسى جودة عطا الله أبو سعد وتزوج أولا من علية عايشة ثم من وضحة الغزاوية.

* صالح موسى جودة وتزوج من عالية عبد الله صالح.

فصائل دار فرحان:

* فرحان أبو سعد وتزوج من اغصينة العلي من المعمرات التي بلغت في عمرها فوق المائة سنة، وهي وشقيقاتها فاطمة العلي وصالحة العلي وعائشة العلي أشهر المعمرات في قالونيا فقد عشن بين المائة والمائة وعشرين سنة. وتزوج حفيده حسن خليل فرحان المعمر الثانية عايشة العلي من دار حمدان.

* سافر خليل فرحان الى أمريكا وبقي هناك، وكان قد تزوج قبل سفره أم نعمان واخرى. وكذلك لحق به شقيقاه ابراهيم وموسى بعد أن تزوجا في قريتهما... ابراهيم لم يتجب له أبناء... رزق خليل فرحان بأربعة أبناء:

١ - نعمان خليل فرحان وتزوج زهرة محمد أسعد من المشاعلة. المعروفة باسم أم محمد.

٢+٣ - محمد (التوم) ومات شقيقه التوأم واسمه يوسف (١١) وعرف محمد ب (محمد التوم خليل فرحان) وزوجته زينب الحاج حسن "أم مشهور".

٤ - حسن خليل فرحان وتزوج من عائشة العلي أحد معمرات قريتنا قالونيا ورزق بالابن أحمد ونسب اليها وعرف بأحمد عايشة، وولد لأحمد عايشة ولد اسمه خليل وهذا بدوره رزقه الله بمحمد الذي أنجب ثلاثة ذكور هم:

١ - أحمد محمد خليل أحمد عايشة حسن خليل فرحان متزوج من حليلة موسى جودة عطا الله أبو سعد وهي "أم خليل" ومحمد وأم داود.

وتزوج خليل أحمد محمد خليل أحمد عايشة حسن خليل فرحان من نعمة أخت جبر وتزوج شقيقه محمد خليل أحمد محمد خليل أحمد عايشة حسن خليل فرحان محبوبة حسن عايشة أخت جبر الثانية، أما الشقيق الثالث وهو داود أحمد محمد خليل فقد تزوج من دير ديوان.

* وتزوج عمهم محمود محمد خليل أحمد عايشة من دار أبي سعد من بنات عمه واسمها عوفة حسن افقيس.

(١) عرف بـ "يوسف القتيل". قتلته قبله الإنجليزية كانت قد اطلقت على مفرزة من الجيش التركي في جبل الصفحة قبل انسحاب الاتراك من تلك المنطقة.

* وتزوج عمهم الثاني حسن محمد خليل أحمد عايشة من معيوفة عياش من دار حمدان، وهي أم جبر. جبر حسن محمد خليل أحمد عايشة فقد تزوج فاطمة ابراهيم عياش.

أما أولاد محمد خليل فرحان الشهير بالتوم فهم على التوالي:

١ - مشهور محمد خليل فرحان تزوج من سعاد محمد خليل رمضان عسكر وأنجبا محمد وفايز وفواز.

٢ - أحمد محمد خليل فرحان وتزوج من نعيمة أحمد عبد الله درباس وأولادهم فرحان وفادي ومحمد وناصر...

٣ - ابراهيم محمد خليل فرحان وتزوج من أمريكا ولهما ولدان محمد وموسى، وأخيرا الشقيق الرابع وهو محمود محمد خليل فرحان وزوجته من المشاعلة ولهما ولدان: محمد ومراد.

* أولاد موسى فرحان: تزوج موسى فرحان قبل هجرته التامة الى أمريكا من زهرة مصطفى طه درويش من دار حمدان وخلفت له خمسة ذكور هم:

أولا: حسين موسى فرحان أبو سعد وتزوج، أولا في البلدة من فاطمة علي أبو حنين، ثم تزوج ثانية من حليلة من دير أيوب وكان لهما خمسة ذكور هم:

١ - موسى حسين موسى فرحان وزوجته ابنة عمه (سنارة محمد فرحان التوم).

٢ - حربي حسين موسى فرحان وتزوج من فايزة أحمد توفيق من مزارع النوباني.

٣ - فاروق حسين موسى فرحان وتزوج من ابنة عمه أمل حسنين فرحان.

٤ - تيسير حسين موسى فرحان وتزوج من عدوية الرمحى من المزرعة.

٥ - أنور حسين موسى فرحان وتزوج من نابلس واسمها منى قرمان.

ثانيا: حسنين موسى فرحان: تزوج قبل سفره الى أمريكا من فاطمة اسماعيل خليل رمضان عسكر، ونعرف من أولاده في أمريكا ولدا اسمه بلال حسنين موسى فرحان، وتزوج ابنة عم له، ميرفت موسى حسين موسى فرحان... أما نضال الابن الثاني له وأخوان آخران فزوجاتهم من أمريكا.

ثالثا: حسن موسى فرحان: وقد تزوج من يسرى محمود علي حمدان من دار خطاب ولهما أربعة أبناء ذكورا وهم على التوالي:

١ - ماهر حسن موسى فرحان وزوجته من بلدة الطور واسمها ليلي أحمد يوسف أبو غنام.

٢ - طاهر حسن موسى فرحان وزوجته ابنة عم له اسمها هيام محمد موسى فرحان.

٣ - علي حسن موسى فرحان وزوجته ربي أحمد موسى مشعل / قالونيا.

٤ - رزق حسن موسى فرحان وزوجته مطيعة الرمحى من المزرعة قريبة زوجة ابن عمه تيسير بن موسى.

رابعا: محمود موسى فرحان وقد تزوج من مريم يوسف حسن الخطيب أبو سعد وأنجبت له ولدا واحدا اسمه ناصر.

خامسا: محمد موسى فرحان رحمه الله رحمة واسعة، وتزوج من دار عسكر السيدة تمام اسماعيل خليل رمضان عسكر "أم عصام" وأولادهم على التوالي:

١ - عصام محمد موسى فرحان وتزوج من قرية لفتا اسمها أمل علي محمد آغا.

٢ - حسام محمد موسى فرحان وتزوج ابنة عمه نبيلة فاروق حسين موسى فرحان.

٣ - والثالث الابن عزام.

فصائل دار حماد الطويل:

* أحمد حماد أبو سعد وزوجته حمدة العبيدية.

* حماد أحمد حماد أبو سعد وزوجته ابنة عمه حسن مصطفى حماد.

* عويدات أحمد حماد وزوجته هي أرملة شقيقه حماد وهي حسن مصطفى حماد.

* عودة أحمد حماد وزوجته خديجة اللفتاوية من قرية لفتا بدلا بأخته حلوة الطويل.

حلوة أحمد حماد الطويل وهي أم عاقلة اللفتاوي صاحب مستشفى عاقلة في عمان.

* حماد حماد أحمد حماد الطويل أبو سعد تزوج ابنة عمه عايشة عودة أحمد حماد الطويل.

* مصطفى حماد حماد أحمد حماد الطويل أبو سعد وزوجته فطوم محمد جودة.

* أحمد مصطفى حماد حماد أحمد حماد أبو سعد وزوجته ناهدة عديلة من قرية سلوان.

* طه مصطفى حماد حماد أحمد حماد الطويل وزوجته عائشة عاصي.

* طاهر مصطفى حماد حماد أحمد حماد أبو سعد وزوجته كريمة جودة.

* أحمد عويدات أحمد حماد الطويل أبو سعد وزوجته نوفة حسن حمدان افقيس.

* ذياب عويدات أحمد حماد الطويل وزوجته نفيسة حمدان.

* جميل أحمد عويدات أحمد حماد الطويل أبو سعد وزوجته خديجة محمود جمعة رمضان عسكر، ونعيمة عبد ربه.

* محمد أحمد عويدات أحمد حماد الطويل وزوجته عيشة أحمد مصطفى.

* محمود أحمد عويدات أحمد حماد الطويل وزوجته نعمة عبد ربه.

* حسن أحمد عويدات أحمد حماد وزوجته من المجدل "شمة المجدلاوي".

* ابراهيم أحمد عويدات أحمد حماد وزوجته حبيبة جودة.

فصائل دار حمدان "الفقيسات":

* علي الصالح حمدان (الفقيس) وزوجته عائشة غنيم من مشعل.

* حسين علي الصالح وزوجته الاولى فاطمة الرويلي من منطقة اربد وهي أم عبد الكريم وزوجته الثانية حمدة الزايد من منطقة عمان وهي أم عبد السلام. وزوجته الثالثة من عمان واسمها حمدة قاسم الحمود.

* حسن علي الصالح وزوجته من عين كارم السيدة دنيا.

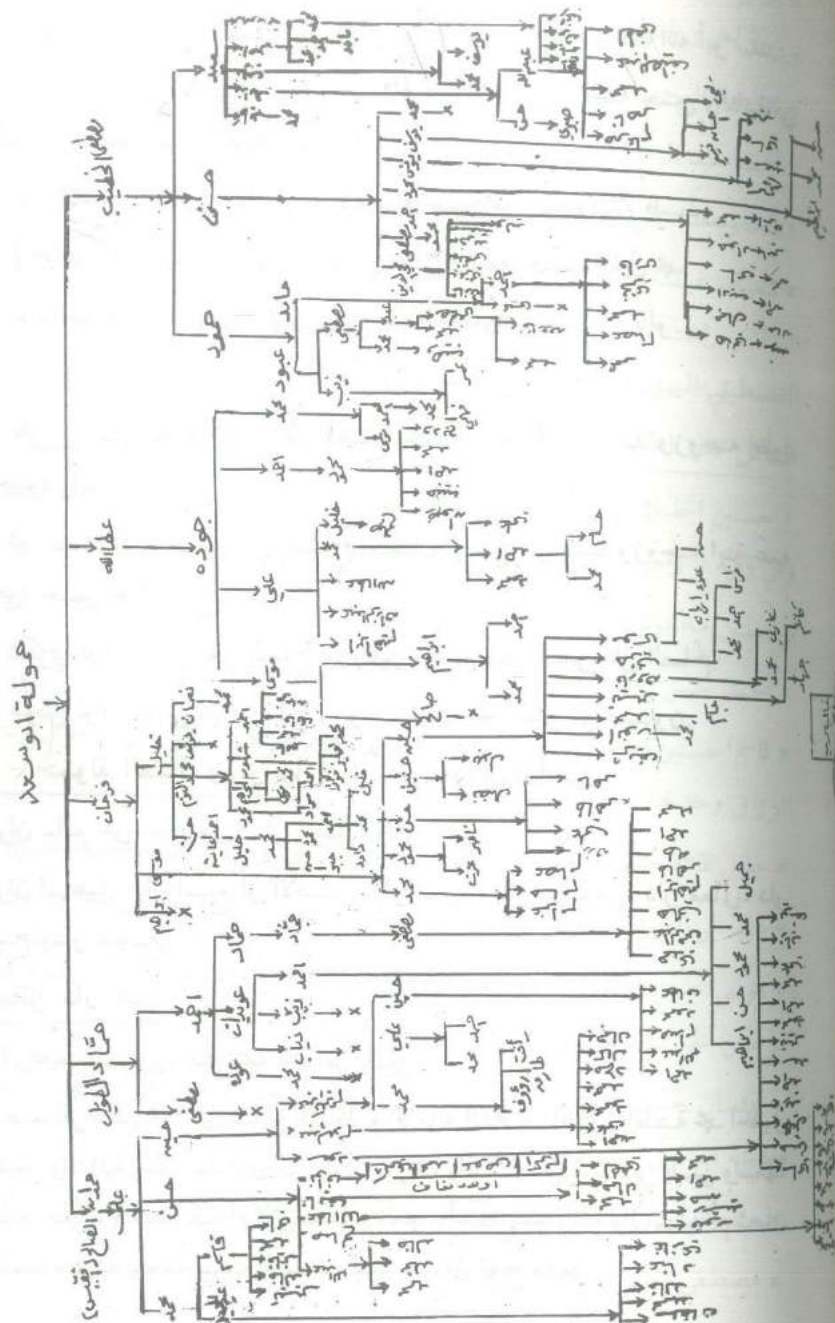
* محمد علي الصالح وتزوج من قرية صوبيا واسمها ثريا عثمان.

* عبد الكريم حسين علي الصالح وتزوج خلفه حسن علي الصالح ابنة عمه.

* عبد السلام حسين علي الصالح وزوجته فاطمة عويدات أحمد حماد.

* سعود حسن علي الصالح وزوجته الاولى اسمها طرفة من الاردن والثانية منتهى من العياصرة / ساكب.

* نواف حسن علي الصالح وزوجته قبله حسين.



* نايف حسن علي الصالح وزوجته سميحة محمد حسن من صيدون.

* عطا الله حسن علي الصالح حمدان وزوجته نعمة محمد جودة عطا الله أبو سعد.

* صالح حسن علي الصالح حمدان أبو سعد وزوجته الاولى عايشة حسين والثانية من المقابلين واسمها السيدة نصره.

* عبد الله حسن علي الصالح وزوجته مريم حسين من صيدون / فلسطين.

* قاسم محمد علي الصالح وتزوج من وادي حنين واسمها حليلة خليل محمد.

* عبد المجيد محمد علي الصالح وزوجته عيدة محمود المحسن من يالو.

* حسين عبد الكريم حسين علي الصالح وزوجته يسرى عبد الله.

* علي عبد الكريم حسين علي الصالح حمدان الصالح أبو سعد وزوجته خلود محمود زايد.

* محمد عبد الكريم حسين علي الصالح حمدان الصالح أبو سعد وزوجته ابنة عمه سعود حسين علي الصالح.

* شكري نواف حسن علي الصالح وزوجته جميلة نايف حسن علي الصالح.

* عوض نواف حسن علي الصالح وزوجته جلييلة محمد حسن من صيدون.

ه - حمولة الغليظ وديرانها: ديران علي، وديران اسماعيل.

ديران سالم علي: دار علي، دار إخليل، ودار خليل.

ديران اسماعيل: دار اسبيغ أو الأصفر، دار اسعيد، دار الصرص، دار معالي، دار صبح ودار مصلح.

فصائل دار علي:

* ابراهيم سليم وزوجته تيمة من دير ياسين.

* عبد الرحمن محمد علي سالم الغليظ وزوجاته الثلاثة: الأولى فاطمة محمد إخليل الغليظ والثانية سلمى سليمان من بيت سوريك والثالثة من قرية دير ياسين واسمها فاطمة خليل، والسوريكية أم الأربعة موسى ومحمد وأحمد ومحمود، والياسينية أم شعبان وراغب وعائشة زوجة عزت أحمد محمود حمدان لقح مشعل.

* موسى عبد الرحمن محمد علي سالم الغليظ وتزوج من سلوان واسمها نجة ثم ثنى

بزوجة اخرى اسمها عديلة جبريل من منطقة غزة.

* محمد عبد الرحمن محمد علي سالم الغليظ وزوجته تفاحة من دير ياسين.

* أحمد عبد الرحمن محمد علي سالم الغليظ وزوجته زهية محمد صبح أم هشام.

* محمود عبد الرحمن محمد علي سالم وزوجته ابنة عمه فاطمة محمود إخليل.

* شعبان عبد الرحمن محمد علي سالم وزوجته بدرية من قرية سلوان، أما الشقيق

السادس راغب فقد اختفى في احدى القوافل المتجهة الى الخليل أبان الصراع

الفلسطيني اليهودي سنة ١٩٤٨م.

فصائل دار إخليل:

* حسنين إخليل تزوج من عزيزة عثمان صلاح ولم يخلف ذكورا وخلف ابنة واحدة

وهي رقية تزوجها محمود حسن إخليل وهي أم حسين.

* حسين محمود حسن إخليل وزوجته كوثر أحمد حسن إخليل.

* أحمد حسن إخليل الغليظ وتزوج ذبية اسليم (أم محمد).

* قاسم حسنين إخليل وزوجته رابعة عبد الرحمن محمد علي سالم وهي أم خليل وعبد

الرزاق وخديجة.

* خليل قاسم حسن إخليل سالم علي سالم الغليظ وزوجته زينب محمود إخليل.

* عبد الرزاق حسن إخليل سالم علي سالم وزوجته ميسر أحمد إخليل.

* موسى حسن إخليل سالم الغليظ تزوج أرملة أخيه قاسم وهي السيدة رابعة عبد

الرحمن علي سالم الغليظ.

* عثمان حسن إخليل سالم الغليظ تزوج حلوة مصلح ثم تزوج ثانية من السيدة

خديجة اسماعيل سالم وهي أم صالح.

* عبد الله حسن إخليل تزوج زهوة صالح عيسى حمدان.

* مصطفى إخليل سالم الغليظ وتزوج عزيزة الصرص وهي أم عمر.

* عمر مصطفى اخليل وتزوج يسرى أحمد اخليل.

* عبد مصطفى اخليل سالم الغليظ وزوجته فاطمة جميل جمعة علان.

* محمد مصطفى اخليل سالم وتزوج عزيزة محمد سلمان.

فصائل دار خليل:

* سلمان خليل سالم الغليظ وزوجته غالية العلي من دار حمدان.

* أحمد سلمان خليل سالم الغليظ وتزوج حشمن من قرية القباب.

* رشيد أحمد سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ وتزوج كوالده من القباب أيضا واسمها جلييلة أنيش الشيخ والزوجة الثانية من حمولة مشعل واسمها عزيزة.

* محمد أحمد سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ وتزوج عزيزة محمود سلمان خليل سالم علي سالم.

* علي أحمد سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ وتزوج مريم ابراهيم اسليم محمد علي سالم علي سالم الغليظ.

* سعيد سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ وتزوج عزيزة لقح وهي أم هاشم ثم تزوج من قرية أبي ديس واسمها خديجة.

* هاشم سعيد سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ وتزوج من صاحبة الشيخ اسماعيل سالم.

* محمد سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ تزوج من ذيبة علي أبو حنين من قرية بيت حنينا.

* محمود سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ تزوج من خربة الجردة واسمها صاحبة وهي أم عطا.

* سليم سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ تزوج من ذيبة فلاح من قرية القسطل وهي أم عارف.

* عارف سليم سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ وزوجته مريم من بيت لحم.

* سلامة عاصي خليل سالم علي سالم تزوج من فاطمة بكر وهي أم محمد سليمان.

* سليمان سلامة عاصي خليل تزوج نبيهة محمد خضر وهي أم سلامة.

* خليل سلامة عاصي خليل سالم علي سالم الغليظ تزوج فاطمة حماد ولم تخلف ذكورا.

* سلامة سليمان سلامة عاصي خليل سالم علي سالم تزوج عزيزة خضر صالح.

* محمد سليمان سلامة عاصي خليل تزوج سلمى محمد عبد الرحمن.

* موسى سليمان سلامة عاصي خليل تزوج من فاطمة يوسف صالح.

* ابراهيم موسى سليمان وزوجته حنان أحمد أسعد من طولكرم.

* عبد الله سليمان سلامة عاصي خليل سالم علي سالم تزوج فاطمة رشيد أحمد سلمان خليل سالم علي سالم.

* محمد سلامة سليمان سلامة خليل تزوج منى عارف سليم.

* فؤاد سلامة سليمان خليل وزوجته دولت عبد الله سليمان.

* نهاد سلامة سليمان سلامة خليل وزوجته خديجة خليل سلامة.

* وليد سلامة سليمان وزوجته ناديا من صرفند العمار.

* جمال سلامة سليمان سلامة خليل وزوجته خولة رشيد سلمان.

* عمر سلامة سليمان خليل وزوجته تغريد من صرفند العمار.

* السعيد خليل سلامة عاصي وزوجته سندس عبد الله.

* سلامة خليل سلامة عاصي وزوجته بنت جبران.

* عوض خليل سلامة وزوجته ميسر موسى داود.

* علي خليل سلامة خليل سالم علي سالم الغليظ تزوج من عزيزة لقح وهي أم محمد قبل زواجها من سعيد سلمان والذي أنجبت منه هاشم.

* محمد علي خليل سلامة سالم علي سالم الغليظ وزوجته جميلة من سلوان.

* علي محمد علي خليل سلامة سالم علي سالم الغليظ وزوجته زهرة أحمد محمد ابراهيم طليب مخلوف.

فصائل دار أسبيغ الأصفر:

- * عوض مصطفى عبد الله أسبيغ الأصفر اسماعيل سالم الغليظ وتزوج معاش.
- * سعيد مصطفى عبد الله أسبيغ (الأصفر) اسماعيل سالم الغليظ متزوج من الفقيسات وضحة وهي أم محمود، ثم تزوج ثانية اسمها الحميدة.
- * محمود سعيد مصطفى عبد الله الأصفر وزوجته فاطمة عوض الأصفر.
- * أحمد سعيد مصطفى عبد الله الأصفر وزوجته حميدة الأصفر.
- * فارس عبد الله أسبيغ (الأصفر) اسماعيل سالم الغليظ وتزوج من فاطمة حسن حسين لقح ثم تزوج ثانية من درعا أنجبت له نايف، ثم هاجر بكل أفراد فصيلته الى درعا / سوريا وهناك استقر به المقام مع أولاده أحمد ونايف واسماعيل ولا تزال ذريته هناك. وقد حدثني محمد اسماعيل سالم أحمد محمد معالي اسماعيل سالم الغليظ - رحمه الله - أن جدهم لفصيلة فارس كان قد ارتحل الى حوران (درعا الآن) منذ حوالي مائة سنة في أواخر القرن الثامن عشر بسبب القحط والجفاف وعاد عبد الله الأصفر وولده فارس ومصطفى وبعض أقربائهم الى قالونيا في بداية ثلاثينات القرن العشرين وظلوا في قالونيا بلدة أجدادهم الى سنة ١٩٤٨م.

وعند وقوع النكبة عام ١٩٤٨ عاد الحاج فارس وأولاده وأقرباؤه الذين كانوا قد استقروا في قالونيا الى درعا حيث كانت أملاكهم وأقاربهم هناك، وكان الحاج فارس تاجرا مشهورا في درعا وكذلك أولاده من بعده حتى الآن ومنهم العميد الجوي الطيار نايف فارس، وأخوه اسماعيل فارس الأصفر وهو من أكبر تجار محافظة درعا. ويزيد عدد أولاد الأصفر فوق المائة رجل ولهم مكانة طيبة، ويعملون في الزراعة والتجارة، ومنهم موظفون في الحكومة وأطباء ومهندسون وصيادلة.

فصائل دار اسعيد اسماعيل سالم:

- * اسعيد تزوج جليلة سالم شقيقة الشيخ اسماعيل سالم.
- * رمضان طه اسعيد اسماعيل سالم الغليظ وتزوج مريم موسى عبد ربه من دار مخلوف.

- * طه محمد طه اسعيد اسماعيل سالم الغليظ وكان قد تزوج نعمة رمضان (أم محمد).
- * عيسى محمد طه اسعيد اسماعيل سالم الغليظ وتزوج فاطمة عبد الله الأصفر شقيقة فارس الأصفر.
- * محمود محمد طه اسعيد اسماعيل سالم الغليظ وتزوج من حفيظة أحمد سلمان خليل سالم علي سالم الغليظ.
- * محمد طه محمد طه اسعيد اسماعيل سالم الغليظ وتزوج من هنية عيسى محمد طه اسعيد اسماعيل سالم الغليظ.
- * أحمد طه محمد طه اسعيد اسماعيل سالم الغليظ وزوجته الأولى صدقية أحمد حامد الخطيب أبو سعد، والثانية ابنة محمود محمد طه اسعيد.

فصائل دار الصرص:

- * أحمد محمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وكان قد تزوج من مريم أبو هلال من قرية أبي ديس، وهي أم محمد، ثم تزوج فاطمة أبو زياد من قرية العيزرية وخلفت مصطفى.
- * محمد أحمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وتزوج من صفية حسن حسين لقح وهي أم أحمد وشقيقة فاطمة حسن حسين لقح زوجة فارس أسبيغ الأصفر.
- * محمود أحمد محمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وتزوج فاطمة العبد عثمان وهي أم محمد.
- * ابراهيم أحمد محمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وتزوج من نعمة حسن حسين وهي أم محمد شقيقة فاطمة العبد عثمان من جهة الأم.
- * محمد محمود أحمد محمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وتزوج من فاطمة حمدان عطوة.
- * أحمد محمد أحمد محمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وتزوج من زريفة علي حسن سليمان أحمد مشعل.
- * موسى محمد أحمد محمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وزوجته أولا زهرة ابراهيم أحمد محمد الصرص، ومن بعدها رحمها الله تزوج من شقيقتها رابعة ابراهيم أحمد محمد

الصرص.

* أمين محمد أحمد محمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وتزوج من قرية العيزرية السيدة رابعة خلف وهي أم عماد.

* عطا محمد أحمد محمد الصرص اسماعيل سالم الغليظ وتزوج على التوالي: خديجة صالح إعرم مرفشعل وهي أم مروان، وعائدة رمضان من صور باهر، وعائدة حسني الفراوي من اللد.

فصائل دار معالي:

* الشيخ اسماعيل سالم أحمد محمد معالي اسماعيل سالم الغليظ وزوجته السيدة مريم من لفنا وهي أم محمد.

* محمد اسماعيل سالم أحمد محمد معالي اسماعيل سالم الغليظ وزوجته سمية أحمد اخليل وهي أم اسماعيل واخوته ابراهيم وأمين ومأمون وخالد وعمار.

فصائل دار صبح:

* ابراهيم العبد صبح اسماعيل سالم الغليظ وزوجته نعمة مصلح اسماعيل سالم الغليظ وهي أم ياسين.

* ياسين ابراهيم العبد صبح اسماعيل سالم الغليظ وزوجته زينة محمد أحمد العبد صبح اسماعيل سالم وتدعى أم العبد.

* محمد العبد صبح اسماعيل سالم الغليظ وزوجته عائشة بركات من مخلوف وهي أم رشيد رحمه الله.

* علي ابراهيم العبد صبح اسماعيل سالم الغليظ وزوجته الاولى عزيزة جميل جمعة علان من دار حمدان، وزوجته الثانية من قرية سلوان اسمها مريم عيسى الغول.

* محمد ابراهيم العبد صبح وزوجته زينب اسماعيل سالم.

* محمود ابراهيم العبد صبح وزوجته عائشة رشيد محمد صبح.

* أحمد ابراهيم العبد صبح وزوجته هيام من بيت عنان.

أولاد ياسين ابراهيم صبح:

* عبد ياسين ابراهيم صبح متزوج باثنتين: من قالونيا ومن بيت صفافا ولم يرزق بأولاد منهما.

* حسن ياسين ابراهيم صبح وزوجته عطا محمد عبد عبود، وسبق وتزوج قبلها من نجاح سليمان زريقة.

* حسين ياسين ابراهيم صبح وزوجته انعام ابو سنية من الخليل.

* خليل ياسين ابراهيم صبح وتزوج مثل أخيه من الخليل.

* مصطفى ياسين ابراهيم صبح وتزوج من ختام خليل عاصي.

* طه ياسين ابراهيم صبح وزوجته نهاد محمود صبح.

أولاد علي ابراهيم صبح:

* عدنان علي ابراهيم صبح وتزوج من رام واسمها فينان حشة.

* خضر علي ابراهيم صبح وزوجته نبيلة محمد صبح.

* موسى علي ابراهيم صبح وتزوج عائدة أبو رميلة من الخليل.

* جمال علي ابراهيم صبح وتزوج ناهدة علي أحمد سلمان وزوجته الثانية مريم عيسى الغول من سلوان.

* مروان علي ابراهيم صبح وزوجته منى علي أحمد سلمان.

* محمد علي ابراهيم صبح وزوجته ناريمان أحمد ابراهيم صبح.

* مجدي علي ابراهيم صبح وتزوج من نابلس.

أولاد محمد ابراهيم صبح:

* نبيل محمد ابراهيم صبح وزوجته نهاد محمد اسماعيل سالم.

* ناصر محمد ابراهيم صبح وزوجته أمريكية.

أولاد محمود ابراهيم صبح:

* عماد محمود ابراهيم صبح وتزوج من سلام عمر ذيب عبود أبو سعد.

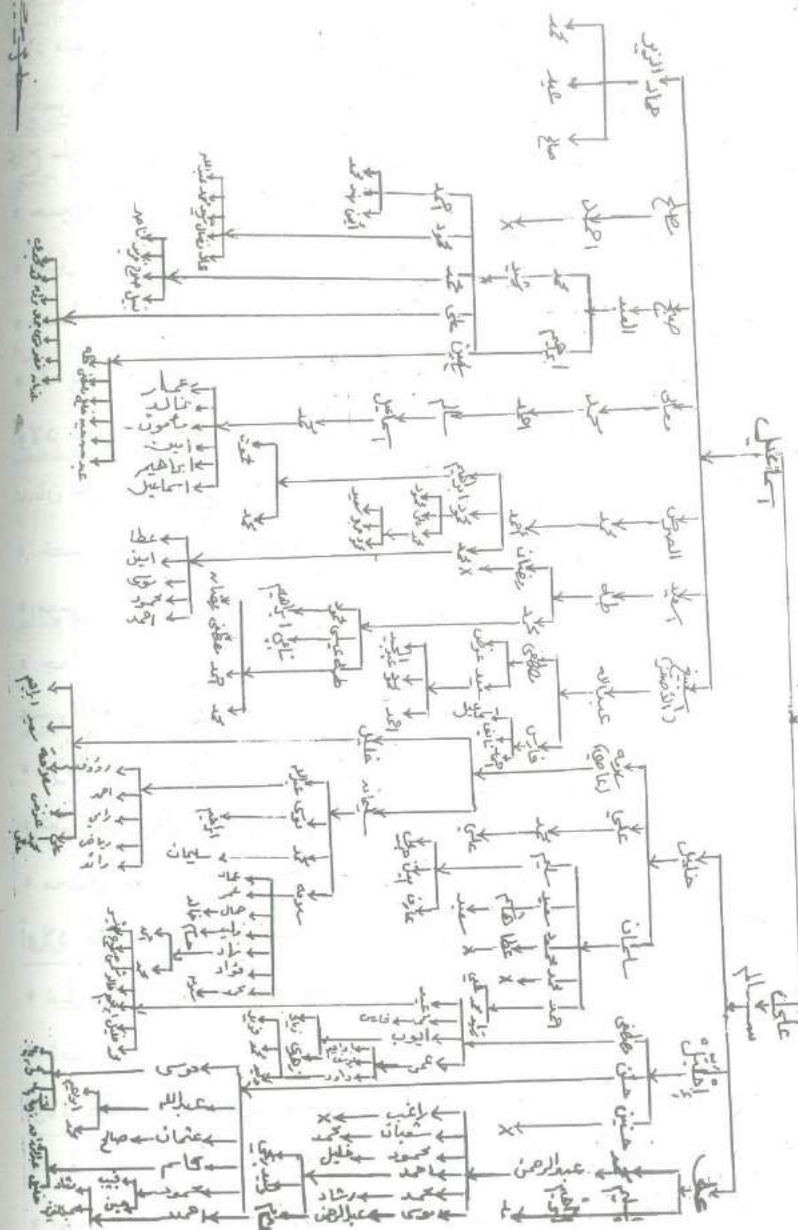
* أما أمين أحمد ابراهيم صبح فقد تزوج من قرية فرعون من فتاة تدعى عفاف.

عائلة مشعل

وتنقسم مشعل الى أربعة بطون على التوالي: عليان، ابو الغنائم، حمد، ووطن
حمدان

أولاً: بطن عليان: ويضم فصول: عليان الثاني، علي، خليل، محمود، محمد وصالح
على التفصيل التالي:

- خضر صالح وقد تزوج فاطمة محمية وهي أم صالح وكانت من قرية لفتا.
- عليان خضر صالح مشعل وتزوج ، أولا من عزيزة موسى عبد ربه ولم ينجبا.
وتزوج ثانية من لبيبة أم جميل من قرية دير ياسين.
- خليل خضر صالح مشعل وكانت زوجته عذاب غنيم شقيقة حسين غنيم الشهير
بأبي سالم.
- محمود خضر صالح مشعل وتزوج من ثريا مطر من قرية القسطل وهي أم
ابراهيم وعرف بها "ابراهيم ثريا".
- محمد خضر صالح مشعل وتزوج من منسية عليان ثم تزوج ثانية من فاطمة اللقناوية
"أم سليم".
- صالح خضر مشعل وتزوج من فاطمة عودة أشهر وأحب قابلة في قريتنا قالونيا.
أما أبناؤهم على التوالي:
- جميل عليان خضر صالح مشعل تزوج أولا من مدينة يافا من السيدة فتحية وهي
أم خميس ثم من وهية ابراهيم موسى جودة.
- أحمد علي خضر صالح الشهير بشقير لشدة شقار وحمرة وجهه، ولم يتزوج.
- محمد علي خضر صالح وتزوج من فاطمة خليل خضر وتوفي وهي حامل فسمت
المولود الذكر باسمه مركبا "تيم محمد".
- عارف خليل خضر صالح وتزوج من الكميم في حوران ودامت معه مدة سنتين
وانفصلا.
- محمد خليل خضر صالح مشعل وتزوج من امثلة محمد سمرين عسكر وهي "أم
العبد".



- ابراهيم محمود خضر صالح مشعل وتزوج شكرية ياسين مطر من القسطل.

- سليم محمد خضر صالح مشعل وتزوج من فاطمة اسماعيل من قرية الجيب.

- موسى محمد خضر صالح مشعل وتزوج من رقية حسن سليمان وهي أم شحدة.

- خضر صالح خضر صالح مشعل وتزوج من فاطمة محمد خضر وهي أم صالح وأما أحفادهم فهم:

- عبد اللطيف محمد خليل خضر صالح مشعل، تزوج من فتحية محمد من صرفند العمار والمعروفة باسم أم نزار ثم تزوج بعدها من هاجر شعبان سلامة "أم نضال".

- رشيد محمد خليل خضر صالح مشعل وتزوج من عائدة شعبان سلامة حسين عسكر "أم محمد".

- محمود محمد خليل خضر صالح مشعل وتزوج من بلدة سنجل من سامية عبد الفتاح "أم أيمن".

- أكرم محمد خليل خضر صالح مشعل وتزوج من حياة طالب صالح خضر وهي "أم رائد".

- محمود ابراهيم محمود خضر صالح مشعل وتزوج من زينب خضر صالح.

- موسى ابراهيم محمود خضر صالح مشعل وتزوج من سميرة موسى حسن مشعل.

- محمد سليم محمد خضر صالح وتزوج من رسمية من خربة اللوز.

- شحدة موسى محمد خضر صالح مشعل وتزوج من زريفة صالح عبد الله جبران، أما شقيقه محمد فتزوج من غالية صالح عبد الله جبران أيضا، وتزوج الشقيق الثالث سامي من نهيل محمد داود.

- أما أولاد شحدة: سمير وناجح فتزوجا من ابنتي عمهما محمد موسى خضر، موسى وزوجته ايمان عثمان طالب.

- طالب صالح خضر صالح مشعل وتزوج من "صديقه" أحمد مصطفى "أم عثمان"، الذي تزوج من حسنية محمود ابراهيم.

- محمد طالب وتزوج هدى محمد جميل امطير من القسطل وتزوج ماجد طالب من

سلوان. وجمال تزوج ابنة محمد عايش في أمريكا.

- يوسف صالح خضر صالح مشعل وتزوج من هنية عليان "أم حسن" الذي تزوج من حبيبة سليمان عاصي، وتزوج حسين ومحمد شقيقاه من ابنتي عمهما علي صالح خضر.

- خضر صالح خضر صالح مشعل وتزوج من فاطمة محمد خضر "أم صالح".

- علي صالح خضر صالح مشعل وتزوج من زهية عليان واستقرا في مدينة غزة وتزوج ابنه يونس من نعمة يوسف.

- صالح خضر صالح فزوجته فاطمة محمود خضر، طالب عثمان طالب وزوجته نادية محمود ذيب أما محمد فتزوج من ابنة موسى ابراهيم خضر، خضر طالب عثمان فزوجته هيام فتحي غنام.

- أبناء محمد علي خضر صالح: تيم محمد محمد علي خضر وزوجته دلّة محمد سمير عسكر "أم فريد" الذي تزوج أسمهان محمد خليل خضر، زكي تيم محمد وزوجته سعاد شاكر علان، أما أسامة فزوجته سهام داود رمضان علان.

ثانيا: بطن أبو الغنائم: ويضم فصائل غنيم وغنام:

أ - حسين غنيم تزوج من سوريا سبع نسوة وله من احداهن ولدا اسمه محمد، من كبار تجار دمشق على حد قول أهله لي. أما النسوة الفلسطينيات فلم يذكرن سوى واحدة وهي "أم سالم" من قرية جمزو واسمها عيدة مصلح شقيقة محمد مصلح زوج فاطمة خليل خضر صالح مشعل.

- سالم حسين غنيم تزوج أولا من زكية يوسف غنام ثم من سهيلة موسى أسعد غنام.

- غازي حسين غنيم وتزوج مجموعة من النسوة الغربيات ولم ينجن ذكورا.

- عزمي حسين غنيم وتزوج من رضا سليمان زريفة مشعل.

- محمود حسين غنيم مشعل وتزوج من حبيبة محمد كاید.

- سعيد حسين غنيم مشعل وتزوج من زهية محمد خليل خضر صالح مشعل أم محمد.

- محمد سعيد حسين غنيم وتزوج من قرية الطيرة، طيرة حيفا من سميرة أحمد النمر.

- خليل سعيد حسين غنيم وزوجته ليلي عثمان طالب مشعل.

- هاني عزمي حسين غنيم مشعل وتزوج من اخلاص العكرماوية.

- حسن عزمي حسين غنيم مشعل وزوجته ريم شفيق أحمد مصطفى مشعل.

ب - مصطفى غنيم: تزوج ولده محمد مصطفى غنيم من فاطمة حسين غنيم وأولاده يحيى محمد مصطفى غنيم وزوجته أمينة محمد علي أسعد غنام.

- خليل محمد مصطفى غنيم وتزوج من بيت ساحور من ليلي عيد.

- جمال محمد مصطفى غنيم وزوجته أسمى محمد علي أسعد غنام.

- عماد محمد مصطفى غنيم وتزوج من قرية كفر أسد واسمها "أمينة".

- محمد أسعد غنام وكان قد تزوج من نعمة مصطفى شقيقة أحمد مصطفى حسن سليمان مشعل.

- محمود أسعد غنام وتزوج من جزيرة قبرص.

- موسى محمد أسعد غنام وزوجته يامنة نجم من قرية القباب.

- سعيد أسعد غنام وتزوج من السيدة لطيفة العبد عثمان وهي "أم عودة".

- أحمد أسعد غنام وزوجته حليلة الفار من عين كارم. بعد أن سبق وتزوج السيدة زبيدة وهي أم علي.

- علي أحمد أسعد غنام وتزوج من ابنة عمه عفيفة سعيد أسعد.

- عودة سعيد أسعد غنام وزوجته محبوبة عبد صالح عبد ربه.

- محمد علي أحمد غنام وزوجته سميرة طالب، فتحي علي أحمد غنام وزوجته خميسة طالب، نظمي علي أحمد غنام وزوجته من خارج بلدتنا.

- داود سعيد أسعد غنام وزوجته زكية عبد صالح مشعل.

- محمد سعيد أسعد غنام وزوجته عائشة محمود عبود (أبو سعد).

ثالثاً: بطن حمد وفصائله على الوجه التالي: ويضم فصائل حسن سليمان ومحمد سليمان ومصطفى سليمان.

- حسن سليمان حمد مشعل وكانت زوجته السيدة صاحبة جبران "أم علي" وهي من حمولة المشاعلة أيضاً.

- مصطفى سليمان حمد وتزوج من معزونة جبران وهي "أم أحمد".

- علي حسن سليمان حمد وتزوج أولاً من صفية صافي عسكر وهي "أم صبحي" والزوجة الثانية شكرية ياسين مطر من قرية القسطل بعد وفاة زوجها ابراهيم محمود خضر صالح مشعل.

- موسى حسن سليمان حمد وتزوج من ذبية جمعة علان من دار حمدان وهي أم فهمي.

- محمد سليمان حمد وتزوج من سيدة غريبة اسمها زريفة "أم سليمان" من القباب.

- سليمان محمد سليمان حمد وتزوج من امرأة غريبة اسمها يامنة أبو صلب وهي أم محمد.

- أحمد مصطفى سليمان حمد وتزوج أولاً من هنية حسن سلمان حمد وهي أم صديقه زوجة طالب، ثم تزوج أحمد مصطفى من زوجة سورية اسمها فوزية "أم شفيق".

- شفيق أحمد مصطفى وتزوج أولاً من فاطمة جميل جمعة علان وهي أم فوزي، ثم تزوج بعدها من قرية قطننة وثالثة من بيت لحم واسميهما جميلة وفاطمة على التوالي.

- محمد أحمد مصطفى وزوجته السيدة سارة ابنة أبي اليمن من مدينة القدس.

- محمود أحمد مصطفى تزوج من سيدة لبنانية اسمها حياة ثم تزوج انتصار عبد أحمد أسعد.

- نعيم أحمد مصطفى وزوجته من مدينة بيت لحم.

- رشيد أحمد مصطفى وزوجته سمية موسى خضر.

- صبحي علي حسن سليمان حمد وزوجته الاولى فهمية موسى حسن ثم تزوج منها السيدة نوال من الشيخ مؤنس، "نوال خليل أبو النصير" من قضاء حيفا.

- فهمي موسى حسن سليمان حمد وزوجته ربيعة علي حسن.

- أحمد موسى حسن سليمان حمد وزوجته فاطمة محمود علي من دار حمدان.

- محمد موسى حسن سليمان حمد وزوجته أولا مليحة علي حسن، وثانيا نجوى محمد كاید.

- محمد سليمان زريفة وتزوج من رقية الشيخ اسماعيل سالم الغليظ.

- أمين سليمان زريفة وتزوج من سيدة غريبة من القدس.

- جمال سليمان زريفة وتزوج من دير ياسين.

- مصطفى سليمان زريفة وزوجته من طولكرم.

- حسن سليمان زريفة وزوجته من عين كارم.

رابعاً: بطن حمدان لقح: ويضم عوائل حسين، العبد، جابر، جبران وإعمر.

- وأبدأ بالعبد حمدان لقح وتزوج صبيحة حسين من عين يبرود وخلف يوسف ومحمد.

- يوسف العبد حمدان لقح وتزوج من فاطمة صالح وهي "أم فهد".

- محمد العبد حمدان وزوجته معزونة العبد عثمان "أم عبد القادر".

- عبد القادر محمد العبد حمدان وزوجته حلوة العبد حمدان.

- فهد يوسف العبد وزوجته حليلة صالح اعمر.

- موسى يوسف العبد حمدان وزوجته رابعة جميل جمعة علان.

- ابراهيم يوسف العبد حمدان وزوجته عزيمة محمد من قرية عمواس.

- حسن يوسف العبد حمدان وزوجته نعمتي ابراهيم من عين كارم.

- محمد يوسف العبد حمدان وزوجته ربيعة يوسف من قرية سريس.

- محمود حسين حمدان لقح وزوجته حلوة عبد ربه وهي أم علي وأحمد.

- أحمد محمود حسين حمدان لقح وزوجته السيدة مريم من دير ياسين وهي أم عزت.

- عزت أحمد محمود حمدان وزوجته عائشة عبد الرحمن.

- محمود أحمد محمود حمدان وزوجته فاطمة شعبان عبد الرحمن الغليظ.

- علي محمود حمدان لقح وتزوج من فاطمة موسى عبد ربه "أم ابراهيم".

- ابراهيم علي محمود حمدان لقح وزوجته حليلة أحمد محمود حمدان لقح.

سادساً: فرع جبران:

- صالح عبد الله جبران وتزوج فاطمة فرحان أبو سعد.

- عبد الله صالح عبد الله جبران وزوجته عزيزة حسن سليمان مشعل.

- صالح عبد الله صالح عبد الله وتزوج أولا من مريم داود جابر ثم من مريم اسماعيل الزغاري من قطنة.

- عبد صالح عبد الله صالح وتزوج جلييلة موسى جودة أبو سعد.

- خليل صالح عبد الله صالح جبران وزوجته سحر محمد من يافا.

- مازن صالح عبد الله صالح وزوجته هناء محمود من عقربة.

- محمود صالح عبد الله صالح وزوجته سعدية فرحات من العراق.

- زهير صالح عبد الله صالح وزوجته رويدة من منسية الحارث.

- أحمد صالح عبد الله صالح وزوجته سهام أحمد محمود من برقة.

- حازم صالح عبد الله صالح وزوجته روان أحمد موسى مشعل.

أما أولاد عبد صالح:

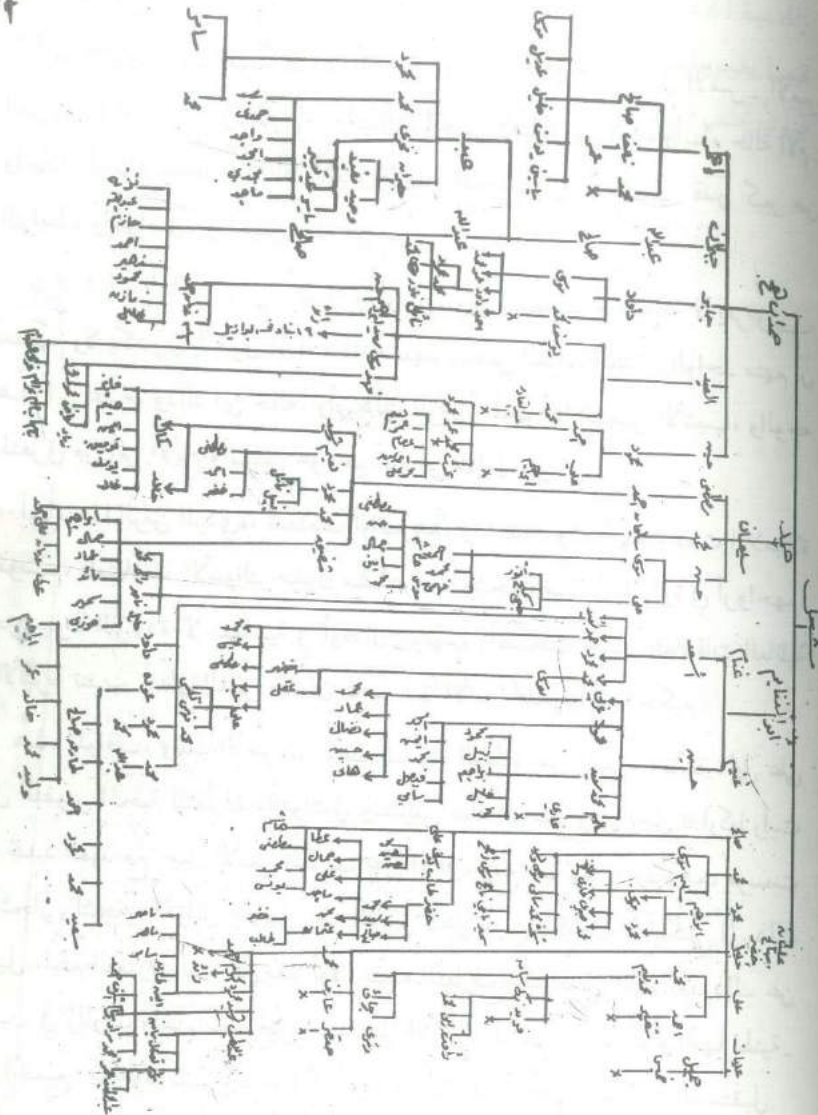
- جبران عبد صالح وزوجته من عين كارم، فخري عبد صالح وزوجته زريفة محمد فرحان (التوم) أبو سعد.
- محمد عبد صالح وزوجته نهي عطا مصطفى رمضان عسكر، محمود عبد صالح وزوجته هدى حسين موسى فرحان أبو سعد.

سابعاً: فرع جابر:

- جابر وتزوج من جميلة بكر درباس.
- داود جابر وزوجته تمام مصطفى سليمان من مشعل وتمام بكر من درباس.
- محمد داود جابر وزوجته زينب سليم خضر من مشعل.
- موسى داود جابر وزوجته امدللة سعيد أسعد غنام مشعل والزوجة الثانية زريفة سعيد خضر درباس.
- أحمد موسى داود جابر وزوجته مريم محمود شحادة بكر درباس.
- داود موسى داود جابر وزوجته كفاح من قرية عنتبا.
- نادر أحمد موسى داود جابر وزوجته حليلة أحمد ابراهيم.

سابعاً: أما فرع إعمار: لم استطع الوصول الى أحد منهم أعرف عنهم بعض المعلومات.

هــ
١٣٨١



هناك ظاهرة لا أرتاح لها.. بدأت تراءى لي على استحياء أولاً، ثم أصبحت تبرز واضحة جليلة كلما انتقل أحد الآباء والأجداد، والأعمام، والأخوال، أو الأمهات، والمجدات، والعمات، والتخالات.. في مجتمعنا الى جوار ربه.

ومع الأيام، يحصد الموت هذا وذاك.. فتكاد البيوت تخلو من جيل الأُمس.. الأُمس العريق، الزاهر بتواصل الأرحام، والدفاق بالحنين لأبناء عم الأب، وأبناء خالة الأم.. وأحفاد أجداد مضوا. نعم، كان جيل الأُمس القريب كراماً، على قدر كبير من الترابط، والتواصل، وتقديس صلة الرحم.

يترك هؤلاء الذاهبون وراءهم أخوة وبنين، وبنين وعمومة وخوولة، لا يعرفون بعضهم ولا يكادون يلتقون أبداً، فإذا جمعهم مجلس العزاء، اكتشف الواحد منهم أن هذا ابن عمه، وذاك ابن خاله، وأن ذلك الرجل المسن ذا الشعر الأشيب، والوجه المتعرق من أثر الأيام والسنين هو عم أبيه أو خاله!

أبناء هذا الزمن الرديء، تقطعت أواصرهم، وتباعدت وشائجهم وعمت اللامبالاة نفوسهم، فامتلات بالأشواك حقول مشاعرهم، وشحت مياه الطراوة في أرواحهم، حتى سرت البرودة الاجتماعية في أوصال بيوتهم، وأصبحت جنان العلاقات العائلية والأسرية تندب حظها العاثر بعد أن غاب عنها الأب الحليم والمجد الحكيم.

هذه المواقف، وتلك الأحوال، كانت شديدة الوطأة على نفسي، وثقيلة الحمل على كل النفوس المحبة للتعارف والتواصل وتقديس صلة الرحم. ومن أجل تداركها رأيت أن نجدد العهد مع جيل الأُمس القريب على الأقل، ومع أبنائهم وأحفادهم، فرسمت الأشجار، أشجار العوائل والأسر على الورق لأهل بلدي الكرام.. ما أمكنني الى ذلك سبيل، ليتم التعارف بيننا عن بعد أولاً، يتبعه التعارف والتواصل معهم بعد ذلك عن قرب.. في زيارات ولقاءات.. حتى تعود صلة الأرحام الى سابق عهدها وأيامها الهنية.. بين الجميع. بما يعود علينا بالسعادة العامة، والحياة الناجحة.. للتحضير للمستقبل.

لا نستطيع الوثوب الى المستقبل دون الصعود على جسر الماضي، لأن معرفتنا بالماضي ومثله والاعتزاز بهما، لهما من أهم المصادر التي نستوحىها في التربية وفي خلق

المثل العليا للحاضر والمستقبل.. هكذا نفهم طبائع الاشياء وحقيقتها، والأضغنا وتنهنا في دهايز ما يسمونه "الحرية الفردية" وتقوقعها في صحارى الحضارة المظلمة، والمدنية الخادعة.. والمستقبل "التكنولوجي" المخيف. الحضارة والمدنية تلك تفسر قيمنا بقيم نقيضة تماماً لها: كرمنا تبيذير وسخف، وتضحيتنا سذاجة وهبل، وعفاف نسوتنا تخلف؟! يضحكون من رموز في لبس الحجاب أو في الاختلاط!

سكان بلدتنا من الغرباء والذين استملكوا أرضا فيها

مقدمة:

كانت بلادنا فلسطين حتى القرن التاسع عشر جزءا من امبراطورية سلاطين عثمان وكانت تعرف البلاد باسم سوريا الجنوبية، تتبع اما ادارات دمشق أو ادارة بيروت. وتحت لواء النظام العثماني ساد بلادنا فلسطين النظام الاقطاعي. ونظام الالتزام في جمع الضرائب، فتولى الملتزمون الاقطاعيون شؤون العباد، وقد استعملوا شتى صنوف البطش والارهاب في جمع الضرائب من أهل البلاد. فسادت ظروف القهر الاقتصادي والقهر الاجتماعي طبقة الفلاحين العريضة في قرى بلادنا فلسطين، مما أدى أخيرا الى ارتقولي قلة من عائلات فلسطينية، على ملكية مساحات واسعة جدا من الأراضي، استغلت طبقة الفلاحين الفقراء والمتخلفين أسوأ استغلال تحت ظروف القهر الاقتصادي والاجتماعي، مما أدى الى تنازل الكثير من الفلاحين الفلسطينيين للملتزمين أو للسلطان عبد الحميد عن أراضيهم، مقابل حمايتهم من سطوات البدو وغزواتهم، ومقابل دفع وتأمين خمس المحصول لاولئك الفلاحين، بل أن بعض أسر الفلاحين وهبت ما لديها من الأرض وسجلتها باسم الأوقاف الإسلامية هربا من اغتصاب كبار الملاك لها، أو تخلصا من الضرائب المطلوبة عنها كما أن بعض الفلاحين قد تنازل عن أرضه لكبار الملاك من أغنياء العائلات الفلسطينية مقابل حمايته واعفائه من التجنيد أو تجنيد أبنائه في الخدمة العسكرية الالزامية في الجيش العثماني.

في ظل تلك الظروف، تملك بعض العائلات الفلسطينية قرى بكاملها؛ فقد تملك مثلاً عائلة عبد الهادي (١) سبعة عشر قرية، وملك أسرة الجيوسي ٢٤ قرية، وأسرة البرغوثي ٣٩ قرية، امتلكوا كل بيوتها وعرضاتها، وأبنيتها ومساحاتها، امتلكوا ينابيع المياه فيها وعيونها، ومياهها الجارية في وديانها، وامتلكوا مياهها المحفوظة في آبارها وفي بركها، امتلكت شجرها في أرضها، تملك البيادر والجرون والدواب والانسان.

وظلت حالة الفلاح تتراوح فقرا وقهرا تحت تلك الظروف الحادة القاتلة والتي تمثلت في المجاعات أو في هبوط أسعار المحاصيل عند منع تصديرها خارج البلاد مما يؤدي الى هبوط تلك الأسعار الى ما يقارب ٨٠٪ من أثمانها. وتمثلت ظروف القهر أيضا، في الأعمال الشاقة والضرائب الباهظة الى جانب تكاليف نفقات الحرب التي يفرضها السلطان أو الوالي، ومصادرة دواجنه وحيواناته غذاء لعسكر آل عثمان، ومطاييا لهم، كل ذلك الى جانب انعدام حقوق الفلاح، من تأمين الصحة أو التعليم له ولأبنائه، الى جانب تعالي الاقطاعي المدني أو التاجر الأندى أو الشريف عليه، وتهكم أهل المدن والسخرية منه، واحتقار أعماله في الفلاحة والأرض، ووقوع الكثيرين منهم فريسة سهلة للوسطاء من التجار والمرابين فيستولون على محاصيله بنصف الثمن أو يربح فوائدهم التي كانت تتراوح بين ٣٦٪ الى ٦٠٪ في العام. وما أن حل عام النكبة والضياع والته، عام ١٩٤٨ حتى كانت هناك ١٤٤ عائلة فلسطينية من الملاكين الكبار، يمتلكون وحدهم ثلاثة ملايين ومائة وثلاثة وثلاثين دونما أي بمعدل ٢٢٠ الف دونم للعائلة الواحدة (١) من عوائل الحسيني والنشاشيبي والتاجي الفاروقي وعبد الهادي والشوا وغيرهم... في مدن فلسطين وفي أقصيتها، ومن الناحية السياسية كانت هذه العائلات متحالفة مع النظام العثماني ومع ادارات الانتداب البريطاني من بعده عبر علاقات متشعبة متشابكة من المنافع والمصالح فكان الأمر في أغلب الأوقات بيد زعماء وأفندية ومشايخ تلك العائلات، فكان العثمانيون يرجعون اليهم في الأمور الكبيرة والصغيرة على السواء، فسيطرت تلك العائلات على مناصب الدولة الهامة، وشددت القرارات العثمانية الكثير من قبضة تلك العائلات الاقطاعية على مصادر رزق الفلاح الفلسطيني، فانتشر أبناء العائلات المقدسية، ومن أهل المدن الاخرى في قرى فلسطين، يشترونها أو يشترون فيها.

(١) المصدر السابق.

(١) فلسطين والانتداب البريطاني، د. كامل محمود خلة، ١٩٢٢ - ١٩٣٩.

وقريتنا قالونيا جاءها نفر من أولئك الناس، من العائلات الغنية، فاشتروا الأرض ونزلوها، فمَنهم من احتفظ بها وأقام عليها قصراً أو بيتاً، أو داراً له سكنها طول العام، ومنهم من سكن فيها فترات معينة ومن أبناء تلك العائلات من جعل من الأرض التي استملكها في بلدتنا متاعاً يباع، فيجني أرباحاً جعلت حاضريهم ذهباً ومستقبلهم خبزاً وعاراً... ومنهم من جعل من أرضه الجديدة في بلدتنا مزرعة له، جعلها تحت وكالة أو وصاية أحد الفلاحين من قريتنا أو من غيرها.

والى جانب تلك العائلات، أقبل نفر من كبار التجار على شراء الأرض في بلدتي في عشرينات القرن العشرين، تجار ربطوا مصيرهم مثل تلك العائلات السابقة بمصير الإدارات العثمانية والبريطانية في بلادنا، فكان اتجاههم مضاداً للاتجاه الثوري، وكانت مساهمة أولئك التجار في النضال الوطني ضئيلة جداً، ان لم تكن منعدمة بالنسبة لثرائها، اذا ما قيست مساهمتهم الى ما قدمه تجار الصهيونية واليهودية أمثال السير موشيه مونتفيوري والبارون دي هيرش وغيرهما...

كانت العائلات التالية قد استمكت أراضي في بلدتنا قالونيا:

أولاً: أحمد أفندي الحسيني وأولاده سعيد أفندي الحسيني وحسام الدين ورأفت أفندي الحسيني.

١ - كان لهم مارس كبير في أرض الشرفة شرق عراق علي اسماعيل بجوار أراضي أولاد جودة: مجد ومحمود، وفي الجهة المقابلة في أقصى الشرق تقع أرضه في منطقة الصفحة بجوار أرض حسين غنيم فوق منزل الشيخ اسماعيل سالم.

٢ - وامتلكوا أيضاً كرماً للزيتون في منطقة الحبلية عند الوادي الكبير جنوب بلدتنا، ظل تحت إشراف وتوكيل علي مجد علي حمدان حتى عام الشتات.

٣ - وامتلك سعيد أفندي الحسيني كرماً كبيراً للعنب بجوار كرمي رحاميم وبنغش اليهوديين في أرض حريقة السلم، بالقرب من أراضي عين طلمة. وقد دأب سعيد أفندي الحسيني على تضمين أرضه تلك لليهودي أبي روزه "شموئيل برون" بحكم صداقته المتينة به، والذي قام بدور أبي (بروزه) بقلب الأرض وبالعبادة بها حتى جعلها من أجود الكروم، يستغل غلتها من العنب في معاصر داخل

مصنعه للخمر التي أقامها بالقرب من منزله في مستوطنة موصة التحتا، الى جانب مصنع المربي، يصنعه من فاكهة بساين وحقول البلدة والقرى المجاورة.

٤ - وتحت ضغوط الديون الفاحشة التي تراكت على أهل بلدتنا من جراء عجزهم عن دفع الضرائب المستحقة على الأرض الخاصة بأهل بلدتنا في منطقة دير نخلة، تقدم أحمد أفندي الحسيني ودفع الضرائب المستحقة عن تلك الأرض الخاصة بنا في دير نخلة على أن يشاركنا في ملكية تلك الأرض. وكان ذلك في الفترة بين عامي ١٩٣٣/١٩٣٧م، تلك الفترة التي ارتفعت فيها نسبة ما باعه كبار الملاك من العائلات الوجيهة الفلسطينية من ٢٠٪ الى ٦٧٪ مع أن أحوال أولئك الملاك كانت أحسن حالاً بآلاف المرات من أحوال الفلاحين (١).

ويقول د. محمود خلة في كتابه فلسطين والانتداب البريطاني "أن قسماً كبيراً من الأراضي التي باعها الفلاحون للملاك الكبار من الفلسطينيين أو تنازلوا عنها أو جعلوها يشاركونهم في ملكيتها لحاجتهم من الديون الفاحشة وفوائدها الربوية قاصمة الظهر، انتقلت الى يهود بعد ذلك.

ثانياً: رباح الحسيني:

١ - تملك داراً في أرضه المطلة على الوادي الغربي (الصغير).

٢ - وتشمل أرضه تلك البيرة شرقي القصر والتي يشاركه فيها اليهودي داوديلن... الى قنطرة مروان غرب القصر، حيث مدخل القصر عند تلك القنطرة التي اغتصبها أحمد أفندي الحسيني، ليجعلها مدخلاً لقصره، أخذها من أرض السيدين مجد ومطر أحمد الخطيب والسيد اسماعيل سالم الغليظ.

٣ - وكان له أرضاً عبارة عن كرم للزيتون بالقرب من دار حافظ نسيبة مجاوراً للعين الفوقة، الى غرب الشارع الترابي الصاعد الى عقبة تينة عبد الرحمن علي سالم الغليظ.

٤ - كما يمتلك كرماً آخر للزيتون أمام منزل الشيخ عبد الرحمن علي سالم، على الشارع العام، القدس - يافا بعد جسر قالونيا الكبير.

ثالثا: صالح الحسيني:

١ - وتقع أرضه جنوب البلدة بجوار كرم رباح الحسيني السابق، وقد ظلت تلك الأرض تحت مسؤولية وإشراف أحد أفراد عائلة صالحية من عين كارم ويدعى محمد الكاموك الشهير بأبي أحمد، ظل يعتاش منها حتى عام الشتات والتهرب.
رابعاً: رشدي وشقيقه راغب الامام: (من عائلة الحسيني أيضاً)

١ - ولهما حصّة من جنّان الجسر بجوار جنّان ذيب عزيزة وسلامة حسين.

٢ - وكانا يشاركان أبناء اليهودي رحيم في ملكية كرم للزيتون فوق داره الشيخ اسماعيل سالم، جنوب الصفحة، وتبلغ مساحتها ٦ دونمات.

خامساً: حافظ نسبية:

١ - وله دارته المشهورة محاذية للعين الفوقية، وأرضه تجاورها من الناحية الشمالية.
٢ - وكان يمتلك أيضاً مارسين شمال بلدتنا يطلان على بيت محمد سمرين في منطقة الجندبة.

سادساً: عبد الرؤوف صالح نسبية:

١ - وقد بنى له منزلاً تحت الشارع العام، القدس - يافا في نقطة يطل منها على منزل ولد عمه حافظ نسبية.

٢ - وله حصص من الأرض حول بيته وفي منطقة الوادي الغربي بجوار حصص صباح ومصطفى طه درويش وعيسى حمدان ومحمد عثمان وعبد الله بن محمد عسكر، مشجرة بأشجار الفاكهة المتنوعة.

سابعاً: ذيب نسبية:

١ - وتمتد أرض له شرق النقاشة حتى طريق العقبة، وقد باع جزءاً منها لابن عمه الشيخ حسن نسبية، شيخ مدرسة البلدة حينذاك، فبنى فوق ذلك الجزء بيتاً جميلاً له لم تسعفه نكبتنا أن يسكنها وخاصة وقد أتم اعدادها وتأثيثها أواخر سنة ١٩٤٧م.

ثامناً: يحيى نسبية:

وكان يشارك اليهوديين رحيم وشمعون بروزه في ملكيته حصّة تقع بين العين الفوقية وعين الليمونة بجوار أرض ابن عمه حافظ نسبية وأرض ابراهيم سليم

هناك.

تاسعاً: فاروق نسبية:

وتقع داره وأرضه خلف منزل سليم سلمان الغليظ بجوار بئر كدس اليهودي.

عاشراً: فوزي نسبية:

ويلو عين الليمونة منزل جميل لفوزي نسبية، على بعد عشرين متراً من جنوب العين المذكورة.

حادى عشر: وهبة نسبية:

وتقع داره وأرضه عند قنطرة مروان.

ثاني عشر: درويش الداوودي:

اشترى الداوودي أرضاً من الشيخ عبد القادر مزهر قبل الشتات، وتقع تلك الأرض من أرض بلدتنا عند عين طلعة في حريقة السلم شمال شرق البلدة، بجوار أرض سعيد الحسيني.

ثالث عشر: اسحق الموسوس:

تاجر المصران الشهير في فلسطين حينذاك، أرضه ثلاثون دونماً في منطقة الصفحة فيها بئر كان شؤماً على إحدى عائلات البلدة حيث غرقت فيه إحدى نساؤها.

رابع عشر: البيك:

(مجهول الاسم) وله كرم اسمه كرم البيك، اشترته بعد عمليات شاقة استغرقت وقتاً طويلاً اشترته السيدة الفاضلة مريم موسى أم محمد طه اسعيد الغليظ، فاستردته بذلك من الغرباء، ويقع الكرم تحت منازل أولاد الشيخ حسين سلامة عسكر.

خامس عشر: الحاج خالد النابلسي:

وتقع داره فوق قطعة صغيرة من الأرض على الشارع العام بجوار استراحة نقولا اليوناني، أجرها لأحد سكان الخليل، كان يُعد فيها مسحوق البارود الأسود.

سادس عشر: الفاروقي:

من سكان الرملة وكان كرمه في قريتنا يسمى الكرم المصغر في المحرقة فوق الوادي.

سابع عشر: يوسف مروم من نصارى القدس:

وله حصة من الأرض في شمال القرية عند كروم لوزة كما يمتلك جزءا من أرض الجنان جنوب البلد.

ثامن عشر: نقولا وشقيقه متري اليونانيان:

- ١ - وتقع أرضهما نجوار داريهما المتجاورتين على الشارع العام القدس - يافا.
 - ٢ - وكانا يمتلكان حصة في جنان الجسر نجوار حصة رشدي الامام الحسيني، عند عين السنيورة.
 - ٣ - ويشتركان في ملكية أرض المرج جنوب البلد تسربت منها الى يهود ٣٠ دونما.
- #### تاسع عشر: أبو جورج الأرمني:

وتضم أرضه المطاين المعروفة باسمه "مطاين أبي جورج" في غرب البلدة تطل عليها قرية القسطل على الطريق العام القدس - يافا، عند مدخل كروم البلدة غربا.

أرض استردها أهل بلدتي من يهود

أولا: استطاع الحاج مصطفى رمضان عسكر خطاب أن يشتري فيسترد كرما قد تسرب الى يهودي اسمه عيش، وتبلغ مساحة ذلك الكرم أربع دونمات على شكل مصاطب زرعها الحاج فيما بعد تفاحا وعنبا وتينا وفواكه أخرى في منطقة البيار في بيت مزة.

ثانيا: ومن خلال عمليات معقدة استطاعت مريم موسى أن تسترد كرما سمي بكرم البيك، يطل على قصر الحسيني وبيارته وبيارة كدس والد داوديلين اليهودي.

ثالثا: بعد محاولات مضنية ومجهود تكلل أخيرا بالنجاح، اشترى قاسم خضر درباس أرضا مساحتها دونمان فوق العين الفوقة من أحد يهود المستوطنة في موصة التحتا.

رابعا: استطاع السيد قاسم خضر أن يسترد أربعة دونمات أخرى في أرض الكروم من اليهودي شمعون بروزة أحد سكان نفس المستوطنة المذكورة.

خامسا: وعلى يسار الداخل للبلدة من ناحية الجنوب عند المقبرة، استطاع السيد قاسم خضر الشهير بأبي سامي أن يستخلص دونما ونصفا من أرض البلدة من يهودي أيضا.

سادسا: ولا تنسى مجهود أبي سامي الدرباسي هذا في استرجاع وشراء كرم اليهودي في أرض الشعار اشتراه عام ١٩٤٥ وتبلغ مساحته ست دونمات مزروعة بالكرمة الطيبة.

سابعا: كما استطاع السيد قاسم خضر تخليص داره الشيخ اسماعيل سالم ومطحنه ومعصرته من برائن مراني تلحمي - من بيت لحم - ويعرف شيوخ البلدة ورجالها بل ونساؤها اسم ذلك المراني اللعين.

ثامنا: وكان المرحوم قاسم خضر بصدد محاولات أكثر صعوبة يقوم بها لاسترداد أرض البزونية غرب المقبرة في الجنوب من اليهوديين داوديلين وشمعون بروزة الا أن تراحم سنوات النكبة خلال ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨ لم تسعفه في تحقيق طموحات همته العالية... رحم الله قاسم خضر وجزاه الله خيرا وأكثر من أمثاله بين العرب الغيورين.

وضعت تلك الجمعية اليهودية الحيرية يدها على ثلاثين دونما تسربت اليها من أراضي بلدتنا قالونيا، حصلت عليها في دفعات أربع، بين عامي ١٨٤٠ - ١٨٥٦م.

والمجدير بالذكر أن محاولات إيجاد مجتمعات زراعية أو مستوطنات يهودية في فلسطين أثناء اليهودية الأممية قبل عام ١٨٨٢ كان مقتصرًا على مؤسسات ذات طابع خيري برعاية أموال "المتدينين والمحسنين" اليهود أمثال موسى مونتفيوري والبارون دي هيرش، وغيرهما. أي أن طبيعة الوجود اليهودي في قريتنا قالونيا بل في بلادنا فلسطين كان مصوغًا في بداية الأمر في سنوات اليهودية الأممية بالطابع الديني والمعيشة. ومن هنا ونسب المصوغة الدينية لم يرافقه نشوء وتبلور الشعور القومي عندنا - نحن عرب فلسطين - أي شكل من أشكال العداء لليهود قبل عام ١٨٨٢، عندما أخذت طبيعة الوجود اليهودي في بلادنا فلسطين تتحول الى الطابع الاستعماري الاستيطاني.

بدأ الاستيطان اليهودي فوق ذلك الجزء من أرض قريتي قالونيا عام ١٨٦١م، عندما أقامت "جمعية الجيروسالميون الحيرية" نزلاً أو سكناً للحجاج اليهود تحت إشراف أبو حية يحياي في موصة التحتا، أقاموا ذلك المنزل عند آخر نقطة من مدينة موصة الكنعانية والتي ظلت أشجار الصفصاف تغطيها حتى أواخر حكم الفرس لفلسطين عام ٥١٥ ق.م.

قلنا مع بداية هذا الفصل أن الاستيطان اليهودي في بلادنا فلسطين ينقسم الى قسمين، وقد تحدثنا عن القسم الأول تحت ما عرف بالصهيونية الأممية، أما القسم الثاني فقد حدث عندما اعتنق اليهود الدعوة الصهيونية الحديثة على يد "موزس هس" في كتابه "رومه والقدس" الذي نشره عام ١٨٦٢م. فقامت الحركة الصهيونية المنظمة الحديثة عالمياً، وهي التي كان لها الفضل في بذل شتى المساعي في سبيل تنفيذ فكرة قيام دولة صهيون في بلادنا فلسطين:

أدت المجازر الروسية التي وقعت ضد يهود اثر اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني سنة ١٨٨١م، أن اضطرت اعداد ضخمة منهم الى النزوح عن روسيا. وكان من ضمن المهاجرين الى بلادنا فلسطين شاب يهودي في الخامسة عشرة من عمره، وكان ذلك عام ١٨٩١ واسمه "أرييه مكلف" تزوج أرييه مكلف من حية يحياي

الفصل السادس

الاستيطان اليهودي في قريتنا قالونيا

ينقسم النشاط اليهودي لاستملاك الأرض وللاستيطان في فلسطين الى قسمين:

القسم الأول: حدث استملاك اليهود للأرض واستيطانهم فيها عبر نشاط ماسي بالصهيونية الأممية في الفترة الممتدة بين عامي ١٦٢٢ و ١٨٨٢م، وتمثل الصهيونية الأممية في الحركات والتيارات والأفكار التي انطلقت من مصادر غير يهودية لتعلن صهيونيتها قبل اعتناق اليهود أنفسهم للصهيونية الحديثة التي شرحها موزس هس في كتابه "رومه والقدس" عام ١٨٦٢م. ومن تلك الحركات والجمعيات، حركات دينية مسيحية متصهنة حملت أسماء عدة مثل جمعيات حب صهيون، ومثل الحركة أو المؤسسة العبرية اللندنية، وجمعيات التحالف الاسرائيلي العالمي، من تلك الحركات الأممية أيضاً ما قام به نابليون عندما قدم عروضاً سخية لليهود باقامة دولة لهم في فلسطين بقصد كسب تأييدهم في حملته التي فشلت في مصر وعكا والشام، وقد تم اجتماع مجلس السانهدريم سنة ١٨٠٦ بدعوة منه لبحث هذا الموضوع.

في خلال المائتين والستين عاماً، وهي فترة اليهودية الأممية أو الصهيونية الأممية، أثناء الحكم العثماني لبلادنا فلسطين، سمح لليهود الاضطهاد في اسبانيا وروسيا وأوروبا الوسطى، بالسكن في الولايات العثمانية، ومن ضمنها القدس، حتى جاءت سنة ١٨٨٢، وأثناء حملة ابراهيم باشا لاحتلاله فلسطين، وحكمه البلاد الذي دام عشر سنوات ١٨٣٦ - ١٨٤٠ تدفقت أعداد كبيرة من اليهود المتدينين. فأصبح عدد اليهود في فلسطين في سنة ١٨٨٠ سبعة آلاف نسمة فقط.

كان من ضمن من هاجر من اليهود المتدينين في تلك الحقبة ثلاثة مهاجرين يهنا أمرهم: المهاجر الأول يهودا نيفون، الذي سميت باسمه محنة يهودا أو محنات يهودا كما كنا نطلق عليها في بلدتنا. وقد شاركه في انشائها مهاجر آخر من روسيا اسمه أبو حية يحياي من مؤسس مستوطنة موصة التحتا على أرض قالونيا، وضعت جماعة متدينة خيرية اسمها "الجيروسالميون" نسبة الى اسم Jerusalem من أسماء القدس - أقول

وعلى أثر ذلك الزواج قدم أبو حية يخيال الثلاثين دونما من أراضي قريتي تلك في قالونيا هدية الى صهره أرييه مكلف زوج ابنته حية، وكان أهل بلدتنا يلقبون مكلف هذا بالنمر، استطاع أرييه مكلف وزوجته حية التي كانت على دراية جيدة بأمر التمريض وبعض شؤون التطبيب، استطاعا معا ومع العائلات اليهودية الاخرى التي سأذكرها، أن يحولا الثلاثين دونما في موصة التحتة Moza Tahit الى بيارة جميلة جمة الانتاج ووفيرة الثمار.

أنجب أرييه مكلف من زوجته حية يخيال ثمانية أبناء، أذكر منهم: موشيه مكلف، وحاييم مكلف، وحننا مكلف، ومردخاي مكلف، ومنية مكلف، ورفقة مكلف... وفي عام ١٨٩٤ أقامت عائلة مكلف وجيرانه اليهود المستوطنون الجدد قرية زراعية عسكرية "Moshava موشاف تعتمد في حياتها على الزراعة وعلى العمل في مصنع للقرميد الأحمر وغيره من الألوان" أقيم في تلك القرية الموشاف، والموشاف نوع من المستوطنات يزاوّل فيها السكان حرفة الزراعة، والملكية فيها خاصة، والمجهد فردي، وقد كانت الموشاف هي الطابع الغالب على مستوطنات اليهودية الأممية التي انشئت قبل عام ١٨٨٢م في بلادنا فلسطين.

والموشاف في ذلك على خلاف ما عُرف بمستوطنات ما بعد الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨م اثناء ازدهار الصهيونية الحديثة، على خلاف مستوطنة الكيبوتز أو القرية الجماعية، وفيها تكون الأراضي والمباني والأدوار ملكا جماعيا لسكانه، وشاع الى جانب هذين النوعين من المستوطنات في بلادنا فلسطين نوع ثالث اسمه "الناحال" وتبنى على الحدود ويغلب عليها الطابع العسكري فسكانه من الجنود وان زاولوا الزراعة وقت السلم.

العائلة الثانية في موصة التحتة Moza Tahit: كان رب العائلة الثانية مهاجرا من بولندا اسمه ميخائيل شتاينبرج، ويخفف أهل بلدتنا اسمه فينطقونه ميخل، وميخل صاحب أشهر مصنع لصنع القرميد بألوانه، والطوب بأنواعه، وقد عرف هذا المصنع "بالفريكة" ولم يشاركها في شهرتها سوى مصنع شنلر للقرميد والطوب في القدس، في حي شنلر حينذاك.

كانت بداية العمل في مصنع ميخل للقرميد عام ١٨٩٨م على حد روايات أهل بلدتنا

قالونيا، وشتاينبرج ذاك اليهودي من مهاجري الهجرة الاولى التي بدأت تندفق على فلسطين بين عامي ١٨٨٢ - ١٩٠٣م. وميخائيل شتاينبرج الذي اختير فيما بعد مختارا للمستوطنة "موصة التحتة" لم يعمل بما عرف حينذاك "بنظرية العمل العبري"، وكان سكان موصة التحتة وعلى رأسهم مختارهم ميخائيل شتاينبرج يفضلون استخدام الفلاحين والعمال العرب لخبرتهم الزراعية ولأجورهم الزهيدة، وهم في ذلك على النقيض من زعماء الهجرة الثانية الذين وفدوا الى بلادنا فلسطين بين عام ١٩٠٤ - ١٩١٤م والذين رفضوا بشدة مبدأ استخدام وتشغيل اليد العاملة العربية على أساس تناقض ذلك مع نظرية "العمل العبري" وذلك بالتالي - في رأيهم - يتناقض مع هدف الصهيونية الرامي الى التهود والى خلق مجتمع يهودي مختلف عن غيره من المجتمعات والتجمعات البشرية في كل شيء، مستقل في اقتصاده، مغاير في ثقافته، يعتز بلغته ولا يتواصل بغيرها، وقادر على حماية نفسه بنفسه، وكان هذا المبدأ الشوفيني أي المتعصب ظاهرة واضحة بين مهاجري الهجرة الثانية، تلك الهجرة التي أفرزت الرعيل الأول من قادة الحركة الصهيونية الحديثة المنظمة والذين خلقوا دولتها فوق أرضنا في بلادنا فلسطين، من أمثال ديفيد بن غوريون، واسحق بن زفي، وموشى شرتوك، وجولدا مائير، وموشيه دايان... وقد طبقوا فعلا ما عرف بنظرية العمل العبري في المستوطنات التي أقاموها.

العائلة الثالثة في موصة التحتة: كانت عائلة صموئيل برونز الألمانية، معروفة عند أهل قريتي بعائلة أبو روزا، وأذكر من بين ابنائه شوشنة برونز، والابن الأكبر متياهو برونز، والابن الثاني بن نسيون برونز، أنشأ برونز له في موصة التحتة مزرعة للابقار، وأقام فيها مركزا لتجميع الحليب من القرى العربية المجاورة يقوم بتوزيعه الى أماكن صهيونية في القدس وفي مستشفى هداسا حينذاك خلال سنوات ما قبل الستات عام ١٩٤٨م.

وكان لبرونز ذاك مصنع نائح لصناعة المربيات من فواكه قريتنا وغيرها من القرى العربية المجاورة.

العائلة الرابعة: ونجوار دار صموئيل برونز كانت تقع دار رحيم شطينبرج شقيق المختار الذي أقام في وسط كرم العنب الذي اشتهر به مصنعا للخمر ينتج النبيذ من كروم بلدتنا وكروم دير ياسين وعين كارم والمالحة وبيت سوريك وغيرها.

العائلة الخامسة: أما العائلة الخامسة فكانت تخص ديفيد عينتاني الشهير بكس أو داوديلن، وتقع دار قبيل بداية جسر الدباغة في طريق الذهاب من بلدتنا قالونيا الى القدس.

وعينتاني أفندي هذا أو داوديلن، ظل أحد أعضاء مجلس لواء القدس الشريف كله بما فيه أفضية يافا والخليل وغزة وبئر السبع، ظل عينتاني (داوديلن أو كس) أحد أهم أعضاء مجلس القدس الشريف مع السادة محمد يوسف أفندي العلمي عن المسلمين، وجورجي أفندي أبو زقريا عن النصارى، وعينتاني أفندي (داوديلن) عن اليهود، وظل عضوا فيه حتى عام ١٩١١م (انظر عارف عارف: المفصل في تاريخ القدس، ص ٣٠٦).

وفي عام ١٩٢٠م، أسس دونالد ستورز الحاكم العسكري للقدس أيام الانتداب البريطاني "جمعية محبي القدس" وهدفها الأصلي (كما يقول عارف العارف في المصدر نفسه) افهام العالم أجمع في الخارج أن سكان وأهل فلسطين بمذاهبهم وبطوائفهم راضون كل الرضا عن الحكم البريطاني، أما أعضاء تلك الجمعية فقد كانوا السادة: داوديلن، وموسى كاظم الحسيني رئيس البلدية، والمفتي الأكبر كامل أفندي الحسيني... وغيرهم من رؤساء الطوائف المختلفة، وكان داوديلن يتولى أمور سكرتارية تلك الجمعية "جمعية محبي القدس"!!!

وقد أعطت مناصب داوديلن له نفوذا قويا وأنشأت صداقات وثيقة بينه وبين أبناء الطوائف المختلفة وخاصة مع أبناء العائلات المقدسية، فصداقه مع موسى كاظم الحسيني ومن بعده سعيد أفندي الحسيني، صداقات شهد بها جميع أهل بلدتنا، وقد كان سعيد أفندي الحسيني يجيد اللغة العبرية اجادة تامة الى جانب المامه الماما جيدا بجوانب القضية الفلسطينية.

وكان لداوديلن شقيقة - وصفها رجال البلدة ونساؤها أنها فاقت في جمالها - كما فهمت - جمال أستير التي ورد اسمها في أسفار العهد القديم، فاقت جمال أستير وزادت في دلالها عن دلال سالومي، قدم داوديلن شقيقته في الحفلات واللقاءات العديدة التي كان يجري احيائها واقامتها لكبار المسؤولين والمتنفذين من أتراك ومن

انجليز فيما بعدهم، من ضباط وموظفين من شتى الطوائف والعائلات وخاصة أبناء العائلات المقدسية كما حدثوني. قامت شقيقة كس بدور مشهود من خلال جسر الجبال والنساء التي كانت هي درته المتألثة، حيث استطاعت أن تقوم بتنفيذ أهم وصايا حكماء صهيون باستغلال الجبال والدلال للوصول الى غايات رسموها لها في الزمان والمكان المناسبين.

العائلة السادسة: كانت العائلة السادسة عائلة اليهودي الروجاني الذي حل محل أريه مكلف بعد ثورة القرويين عام ١٩٢٩م.

العائلة السابعة: وكانت تخص اليهودي بيغش، وكان يعمل في تجارة الدجاج وذبحه وكان صبيان البلدة يطلقون عليه لقب "ذباح الحجاج".

العائلة الثامنة: عائلة اسحق أبو عمواس وبيتته بجوار المكان الذي كان يهم يهود المستوطنة اقامة الكنيس عليه، غرب داره واستراحة نقولا اليوناني، وكان لاسحق ستة أولاد: عمواس، وديفيد، وزكي، وعمران، ويوسف، وموسى، وقد حدثوني أنه أخ للحاج سلامة حسين سلامة بالرضاعة، فقد أرضعته أم عمواس زوجة اسحق وهو طفل صغير!

الاستيطان اليهودي الثاني على أرض قريتنا قالونيا

قام الاستيطان اليهودي الثاني فوق جزء من أرض قريتي على مكان تبلغ مساحته ٢٠ دونما تسربت الى اليهود عن طريق احدى العوائل المنتفذة من العوائل المقدسية كانت تمتلك الأرض والناس. وكنت قد أشرت الى تلك العائلة في مكان متقدم من كتابي هذا.

سمى اليهود هذا المكان "استراحة أرزا" نسبة الى شجرة ظنها اليهود أولا - عندما كانت الشجرة في دورتها الأولى - أنها شجرة أرز، زرعها نبي الصهيونية الحديثة تيودور هرتزل في زيارته للمكان عام ١٨٩٨م (١)، (٢).

ويقول اليهود أن تلك الشجرة كانت من عائلة الصنوبريات، ومن فصيلة العرعر وليست شجرة أرز، ولذلك عادوا فأطلقوا على استراحة أرزا موصة أليت Moza Illit أي موصة العليا تميزا لها عن موصة التحتا Moza Tahit سالفه الذكر.

أقام الرواد الأوائل من المالين اليهود الكبار في موصة العليا مصحلا للمصدرين عام ١٩٢٣م وحول ذلك المصح أنشأوا مستوطنة ريفية بناها يهود قبالة قريتي قالونيا بشكل يمثل التحدي بأعنى صوره. ويتجلى فيها صور المواجهة القاتلة في كل أن، بطريقة عجيبة تثير الاستفزاز.

والتسعت المستوطنة الزراعية هناك في عام ١٩٢٣م ليصبح عدد المستوطنين اليهود فيها حينذاك (٥٤٠) مستوطنا، اعتاد أهل بلدتنا قالونيا أن يطلقوا عليها اسم "التنطور". وذلك لمواجهتها لقريتنا وكأنها منطارة فوقها ناطور ينظر الطريق والناس، وتارة يسمونها "القبانية" (١) أو يجمعون الكلمتين: "قبنية التنطور"، تربض المستوطنة تحت أقدام قرية القسطل. في محاذاة المستوطنة في الغرب، توجد غابة حرجية Harsha من أشجار السيدر الكبيرة وبعضها من شجر الأرز، وقد قام بزراعة هذا الحرج مجموعة من شخصيات يهودية توافدت على المكان في محاولة لحياء تواجد الأشجار، أشجار الصفصاف خاصة هناك في الازمنة الغابرة في مدينة موصة الكنعانية أيام كانت قد دخلت في حصة سبط بنيامين حتى عام ٥٥٠ ق.م.

ونستطيع الآن أن نعرف من خلال التوسع في سرد المعلومات الخاصة بالاستيطان الأول والاستيطان الثاني على أرض قريتنا قالونيا، أقول نعرف كيف أن حركة الاستيطان الصهيونية في فلسطين في بلادنا قاطبة، كانت قد وضعت ونفذت ولا تزال تنفذ حتى وضع هذا الكتاب بشكل علمي، كجزء من خطة شاملة ومتكاملة يهدف الى احتلال وتهويد كل فلسطين بحيث يجعلون منها في النهاية نقطة انطلاق يقفز منها يهود الى البلاد العربية ليحتلوها، ومن ثم يقيمون اسرائيل الكبرى، من النيل الى الفرات، وما وصولهم الى مدينة السويس في حرب الساعات الست عام ١٩٦٧ وطردهم ثلاثة ملايين وخمسمائة الف مصري من الوجه البحري وتحويلهم الى لاجئين مشردين ، وما وصولهم أيضا الى مشارف دمشق في العام نفسه وطرد مليون سوري وتحويلهم الى لاجئين مشردين أيضا، الا أمثلة مبكرة تبين لنا ما يبته يهود نحو هذه الأمة السائرة في غيها وضلالها.

(١) من الكلمة الانجليزية Camp مخيم أو معسكر.

يرتبط انشاء المستوطنات اليهودية تخطيط جادة مدروسة تركز على العلم، وعلى تجارب يهود التي اكتسبوها في اقامة مستوطناتهم في الاربعين قبل فلسطين بلادنا. فتأخذ يهود في حسابها اختيار المواقع الأنسب والأكثر جدوى من الناحية العملية بحيث تسيطر المستوطنة على، وتتحكم في المدن والقرى العربية المجاورة والقريبة، ومحاور الطرق الرئيسية والفرعية: فموصة التحتا وموصة العليا صاحبتا القرار الأخير، قرار الانتصار على العرب في معارك القسطل وطردهم منها، والدور الذي لعبته المستوطنتان في ليلتي ٨ و ٩ من نيسان عام ١٩٤٨ في تلك المعارك مشروح في كتب التاريخ المعاصرة. فالمستوطنتان تتحكمان في الجسرين جنوب قريتي: جسر موصة التحتا، وجسر الدباغة، على الطريق الاستراتيجي القدس - يافا. وموصة التحتا تمتد بين الجسرين ورجال موصة العليا هم الذين قاموا بترميم جسر الدباغة بعد نفسه، استطاعوا ترميم واصلاح الجزء المدمر قبل مغيب شمس يوم نفسه، ولم تمض على تدمير سوى ساعات ثلاث في صباح ٨ نيسان من عام ١٩٤٨، وموصة التحتا - وبواسطة جهاز التليفون عند ميخائيل شطينبرج وعند شموئيل بروزة - ظلت على اتصال فعال مع مستوطنات القدس: مع قبعات شاوول، ومونتفيوري وبيت هلكاريم، وقبنة الخمسة... فتتابع وصول النجدة اليهودية لتحاصر القسطل محاصرة تامة، ورجال موصة العليا كانوا الطليعة التي تأكدت ليلة ٩ نيسان من أن القسطل خالية من العرب، الا من بضعة أفراد من المناضلين، وكانت تلك الطليعة اليهودية قد جاءت في مصفحتين انجليزيتين لنقل موتاهم الذين سقطوا على أرض القسطل في معارك ليلة ٨ نيسان، فجاء اليهود من الشرق ومن الغرب من مستوطنات القدس ومستوطنات باب الواد، وكثروا على القسطل بمصفحاتهم تغطيهم مدافع الموتر عيار ثلاث بوصات، التي كانت تنطلق من موصة العليا - فتقدم اليهود حتى تكمل تقدمهم وزحفهم بالنصر وباحتلال القسطل وتدمير جميع مبانيها وبطرد العرب منها.

أنشأ اليهود مستوطناتهم على شكل حصون وقلاع حتى يمكنها الدفاع عن نفسها في حالة تعرضها للهجوم والغزو، وحتى تستطيع تنفيذ مهام توكل اليها، فتنفذها كجزء من خطة شاملة عسكرية، كل مستوطنة يمكنها الاكتفاء ذاتيا، والاعتماد على نفسها والصمود لمدة كافية حتى يصلها العون والمدد. ففي مستوطنة موصة التحتا مثلا نجد

كروم العنب والفاكهة وجنان الخضروات وكروم الزيتون، وعلى كل ذلك قامت صناعات المربى والخمور، الى مزارع للابقار ومركز لتجميع الحليب، ناهيك عن مصنع للقرميد والطوب، وما فيه من ديناميكيات متفاعلة تلتقي فيها شتى المصالح والمنافع المتبادلة بين العاملين فيه من عرب ويهود، وبينهم وبين أصحاب تلك المصانع... والى جانب كل ذلك نجد الطيبة أو التي على دراية كافية بأمر الاسعاف والتمريض والتوليد، فزوجة آريه مكلف، السيدة حية يحياي تقدم المشورات الطبية وخدمات العلاج ومعونات الولادة لمن يحتاجها.

وأقول أكثر من ذلك، وأنا أتحدث عن موصة العليا - أن فيها دارا للنقاها، لنقاها المصدورين، وعيادة طبية بأطبائها ترافق الدار. وسكان المستوطنة يهود شرقيون (سفارديم) في غالبيتهم عراقيون ويمنيون... مهنيون حرفيون لا غنى عن خدماتهم وقت السلم، وزمن الحرب، وأذكر منهم ابراهيم النجار العراقي المولد الذي يتذكر جيل الشتات من أهل بلدي قالونيا، رجالها ونساؤها، وكان سكان موصة العليا من فئة أصحاب النشاط الجسدي في سن الفتوة والعطاء، وكان يهود يصرون على أن تظل فئة هؤلاء الشباب، تشكل النسبة العليا في كل مستوطنة، ومن ثم لم تكن لتقل تلك النسبة بين المهاجرين المستقدمين الى فلسطين أثناء أعوام الهجرة الأولى والثانية عن ٨٠٪ من مجموعهم.

بنيت موصة العليا على نمط معين، فالى جانب مبانيها الظاهرة، قد جرى بناء مباني غيرها أو مخائى تحت سطح الأرض في كل أرجاء المستوطنة، وقد حدثني رجال ثقات ونسوة صادقات من أهل بلدتنا كيف أنهم اقتحموا المستوطنة، ولم يجدوا من يهود المستوطنة من يواجههم أو يقبل تحديهم يوم ٥ نيسان ١٩٤٨م.

وقد حدثوني كيف أن المرحوم الشيخ أحمد موسى مؤذن القرية قد صدح بالأذان فوق أحد بيوت المستوطنة في يوم اقتحامها، وأنه بمجرد انسحاب المقتحمين من المستوطنة وعند وصولهم الى مشارف بلدتنا قالونيا حتى خرج يهود من مخابثهم، تلك التي تحت سطح الأرض، ليسلطوا عليهم زخات من الرصاص أدت الى استشهاد محمد صالح عبد ربه مخلوف، وتيمم محمد علي خضر مشعل، واصابة محمد عطوة مخلوف بجراح بليغة.

ومن الاستيطان الأول والاستيطان الثاني فوق أرضنا في قريتنا... وفي بلادنا فلسطين... وخلال متاهات الطرد والخروج... والحروب من قبل العدو والقريب... كانت مشاريع الحلول التصفية تعمل عملها باستمرار، وكان من أبرز تلك الحلول ذات الآثار المدمرة لقضية الفلسطيني وطرده من أرض آبائه وأجداده، قرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧م عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثانية رقم ١٨١. والحاص نخصة تقسيم فلسطين، فصدر القرار بأغلبية ٣٣ صوتا مقابل ١٣ صوتا ضد القرار، من بينها جميع الدول العربية الأعضاء في الأمم المتحدة في ذلك الوقت وهي: مصر، وسوريا، والعراق، ولبنان، والسعودية، واليمن، وامتنعت عن التصويت عشر دول بينها الحكومة البريطانية المنتدبة.

يقول البروفيسور الأمريكي ميلر بوروس في كتابه "مشكلة فلسطين شغلنا الشاغل" يقول: فرضت حكومتنا هذه النتيجة فرضا بعد أن لجأت - دون حياء أو خجل - الى اتباع سياسة القوة التي انقضت عهدها، ولقد كان البرهان برهانا معيبا على أن في وسع أساليب التهديد والضرب التي لا تخلو من التحفظ وتفتقر الى الأخلاق، أن تسيطر على منظمة دولية لغاية نبيلة وسامية وهي "تحقيق العدل الدولي". ويستمر ميلر بوروس، في تعليقه... وكان تدخل الحكومة الأمريكية في ذلك القرار قاضيا بالموت على تحقيق العدل الدولي، كما كان في الوقت نفسه قاضيا على كل آمال العالم من ثقة بالولايات المتحدة وبالأمم المتحدة نفسها.

قال مندوب دولة هايتي والدمع يترقرق في عينيه: انني ما زلت عند رأيي الشخصي في معارضة التقسيم، لكني بصفتي ممثلا لحكومتى، لا يسعني الا أن أنزل عند ارادتها في الموافقة على المشروع، قال هذا بعد أن رفض استلام مبلغ ٤٠٠٠٠ دولارا أمريكيا. وقف حايم وايزمن مخاطبا للوفد الفرنسي في هيئة الأمم المتحدة آنذاك (يا قوم أعطونا نحن اليهود نصف فرصة، ونحن نكشف للعالم أن حكاية قوة العرب وتماسك العرب ونفوذ العرب هي حكاية كلها كذب في كذب). ثم تحول وخاطب الوفد الأمريكي في نفس الوقت وقال: (انني لا أضارب بليم واحد في بورصة أسطورة قوة العرب) (١١).

(١) ومنذ ذلك التاريخ، والولايات المتحدة الأمريكية تشن حربا سافرة تارة كحرب ١٩٦٧ وكحرب الخليج ١٩٩١ وخفية تارات أخرى ضدنا نحن الفلسطينيين خاصة، والعرب عامة، لتدمير حركة التحرير الفلسطيني ولتصفية الارادة العربية والحق الهزيمة بالانسان العربي والفلسطيني هزيمة تغيب عقله وتطفئ روحه...! انها حرب أمريكية - يهودية مستمرة... وهزائم عربية مستمرة... ارتضاها العرب لأنفسهم..

قضى القرار رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام بعد شهرين من اتمام اجلاء القوات المسلحة البريطانية المنتدبة في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨م وعوجب ذلك القرار نشأ في بلادنا فلسطين دولتان مستقلتان عربية ويهودية! وحكم دولي خاص بمدينة القدس:

١ - دولة عربية وتشمل الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي بين اسدود والحدود المصرية ومنطقة الخليل وجبال القدس، وتقدر مساحة هذه الدولة احدى عشرة الف كيلو مترا مربعا أي ٤٦٪ من أراضيها في بلادنا فلسطين (١).

٢ - دولة يهودية: وتشمل الجليل الشرقي ومرج بني عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلي والنقب، وتقدر مساحة هذه الأرض بـ ١٤ الف كيلو متر مربع أي ٥٤٪ من مساحة أراضيها في بلادنا فلسطين.

(١) كانت أرض فلسطين حينذاك لا تزال لأصحابها العرب، وبلغت ٢٦,٣٢٣,٥٢٣ دونما، ولم يكن قد تسرب لليهود من أرضنا في فلسطين سوى ١,٤٩١,٦٩٩ دونما، أي ما يساوي نسبته ٥٪ من أرض بلادنا فلسطين، وكانت قد تسربت هذه النسبة الى يهود عن طريق عائلات سورية ولبنانية:

عائلة آل سرسق البيروتية، عائلة آل العمري الدمشقية، آل التويني البيروتية وعائلة التيان البيروتية، وعائلة القباي البيروتية، وعائلة الأمير سعيد الجزائري الدمشقية، وعائلة شمة والقوتلي من دمشق، وأسرّة اليوسف الدمشقية وأسرّة المرديني السورية.

كما تسربت الأرض عن طريق قوانين تسوية حقوق ملكية الأراضي التي أقرتها حكومة الانتداب البريطانية مما سهل عملية تسرب الأرض في منطقة السهول الخصبة والأراضي المروية أو القابلة للري، ومن تلك القوانين ما عرف بقانون (نظام الأرض المشاع) وقانون (تسوية حقوق ملكية الأرض). صدرت تلك القوانين عبر إدارة خاصة لذلك، كان يرأسها فردريك سولمون (وهو يهودي صهيوني)، وخلاصة تلك القوانين هو تسجيل الأرض المشاع أو الأرض التي لا تدخل ضمن سندات (كواشين) الملاك العرب، تسجل باسم أملاك الدولة البريطانية وهذه سهلت انتقالها الى يهود.

كما تسربت الأرض عبر الفلاح المقهور، والذي كان مسحوقا حتى النخاع، تحت وطأة الضرائب والحلف والاحتقار، من قبل البدوي والمدني ومن قبل التجنيد الازامي المفروض عليه وحده دون أفراد الطبقات الاجتماعية الاخرى.

ناهيك عن أن أثرياء ووجهاء العائلات المنتفذة الفلسطينية والتي كانت تمتلك الأرض والانسان، والتجار، طفيلات المجتمع في كل آن، ساهموا في خلق نكبتنا ومأساتنا وضياح بلادنا فلسطين الى حد كبير.

٣ - منطقة الحكم الدولي! وتشمل القدس وبيت لحم والأماكن المقدسة داخلها. وقد حدد القرار ١٨١ مدينة القدس آنذاك حتى قرية أبي ديس شرقا، وبيت لحم جنوبا والمنطقة المعينة على قرية قالونيا غربا.

ويشير القرار ١٨١ الى ان كيان مدينة القدس المنصل يدخل ضمن اتحاد اقتصادي ونظام نقدي مشترك مع الدولتين المقترحتين، يخضع كل ذلك لنظام دولي خاص تتولى الأمم المتحدة ادارته عبر مجلس وصاية يعين بدوره حاكما للقدس يكون مسؤولا أمامه على أن لا يكون هذا المحاكم مواطنا عربيا أو يهوديا في فلسطين.

الفصل السابع

أهل بلدتنا قالونيا وجهادهم

ضد الانجليز ويهود الى ما قبل عام الشتات ١٩٤٨

ظل حائط المبكى وهو أحد حيطان الحرم الشريف من الغرب من ممتلكات المسلمين المقدسة منذ أن ترجل الرسول صلى الله عليه وسلم عن ظهر دابته البراق في أرض بيت المقدس ليلة الاسراء والمعراج، وظل الهدوء والتفاهم حول هذا الحائط سائدا بين العرب ويهود منذ ذلك الحين، وفي خلال الفتوحات الاسلامية العبرية والصلاحية والمملوكية. واستمر الهدوء سائدا في ساحة ذلك الحائط طيلة الاحتلال التركي، وقد حظر المجلس الاسلامي الأعلى وضع أية مقاعد أو مناضد أو حواجز أو ستائر في تلك الساحة. وفي عهد الاحتلال البريطاني البغيض، الذي حل محل الأتراك في بلادنا فلسطين، بدأ اليهود يشيرون الشغب والخروج عن المألوف التاريخي والديني والاجتماعي فيما يخص ذلك الحائط. ففي يوم من أيام صيامهم في إحيائهم لذكرى تدمير هيكلهم، هيكل سليمان وخرابه مرتين: الأولى على يد الملك العربي بعيد النسر وثاقب الرأي نبوخذ نصر عام ٥٩٦ ق.م، والثانية على يد القائد الروماني الأشهر تيطوس عام ٧٠ ق.م، في ذلك اليوم يوم صيامهم، وفي عيد يوم الغفران عندهم من عام ١٩٣٩، في الرابع عشر والخامس عشر من أغسطس من ذلك العام، قام يهود بمظاهرتين في تل أبيب وفي القدس تخللتهما كثير من هتافاتهم وأناشيدهم الاستفزازية ضد العرب والمسلمين مثل "الحائط حائطنا" وكان قد سبق عيدهم ذلك أن أصدرت جماعة "حراس المبكى" اليهودية نداء الى "شعب اسرائيل" في جميع أنحاء العالم وقالت فيه: "أيها اليهود المنتشرون في جميع أنحاء العالم، أفيقوا واتحدوا، لا تسكنوا أو تتوانوا، الى أن يعاد الينا حائط المبكى بأجمعه. وأضافوا: هلموا الى مساعدتنا وعاونونا في هذا الكفاح العادل لاسترداد هذا الحائط ولا شك أن النصر سيكون حليفنا".

منذ ذلك الحين ركز يهود على تحويل الصراع العربي الفلسطيني - الصهيوني الى صراع ديني، وكان ذلك كفيلا باثارة اهتمام وحماس يهود العالم بعامه، ويهود الولايات المتحدة الامريكية خاصة، وحفزهم الى الاقبال على التبرع بسخاء منقطع النظير، لبناء الوطن اليهودي في بلادنا فلسطين وطردها منها.

كشفت يهود عن مطامعها في أماكننا المقدسة الاسلامية وخاصة البراق الشريف، وإعادة بناء هيكل سليمان في ساحته التي هي جزء من ساحة المسجد الأقصى المبارك، فانشغل أهالي المدن الفلسطينية بالمظاهرات والهتافات... بينما بدأ فلاحو قرانا بالهجوم والاشتباكات والصدامات وتدمير المستوطنات ومحاربة شرطة الانتداب البريطاني، وقواته العسكرية.

ثم تطور الصراع، ففي يوم الجمعة ١٦ أغسطس ١٩٣٩، صادف ذكرى المولد النبوي في ١٢ ربيع الأول عام ١٣٤٨هـ، توافد فيه الفلاحون من قراهم الى القدس، للاحتفال بذكرى المولد الشريف، فقاموا مع أهل المدينة بعد الصلاة بمظاهرة ردا على مظاهرة يهودية قبل يومين، فوجهت جموعهم الاسلامية حتى وقفت أمام حائط البراق واستمعوا الى خطبة شيخ المسجد الأقصى حسن أبو السعود، مما أثار حمية المتظاهرين فحطموا منضدة وضعها يهود هناك فوق الرصيف، وأخرجوا من شقوق الحائط عشرات القصاصات والأوراق المغروزة والتي كان فيها صلوات يهود، ووصاياهم، واسترحاماتهم... وأحرقوها.

وفي اليوم التالي، السبت ١٧ أغسطس سنة ١٩٣٩ كان بعض الشبان من يهود يلعبون (١) في ملعب (الحاشموني) شمال حي الشيخ جراح في القدس، فسقطت كرة القدم في حقل يعقوب سعيد نعمة من قرية لفتا، فدخل اليهود حقل اللفتاوي وأتلفوا مزروعات البستان وتشابك الشبان اليهود مع يعقوب اللفتاوي، وتكاثروا عليه مما اضطره الى أن يقتل أحدهم بشبريته دفاعا عن نفسه، وفر الباقيون، وقامت السلطات البريطانية باعتقالات كثيرة في صفوف العرب واليهود طيلة الأيام الأربعة التالية، وفي

(١) فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ - ١٩٣٩ للدكتور كامل محمود خلة..

يوم الأربعاء ٢١ أغسطس تحولت جنازة اليهودي الذي قتله يعقوب اللفتاوي، الى مظاهرة صاخبة طالبت بذبح العرب وقتلهم. وظل القلق والتوتر يسودان مدن فلسطين وقرائها طيلة الخميس ٢٢ أغسطس ١٩٢٩، حتى جاء يوم الجمعة ٢٣ أغسطس ١٩٢٩، وكان قد فهم الفلاحون أن المفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الأعلى في القدس قد أصدر أمراً بالتوجه الى القدس لمحاربة يهود.

انتقل الفلاحون من قرى بيت المقدس الشمالية والجنوبية مع غيرهم الى ساحة المسجد الأقصى والصخرة المشرفة وتجمعوا هناك، وخرجوا بعد الصلاة في مظاهرة صاخبة مسلحين بالعصي والمدي والخنجر والشباري والسيوف والهراوات والنباييط، اتجه المتظاهرون الى حائط البراق وخربوا لليهود ما نصبوه هناك، ثم اتجهت المظاهرة الى قرية لفتا التي تبعد عن قالونيا مسافة تقل عن أربعة كيلومترات، تضامنا مع أهل لفتا ومع يعقوب سعيد نعمة، وهناك في قرية لفتا اصطدم المتظاهرون مع يهود.

وصلت أنباء المظاهرة في القدس والاصطدامات مع يهود في لفتا جميع مدن وقرى فلسطين، وقد وصلتهم متضخمة ومبالغا فيها، وقد ساعد على ذلك ما كان يشيعه ضباط الشرطة الانجليز: "أن اليهود هاجموا المسلمين بعد خروجهم من الصلاة في المسجد الأقصى وقتلوا المئات منهم هناك وفي لفتا القريبة منا في قالونيا، ما حفز أهل بلدتنا أن يقوموا بقطع خطوط الهاتف على طول طريق القدس - يافا ما بين لفتا وقرية بيت نقوبا التي تبعد مسافة خمسة كيلو مترات عن قريتنا قالونيا الى الغرب، كما قامت طيلة ساعات ما بعد ظهر يوم الجمعة ٢٣ أغسطس ١٩٢٩ الى جانب قطع خطوط التليفونات، برشق السيارات الحكومية بالحجارة ما زاد من توتر الموقف. وفي ظلام ليلة السبت ٢٤ أغسطس ١٩٢٩، كان قد اتخذ قرار مهاجمة مستوطنة موصة التحتة جنوب بلدتنا قالونيا في صباح يوم السبت ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٩.

قام أبائنا وأجدادنا في قالونيا بالهجوم على المستوطنة اليهودية موصة قبل أي هجوم عربي آخر على أية مستوطنة يهودية أخرى في مرج ابن عامر في يومي ٢٥ و ٢٦ أغسطس وقبل هجوم أهل يافا على الحي اليهودي بين يافا وتل أبيب، قام أهل قريتنا بهجومهم الصاعق على المستوطنة موصة قبل أن يقوم أهل صفد بأحداث ٢٩ أغسطس ١٩٢٩، وبذلك تكون قريتنا قالونيا أول القرى الفلسطينية التي أعلنت عمليا أن الحديد لا يفله الا حديد مثله وأن الحق لا يؤخذ الا عسكريا، بل لا أذهب بعيدا ولا أكون مبالغا اذا أعلنت أن أهل قريتنا قالونيا هم أول من قام من بين العرب بأخذ

زمام المبادرة العسكرية، وقد شاركهم في هذا الأمر دون أن يسبقوهم فيه أهل مدينة الخليل، حيث قاموا في الوقت نفسه، بهجومهم على الحي اليهودي، وقتلوا فيه أكثر من خمسين يهوديا.

قام أهل البلدة بهجومهم في الساعات الأولى من شروق يوم السبت ١٩٢٩/٨/٢٤ على محورين اثنين: أحدهما عن طريق الجبائل في الجنوب والجنوب الشرقي، والطريق الثاني من ناحية الجسر وعين الجسر في الجنوب والجنوب الغربي. وتركز الهجوم أولا على منزل بروزة وعلى مصنع الطوب والقرميد، ومنزل صاحبه مختار المستوطنة اليهودية حينذاك ميخائيل شتاينبرج. ومما هو جدير بالذكر أن يهود المستوطنة كان قد وصلهم ليلة السبت ١٩٢٩/٨/٢٤ نبأ الاستعداد للهجوم، مما حدا بأثنين من سكان المستوطنة وهما منتيهاو بروزة وموشيه مكلف أن يأخذوا الأمر بكل جدية وحسبان، فتوجهوا من فورهما الى القدس لطلب المساعدة من الادارة الصهيونية، وعادا وفي معيتهما عشرة مسلحين من أعضاء منظمة الهاغاناه (١) المدربين والمسلحين مدججين بالسلاح والذخيرة بقيادة اليعازر ليرمان (٢) وفعلا استطاعت هذه النجدة أن تدافع عن يهود المستوطنة الذين نفذوا أوامرها بعد أن انصاعوا لأوامرهم وإرشاداتهم، فتجمعوا في مكان واحد ونجوا من الموت المحقق فيما لو ظلوا في مساكنهم المتباعدة والمنتشرة فوق مساحة ٣٠ دونما.

والغريب في الأمر أن القلوانيين المهاجمين لم يكن في حوزتهم من السلاح المناسب لمثل هذا الهجوم، فكل ما كان لديهم هو:

سيف مع أحمد عويدات، وشبرية مع محمد سمرين الذي كان يكنيه أبناء البلدة "بأبو عبد الله" وخنجر مع محمود طليب، وفأس مع رمضان علان، وشبرية مع نعمان عبد الله درباس، وعصا شخصية مع علي محمود حمدان، وموس مع أحمد حامد، وبندقية أحضرها أحمد محمود حمدان من بلدة أخواله في آخر ساعات الهجوم، أما الباقون فقد تسلحوا بالهراوات والحجارة، رحمهم الله جميعا.

(١) أوجدت الوكالة اليهودية - وقد كانت حكومة يهودية داخل حكومة الانتداب في فلسطين - أوجدت قوة عسكرية باسم الهاغاناه واعترفت حكومة الانتداب بهذه القوة رسميا في سنة ١٩٣١ وزودتها بالسلاح وبأمهر خبرائها وقوادها لاعداد أفرادها لحرب العصابات والحرب الجيوش المنظمة.

(٢) من مقال ايلات نيحيف في صحيفة ידיعون احرنوت..

كان نعمان درباس أول المهاجمين، وكان يحكم عمله مدة طويلة عند يهود المستوطنة على دراية تامة بدهاليز منازل المستوطنة وكان أول الشهداء من قريتي في ذلك الهجوم حيث أوداه بنسيون بروزة قتيلا برصاص مسدسه، وكان قريبا منه سعيد خضر درباس فحمله الى ساحة المرج ودفنوه في مقبرة البلدة الأولى في قالونيا خلف جامع الشيخ حمد، الى جانب قبر الشيخ عبد الرحمن علي سالم إمام البلدة ومحاذاة قبر أنيس المالحي.

ولما رأى المهاجمون قوة دفاع النجدة "العشرة جنود" من الهاغاناه عن المستوطنة وغزارة نيرانها الموجهة ضدهم تيقنوا أن المدافعين في حوزتهم من البنادق والذخيرة ما يكفي لآبادتهم، فتحول المهاجمون الى الجزء الجنوبي من المستوطنة وقاموا بالهجوم على بيت مكلف "النمر" وكانت عائلة مكلف قد رفضت تنفيذ أمر اخلاء البيت والانضمام الى المجموعة من أسر المستوطنة في مكان واحد. تحول المهاجمون الى منزل "مكلف" وقد سبقهم الى هناك كل من رمضان علان ومحمود طليب، قتل من سكان ذلك المنزل سبعة يهود: خمسة من عائلة مكلف نفسها: الأب الشهير بالنمر، وهو أرييه مكلف، والزوجة الأم "حية يخيال" والابن موشيه مكلف، والأختان منية ورفقة، وقتل معهم اثنان من حاخاماتهم كانوا في الدار حينذاك. أحاط المهاجمون بالمنزل، وظل حاييم مكلف يطلق النار على المهاجمين حتى انحسرت احدى الرصاصات في فوهة بندقيته، فاستعملها كعصا قاتلة، قتل بها الشهيد علي محمود حمدان لقح الذي كان أول من وصل الى مدخل منزل مكلف، وهو يهلل ويكبر قبل دخوله على مسمع ومرأى من رفاقه المهاجمين. وفاجأه حاييم مكلف، الواقف خلف الباب بضربة بكعب بندقيته على الجانب الأيسر لجهته، فخر شهيدا، وظل هناك، الى أن قام يهود باضرام النار في جثته الطاهرة، لم يستطع رفاقه المهاجمون سحب جثته، مع حضور الدبابات الانجليزية من القدس والتي باشرت بطريقة مستمرة دون توقف في رش المهاجمين بوابل من رصاصها ففرقتهم ومنعت عودتهم الى مكان المعركة لأخذه. وقد ساعدت تلك الدبابات طائفة قامت بالتحليق فوق مكان المعركة تمطر المهاجمين بزخات الرصاص المنهمر تدافع عن يهود المستوطنة.

انضم محمد مطر الخطيب الى المهاجمين في ساعات الظهر بعد عودته الى بلدته قالونيا من قرية عين كارم، وشاركهم في الهجوم على منزل مكلف، انضم ليشترك في ساعة من ساعات القدر على غير انتظار أو توقع، ليشترك مع محمد سمرين في انقاذ طفلين اثنين، حنة مكلف ومردخاي مكلف ابني الأربع سنوات والخمس سنوات على

التوالي، قام بتهديبهما مع أحد رفاقه، فقد كان الوالد رحمه الله، ورفيقه ابن عمه محمد مطر على قدر عظيم من الخلق الإسلامي، فما كان منهما الا أن أنقذا هذين الطفلين (١) من أحد المهاجمين الذي كان يهم - لحظة انقاذهما - بقتلهما. أصبح مردخاي مكلف فيما بعد رئيسا لأركان الجيش الاسرائيلي عام ١٩٥٢ ليشارك في قتال العرب واحتلال حيفا والجليل الشرقي، ثم بعد اعتزاله عين مديرا عاما لمصانع البحر الميت ومديرا عاما لمجلس تسويق الحمضيات، ومات عام ١٩٧٩ اثر اصابته بنوبة قلبية (٢).

كانت حصيلة المعركة شهيدان من أهل قريتنا قالونيا وهما: علي محمود حمدان لقح، الذي قتله حاييم مكلف، ونعمان عبد الله درباس قتله بنسيون بروزة، كما أحرقت المستوطنة تحريقا تاما (٣) فهجرها سكانها بعد قتل سبعة منهم فيها، فهجروها لمدة عام كامل، ليعودوا بعد أن قامت الادارة الصهيونية تحت حماية الانجليز باصلاحها وترميمها، ليعيشوا فيها من جديد وقد أقنعت الادارة الصهيونية للهجرة والاستيطان أحد اليهود الجدد أن يحل في المستوطنة محل "النمر" أرييه مكلف، وكان ذلك اليهودي مهاجرا جديدا اسمه "الروجاني".

على اثر هذه المعركة، كما وصلنا فيما بعد من نتائجها - قام بروزة الأب بتهديب ولده بنسيون الى نتانيا وظل هناك بعيدا عن أهل القرية حتى قتله ثوار قريتنا عام ١٩٤٨ في معركة مع يهود وقعت على مشارف القرية في باب الكروم غرب البلدة، قتلوه مع تسعة عشر يهوديا آخرين في كمين نصبوه عند مطاين أبي جورج، قتلهم ثوار بلدتنا وأذكر منهم رحمهم الله جميعا عبد الله محمد علي سلامة ومحمد صباح وابراهيم مصطفى، ويوسف الخطيب، ومحمد جمعة رمضان وشقيقه محمود جمعة رمضان، وحسين موسى فرحان، وعلي أحمد سلمان، وأحمد عبد الرحمن وغيرهم، مع جماعات من بني زيد تحت إمرة وقيادة محمد الفايز من بني صخر في ذلك الحين. وقد نصب أهل بلدتنا مع القرى المجاورة في الشارع الرئيسي الاستراتيجي بين القدس

(١) وليس - كما زعم ايلات نجيف في مقاله، أن حاييم مكلف هو الذي أنقذهما.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وكان الفضل في احراق المستوطنة يعود الى جسارة وجرة المرحوم احمد حامد الخطيب الشهير بأبو فارس. اذ استطاع مع عدد قليل من المهاجمين تنظيم وتنفيذ التحريق الكامل لها وبشكل ناجح.

ويافا، نصبوا عدة كمائن بالقرب من الكروم لاعتراض القافلة اليهودية - المحرومة بالدبابات البريطانية في أغلب أوقات تحركاتها - في طريقها من تل أبيب إلى القدس، لنقل المؤن والذخائر لليهود المحاصرين في البلدة القديمة حينذاك. وقع اليهود في كمينين اثنين بين فكي كماشة صنعه أهل بلدتنا من جهة وأهل بيت سوريك من جهة ثانية، فأبادوهم في المرة الأولى وكان عددهم ١٩ يهوديا من بينهم بنسيون بروزة، وفي المرة الثانية ١٤ يهوديا، ومنذ تلك المعارك صمم يهود على احتلال القسطل واحتلال قالونيا وتدميرهما.

قلت جاءت الدبابات الانجليزية الى المستوطنة من القدس لتحميها من المهاجمين، وبعد أن فرقت المهاجمين ودحرتهم، أخذت تلك الدبابات عصر يوم الهجوم مواقعها جنوب قالونيا في نقاط استراتيجية ثلاث: دبابية قريبة من نقطة عرفت فيما بعد بطاحونة درويش، ودبابية فوق جسر موتزا مباشرة على بعد عشرات الأمتار من المستوطنة، ودبابية فوق جسر الدباغة جنوب البلدة، ودبابية رابعة فوق منزل عبد الرؤوف نسيبة عند مدخل أراضي النقاشة. أخذت الدبابات الانجليزية مواقعها تلك وأحكمت تطويق بلدتنا ومحاصرتها ليلة الأحد ١٩٢٩/٨/٢٥.

كان الشيخ حسين سلامة عسكر وزوجته عزيزة محمد علي سلامة عسكر نائمين تلك الليلة فوق سطح منزلهما كغيرهم من الناس يهربون من حرارة الصيف داخل الدور إلى نساءم الليل ورقتها فوق سطوحها، قام الشيخ وزوجته لصلاة فجر الأحد ١٩٢٩/٨/٢٥، وبدأ للجنود الانجليز المرعوبين والمحيطين بالقرية، بدا الزوجان وكأنهما بظلالهما التي فرضتها حركة نهوضهما من نومهما وشروعهما للوضوء لصلاة الفجر بديا وكأنهما يشرعان في أخذ موقعهما العسكري لاطلاق النار عليهم. فأطلق الانجليز الرصاص تجاههما، فقتلتهما فوق سطح منزلهما، وجرح ولدهما الصغير أحمد حسين، وبنفس الطريقة قتل الجنود الانجليز زريفة موسى حمدان والدة زوجة محمود جمعة علان التي كانت نائمة حينذاك فوق سطح الطابون في منزلها شمال البلدة من الناحية الشرقية.

شدد الانجليز قبضتهم على القرية طيلة أيام ثلاث عقب عملية دار النمر، وفي

عصر يوم الثلاثاء ٢٧ أغسطس ١٩٢٩ كان إمام القرية الشيخ عبد الرحمن سالم يجالس يوسف مروم أحد مسيحيي البلدة في منزله عند جسر الدباغة، وكان يشاركهما أحمد الديسي وأنيس المالحي بن امدللة عبد ربه خالة أحمد محمود لقح / مشعل. كان الجميع في حالة استرخاء يسحب الشيخ عبد الرحمن أنفاسا من يرجيلته، مرت في تلك الاثناء دبابية انجليزية بسرعة وهي تطلق رصاصها عشوائيا فحصدتهم الأربعة، وقد فسر أهل البلدة الذين درسوا الحادث حينذاك أن مسؤولي الدبابية الانجليزية، قد وقع في روعهم وخوفهم أن هذه المجموعة كانت لا بد أنها تستعد لعملية عسكرية أو أنها قد فرغت منها ونفذتها لتوها وخاصة أن أنيس المالحي كان يسند بندقيته إلى الحائط خلف كتفه بصورة واضحة، ناهيك أن الدبابية الانجليزية لم تلاحظ صليبا مرفوعا فوق منزل المسيحي كعلامة - تميز بيوت المسيحيين - طلبتها حكومة الانتداب منهم حينذاك، لتحميمهم من رصاص جنود الاحتلال. ظل القلق يسود القوات المحاصرة لبلدتنا، فاقترحت قوات التفتيش العسكرية لبلدتنا قالونيا وألقت القبض على الشباب والرجال، وعاشت في البيوت فسادا، ونشرت الخوف في قلوب الأطفال واعتقلوا أكثر من خمسة وأربعين رجلا من أهل بلدتنا منهم: محمد سلمان، وسعيد سلمان، وسليم سلمان، وسليمان سلامة عاصي، وصالح حماد الزير، ومحمد علي خليل من الغليظ، وعلي عيد صباح، ومحمد صباح من دار درباس، ومحمود جمعة رمضان من عسكر، وابراهيم محمود خضر، وسليم محمد خضر، وخضر صالح خضر، وعارف خليل خضر، ومحمد خليل خضر، ومحمود سعيد أسعد غنام من دار مشعل، ومحمد عطوة من دار مخلوف وأحمد عويدات من دار أبو سعد.

ووجهت اليهم تهمة التخريب وقطع خطوط التليفون، كما اعتقلت معهم القلاونة التالية اسماؤهم وعددهم ثلاث عشرة رجلا وشابا ووجهت لهم تهمة قتل سبعة من يهود موصة وهم: محمد سمرين، ومحمد مطر الخطيب، ومحمد جمعة رمضان من دار عسكر. وصالح عبد ربه وولده محمد وعلي من دار مخلوف، وسعيد خضر و خليل بكر وولده أحمد من دار درباس. وحسني بركات من دار مخلوف، ورمضان علان، وجميل جمعة من دار حمدان. كما اعتقلت رجلا كان يعمل راعيا لغنم

المختار مصطفى طه، وهو محمد صالح القطناوي، من قرية قطنا.

بعد ثلاثة شهور من عملية دار النمر، بدأت محاكمة أهل بلدتنا قالونيا، في ٣١ نوفمبر سنة ١٩٣٩، بمحاكمة المتهمين بتهمة القتل، وكان كفيلهم عند الحكومة الشيخ درويش الداوودي، وكان حاييم مكلف الشاهد الوحيد في تلك المحاكمة التي استمرت مدة شهرين عقدت خلالها خمسون جلسة محاكمة، قتل المتهمين فيها ودافع عنهم - بمعونة المجلس الإسلامي الأعلى - عدد من مشاهير المحامين الفلسطينيين والعرب حينذاك منهم: فخري الحسيني وجورج صلاح وفايز نزال وإبراهيم كمال ونصري نصر، وفي آخر جلسة في أواخر شهر يناير (كانون الثاني سنة ١٩٣٠) أفرج عن المتهمين الثلاثة عشر، وهم المتهمين بالقتل بعد خمسة شهور من اعتقالهم قضاها في السجون، بعد أن برأتهم المحكمة. وقد كانت الإدارة الإنجليزية تحاول دائما أن تلعب لعبة التوازن حتى لا تغضب أيا من طرفي النزاع من العرب واليهود، إلا بمقدار ما تمليه عليها سياستها المتحيزة دوما لليهود، ولذلك فمقابل تبرئة الثلاثة عشر قلوانيا، من تهمة قتل سبعة يهود برأت أيضا ساحة شموئيل بروزة وحاييم مكلف من قتل الشهيدان نعمان خليل درباس وعلوي محمود حمدان لقح. كما برأت المحكمة القلاونة الآخرين من تهمة تخريب وتقطيع خطوط الهاتف وتهمة السلب والنهب ورفضت المحكمة جميع الشهادات التي أدلى بها أمام المحكمة أفراد عائلة شموئيل بروزة. فأفرج عن المتهمين بسند كفالة من قبل الكفيل الشيخ محمود الدجاني، بعد أن قضاوا في المعتقل مدة شهرين كاملين.

وفي نهاية حيثيات الحكم حكمت المحكمة على أهالي بلدي غرامة قدرها عشرة آلاف جنيه فلسطيني، قام عدد من رجال بلدي بالتبرع بحجز منها، وقام رجال أفاضل من بلدي بجمع التبرعات من أهالي القرى المجاورة وكان على رأس لجنة التبرعات من أهالي القرى المجاورة السادة: عيد صباح من دار درباس، ومحمد جودة من دار أبو سعد، وقام المجلس الإسلامي الأعلى بدفع ما تبقى من الغرامة القاصمة لظهر الفلاحين المعدمين، دفعوها لصندوق حكومة الانتداب.

هذا وقد حكمت المحكمة أيضا بالسجن لمدة خمس سنوات على كل من : صالح

حماد الزير / الفليظ، ومحمود سعيد أسعد / مشعل، ومحمد علي خليل / الفليظ.

أقنعت أحداث أغسطس عام ١٩٣٩ الفلاحين من عرب فلسطين بعد محاصرة قراهم وضربهم بالطائرات وبالذبابات البريطانية وهم يهاجمون المستوطنات، أقنعتهم أن الوطن القومي اليهودي تحت حماية الانجليز وفي ظلال مظلات انتدابهم في فلسطين آت لا ريب فيه، أضف الى ذلك أن القهر الانجليزي اليهودي، وضغطه على طبقة الفلاحين في تلك القرى قد بلغ مداه، أوائل عام ١٩٣٦م، فقد ذاق الفلاحون مرارة السياسة الانجليزية اليهودية الخاصة بافقار الفلاح وحرمانه وطرده من أرضه ومن قريته، فقد كان الفلاح هو الانسان الفلسطيني الوحيد الذي يدفع جميع أنواع الضرائب في فلسطين التي وصلت في نسبتها الى أكثر من ربع دخله، وكانت أجرة العامل الفلاح في دائرة الاشغال الحكومية تتراوح بين ٧٠ - ١٣٠ ملا في اليوم، بينما أجرة مثيله اليهودي في نفس الزمان والمكان كانت لا تقل عن ٢٥٠ ملا، وقد تزيد عن ٣٠٠ مل.

وكان لإعدام الشهداء الثلاثة: الزير، وجمجوم، وحجازي في ١٧ يونيو سنة ١٩٣٠م، واستمرار سياسة الود والولاء للانجليز من قبل المفتي وآل الحسيني معه، تلك السياسة التي كانت تسعى دوما الى كسب تأييد الانجليز لها، في صراعها ضد عائلة آل النشاشيبي من أجل السيطرة على المجلس الاسلامي الأعلى أو على رئاسة بلدية القدس. وكانت من نتيجة ذلك أن التزمت قيادة البلاد التقليدية المتمثلة بزعامه الحاج أمين الحسيني، التزمت عدم التشجيع أو اتخاذ أية مبادرة إيجابية في مساندة الحركات الثورية العسكرية الهجومية مما أدى الى فشل عصبة "الكف الأخضر" والقاء القبض على زعيمها أحمد طافش عام ١٩٣٠ والى حل ثورة القسام، واستشهاده ورفاقه عام ١٩٣٥، كل ذلك زاد من نقمة الفلاحين في قراهم، فتنادوا للجهاد ولإعلان الكفاح المسلح، قبل واثناء وبعد الاضراب الشهير في ١٩٣٦، ولأول وهلة يبدو أن الأمر قد انفلت من يد الزعامه التقليدية في البلاد، بل أصبح أمر الكفاح العسكري والجهاد الهجومي المسلح في يد قيادات ثورية من الفلاحين في القرى الفلسطينية. نظمت

نفسها تلقائياً، دون إشراف أو توجيه من أية جهة أخرى. نذكر من تلك القيادات على سبيل المثال لا الحصر: قاسم الريماوي من بيت ريماء، وأبو شعبان والسيد عبد الرحمن علي شحدة من قرية لفتا، و خليل منون من عين كارم، ومحمد سمرين من قالونيا، ومحمد ذيب يطق من قرية بيت عنان، ومحمد عبد الغني من جنين، وأحمد طافش زعيم عصاة الكف الأخضر، وأحمد المحمود من قرية طمون شمال شرق نابلس، وزعيم عصاة "أبو جلدة" عام ١٩٣٣، وأحمد العرميط من قرية بيتا جنوب نابلس وصاحب شعار "ري الانجليز في البحر"، وفلاحو القيادة العليا الأربعة للحركة القسامية: العبد قاسم ومحمود زعرورة، وكانا يبيعان الجاز في مدينة حيفا، ومحمد صالح صاحب كاترة، وأبو ابراهيم الكبير صاحب دكان لبيع الصوف والأكياس، ومصطفى علي الأحمد من صفورية وغيرهم... وغيرهم كثير.

وقد حارب هؤلاء الأشاوس، ومن كانوا يجندونهم من رجال قراهم العصابات اليهودية المسلحة مثل البالماخ، والهاجاناه، وشتيرن، وغيرها، من العصابات التي ظهرت تباعاً. وكانت حادثة تهريب السلاح لليهود، في أكتوبر سنة ١٩٣٥ في ١١٦٦ برميلا بمثابة إعلان مُدَقِّ من اليهود، يعلنون فيه أنهم يتسلحون تسليحاً واسعاً على مستوى كبير مما يكفي لتجهيز جيش كامل لتحقيق هدف شامل وهو انشاء الوطن اليهودي في بلادنا فلسطين، مما أدى الى غضب رعيب، وهياج شديد بين الفلاحين من عرب فلسطين وخاصة. فصار القروي يفكر في تسليح نفسه، فباع قطعة أرضه الصغيرة أو بقرته الوحيدة أو صيغة زوجته أو حلي أمه ليشتري بقيمة ذلك سلاحاً، فقد أبقن الفلاحون أن لا فائدة ترجى على البعد المنظور من السياسة التقليدية للزعامة الفلسطينية حينذاك، كما صار الفلاحون لا يضاربون بلميم واحد في بورصة وطنية وجهاء البلاد أولاد العائلات، وكبار الملاك والتجار الذين دأبوا على مصانعة يهود والانجليز إرضاء لمصالحهم وحفاظاً على إمتيازاتهم. فصار كل فلاح وفي كل قرية يحاول شراء قطعة سلاح تحميه، أسلحة متعددة النماذج تجدها في القرية الواحدة، عياراتها مختلفة الصنع وذخيرتها شحيحة اعترضتها الكثير من المشاكل والصعوبات للمحافظة عليها أو لتجديدها أو للحصول على بديل لها في حالة تلفها أو... نفاذها!

ويشهد الله والتاريخ والناس من المطلعين على الأمور أن الفلاحين الفلسطينيين كانوا هم طلائع العمل العسكري الرائد سواء في منطقة القدس وقراها أو في منطقة نابلس وجبالها. أخذ هؤلاء الأشاوس على عاتقهم استحضر السلاح وشراءه والتخطيط للعمليات العسكرية وتنفيذها ضد قوات الاحتلال البريطاني وضد يهود. وهذا ما أشار اليه المحللون لأحداث وتاريخ الصراع الفلسطيني العربي - الصهيوني، عندما أشاروا الى أن جماهير الشعب الفلسطيني (وغالبيتهم من الفلاحين) كانت دائماً تسبق قياداتها في مجال الثورة المسلحة وفي ميدان التضحية والفداء، مما كان يفقد تلك القيادات القدرة على اللحاق بنضال جماهيرنا أو حتى مسايرتها منذ بدأ صراعنا مع عدونا... مع يهود (١).

كان لمحمد سمرين مع السلاح علاقات تتسم بقدسية خاصة، ومحمد البدوي وهو صاحب الشعر المرسل خلف ظهره في جديلتين اثنتين في بداية حياته في قرية قالونيا وصاحب العينين الكحيلتين على عادة رجال البادية البارزين في ذلك الزمن، ومن ثم اكتسب اسمه المعروف بمحمد البدوي، وتوقيراً له واحتراماً نادوه بكنيته "أبو عبد الله" وظلت كنيته تلك دارجة على ألسنة الرجال والنساء في البلدة حتى وقت متأخر، حتى آذار عام ١٩٥٥ عند أهل جيله ومعاصريه والذين شهدوا له عملياته البطولية عن كسب أو عن بعد.

(١) اعترف المكتب العربي الذي ترأسه موسى العلمي، بأن ثورة سني ١٩٣٦ - ١٩٣٩ لم يتم بها المتعلمون في المدن، بل عصابات من القرويين في الجبال وفي القرى التي كانت تقدم لها المعونة والرزاق والمأوى.

ويقول أميل الغوري "والحقيقة الثابتة ان الفلاحين في فلسطين بصورة خاصة والى جانبهم من العمال بصورة عامة، هم الذين دفعوا ضريبة الدم وضريبة المال لفلسطين وحققها في الحياة... وهم الذين تحملوا العبء الأكبر في الدفاع عن فلسطين خلال الثلاثين عاماً التي قضتها في مناهضة الاستعمار".

ويذكر عزة دروزة "كان أكثر المجاهدين من القرويين...".

ويؤكد جورج أنطونيوس ان الثورة هي ثورة الفلاحين... الى أن يقول فالقوى المحركة للثورة ليست هي الزعماء الوطنيين... انما رجال من طبقات العمال والمزارعين يخاطرون بحياتهم فيما يعتقدون أنه الطريق الوحيد الذي بقي أمامهم لتسليم لهم بيوتهم وقراهم. (من كتاب فلسطين والانتداب البريطاني للدكتور كامل محمود خلة).

وعلاقات محمد عبد الله سمرين مع سلاحه قديمة راسخة، بدأت معه ولم يكمل السابعة عشر من عمره، كان يعتبر نفسه من القناصة المبدعين في عالم الرماية، ولم يسبقه في ذلك أحد من أهل بلدته قالونيا، وقد تسابق شباب القرية - فيما بعد - بين يديه إلى تركيته لهم في استعمال البندقية أو المسدس في الرماية، وكثيراً ما سمعته يشيد بالسادة: محمد جمعة رمضان عسكر وعلي أحمد سلمان / غليظ في اجادة اصابتهم للهدف، وكان يعتبرهما من أحسن الرماة وأفضل القناصة.

رجع محمد عبد الله سمرين إلى قريته قالونيا، مسقط رأس أجداده، وآبائه وأهل عشيرته. رجع عام ١٩٢٠م، ومعه بندقية السواري، يسير في الليل وينام ويستريح مع بندقية بعيداً عن الأنظار في النهار، يختار مخبئه في أحراش عجلون (١) وغابات جرش، وحقول الزرع في الأغوار أو في بساين الأشجار على سفوح جبال القدس وقممها. وقد أضاف فيما بعد إلى بندقية مسدساً من فئة الطاحونة مع جناد وهو حزام جلدي عريض عليه العديد من العراوي تتسع الواحدة لوحدة ذخيرة البندقية أو عبوة المسدس التي تثبت في هذه العراوي، وقد أضاف إلى هذا الجناد حزامين آخرين يبدأ كل منهما من الجناد عند إحدى الخناصرتين ماراً فوق الكتف المخالف منتهياً بالجناد من الخلف، وكان الوالد رحمه الله يسميه بالتركية "سحلك" كان يحدث ذلك في الوقت الذي كانت تصل فيه عقوبة من تضبط عنده رصاصة فارغة إلى السجن لمدة ثلاث سنوات، وقد تصل أحياناً إلى خمس. أما حيازة المسدس، أو البندقية، فلم تكن تقل عن السجن المؤبد، ولربما وصلت إلى الإعدام!

كان رحمه الله عنيفاً في مواقف العنف، يركز عنفه على عناد لا حدود له في مواقف ما يراه حقاً في قرارة نفسه، وكان مع ذلك مرحاً يتسم مرحه بالرزانة والتعقل، مشهوداً له بالشجاعة من غير، رغم أنه لم يحاول قط الحديث عنها، أو الإشارة إليها. عرفه أهل بلدنا قبل الشتات تمام المعرفة، فكان موضع إعجاب واحترام النساء والرجال في قريته عرفوا فيه حب التعاون معهم وروح الانتماء الحق اليهم. فتعرض النساء والرجال مشاكلهم الزوجية وقضايا الإرث أو الخلافات العائلية عليه، يسترشدون برأيه ويستأمنون به.

(١) وكما حدثتنا الوالدة عن قصصه مع الضباع ومع دبة أحراج عنجرة في أولي سني فتوته، وكانت عنجرة (قضاء عجلون) حتى أوائل القرن العشرين مشهورة بأحراشها وديها بل وبفهودها المعروفة بشراستها.

كان في داخل كيانه يؤمن أن الفعل وليس القول هو ما يميز الرجال الصادقين عن غيرهم من المتبجحين الكاذبين الذين لا فرق عندهم بين قولهم وبولهم، على حد وصفه لأحدهم، وإذا كان للكلام ضرورة عنده فإنما ذلك لا يتأتى إلا بعد تنفيذ الفعل ونجاحه، لم يكن يعرف الخوف إلى قلبه طريقاً، وكان شريفاً عزيزاً، تظهر عزته من خلال مواظبته على صلاته وخوفه من الله، تنظر إلى ملامح وجهه فيمتلئ قلبك بالرهبة التي تمتزج بالتوقير والاحترام، تبدو عليه سمات الكبرياء، كبرياء الجبال وقممها في بلدتنا قالونيا. تدور داخل نفسه جدلية الحياة بكل أبعادها في معركة صامتة، كان يعتبر نفسه جندياً من جنود الله وظيفته أن يقتل ما يستطيع من يهود ومن حماة الانجليز وغيرهم... وكان كثيراً ما يردد المثل "الدار دار أبونا وأجوا الغرب يطحونا" ويصر دائماً على أن السيف الطاليل يعدل الحق المائل.

وقد حدثني محمود جمعة رمضان وكان رفيقه وحامل سره، يحضر في الامسيات عنده في منزله، يقرأ عليه الجريدة ويحدثه عن الأخبار السياسية والعسكرية في البلاد، أخبار الأحزاب الجديدة والمنشقة، أخبار عوائل الحسيني وآل الناشبي وصراعاتهم التي لم تنته، أخبار طرد الفلاحين من أراضيهم، وأخبار الساسة والخونة.

حدثني أبو إبراهيم وتلك كانت كنيته بكلمات تليق بالموصوف قال: "كان والدك ثورياً وقومياً، تتأجج داخله أحاسيسه الثورية، ومشاعره القومية الحقة والوطنية الصادقة كل تلك الأحاسيس والمشاعر قد تبلورت عنده في عمليات فدائية عديدة، وقد اختارني مستشاراً له، أصف له أماكن وسكن يهود في المستوطنتين، سكن من ينوي مهاجمته من يهود موصة وازرا. وكنت أعلمه بعض مفردات العبرية الضرورية للتواصل مع يهود أثناء عملياته عند الضرورة، وكنت أجيداً حديثاً وقراءة وكتابة لطول عهدي بالعمل عندهم في مصنع الطوب والقرميد عند ميخائيل شطينبرج. كان والدك رحمه الله سباقاً في تصديه لليهود، بارادة حديدية وعزيمة وتضحية وفداء لا حدود لها، لم ينتم لأي حزب من الأحزاب الفاسدة دون استثناء آنذاك، والتي كانت تعج بها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ولم ينتسب إلى أي تنظيم، بل قام بواجبه بما يملكه عليه إيمانه بالله ومحاربة أعداء الله الذين هم أعداؤه، يقوم بذلك بشكل فردي، فلم يمر بمتطلبات تنظيمية أو تثقيفات ثورية.

كان محمد سمرين يتبع الأسلوب القسامي في النضال: قبل عملياته كان يقوم بقطع الطريق على يهود وحراسهم الانجليز بين القدس ويافا، فمرة يكمن في نقطة معينة في حي روميما اليهودي في القدس، واخرى يترصد يهودا عند نقطة يختارها في احدى منعطفات القسطل القديمة والمتعرجة، ومرة ثالثة ينصب كمينه هناك... في باب الواد.

يصف أبو ابراهيم إحدى روائع أبي عبد الله من العمليات الفدائية التي قام بتنفيذها بنجاح في أوائل أيام ثورة سنة ١٩٣٦: بينما كان أهل بلدتنا عصر ذات يوم يقومون بدفن المرحومة حسنة حمد من قرية قطنا، وكانت في زيارة ابنة شقيقتها فاطمة محمد علي سلامة زوجة سلامة حسين سلامة، وقد توفيت عندها، وكان من عادة أهل بلدتنا أن يشترك كل الرجال من شيوخ وشباب وفتيان في جنازة ميتهم، مرت سيارة من نوع لاند روفر وعلى متنها خمسة من الشباب اليهود المجندين لحراسة المستعمرات، مرت سيارتهم بمحاذاة المقبرة الرئيسية لأهل بلدتنا على الشارع الكبير الذي يربط القدس في الشرق مع يافا على البحر في الغرب، مرت وهم يرففون راية قماشية ثبتوها فوق مكنسة ترفعها عصا طويلة وهم يرددون هتافا بالعبرية، سألتني أبو عبد الله عن مضمون هتافهم فأخبرته أنهم يشتمون العرب ويستفزوننا ويهتفون "فلسطين بلادنا... والعرب كلابنا". صعق أبو عبد الله، وضرب كفا بكف، وقال كلمته الاستنكارية التي اعتدنا سماعها منه في مواقف النخوة والشهامة والإباء ومواقف التحدي والتصدي والوعيد والتهديد... باطل... باطل... وانا أخوكي يا عوفة (١).

وكان رحمه الله يؤمن كل الايمان أن فلسطين بلادنا نحن العرب الفلسطينيين، وأن اليهود كلابنا لا كما يزعمون في هتافهم في كل مرة يمرون فيها بسياراتهم أمام العرب هنا وهناك، وهم يهتفون هتافهم العدواني الاستفزازي، ذلك الهتاف الذي أصبح ضرام المشاعر الوطنية والأحاسيس القومية في صدر أبي عبد الله فقام برائعته الفدائية التي يعرفها كل أهل قريته قالونيا من معاصريه والتي وصلت أخبارها الى من أصبح زعيما لفلسطين وقائدا لثورتها الكبرى، الى الحاج أمين الحسيني، الزعيم الروحي والديني للشعب الفلسطيني حينذاك. وقد عرفت تلك العملية باسم "عملية بلحة" عرف الوالد

(١) شقيقته الكبرى رحمها الله..

من صديقه الحميم أبي ابراهيم أنهم مجموعة من الحرس اليهودي، اعتادوا المرور صباحا وعصرا من كل يوم من أيام العمل عندهم بين مستوطنة موصة التحتا وقبنة الخمسة خلف القسطل على طريق القدس - يافا، أمام قريتنا، وفي فجر يوم العملية تسلل أبو عبد الله ببندقيته يخفيها تحت عباءته السوداء الى نقطة حددها في منعطف حاد من منعطفات القسطل المشهورة، اختار نقطة قريبة من منزل "طه ورده العكرماوي" في بيت ليهودي كان مهجورا منذ أن أحرقه أهل بلدتنا في هبة أغسطس عام ١٩٢٩ ترصد هناك فوق عتبة في تلك النقطة ينتظر مرور السيارة المعنية. لم تخطئ السيارة وقتها فلاحته له وعلى متنها رجالها وهي هابطة المنعطف الحاد ذاك الى موصة التحتا وبسرعة خاطفة لا تحتل التردد أطلق رصاصة واحدة صوب سائقها... فترنخ السيارة في سيرها بين هياج العمال فوق متنها وصياحهم داخلها، وفي هذه الاثناء وبنفس السرعة أفرغ محتويات بندقيته في اتجاه عمال السيارة... وما هي الا لحظات حتى استقرت السيارة مقلوبة في قاع الطريق عند العين الفوقية، وأمام منزل حافظ نسيبة في بلدتنا قالونيا. وقد عرف فيما بعد أن أربعة من ركابها قتلوا في تلك العملية، ويشهد أبو ابراهيم أنه منذ تلك العملية لم يسمع هتاف أو نشيد من يهود وهم يمرون من هناك.

"عملها أخو عوفة". هكذا كان يردد أهل البلدة بعد سماعهم بالعملية، كان ذلك بعد شروق شمس ذلك اليوم بساعة... ينسحب أبو عبد الله من مسرح العملية ويهرع تجاه بلدة عين كرم، وفي كرم يخص امرأة من عين كرم تدعى "بلحة" دفن ببندقيته ثم انسحب من الكرم وهو يحرق شجرة وراءه لاختفاء آثار أقدامه، ثم يدخل أرضا لسيدة عكرماوية اخرى تدعى "ارقية العنمة" أم محمد. وكان أولادها محمد ومصطفى يعملون في قلب أرضهم فشاركهم العمل وأوصى أم محمد أن تصنع له رغيفا من الخبز مع حبتين بندورة ورأس بصل في صرة خاصة تعلقها فوق شجرة، وألح لها ولولديها بالعملية التي قام بها، وطلب اليها أن تدعي أنه يعمل عندها منذ الفجر بعشرة قروش في اليوم. وأضاف أن "أختك بلحة عندها العروسة" لم تكد تمر ساعة على العملية حتى ظهرت طائرة بريطانية تجوب المنطقة على ارتفاع بسيط، ولم تمض ساعة اخرى

بسهولة، فحضرنا لزيارة صاحبها في سجن القشلة وأخبرناه أن عروسته قد انتقلت عندهما في الحرز والصون.

وكما يلاحظ القارئ من أبناء بلدي ومن غيرهم أنني أجد نفسي مصرا على كتابة أحداث عملية بلحة، بكل تفاصيلها ما أمكنني ذلك، لأجعل من تلك الأحداث محورا ترتكن اليه حقائق أساسية في نضالنا الفلسطيني ضد يهود. هذه الحقائق يتوخى القارئ لهذا الكتاب تقريرها بنفسه دون هوى في النفس أو غش في الرؤيا أو لبس في جدل، كما أتوقع منه أن ينجح في ذلك.

استمر الفلاحون في ثورتهم طيلة أواخر الثلاثينات في شتى قرى بلادنا فلسطين وفي جبالها وشعابها يتصدون للقوات الانجليزية وللشرطة وللمتعاونين معها، ويهاجمون المستوطنات اليهودية ويقطعون عليها قوافل امداداتها مما جعل القيادة التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية حينذاك والتي سيطرت ردحا من الزمن على مجريات القرار في قضايانا المصيرية. أقول مما جعل تلك القيادة تخاف من اشتداد نفوذ الفلاحين، وقد ظهر ذلك جليا في مقال لجمال الحسيني نشر في جريدة الديلي ميل البريطانية في لندن بعد ثورة سنة ١٩٢٩م وما صحبها من ذبح لليهود في الخليل، وفي قالونيا.. وصفد، ختم جمال الحسيني سكرتير المجلس الاسلامي الأعلى مقاله ذاك بقوله: "أننا - أي الزعامة الحسينية أو المجلسية - أخذنا نضيع نفوذنا عند الفلاحين، فاذا لم نفعل شيئا لإزالة الجور، فاني أخشى من تجدد الاضطرابات والمشاكل لا محالة..".

استمر الفلاحون في ثورتهم واشتدت مطاردتهم للجواسيس والساسة وكان أن قامت قوة من الحياالة البريطانية وشرطتها بالقبض على السيدين محمد مطر الخطيب وعلي عيد صباح في أواخر تموز (يوليو) ١٩٣٦ بعد تطويق البلدة مدة خمسة أيام يحققون ويستجوبون، حتى وجهوا أخيرا تهمة محاولة قتل أحد ساسة الأرض ضد الرجلين اللذين أمضيا خمسة شهور في معتقل صرفند، ثم برئت ساحتهم بعد ذلك. وفي نوفمبر سنة ١٩٣٧ قامت مجموعة من رجال البلدة بقطع أسلاك الهاتف وبرشق السيارات العسكرية واليهودية بالحجارة ووضع الحواجز في الشارع الرئيسي بالقرب

حتى كانت مجموعة من جنود الانجليز المشاة ومعهم أحد أبناء شموئيل بروزة واسمه مطا، تدخل الكرم واستجوبوا المجموعة، وتعرف مطا وهو من سكان مستعمرة موصة على الوالد، وأشار نحوه وهو يشتم ويتوعد أنه أحد الذين شاركوا في عملية دار النمر سنة ١٩٢٩، وقد قدر أنه لا بد أن يكون هو المنفذ لهذه العملية.

اصطحب الجنود الوالد معهم الى القدس مقيد اليدين، وأودعوه سجن القشلة التركي القديم، في قلعة المباحث الانجليزية، قلعة الارهاب والتي عرفت في أيامهم باسم "السي أي دي". لم تنتظر أم الثوار وشقيقتهم السيدة رقية العتمة مرور الزمن، فأسرعت الى بيتنا في قالونيا: هرولت تقطع الوادي الكبير وتعب الشارع العام وتصد عقبة تينة عبد الرحمن لا تلوي علي شيء، وفي نفسها تعتلج مشاعر وخواطر وانفعالات شتى، في غير اضطراب أو رعب، أو دهش، وانما استقرار واصرار على بث الطمأنينة في بيت أبو عبد الله وأفراد أسرته. أخبرت أم الثوار الشقيقة دله والوالدة بالقصة، وأخبرتاهم أن العروسة موجودة عند السيدة بلحة.

ذهبت شقيقتي دله على الفور الى صديق الوالد وأحد مخاتير بلدتنا قالونيا السيد سعيد سلمان الغليظ وأطلعته على أمر الوالد ليذهب من فور الى السيد عيد صباح درباس أحد المشرفين على أرض آل الحسيني في قريتنا حينذاك، ونحكم مسؤوليته تلك يتمكن من ايصال الأخبار الى الحاج أمين الحسيني في منزله أو في مكاتب المجلس الاسلامي الأعلى في القدس. وفي صبيحة اليوم التالي كانت مكاتب المجلس الاسلامي الأعلى تعج بحركة المراجعين، وكان من ضمنهم السيدان سعيد سلمان الغليظ وعبد صباح درباس. قاما باطلاع الحاج أمين على قصة محمد سمرين بتفاصيلها، فانتدب المجلس عددا من المحامين للدفاع عنه، استطاعوا وبعد أربعين يوما من اعتقاله في سجن "السي أي دي" تفنيد شهادة مطا شموئيل بروزة ضده، ومن ثم تبرئته. وفي نهاية الأسبوع الأول من انزال الوالد في سجن القشلة كانت الشقيقة دله قد زارت السيدة بلحة في منزلها في عين كارم، وانتدبت السيدة بلحة صديقي الوالد وهما محمد الشخامي وشقيقه علي الشخامي في الكشف عن البندقية في أرضها، فعثرا عليها

من نقطة عند مطحنة درويش ومقابل قرية خربة اللوز وعند مطاين أبي جورج غرب بلدتنا بجوار قلعة القسطل، وتعرضت المستوطنتان أرزا وموصة الى اطلاق النار بصورة متقطعة. فطوقت البلدة واعتقل من شبابها ما يزيد عن الأربعين شاباً (١) وكانوا هذه المرة من موظفي وعمال التلفزيون الحكوميين وعلى رأسهم المرحوم محمود حسن اخليل، صاحب لقب "فاعل خير" في بلدتنا، كما قبض على مجموعة من عمال فبركة ميخائيل شطينبرج كما شملت حملة الاعتقال في تلك المرة شباب القرى على طول طريق القدس - يافا ومنهم الشهيد الشاب حسن أحمد عودة من قرية بيت نقوبا، قبضوا عليه وفي حوزته مقص خاص بجوار بلدة قرية العنب "أبو غوش" فكان أن حوكم وتم تنفيذ حكم الاعدام فيه. أما الباقون من المعتقلين فقد أرسلوا الى سجن مزرعة عكا وظلوا فيها مدة عام كامل (٢) أطلق سراحهم بعده وجرح في ذلك الحصار السيد محمد مطر الذي اصيب اصابة بليغة في يده، لا تزال آثارها بادية حتى اليوم، وقد تسبب ذلك في اعاقتها وعدم القدرة على استخدامها بصورة صحيحة، وكان ذلك اثر مطاردته من قبل جنود الاحتلال للقبض عليه في منطقة تقع في شال قريتنا بالقرب من منزل أحمد حامد الخطيب. وقد تبادل كلاهما اطلاق النار مع الجنود الانجليز، قامت السيدة فاطمة الحاج حسن الخطيب زوجة أحمد حامد محمود الخطيب بعملية الاسعافات الأولية للجرح، ثم انتقل برفقة أي فارس رأساً الى المركز الصحي على بعد ثلاثة كيلو مترات الى الشال من بلدتنا في

(١) دخلت الشرطة تحت قيادة فايز بك الادريسي القرية بيتا بيتا ولمدة خمسة أيام قامت بالتحقيقات بعد أن جمعت كل من تجاوز الرابعة عشرة من الرجال في ساحة الدار أمام دكان اسماعيل خليل رمضان في وسط البلدة تحت الضرب والاهانة بالعصي والكراييج الجلدية ومن ثم ساقطهم جميعاً للاعتقال بعد أن عاثت في بيوتهم فساداً وتخريباً لأناثهم ومؤنهم...!

(٢) وكان ممن اعتقلوا في سجن مزرعة عكا ذلك العام السادة محمد مطر الخطيب ومحمود جمعة رمضان من عسكري، ومحمد عبد الرحمن علي سالم الغليظ وعلي عيد صباح درباس وكلهم من قالونيا، والسادة مصطفى عديلة، و خليل منون، وعلي الغباري وكلهم من عين كارم. وفي المعتقل التقى الجميع بكثير من رجالات العمل الثوري أمثال أحمد الشقيري وشقيقه أنور، والاستاذ محمد عزة دروزة، "المحسوبين" على العمل الثوري، أمثال عوني عبد الهادي! ورشيد الحاج ابراهيم..

قرية القبية، وهناك تم تضديد الجرح على أن يذهب السيد محمد مطر الى المستشفى في اليوم التالي، ولكنه لم يستطع العودة الى داره في قالونيا فبات محمد مطر في داره لابن عمه مصطفى رمضان في بستان له في بيت مزنة، وفي الصباح، سائراً على الأقدام، بعيداً عن أعين الجنود والجواسيس، ومن طريق عين طلعة / بيت اكسا / لفتا وصل الى المستشفى الألماني. أدرك الدكتور كنعان الموقف، فبادر الرجل قائلاً: "آه انت اللي قرصت الحية" وقال، بسيطة، ما تخاف، وأجرى له العملية المطلوبة وأمره بعدم مغادرة المستشفى، وأبقاه الدكتور كنعان هناك خمسة أيام يتابع جرحه، ويحرسه ويحميه... موقف نبيل تجلت فيه، شهامة ووطنية هذا الطبيب في أنقى صورها.

ظل محمد سمرين يقوم بعملياته منفرداً حتى أوائل عام ١٩٣٨ يختار هدفه السلوكي في نطاق هدفه العام ويحتفظ بمخططة وأساليبه وتوقياته، لا يطلع سمر حتى على زر، فتمثلت فيه السرية التامة، فكان النجاح حليفه في معظم عملياته التي كان يخطط لها تخطيطاً جيداً نابعا عن ذكاء عجيب، وساند هذا النجاح عنده تجاوب مساعده وصديقه محمود جمعة رمضان، أمين سمر، وموضع ثقته. كما ساند هذا النجاح ونجاح العمليات الفدائية في شتى قرانا وجبالنا، التعاون التام بين أهل القرى مع الثوار، فقد كانت بيوت الفلاحين ملجأ لكل ثائر ومناضل يقدم له الحماية والطعام، وكل ما يحتاجه الثائر المطارد.

توجه محمد سمرين عصر أحد الأيام الى حي روميما، وقد تنكر بلباس امرأة مقدسية من نوع "الملاية الزم" وهو لباس من قطعتين فضفاضتين يغطي لابسته من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، فلا يظهر منها شيء، تحرك أبو عبد الله في ذلك اللباس وكان قد أحضره له أبو ابراهيم من أحد زملائه المقادسة العاملين معه في فبركة ميخل، سار في ملابسه تلك أمام جنود الاحتلال وأمام يهود في أحد اكبر أحيائهم في القدس، حتى وصل الى نقطة تقف عندها حافلة ركاب يهودية من باصات شركة إيجد اليهودية، صعدت "السيدة" عتبة الباص لتخرج يدها من تحت الملاية بمسدس تصوبه داخل الباص وتفرغ كل رضائاته في ركابه ثم هرولت نازلة بسرعة مبتعدة عن مسرح العملية، وظل سائراً لا يلوي على شيء متنقلاً من مكان الى مكان، أماكن كان قد حددها ودرسها واستعد لها حتى وصل الى مداخل بيت هاكاريم، ثم يصل بعدها الى قرية المالحية، وهناك في منزل أحد سكانها استبدل ملابسه كاملة بعد أن قدم طاقم الملاية الزم هدية لسيدة المنزل، ثم هبط ليلاً الى داره في قالونيا.

وفي اليوم التالي خرجت الصحف تتحدث عن عملية فدائية جريئة لسيدة أو شاب متخفياً في ملابسها، وقال أحد شهود العيان أن السائق قد قتل وهو على مقود الباص من هول المفاجأة، وإن ثلاثة جرحى من ركاب الباص قد جرى اخلاؤهم عن مسرح العملية وقد صرح مصدر بلسان الشرطة أن هذا النمط من الهجمات غير مألوف ولم يسبق له نظير.

وقد وقعت عملية الوالد الفدائية ضد المحافلة اليهودية تلك في أواخر شهر حزيران عام ١٩٣٦ بعد مقتل أحد قادة ضباط الشرطة الانجليز في القدس "سكرست" (١) على يد الشهيد سامي الانصاري أحد مفاخر الشباب الفلسطيني رحمه الله.

روى لي أبو ابراهيم عدداً آخر من العمليات الفدائية للوالد أهمها محاولته اغتيال ضابط انجليزي كان يعمل مساعداً لقائد شرطة قرى بيت المقدس (السيد فايز الادريسي) ترصد محمد سمرين له ثلاث مرات في ضاحية بيت هاكيرم حيث كان يسكن، ولكن محاولته لقتله قد فشلت بسبب مضاعفة الحراسة المشددة على الضباط الانجليز، بعد مقتل "سكرست".

كما روى أبو ابراهيم عمليات أخرى قام بها أبو عبد الله في مستعمرة ارزا المواجهة لبلدتنا مثل عملية اقتحامه لمنزل عيش اليهودي واصطدامه بحرس المستوطنة حينذاك وقتله لحارسين منهم في سبتمبر ١٩٣٧ ...

ظلت عمليات الوالد الفدائية ولفترة طويلة تثير الهلع والتوتر في قلوب يهود وبين صفوف شرطة الاحتلال وجيشه على طول طريق القدس - يافا، حتى ظنوا أن هذه العمليات إنما تقوم بها مجموعات متعددة من الثوار، وقد أكد لي الوالد رحمه الله أن مسرح عملياته لم يتجاوز المنطقة الممتدة بين محنات يهودا الملاصقة للقدس حتى نقطة تقع عند قرية العنب "أبو غوش" القرية من باب الواد.

(١) "ألن سكرست" قائد شرطة القدس الانجليزي، أقدر من عرفته فلسطين من اعدائنا الانجليز، لم يكن له هم الا اذلال كل ما هو عربي فلسطيني بالكلمات أو بضرب العصي والهرافات وبتكسير العظام والجمجمات كما حدث مع الشهيد صبحي قطينة. وكان من ضمن من حاول اهانتهم بعد ضربهم شابان من مفاخر شباب فلسطين بل مفاخر الامة الاسلامية جمعاء الشهيد سامي ابراهيم الانصاري والبطل المناضل صديقه الحميم بهجت عليان أبو غربية أطال الله عمره. هذان البطلان استغرقا مدة شهر كامل في وضع خطة قتل ذلك الوحش الانجليزي تكللت خطتهما بالنجاح وقتلاه بالمسدسات في مكان طلوع ستنا مريم عند مفترق وادي الجوز في القدس..

حظيت تلك العمليات الفدائية باعجاب زعيم الحركة الوطنية حينذاك الحاج محمد أمين الحسيني الشهير بأبي صلاح، فاستدعى المجاهد أبا عبد الله بواسطة الحاج عبد صباح وأحقه كأحد حراسه المتصقين به، وكان ذلك في شهر يونيو من عام ١٩٣٧، وفي ليلة ١٤ أكتوبر من العام نفسه، شارك المجاهد محمد سمرين في خفارة الزعيم في مخبئه داخل المسجد الاقصى، وتهريبه عن طريق البحر الى لبنان، لأن الحكومة البريطانية كانت قد أنكرت على الزعيم موقفه من مشروع التقسيم الذي أصدرته اللجنة الملكية في يوليو ١٩٣٧، فقررت عزله واعتقاله. وفي يناير من عام ١٩٣٨ لحق المجاهد محمد سمرين بالزعيم ليتابع حمايته ومرافقته في حله وترحاله داخل لبنان وسوريا. وظل ملازماً له كظله طوال اقامته في قرية الزوق بضواحي بيروت، الى أن اضطر المفتي الى مغادرة لبنان الى بغداد في ١٣ أكتوبر عام ١٩٣٩ على أثر مضايقات الفرنسيين له هناك. ومنها سافر الى ألمانيا، وكانت الحرب الكونية الثانية قد اندلعت في سبتمبر سنة ١٩٣٩، ومن ثم عاد حارسه ومرافقه الخاص أبو عبد الله الى قريته قالونيا وبقي يعمل في فلاحة أرضه، وفي أعمال البناء والعمالة الشاقة زهاء ثلاث سنوات. حتى التحق في خدمة الحزب العربي عام ١٩٤٢ في حي القطمون في القدس. وكان هذا الحزب قد أنشأه المجلسيون من عائلة الحسيني عام ١٩٣٥ وانتخبوا جمال الحسيني رئيساً له، والحقيقة أن أكثر الفلسطينيين التفوا حول هذا الحزب على أساس أنه حزب المفتي، وكان بالفعل أقرب الأحزاب الى فئات الشعب الكادحة من الفلاحين والعمال والطلبة. وكان له فروع كثيرة في القرى والمدن وأنشأ هذا الحزب فرق الفتوة في كافة أنحاء البلاد. وظل هذا الحزب في صراع على النفوذ (١) مع حزب الدفاع حزب آل النشاشيبي. صراع حتى القتل حول رئاسة المجلس الاسلامي الأعلى ورئاسة بلدية القدس، وظل التنافر والصراع بين الحزبين حتى طغت المصالح الذاتية عند هاتين العائلتين على مصلحة القضية المشتركة ومصيرها، وكان التنافس على الزعامة بين هاتين العائلتين عبر حزبيهما السابقين في مقدمة النكبات التي ابتلي بها الشعب الفلسطيني،

(١) وكما ورد في كتاب د. كامل محمود خلة، "فلسطين والانتداب البريطاني"، وكان في هذا الوقت لكل عائلة من عائلات البلاد المنتفذة حزب يحافظ على مصالحها الذاتية، قبل مصلحة الوطن ومصلحة أهله:

- ١ - الحزب العربي الفلسطيني (زعامة الحسينية أو المجلسيين)
- ٢ - حزب الدفاع (زعامة النشاشيبيين)
- ٣ - حزب الكتلة الوطنية (زعامة آل طوقان).
- ٤ - حزب الاصلاح (زعامة أسري الخالدي والبديري)
- ٥ - حزب الاستقلال (زعامة عبد الهادي وزعيت).

وقد عبر نداء الاتحاد النسائي الفلسطيني عن ذلك في ٣١ مارس سنة ١٩٣٥م والذي نشر في جريدة المقطم، ووجه الى العائلتين: عائلة الحسيني وعائلة النشاشيبي، والذي جاء في مقدمته "نحن فريق من نساء هذه الأمة المنكوبة بزعمائها وبلاستعمارين الانجليزي، والصهيوني، قررنا في اجتماعنا الأخير المعقود في حيفا أن نوجه اليكم هذا النداء، وأن ندعوكم الى تناسي خلافاتكم والعمل متعاونين لنجاة الوطن وانقاذ المستقبل، أو نلتي عليكم تبعة هلاكنا أو خراب الوطن".

التحق أبو عبد الله في خدمة هذا الحزب، حزب المفتي، عام ١٩٤٢ وظل في خدمته حتى أوائل عام ١٩٤٦، وفي هذه الفترة اسند اليه والى صديقه سعيد سلمان أحد مخابر البلدة تأسيس النادي القومي الرياضي في بلدتنا، وقد تم انتخاب أعضاء هيئته التأسيسية من بين المنتسبين للحزب العربي الفلسطيني وهم: علي عيد صباح ممثلا لدار (درباس) ومحمد مطر الخطيب عن دار (عسكر) ومحمد مصطفى طه عن دار (حمدان) ومحمد مصطفى عبود عن دار (أبو سعد) وقد اسندت اليه أمانة صندوق النادي، وعزت أحمد محمود (مشعل) ومحمد عايش (حمدان) وأحمد عبد الرحمن (الغليظ) وقد انتخب رئيسا للنادي، ورشيد أحمد سلمان (الغليظ) مسؤول النشاط الثقافي في النادي، وقد تجلّى نشاطه في اخراج وتمثيل مسرحية وامعتصاه على مسرح جهزوه في الساحة الساوية أمام منزل دار صباح. وقد اتخذ النادي دارا للقائه في منزل صباح وبعده في منزل محمد سمرين مقرا لنادي القرية على التوالي. وكان للنادي نشاط رياضي ظهر في فريقه لكرة القدم والذي هزم في كل مبارياته التي جرت بينه وبين أندية قرى بيت المقدس حينذاك. ومن اللاعبين الذي ضمهم فريق كرة القدم في النادي: عبد العزيز اخليل (غليظ) ورشيد أحمد سلمان (غليظ) ومحمد عايش (حمدان) ومحمد جمعة رمضان (عسكر) وعثمان محمد عثمان (عسكر) ومحمود سعيد الاصفر (غليظ) وشفيق أحمد مصطفى (مشعل).

ولما اشتدت وطأة الثورة الفلسطينية على قوات الاحتلال الانجليزي وعلى اليهود في فلسطين، اتخذت شعار "فرق تسد" سياسة لها. فنشرت الارباك السياسي والاجتماعي والعسكري في الساحة الفلسطينية كلها، في قراها بعد مدنها، من أجل تقليص حجم الكفاح المسلح الفلسطيني وكبح جماحه، فأنشأت بريطانيا، بمساعدة عملائها في المنطقة العربية جيش الانقاذ، وجيش أو فرق النجادة عام ١٩٤٧، لامتصاص نفقة الجماهير الفلسطينية المناضلة. واسندت قيادة جيش الانقاذ الى القاوقجي الذي لم يكن يبالي بمحاربة اليهود، قدر اهتمامه واصراره على محاربة أمين الحسيني، والقائد المناضل عبد القادر الحسيني.

وفي اجتماعه بأحد المسؤولين اليهود "يهوشوا بالمون" لمدة ساعتين، طلب من اليهود تلقين عبد القادر درسا لا ينساه أبدا!! (١) وقد حدثت مذبحه دير ياسين (٢) تحت سنع وبصر قواته التي كانت تعسكر في عين كارم القريبة من القرية المنكوبة، يسمع الاستغاثة، ويشاهد ضباطه تحركات اليهود بأعينهم وعناظيرهم، فلم يهبوا لنجدتها.

وكان صنع مثل هذه الجيوش العربية الوهمية بالنسبة لبريطانيا شرا لا بد منه، وكما صنعت السياسة الانجليزية الصهيونية جيش الانقاذ في ديسمبر عام ١٩٤٧، صنعت أيضا فرق النجادة في نفس العام، وقيدت حجمها وتسليح كل منها وتحركات الفرق فيها في الزمان والمكان. وجعلت أحد المحامين من يافا قائدا لفرق النجادة، وهو محمد نمر الهواري، وأصبح في كل قرية فرقة من فرق النجادة، تلهت القرى بهذه الفرق، وهي تظن أنها تسير على طريق التحرير، وكان في بلدتنا مثل غيرها من القرى فرقة للنجادة بلغ عدد أفرادها (٣٠) جنديا، كان قائدهم حسين موسى فرحان (أبو سعد) برتبة ملازم، لما اكتسبه من التدريب في قوة الحدود الانجليزية الفلسطينية المعروفة باسم "الزناز الأحمر" حينذاك. وعينوا محمد جمعة رمضان عسكر مساعدا له برتبة وكيل ضابط، سرعان ما ترقى وأصبح ضابطا بنجمة ليقوم بتمثيل بلدتنا قالونيا في الاستعراض الكبير لفرق النجادة الذي أقامته أمام سينما الحمراء في يافا تحت قيادة وإدارة الهواري. كما عينوا محمد عايش برتبة شاووش، وكان مؤهله الوحيد هو ما منحه الله من بسطة في الجسم، أما عثمان محمد عثمان وعلي اسماعيل خليل فقد عينا برتبة أمباشي، أما الانفار فكان منهم: فخري أحمد حامد، جميل أحمد عويدات، عادل أحمد عطية، ابراهيم علي محمد، محمد عبد عبود، وعبد ناصر الخطيب، وقد اتخذوا من دار عبد الله كنة درباس مقرا لقيادة فرقهم. ولأن محمد جمعة رمضان عسكر كان وحده الذي يملك بندقية ومسدسا، فقد قام بتدريب أفراد الفرقة على الرماية في ملعب الدباغة، وأحيانا في ملعب المدرسة الجديدة في شمال البلدة بمنطقة الجفير.

(١) "حرب فلسطين سنة ١٩٤٨" للعميد المتقاعد فائز القصري - دمشق ١٩٦٢

(٢) "النكبة" ج ٦ لعارف العارف.

وكان أبو سعيد وهذه كنيته جديرا بتدريبهم لخبرته في استعمال السلاح والتعامل معه، بعد اغترافه وخدمته في سلاح الحدود. وكان محمد الجمعة رمضان من الذين تمردوا على قيادتهم في سلاح الحدود مع رفاقه عندما رفضوا الانصياع الى أوامر قيادتهم بالتحرك صوب بغداد للاشتراك في قمع الثورة الكيلانية في العراق عام ١٩٤٠م، فهرب واختفى عن الانظار حينذاك.

لم يعجب المجلسيون وآل الحسيني أن يسحب البساط من تحت أقدامهم، وأن يفلت زمام الأمور من أيديهم في القرى، فبيتوا على أخذ زمام المبادرة، وقد لاحتمل الفرصة في كلمة ألقاها الهواري قبل بدء استعراضه الكبير لفرق النجادة في يافا. حيث أشار الهواري في كلمته مؤكدا الى أن النجادة لا تنتمي لحزب أو لمجلس أو لاية هيئة سياسية أو دينية... وقد علق جمال الحسيني سكرتير الحزب العربي الفلسطيني على قول الهواري هذا، "تهور الهواري... تهور الهواري" استهوته لعبة الألفاظ، فقالها مرتين في أذن رجائي بك الحسيني الجالس على يمينه، وفي أذن موسى بك العلمي الذي كان عليدهار، وقد سمعه الوالد يقول ذلك، وقد روى لنا قصة هذا التعليق مرارا، رحمه الله. وكان جمال الحسيني بين كبار المدعوين الذين شهدوا ذلك الاستعراض. وفي صباح اليوم التالي... كانت قد أصدرت عائلة الحسيني عبر قنوات حزبها ومثليه في القرى بضرورة إعادة تشكيل فرق الفتوة في كل قرية (١). وكانت قرينتا للأسف من نصيب كامل عريقات، مساعد عبد القادر الحسيني الذي اجتمع مع المختار السيد سعيد سلمان ومع السيد عيد صباح، ووضعوا معا الترتيبات لصنع فرقة الفتوة في بلدتنا قالونيا، فانقسمت الحائل والأسر في البلدة بين مؤيد للنجادة ومتحمس للفتوة، وعينوا شفيق أحمد مصطفى (مشعل) رئيسا لفرقة الفتوة لضخامة جسمه، وكان قد أضاف الى الفتوة مجموعة من أشقائه وأهله، وعينوا موسى محمد أسعد شاويشا، ومحمد ابراهيم اسليم أمباشيا. وكان يميز أفراد الفتوة القبعة الفيصلية ذات الشريط الأحمر وكان السلاح والملابس على حساب الأفراد، وظلت هذه الفرق تجمدة وفتوة تعيش مواقف تدعو للأسى وتثير الحزن عبر مجادلاتهم وتعليقاتهم التي أتذكر بعضها منها: تقول الفتوة "النجادة ابعدوا غاد!! ومعناها: يا من تنتسبون الى النجادة، اذهبوا بعيدا جدا، أي غوروا، ولا ترحلوا للمكالم تبتغونها، فلستم أهلا لها، ويرد عليهم النجادة: "الفتوة راحت المروة" أي لستم أصحاب مروءة أو نخوة، وأمثال هذا الكلام كثير لا داعي لتسجيله.

(١) وكانت أسرة آل الحسيني قد سبق وأنشأت فرق الفتوة مع الحزب منذ انشائه عام ١٩٣٥، ثم ألغت هذه الفرق لإظهار حسن نية الحزب العربي الفلسطيني نحو نيل العنف واتخاذ المفاوضات سبيلا لنيل الحقوق..

وفي هذه الفترة أرسل الحاج أمين الحسيني، الذي كان قد لجأ الى مصر في ١٩٤٦/٥/٢٩ يستدعي محمد سمرين رحمه الله، ليعود الى عمله كمرافق خاص، يحرسه كظله، ولحق الوالد به في أغسطس من ذلك العام. وظل هناك حتى بلغ سن التقاعد، فاستأجرت الهيئة العربية العليا بأمر المفتي طيارة خاصة حملته وزوجته والشقيق الصغير فرج الله من القاهرة الى مطار قلندية، حيث عاش في دار قطينة في بوابة المندلبوم في القدس... حتى سنة ١٩٥٣م.

كانت مشكلة السلاح من أعقد مشكلات الشعب الفلسطيني، لم يحدث مرة أن حصل المناضلون في أية معركة من معاركهم مع العدو الانجليزي واليهودي على ما يكفهم من السلاح والذخيرة، فلم يكن هناك من السلاح لا لتحرير وطن ولا لحاية شعب، وما حصلوا عليه من السلاح كان ضئيلا وريثا للغاية، ومن ذلك ما كان يترد الى صاحبه فيقتله. سلاح من بقايا أسلحة الحرب العالمية الثانية ١٩٣٦ - ١٩٤٥م، بقي مدفونا تحت رمال الصحارى زهاء عشر سنوات بعد هزائم المانيا ودول محورها في العلمين، وفي طبرق في صحراء مصر الغربية، ناهيك عن مشاكل اختلاس أموال شراء السلاح، وأثانية البعض، وقصر نظره في التصرف بالسلاح وتوزيعه على من يحب ويريد، الى جانب أن زعماء البلاد من خصوم الهيئة العربية العليا والحاج أمين الحسيني وقفوا حجر عثرة، ومنعوا وصول كمية قيمة من السلاح من البنادق والذخائر الى مجاهدي جيش الجهاد المقدس، وغيرهم، وكانت تلك الأسلحة مقدمة وهبة من الرياض في آب ١٩٤٧م (١).

وليت الأمر وقف عند ذلك الحد من سوء، فقد كان الكل في سباق مع قدر الضياع، ضياع البلاد، وتشيت العباد، فقامت الحكومات العربية بتجريد المجاهدين الفلسطينيين من سلاحهم، وصادروا الأسلحة من مستودعاتهم، ومن ثم انحلت فرق المجاهدين الواحدة تلو الاخرى فتلاشت أسماء: جيش الانقاذ، والجهاد المقدس، وحرس الحرم، وكثائب الاخوان المسلمين، والمتطوعين من أفواج ومغاوير، وظلت على الساحة الفلسطينية وانتصرت أفعال على الجانب الآخر لأصحابها: الهاغاناه، شتيرن، وارجون، زفاي ليومي، وحرس المستوطنات، وبالمخ..

(١) انظر: "النكبة" الجزء الاول - عارف العارف..

كانت قوات الجهاد المقدس دائبة السعي لشراء السلاح من مصادرها الخاصة التي تتعامل معها الهيئة العربية العليا، بعد أن خصصت اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية حينذاك، الأسلحة المتجمعة عندها لجيش الانقاذ وللجيوش العربية. شكلت الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني لجان السلاح المتعددة:

- ١ - لجنة لشراء السلاح.
- ٢ - لجنة تخزين السلاح بعد تعميمه واعادته للاستعمال.
- ٣ - لجنة لتوصيل السلاح الى أماكن تواجد القيادات الفلسطينية.
- ٤ - ولجنة لتوزيعه على المجاهدين.

وكان محمد سمرين أحد أفراد اللجنة الثالثة، فقد كلفت الهيئة العربية العليا في يوليو سنة ١٩٤٨ كلا من المجاهدين: محمد سمرين من قالونيا، وعبد الله سمرين، وزميله خليل منون من عين كارم، وعبد الرحمن علي شحدة من لفتا، ومحمد رضوان من القدس، ووضعهم تحت قيادة واشراف المجاهد الكبير رحمه الله الشهيد ابراهيم أبو دية، كلفهم بمرافقة قافلة للسلاح، بدأت طريقها من نقطة بدأت في شارع المسيري في ضاحية الزيتون القريبة من مدينة القاهرة الى مقر قيادة الجهاد المقدس في بئر زيت، وقد حدثني الوالد عن صديقه العكرماوي عبد الله سمرين رحمه الله معا، كيف كان الضباط المصريون - وعلى مسؤوليتهم الشخصية - يقدمون خدماتهم الجليلة في مساعدتهم في عملهم الشاق في تلك القافلة، فقد كان عملا محفوفًا بالمخاطر بين القاهرة والاسماعيلية والعريش، ومن ثم في مدينة العريش الفلسطينية حيث يعتمد الفلسطينيون على رجالهم وتنظيماتهم في اتمام عمليات التوصيل، توصيل ذلك السلاح الهزيل الى المقاتلين في فلسطين. وكان ٩٠٪ من تلك الأسلحة بنادق مختلفة الطراز، منها ما فقد صلاحيته للاستعمال، ومنها ما لا فاعلية له، كالبنادق النمساوية لفقدان ذخيرتها وعتادها، ومنها ما يمكن استعمالها بعد الصيانة، وبعض مدافع الهاون التي كانت قد استغنت حكومة مصر عنها، وقليلًا جدا من رشاشات: ستن، وتومي جن، وبرن، وبعض القنابل، جمعتها لجان الشراء من مناطق الصحراء في مصر: من صحراء سقارة في الجيزة، أو من مضارب البدو المنتشرة فوق بطاح الصحارى في مرسي مطروح وفي طبرق والعلمين.

قررت اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية والمسؤولة عن مسار الحرب وتنظيمها ضد اليهود قبل دخول الجيوش العربية لفلسطين، أن ما تحتاجه من السلاح لتوزيعه على المجاهدين الفلسطينيين لا يقل عن ١٠٠٠ بندقية ومقادير كافية من العتاد. ولم يكن لدى اللجنة العسكرية، عندما صدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، سوى ٧٠٠ بندقية، ومقدار ضئيل من العتاد (١).

وكانت قريتنا قد أوفدت وفدا في تشرين أول ١٩٤٧ على رأسه السيد اسماعيل خليل رمضان، فيمم الوفد وجهه شطر اللجنة العسكرية في دمشق محاولا اقناعها أن تمددهم بالسلاح والذخيرة، ولكن من أين، وفاقد الشيء لا يعطيه، فاللجنة لا تملك من السلاح شيئا ومن ثم لم تستطع أن تلبى رغبة السيد اسماعيل خليل ورفاقه. انتقل الوفد القلواني من دمشق الى بيروت الى مكاتب الهيئة العربية العليا لفلسطين من أجل الدفاع عن القرية أمام أقدم المستوطنات اليهودية في فلسطين. عاد السيد اسماعيل خليل ورفاقه والألم يعتصر قلوبهم وخيبة الأمل مرتبة فوق جباههم.

وكل ما استطاعته الهيئة العربية حيال ذلك الوفد هو أن قامت بالطلب من أحد رجالها السيد رجائي بك الحسيني بالتوسط لدى صديقه فايز الادريسي (من المغرب) وقائد شرطة القدس وقرأها أيام الانتداب البريطاني بالتوسط لديه للاسراع في تسليم أهالي قرية قالونيا البنادق الخاصة بها للدفاع عن نفسها في نطاق أمر حكومة الانتداب بتوزيع بعض الأسلحة على أهل القرى للدفاع عن أنفسهم، فوزع الادريسي عشرة بنادق مع عتاد قليل لكل بندقية وزعت تلك البنادق على رجال مختارين من قبل حامليها السبعة أذكر منهم: ابراهيم مصطفى، محمد مطر الخطيب وسلامة حسين سلامة حسين، وأحمد حامد الخطيب، ويوسف الخطيب أبو سعد، لكل منهم بندقية، ومحمد صباح درباس، وعادل عطية، وعلي حسن سليمان حمد، وسعيد سلمان وأحمد عبد الرحمن من الغليظ.

وفي الظلال الحالكة لذلك الحال المائل لم يكتف أهل بلدتنا بذلك القدر الضئيل

(١) المصدر السابق..

من السلاح، فأوفدوا في تشرين ثاني سنة ١٩٤٧ وفداً آخر الى الهيئة العربية العليا في مصر، وقد رأس ذلك الوفد المرحومان سعيد سلمان الغليظ وقاسم خضر درباس. عادوا من مصر بعد أن تمكنوا من الحصول على نصف الكمية المطلوبة من البنادق، وعتادها من الطلقات. وفي هذه المرة استطاع الوفد الحصول على بعض الرشاشات من فئة طومي وفئة ستن مع بضعة مئآت من ذخيرتهما، وكانت فرحة ذلك الوفد بشراء مجموعة من قنابل "الملز" وبعض الألغام كبيرة جداً. وقد مكنتهم تلك الدفعة البسيطة من السلاح، وخاصة الرشاشات والقنابل من الاشتراك مع المتطوعين ومع مجموعة من الجهاد المقدس في الهجوم الكبير يوم ٢٧ كانون أول ١٩٤٧ على القافلة اليهودية في المكان المعروف بطلعة القسطل، على طريق القدس - يافا، الذي كان من ضمن نتائجه أن قتل اثنان من الشخصيات اليهودية الهامة من رجال الوكالة اليهودية (١).

كانت قريتنا في سباق مع الزمن، وقد صمم أهل القرية أن يكون في حوزتهم أحسن قدر ممكن. كمية ونوعاً من السلاح، فعادوا وأرسلوا وفداً آخر الى القاهرة تحت مسؤولية محمود حسن اخليل، في آذار من عام الشتات ١٩٤٨م، عادوا قبل أن يتموا المأمورية الهامة التي جاءوا من أجلها، عادوا وفي معيتهم من السلاح ما لا يمكن من الدفاع والصمود، فضلاً عن أخذ زمام المبادرة بالهجوم.

ظلت قالونيا طيلة السبع شهور الاخيرة قبل سقوطها بيد الهاغاناه في ١٣ نيسان ١٩٤٨ مركزاً لتجميع فرق الثوار والمجاهدين والمتطوعين، فالقرية منذ العصور الغابرة في التاريخ وهي على خط طويل يفصل شمال البلاد عن جنوبها. ظلت محط تجمعات وتحركات المتطوعين من الفلسطينيين وغيرهم من مسلمين أكراد وجراكسة وأفارقة. وعرب، وغير مسلمين: انجليز، ويهود متنصرين وغير متنصرين. اتخذت تلك المجموعات دار أحمد حامد الخطيب "أبو سعد" مقراً لقياداتها بالتتابع وجعلت من دار ناصر الخطيب (أبو سعد) مخزناً للذخيرة والألغام وأشياء أخرى..

(١) تبين فيما بعد أن من ضمن القتلى كان هانس برايت من رجال الوكالة اليهودية. وقد جرح في تلك المعركة غولدا مايرسون وهي رئيسة الوزراء الاسرائيليين فيما بعد المعروفة باسم غولدا مائير رئيسة الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية حينذاك..

لم يستقر عدد أولئك المجاهدين يوماً في البلدة، يزداد عددهم في بعض الأيام حتى يصل الى ٤٠٠ مسلح، وأياماً أخرى ينقصون كثيراً تبعاً للظروف والأحوال وما يكتنفها بما فيها من أمزجة وأهواء. ومن الذين نزلوا في بلدتنا أثناء تلك الفترة الحرجة مجموعة من المتطوعين ومن أفرادها اثنان من الانجليز فشلوا عدة مرات - عن قصد أو غير قصد - في نسف جسر قالونيا الاستراتيجي الكبير على طريق القدس - يافا. وكانت تلك المجموعة تحت قيادة فريد فخر الدين من بيسان، وتزامنت معها في تواجدها في بلدتنا مجموعة من "الاخوان المسلمين" كان عددها ٤٥ مسلحاً بقيادة زعيم الاخوان في سوريا الشيخ مصطفى السباعي وجاءت مجموعة من "الجهاد المقدس" تحت مسؤولية صبحي أبو جبارة الذي رابط مع رجاله في منطقة باب الكروم شمال وشال غرب البلدة بالقرب من مطاين أبي جورج جنوب قرية القسطل وخلفهم كانت مجموعة من جيش الانقاذ، ترابط بمدفعي هاون عند قبة عبد العزيز، بالقرب من مداخل قرية بيت سوريك. وكان في بلدتنا قالونيا مجموعة من المتطوعين بقيادة عبد الفتاح المزرعاوي، الى جانب هؤلاء وأولئك تواجدت في بلدتنا مجموعات من المتطوعين المستقلين نزلوا الى الميدان يحولون فيه على طريقة حميدان، ويعملون منفردين لا ضابط يضبط أمورهم ولا رابط بينهم، ابتاعوا بأنفسهم سلاحهم وعتادهم. لم يكن بين تلك الفئات السبعة أي تعاون عسكري أو أية صورة من صور التنسيق على أي مستوى. فقد كانت كل فئة تعمل على وترها المنكود، وتناجي قيسها المجنون. وكانت تلك المجموعات تتمتع بامتيازات البيت المريح والفرش والغطاء يختارونه من مراكس الفلاحين المكنتزة بالفرش المميز لأعراسهم ولضيوفهم. وتزودهم البلدة بكل ما يحتاجونه من طعام أو شراب. كان هم غالبية رجالها الكسب الحرام والنهب والسلب، وكثيراً ما صادروا الحمير والبغال لحمل ما كسبوه في المعارك... أو ما سلبوه وغنموه بعدها. كان الفرد من أفراد تلك المجموعات - وقد حدثني بهذا الحديث أكثر من شخص واحد - يسمي يوم المعركة بيوم المرائخ، والنصر عنده لم يكن بتحرير مكان للبقاء فيه الى الأبد بقدر ما كان للسلب والنهب من ذلك المكان ومغادرته دون رجعة! وكثيراً ما انشغلت تلك القوات في عمليات الشواء، سواء لحم البقر، بقر... أحضرها من مستوطنة قريبة... أو بعيدة. ناهيك، عن مشكلة الماء في بلدتنا في تلك الفترات العصيبة، فمع أن في بلدتنا من العيون كثرة تكفي لسقاية جيش

كبير، إلا أن غالبية الطرق من وإلى تلك العيون كانت مكشوفة ليهود المستوطنين وتحت رحمة قناصتهم في أرزا وفي موصة التحتا. وقد قتلوا الشهيذة فاطمة أحمد أسعد غنام، قتلها أحد قناصة يهود المستوطنة "موصة التحتا" ولولا تيسير الله ولطفه المتمثل في وجود بثر اسماعيل خليل رمضان عسكر في داخل الحوش الكبير الذي كان يتوسط منزله الفسيح ذي الخمسين غرفة، لما تمت تلك المجموعات وأهل البلدة من ندرة الماء وصعوبة الحصول عليه في الأشهر الستة السابقة على سقوط البلدة في يد يهود.

كانت فوضى تجمعات "المناضلين والثوار" في قريتنا صورة مجسدة للفوضى العارمة التي اشتدت في كل أنحاء فلسطين منذ صدور قرار التقسيم آخر عام ١٩٤٧، فقد اختلط الحابل بالنابل، وساد الخوف والدمار والنار، وازداد النهب والسلب، فانعدم الأمن وتوقفت الأعمال، وانعدمت الأشغال وساءت الأحوال، وتعطلت إدارات البلاد، وانقطعت الاتصالات، فلا مواصلات ولا طيران ولا اتصال بريدي أو برقي، ناهيك عن تدهور العلاقات بين الملوك والرؤساء، وانعدام الثقة بين القواد على اختلاف اتجاهاتهم أو انتمائهم. وأخذت الريبة تفعل فعلها بينهم، فسادت الأقوال، فلا مال ولا سلاح ولا تعبئة قومية شاملة، ولم يكن هناك خطة قومية مرسومة ولا قيادة مخصصة موحدة، كانت الجيوش العربية التي دخلت ساحة النضال من أكبر أسباب هزائنا وضياح بلادنا.

وسط هذه الفوضى ظل أهل بلدتنا صامدين في قريتهم رغم النكبات التي توالى عليهم وعلى القرى المجاورة، منذ أن أخلى أهل قرية لفتا - وهي على بعد خمس كيلو مترات شرق قالونيا - قريتهم في ٢٨ كانون أول ١٩٤٧ على اثر سف بعض بيوتهم في حي روميما وكانت من تلك البيوت منزل الحاج محمود الفتاوي، ومنزل ومقهى صالح عيسى، بعد هاتين الحادثتين أخليت القرية من سكانها، وكان هذا أول الحوادث التي أدت إلى رحيل سكان قرى القدس والمدن من منازلهم.

كان في بلدتنا مائة مسلح: يتألف سلاحهم من بنادق انجليزية، وأخرى ألمانية ومجموعة من المسدسات، إلى جانب أربعة بنادق رشاشة من فئة ستن وطوي وبعض القنابل والألغام... والعتاد، الغالي الثمن، فقد بلغ ثمن المشط الواحد من "الفشك" الألماني أربعين قرشا، ومشط الرصاص الانجليزي "ثلاثين قرشا".

وكان القلواني، الذي يستطيع تأمين عشرة أمشاط من العتاد لبندقته أو لرشاشه معظوظا، وبعد "أبو زيد خاله" في تلك الأيام العصيبة التي قل فيها المال وندر فيها السلاح... عند الفلاح.. هذا ولم تكن بلدتنا محصنة أي تحصين يذكر، فالحراسات الليلية والمرابطات النهارية إنما كانت تجري فوق سطوح العليات وفي الساحات البعيدة للبيوت تحت إشراف المخاتير: إبراهيم مصطفى طه، ويوسف الخطيب وعلي حسن يساعدهم في ذلك محمود جمعة رمضان. وقد حدثوني أن المرحوم الشيخ إسماعيل سالم نصح أهل البلدة أن يأخذوا حذرهم دائما أثناء حراساتهم في منطقة باب الكروم في الشمال والشمال الغربي لبلدتنا، فاليهود قادمون لا محالة من هناك.

وقد اختار أهل بلدتنا النقاط التالية للحراسة وللمراقبة:

- ١ - في المدرسة الفوقية عند قمة رأس البلدة في الشمال
- ٢ - عليّة دار محمد سمرين في الشمال الغربي
- ٣ - عليّة دار أحمد حامد في الشرق
- ٤ - منزل دار أخيل في مطينة الحريقة أو مطينة أخيل وفي الجنوب
- ٥ - عليّة دار موسى عبد ربه في الجنوب الغربي
- ٦ - عند دار الأستاذ حسن نسيبة الجديدة لم يسكنها بسبب الحوادث
- ٧ - عليّة دار إبراهيم عبد الله كنة
- ٨ - وفي منزل محمد أسعد غنام.

وفي ٣ نيسان سقطت القسطل بيد البالماخ، واحتلتها المغاوير من جيش الهاغاناه، وكانت أول بلد عربي يسقط بيد يهود. سقطت بعد أن نفذت الذخيرة من أهل البلدة، فانسحبوا منها، والقسطل على البعد المنظور في مواجهة بلدتنا من الناحية الغربية، حصن حصين منذ عهد الرومان والصليبيين على ارتفاع أهلها أن تشرف على طريق القدس - يافا، وأهل من يستولي عليها للسيطرة الكاملة على هذا الطريق وعلى شطر فلسطين إلى شمال وجنوب، فيتحكم في البلاد ويسود العباد. سقطت القسطل ولم ينجدها أحد من السوريين والعراقيين القريبين منهم جدا آنذاك (١).

(١) أنظر النكبة ج١ لعارف العارف..

خرج القساوسة من قريتهم فاتجهوا الى قرى رام الله مارين بقريتنا في الساعة الرابعة والنصف عصر ذلك اليوم المشؤوم، مرت مجموعة كبيرة منهم أمام منزل عائشة الزير التي ما أن شاهدتهم حتى أخذها البكاء كل مأخذ، فناشدها مختار قرية القسطل وكان مع المجموعة واسمه جميل امطير رحمه الله، ناشدها بالله أن لا تبكي، وإن كانت لا محالة باكية، فليكن بكاؤها على حالها، وعلى حال أهل قريتها. ولم تكن عائشة الزير رحمها الله، تدرك وهي تبكي آنذاك، أنها تبكي جميع فلسطين، ولا تزال كثيرات من أمثال عائشة الزير في كل القرى، وفي كل المدن، لا في فلسطين فحسب، بل في مختلف بقاع الوطن العربي يبكين حالهن، وما أصاب بلادهن وشعوبهن من مصائب وتشريد وشرذمة وتفرق.

أثار سقوط القسطل يوم ٣ نيسان ١٩٤٨ غضبا شديدا بين أوساط الأهالي في القرى المحيطة بها وبخاصة في قالونيا وبيت سوريك وصوبا ودير ياسين وبيت اكسا. وبدأ الأهالي يتساءلون عن جدوى تواجد مئات المسلحين أو المناضلين في التلال والأكام المجاورة لقراهم وفي داخلها؟! وقد سقطت القسطل أمام أنظار أولئك المناضلين..!

رأت تلك المجموعات من المناضلين أن تغطي موقفها السلبى السابق فتنادوا للهجوم على القسطل، وفي اليوم التالي أحكموا قبضتهم على المرتفعات والتلال الواقعة بين القسطل وعين كارم جنوب وجنوب شرق القسطل. وكان رجال الجهاد المقدس قد جاءوا من بير زيت تحت قيادة كامل عريقات، من قرية أبي ديس، وجاءت مجموعة أخرى من حي القطمون في القدس يقودها المرحوم ابراهيم أبو دية من صوريف، وأخرى بقيادة عبد الله العمري من بيت صفافا، الى جانب مجموعات أخرى انضمت الى أولئك المناضلين، منهم عشرون مجندا من قريتنا قالونيا مع متطوعين آخرين جاءوا من قرى رام الله تحت قيادة صبحي أبو جبارة، وقد احتلت مجموعة المتطوعين تحت قيادة أبو جبارة مستعمرة أرزا (موترا العليا) ثم كالعادة انسحبت منها بعد أن غنمت ١٥٠ بندقية وآلة لاسلكي ومقادير وافرة من الذخائر والبطانيات ومن أدوات الميدان وحقائب الأدوية (١).

وقد حدثني أحد الذين اشتركوا في تلك المعركة أنه كان بإمكان المناضلين الاحتفاظ بالمستوطنة تحت سيطرتهم، فتشكل مع النبي صموئيل - وكانت تحت سيطرة جيش الانقاذ حينذاك - كمشاة تعطل بل وتشل سيطرة اليهود على طريق القدس - يافا بواسطة احتلالهم للقسطل. ولكن انشغال المناضلين والمتطوعين بتوزيع الغنائم مع غياب التنسيق بين القيادات المختلفة جعلتهم يرتكبون تلك الحماقات، فانسحبوا من المستوطنة، وفي ٥ نيسان زحف بعض الشباب في الظهيرة نحو جسر قالونيا الاستراتيجي الكبير ونسفوه، وقد حدثني أحدهم من الذين أشرفوا على تنفيذ خطة النصف وهو "أبو مفيد" قال "وضعت خطة النصف أمام ناظري وتحت مسمعي في بيتنا مقر القيادة حينذاك، وأرسل أحد البريطان انجليزيا مع ثلاثة متطوعين من بينهم عارف سليم سلمان من قالونيا، ولكن، كان مفعول ذلك الانفجار الذي أحدث دويا عاليا دون فعالية تامة، كان مفعوله محدودا جدا، وقبل أن يحل الظلام حتى كان اليهود قد أتموا اصلاحه: فعمروه قبل مغيب شمس ذلك اليوم، وفي يوم ٦ نيسان، قرر شباب قريتي قالونيا ورجالها يقودهم محمود جمعة رمضان، قرروا الهجوم على أرزا، وقد اشتركت النساء بل والأولاد من أهل بلدتنا في ذلك الهجوم، الذي اسفر عن اختباء جميع سكان المستوطنة في ملاجئهم واستحكاماتهم تحت الأرض، فصال المهاجمون في المستوطنة وجالوا كيفما شاؤوا. أحضر اسماعيل خليل رمضان معه ومن دكانه صفيحتين من الكاز وأضرم النار في دار الألمانى حتى أتت عليها، وتلك الدار كانت ليهودي من المانيا، إحدى مراكز المستوطنة الهامة. وكنت أسمع الرجال وهم ينادون بأعلى أصواتهم في المستوطنة، ينادون أبناءهم ونساءهم. وقد سمع الناس الشيخ أحمد سعيد الأصفر وهو يصدح بالأذان فوق أحد المنازل في المستوطنة في غير موعده، فتجاوب الكون مع كلمات "الله أكبر" في ارجائها.. انسحب المهاجمون فخرج اليهود وحراس المستوطنة من مخابئهم وأمطروا المنسحبين برصاصات من الرصاص، وقبل أن يأخذ المنسحبون وضع الدفاع حتى كان قد سقط منهم شهيدان هما: محمد صالح عبد ربه، وتيم محمد علي خضر، وجرح محمد عطوة وسليمان عاصي. منذ سقوط القسطل في ٣/٤/١٩٤٢ حتى يوم ٧ منه، ظل القتال سجلا بين العرب واليهود في تلك المنطقة، وكان اليهود على ثقة من النصر، يدل على ذلك نجاتهم التي لم تتوقف أبدا، وحسن تنسيقهم في تعطيل قرى بيت المقدس في الشمال

والمجنوب، ومنعها من ارسال أي قوة من المناضلين في تلك المنطقة، منطقة القسطل، أضف الى ذلك سلاحهم من دبابات ومدافع ورشاشات - وطائرات وسرعة نجدهم وتجدها بالرجال والذخيرة..

بينما كان العرب حينذاك في حيرة من أمرهم، كالغنم السائبة التي لا راعي لها يوجهها حتى حضر عبد القادر الحسيني من دمشق التي أمضى فيها اثني عشر يوما غائبا وهو يرجو ويستعطف رجال الهيئة العربية العليا ورجال اللجنة العسكرية ورجال الجامعة العربية، بدءا بالحاج أمين الحسيني وانتهاء بعبد الرحمن عزام باشا، ومرورا بالشرباتي وزير الدفاع السوري، واسماعيل صفوت العراقي رئيس اللجنة العسكرية حينذاك، عاد عبد القادر بعد أن رمى خرائط الميدان والحرب في وجه الباشا والوزير وقال لهم بصوت عال سمعه كل الحاضرين: "أنتم خائنون، أنتم مجرمون، سيسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين.. أحتل القسطل وسأموت أنا وجميع اخواني المجاهدين..." (١) وقد كان عبد القادر بن موسى كاظم الحسيني عنيفا مع رجال الهيئة العربية العليا، وزاد في سبه وشتمه لهم بشكل خاص حتى أنه اتهمهم بأنهم كانوا السبب في كل ما جرى وما يجري للقضية.

وصل عبد القادر ظهر يوم ٧ نيسان ١٩٤٨ ووزع قواته على التو واللحظة دون أن يستريح أو يعطي فكر فحة من الوقت لتداعي الأفكار العسكرية وتجمعها فيه، وبدأ هجومه على القسطل في نفس اليوم في الساعة الحادية عشرة ليلا، فوصلوا أطراف القرية وكادوا يدخلوها لولا نفاذ الذخيرة والعتاد من سلاح رجاله العقيم والضئيل، في الوقت الذي كان اليهود فيه قد تقووا بالنجدة المتواليات والفعالة التي أتتهم من المستوطنتين في موصلة التحتا وموصلة العليا، ومستوطنة الخمس وغيرها من المستوطنات الموجودة في المنطقة، فأحاطوا بعبد القادر وبالقوات المرباطة من خلفه، فما كاد فجر الثامن من نيسان يبرز حتى ذاع الخبر أن عبد القادر محاصر مع رجاله، فلبى النداء فريق من رجال الجهاد المقدس بقيادة قاسم الريماوي، وفريق من المتطوعين من القرى المجاورة للقسطل ومن ضمنهم عدد من رجال قالونيا الذي اغرطوا مع مجموعة عبد الفتاح المزرعاوي، وآخرين منهم كانوا قد انضموا الى

مجموعة صبحي أبو جبارة، ذهبوا لنجدة اخوانهم المحاصرين حول القسطل وقد اتخذوا طريقهم من جهة باب الكروم، فانضم الجميع الى زملائهم من أهالي القرى: بيت سوريك، وصوبا، وعين كارم، والمالحة، ودير ياسين، فانقض الجميع على قرية القسطل انقضاض الصاعقة ودخلوها في الساعة الثانية ظهر يوم ٨ نيسان ١٩٤٨، استشهد من شباب بلدي قالونيا يومذاك: الشهيد هاشم سعيد سلمان / الغليظ.

عادت القسطل بعد أن استشهد فيها أشجع الرجال وأنبلهم وأحبهم الى جماهير الشعب الفلسطيني حينذاك، وهو البطل عبد القادر الحسيني، عادت القسطل وانشغل المقاتلون بتقسيم الغنائم، ولم يفكروا بالبقاء في القسطل حتى لا تقع من جديد في أيدي اليهود. غادروها، واقتسموا غنائمها يومذاك، بعد أن انسحبوا منها: رجال جيش الانقاذ ورجال الجهاد المقدس، وحراس الحرم، وحرما المتطوعين والمنجدين من تلك الغنائم (١) ... غادر العرب القسطل ولم يبق داخلها سوى أربعين مناضلا بقيادة الاستاذ بهجت أبو غربية ومجد عادل النجار، وما كان لديهم الا قدرا ضئيلا من السلاح والعتاد.

سرعان ما عرف اليهود حقيقة الحال في القسطل، فكثروا عليها مرة أخرى بدباباتهم ومدافعهم من عدة جهات حتى سقطت بأيديهم صباح اليوم التالي ٩ نيسان ١٩٤٨.

ويظهر أن عدوى الانسحاب، انسحاب المناضلين من مواقعهم قد أصاب مجموعات المجاهدين في بلدتنا الذين ذكرتهم سابقا، فانسحب جميعهم ولم يبق منهم في قالونيا أحد، انسحبوا لتركوا البلد لمصيرها المحتوم. انسحبوا بعد أن قام رجال الجهاد المقدس بالذات بمصادرة بنادق البلد بالقوة، وكان من الذين ناضلوا في سبيل الاحتفاظ بسلاحه وفي سبيل استرجاع بندقيته: الحاج سلامة حسين الذي تعرف على بندقيته وهي على كنف أحد رجال الجهاد المقدس في قرية بدو، فحاول أخذها منه بالاقناع ومن ثم بالتعارك بالأيدي والأرجل، تغلبت على الحاج سلامة حسين كثرتهم فأوثقوه بالرجال وقيدوه في سيارة وقد أعطوا له حرية الاختيار، اختيار الموت

(١) أنظر ص ١٦٤ حول تلك الغنائم في كتاب النكبة ج١ لعارف العارف..

(١) أنظر المصدر السابق نفسه..

بالرصاص أو مغادرة المكان حالا، فترك البندقية ولعناته تنصب عليهم جميعا الى يوم الدين. وكان من الذين صودرت بنادقهم: محمد مطر الخطيب الذي ذهب مباشرة الى مقر قيادة قوات الجهاد المقدس في قرية بير زيت، وقبل أن يصل الى المسؤولين المتنفذين في القيادة أو ثقوه، وضربوه، على قدميه، وبينما هو في هذه الأثناء، حضر قاسم الريماوي، مساعد الشهيد القائد عبد القادر الحسيني، وتعرف بسرعة على الحاج القلواني محمد مطر الخطيب، فأطلق سراحه بعد أن أنب رجاله ونحوهم، وطيب خاطر الحاج وأعاد اليه بندقية ثانية، وكان ما سمعته من أسباب واهية لمصادر السلاح من رجال بلدتنا أسبابا تثير السخرية والضحك أكثر مما تثير البكاء والحزن. فقد عللوا القضية بأسباب أذكر منها:

١ - مهاجمة أهل قالونيا لمستوطنة موتزا العليا (ارزا) دون علم قيادة قوات الجهاد المقدس.

٢ - ملابس الرجال من القتايز من العوامل المعيقة للتحركات السريعة في الساحة العسكرية.

٣ - تناقص الذخيرة والسلاح عند قوات صبحي أبو جبارة وعدم حصولها على نصيبها من غنائم السلاح في القسطل مما جعل رجاله يفكرون بالتعويض عن ذلك بسلاح يأخذونه من أهل البلد.

٤ - ادعى رجال صبحي أبو جبارة أن أهل البلد بحاجة الى تدريب فعال، فبدلا من أن يبدأ بتدريبهم جردهم من سلاحهم القليل!!

ظل الرجال مرابطين في بلدتهم بعد أن صودرت أسلحتهم، ظلوا مرابطين بأسلحة نفذت ذخيرة أغلبها أو كادت، وما بقي منها لا يكفيهم لبعض الساعة من المقاومة والدفاع. راح أهل قريتي يفكرون فيما هم مقبلون عليه وفيما هم فاعلون، وهم يرون المناضلين ينسحبون من القسطل فرحين بما غنموه ولتدب الفوضى والمحسومات بينهم وهم يقتسمون تلك الغنائم من سلاح يهود وعتادهم. اشتدت حيرة أهل البلد، وما فتئوا أن رأوا أنفسهم يغوصون في غياهب مستنقعات القلق والذهول، فاسودت الدنيا في عيونهم.

وبينما هم يجتروا أحزانهم وسط ذهولهم التام، أخذ اليهود يهاجمون القرى

القريبة من القسطل، ومن بلدتنا، على طريق القدس - يافا. أُنْتَهَم أخبار مذبح دير ياسين، وقد جاءهم ان ما دَخَّ يهود من أهل دير ياسين يزيدون على الثلاثمائة أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والعميان. كانت أصوات استغاثة نساءها ورجالها ورسلاها تخترق آذان أهالي المالحة وعين كارم والقرى المجاورة كلها، وتصل الى مسامع مائة من قوات جيش الانقاذ من السوريين والعراقيين الذين كانوا موجودين في قرية عين كارم، ولكن لم ينجدها منهم أحد!!

تحدثت مع بعض أهل قريتي من الذين شهدوا تلك الأحداث الكئيبة حول ما كان يجب اتخاذه من مواقف تجاه ما حدث، فقالوا: "لقد قمنا بالواجب مرات متعددة في نجدة اخواننا في أماكن متعددة، قمنا بنجدة السواركة ضد البالمخ عندما هاجموها في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨ وكان عدد رجال قالونيا الذين هبوا لنجدة السواركة عشرين مسلحا وكانت حماسة المنجدين من شتى القرى المجاورة والذين بلغوا ألفا لا توصف، وقد حارب في صفوف اليهود يومذاك الانجليز بدباباتهم ومصفحاتهم ونيرانهم الغزيرة، وقد انتصر المنجدون يومذاك قبل مغيب الشمس وجرح في تلك المعركة القائد ابراهيم أبو دية، وقمنا بواجبنا خير قيام في نجدة القسطل يوم ٨ نيسان ١٩٤٨ وسقط منا فيها شهيد هو هاشم سعيد سلمان. أما بالنسبة لدير ياسين، فالأمر في غاية الاختلاف وأشد صعوبة: دير ياسين بعيدة عن بلدتنا، بينها وبينها تخوم وأطام ومستوطنتان أرزا وموصة التحتا وتقعان غرب قرية دير ياسين وتحاصران البلدة في الجنوب دائما، ودوريات الانجليز ودباباتهم ومع رشاشاتهم التي لا تتوقف أبدا وهي غادية رائحة فوق طريق القدس - يافا أمام القرية، وبيننا وبين دير ياسين الوديان والتخوم العالية التي تشرف عليها مستوطنة جبعات شاول ناهيك عن سلاحنا القليل وذخيرته النادرة.

لم يجد الرجال بدا من اخلاء النساء والاطفال وكبار السن عن القرية، وبدأ نقلهم الى منطقة آبار بيت منة خلف الكروم في يوم ١٠ نيسان ١٩٤٨، وبقي الرجال في القرية يحرسونها، وظلت دورهم على حالها مليئة بكل ما اقتنوه طيلة حياتهم وأيامهم، من أثاث... لقد ترك الواهمون كل شيء على حاله وفي مكانه... فهم عائدون الى قريتهم لا محالة قريبا، كما كانوا يظنون.

الفصل الثامن

التعليم في قرיתי قالونيا حتى عام ١٩٤٨

كانت المدارس الموجودة في فلسطين قبل الاحتلال البريطاني لها عام ١٩١٨ قد أقيمت في العهود الإسلامية، وخاصة في عهود الحكم الصلاحي أيام صلاح الدين وأحفاده، وفي أثناء عهود المماليك والعثمانيين. أقيمت معظم تلك المدارس من قبل الملوك والأمراء من أجل التعليم الديني، ولم تكن أو تقم تلك المدارس من قبل الشعوب أو من قبل الحكومات آنذاك، ولذلك كان عمر تلك المدارس قصيرا، فلم تدم طويلا كالمدارس الأجنبية التي دأبت الجمعيات التبشيرية والارسلانيات على انشائها منذ عام ١٩٠١م، وفي أثناء الاحتلال البريطاني لفلسطين طيلة الثلاثين عاما، مدة الانتداب، لم تول الادارة العسكرية البريطانية ومن بعدها الادارة المدنية التعليم في المدن والقرى العربية في فلسطين أية عناية تذكر، الا بقدر ما تحتاجه الادارة منهما من تخريج دفعات من الموظفين تقوم على خدمتها.

أما مدارس اليهود فقد استقلت منذ البداية استقلالاً تاماً، لا تسيطر عليها الادارة البريطانية على الإطلاق، كما كانت تفعل مع المدارس العربية، فالمدارس اليهودية تشرف عليها الوكالة اليهودية اشرافاً حراً متكاملاً. وكان لمدارس يهود حصتها الخاصة في المبالغ التي تخصصها حكومة الانتداب في موازنتها المالية السنوية. ولم تكن للمدارس العربية شيء من ذلك. الوكالة اليهودية تتدبر أمور مدارسها وتقرر مواد المناهج الدراسية كما تشاء، لتخدم تنفيذ مشروع دولة اسرائيل في فلسطين. وهي حرة في تصنيف نوعية المعلمين المطلوبين، وفي تحديد أعدادهم. بل هي التي تعينهم وتخري عمليات تنقلاتهم، وعلى النقيض من ذلك كانت المدارس العربية القليلة، فادارة المعارف الانجليزية، هي التي تعين المعلمين والمعلمات من أصحاب المستويات المتدنية

التعليم في غالبيتها، فقد حدث أن قامت بتعيين مجموعات كبيرة منهم ممن أنهوا الصفين السادس والسابع الابتدائيين، للتدريس في المدارس العربية في القرى وفي المدن، وكانت الادارة البريطانية هي التي ترسم مناهج الدراسة فيها بما يخدم بقاء الفرقة والتفتت بين أقطار بلاد الشام العربية وعدم وحدتها.

وباختصار شديد فإن هدف حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين كانت وضع الشعب الفلسطيني في أحوال سياسية وإدارية واجتماعية واقتصادية تكفل انشاء الوطن اليهودي في بلادنا فلسطين، وقد كان لها ما خططت له وأرادته.

كان لليهود في قضاء القدس حتى عام ١٩٤٨ مائة وسبع وثلاثون مدرسة، يقوم فيها بالتدريس سبعائة من المعلمين اليهود المؤهلين تأهيلاً ممتازاً، وكان لليهود وقتذاك جامعتهم العبرية التي أقيمت على قطعة من أراضي العرب في قرية العيسوية، قرب القدس، وقد افتتحوها عام ١٩٢٥م، بينما لم يكن للمسلمين الفلسطينيين سوى ١٨ مدرسة خصوصية وحكومية، يعلم فيها ١٤ معلماً من مختلف المستويات المدرسية أو المتدنية والتي كانت دون أي اعداد أو تأهيل. وكان في قضاء القدس حتى العام الدراسي ١٩٣٠/١٩٣١ مدرسة واحدة للبنين فقط في كل من قرى: بيت محسير، وبتير، وعين كارم، وقالونيا، ولفتا، والمالحة، وسلوان، وقرية العنب (أبي غوش). كانت كلها مدارس ابتدائية غير كاملة، فيها بعض الصفوف الابتدائية، وفي العام الدراسي ١٩٤٢/١٩٤٣ اكتملت المرحلة الابتدائية بصفوفها السبعة في قريتين من هذه القرى هما لفتا وعين كارم.

ما أثار انتباهي في بحثي عن التعليم في قرיתי قالونيا أن أحد شباب حمولة أبي سعد" كان من الرواد الأول بين المتعلمين في قريننا قبل أن تعرف قريننا حلقات الدروس في كليات الجامع أو في المدارس، فلا عجب أن وجدنا من بينهم في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر أمثال المعلم الشيخ مصطفى عبود، ومحصل الضرائب الحكومية ناصر الخطيب وابن عمه ذيب عبود والمختار الشيخ

حسن الخطيب، وكلها وظائف حكومية لها مكانتها الاجتماعية في تلك السنين الخوالي. كان أول من قام بمحو أمية وبتعليم رجال بلدتنا وأبنائها المرحوم الشيخ مصطفى عبود أبو سعد، تبرع بداره في قالونيا القديمة كمكان تعقد فيه حلقات الدرس، ولما رأى أن عتمة تلك الدار لا تساعد ولا تشجع الدارسين على المواظبة على حضور جلسات التعليم فيها، انتقل بتلاميذه الى جامع الشيخ حمد في البلدة. وكان من تلاميذ تلك الحلقات عبد الله محمد علي سلامة العسكري ومصطفى رمضان العسكري وعيد صباح المخلوفي، وغيرهم. واستمر في مهمته النبيلة هذه مدة سنتين حتى هاجر الى أمريكا عام ١٩١٣م، واستقر فيها الى أن وافاه الأجل هناك. فحل محله الشيخ الجليل حامد الياسيني لمدة سنتين حتى سنة ١٩١٥، يحضر من بلدته دير ياسين الى قالونيا على ظهر حمار يوميًا ومن بعده خلفه الشيخ أحمد الغزاوي لمدة عام دراسي واحد هو عام ١٩١٦، أبدى بعدها شيخنا عدم رغبته لتجديد الاتفاق مع أهالي بلدتنا لبعده المسافة بينه وبين أهله في مدينة غزة.

انتدبت البلدة الشيخ جمعة رمضان عسكر للذهاب الى بلدة قطنا، واتفق هناك نيابة عن رجال بلدتنا مع أحد الشيوخ للتدريس في كتاب الشيخ حمد، وكان ذلك الشيخ يمت بصلة المصاهرة والنسب للشيخ جمعة، فحل بذلك الشيخ محمد القطناوي محل الشيخ أحمد الغزاوي لمدة سنتين متتاليتين، حتى نهاية العام الدراسي ١٩١٧/١٩١٨ وفي الأعوام الدراسية الثلاثة التالية، تدخلت سنة التغيير في الحياة فجاءت بالشيخ عبد الفتاح الخاروف من مدينة نابلس، ليظل في بلدتنا يدرس في كتابها حتى بداية العام الدراسي ١٩٢٠/١٩٢١ وكان قد أحضر مختار دار خطاب المرحوم مصطفى طه فيزوج ولده البكر محمد من ابنة الشيخ المذكور، واسمها قدسية عبد الفتاح الخاروف، وكان المختار نفسه قد سبق ولده محمد وتزوج السيدة وصفية الخاروف.

حدثني شيوخ البلدة ورجالها أن الشيخ عبد الفتاح الخاروف كان الأبرز والأفصح من بين من قام بتدريس أبناء البلدة قبل عهدنا في قالونيا بالمدارس النظامية الحكومية، فلقد كان ذلك الشيخ الجليل على مستوى جيد من الثقافة، وكان جم الحواس والنشاط، وقد تجلّى منه ذلك في تشجيع رجال بلدتنا في اقناع ادارة المعارف في القدس

أن تفتح مدرسة حكومية نظامية رسمية في البلدة قالونيا. وكانت أن تكملت مساعي أهل البلدة لدى ادارة المعارف بالنجاح نتيجة جهود ذلك الشيخ الوقور، ففتحت الادارة مدرسة ابتدائية نظامية في نهاية العام الدراسي ١٩١٨/١٩٢٠ في قريتنا قالونيا كما قررت ادارة المعارف تثبيت الشيخ الجليل عبد الفتاح الخاروف كمدرس حكومي رسمي يقبض راتبه من ادارة المعارف في القدس آخر كل شهر بدلا من أهل البلدة.

انتقل الشيخ عبد الفتاح الخاروف بتلاميذه من حلقات الدرس في مسجد الشيخ حمد في البلدة الى مقاعد مدرسية في احدى غرف منزل السيد ذيب نسيبة بالقرب من العين الفوقية جنوب البلدة انتقل بهم في العام الدراسي الثالث من فترة عمله في قالونيا، وكان الشيخ الطيب الذكر قد قام بتوحيد الزي المدرسي لتلاميذه وألبسهم الطربوش التركي واخطط نظاما ناجحا في ادارة المدرسة وفي تعليم أبنائها. وفي نهاية العام الدراسي ذاك أقام الشيخ وتلاميذه السبعة والعشرون حفلة مدرسية، وصفها كل من تذكرها من أهل بلدتنا بالروعة، وقد دعي اليها رهط من كبار الضيوف من القدس وعلى رأسهم زعيم فلسطين الحاج أمين الحسيني، رئيس المجلس الاسلامي الأعلى ومفتي فلسطين الأكبر حينذاك. وكان من ضمن المدعوين الى تلك الحفلة أيضا، الأديب الكبير المرحوم اسعاف الناشبي مفتش المعارف كما حضرها أسعد الحسيني وأحد الرجال الانجليز كممثل للمندوب السامي.

وقد أثني أولئك الرجال على الشيخ الخاروف، وأشادوا بهمة وجهده، مما شجعه في بداية العام الدراسي التالي أن يطالب بتحسين وضعه المالي، وكان من نتائج النجاح المرموق الذي أمتازت به جهوده المخلصة في حقل التدريس في بلدتنا ومطالبته بحقوقه أن استبعد من البلدة التي شهدت ابداعاته واخلاصه... فنقل الى مدرسة اخرى في قرية سلواد.

أما تلاميذه النجباء الذين أقاموا الحفلة وأخرجوها بنجاح تام مع شيخهم العظيم، فهم السادة:

ونبدأ من خلف الصورة من اليمين الى اليسار ومبتدئين بالشيخ الجليل ومن بعده التلاميذ التالي أسماؤهم:

- ١ - يوسف ذيب سعيد الخطيب الشهير بيوسف ذيب عزيزة (من دار أبي سعد).
- ٢ - محمد حسين سلامة حسين (عسكر خطاب)
- ٣ - سعيد محمد عطية (مخلوف / خطاب)
- ٤ - موسى محمد أسعد (مشعل)
- ٥ - أحمد محمد جودة عطا الله (أبو سعد)
- ٦ - علي عيد صباح (درياس / خطاب)
- ٧ - محمد مطر أحمد الخطيب (عسكر / خطاب) في نهاية الصف الخلفي في الصورة.

أما تلاميذ الصف الثاني في الصورة بين يمين الشيخ ويسار ابنته فهم كالتالي:

- ٨ - محمود محمد طه اسعيد (الغليظ)
- ٩ - محمد ناصر سعيد الخطيب (أبو سعد)
- ١٠ - يونس حسن مصطفى الخطيب (أبو سعد)
- ١١ - موسى محمد خضر (مشعل)
- ١٢ - موسى عبد الرحمن علي سالم (الغليظ)
- ١٣ - محمد مصطفى عبود الخطيب (أبو سعد)
- ١٤ - محمود حسن مصطفى الخطيب (أبو سعد)

وفي الصف الثالث أمام الشيخ وأمام ابنته فيقف من اليمين الى اليسار التلاميذ الآتية أسماؤهم:

- ١٥ - خليل علي جودة عطا الله (أبو سعد)
- ١٦ - عثمان حسن اخيل (الغليظ)
- ١٧ - عطية أحمد عطية (مخلوف / خطاب)
- ١٨ - مصطفى حماد الطويل (أبو سعد)
- ١٩ - محمد مصطفى طه (حمدان / خطاب)
- ٢٠ - عمر مصطفى اخيل (الغليظ)
- ٢١ - قدسية الشيخ عبد الفتاح الحاروف من نابلس.
- ٢٢ - محمود شحادة بكر (درياس / خطاب)



وأخيرا يجلس التلاميذ الآتية اسماؤهم في الصف الرابع من اليمين الى اليسار:

٢٣ - محمد جمعة رمضان (عسكر / خطاب)

٢٤ - نعمان خليل فرحان (أبو سعد)

٢٥ - محمد ذيب سعيد الخطيب (أبو سعد)

٢٦ - محمد كايد سعيد الخطيب (أبو سعد)

٢٧ - حسين الشيخ عبد الفتاح الخاروف من نابلس. ويقف خلف السيدين موسى

محمد أسعد غنام وأحمد محمد جودة.

واليك فيما يلي عدد تلاميذ المدرسة في بلدتنا قالونيا في كل حمولة وقبيلة في العام

الدراسي المذكور ١٩٢٠/١٩٢١ من واقع القائمة السابقة:

قبيلة خطاب وبطونها الأربعة	دار الفيظ	دار مشعل	دار أبو سعد	عدد تلاميذ المدرسة	ملاحظات
عسكر ٣	٤	٢	١١		عدد تلاميذ المدرسة
حمدان ١	-	-	-		خلال العام الدراسي ١٩٢٠/١٩٢١ كان ٢٥
					تلميذا قالونيا واثنا
درباس ٢	-	-	-		هما ضيوف المدرسة
					وهما أبناء الشيخ
					الخاروف ولذلك فقد
مخلوف ٢	-	-	-		استبعدا من العدد
					الكلي ومن النسبة
					المئوية لتلاميذ المدرسة.
المجموع					
٨	٤	٢	١١	٢٥	
النسبة المئوية	٣٢٪	٨٪	٤٤٪		

ومن قرائتنا لهذا الجدول نستنتج الحقائق التالية:

١ - يتصدر أبناء أبو سعد حمائل البلدة في عدد الأبناء المقبلين على التعليم، فهم هنا

يشكلون نسبة مئوية مرتفعة بلغت ٤٤٪ من عدد تلاميذ أول مدرسة حكومية

نظامية في قريتنا قالونيا في العام الدراسي ١٩٢٠/١٩٢١ وكان عدد تلاميذ تلك المدرسة

٢٥ تلميذا.

٢ - وتأتي بعد دار أبو سعد بطون قبيلة خطاب الأربعة في عدد التلاميذ (٨) وفي

النسبة المئوية وهي ٣٢٪ من عدد تلاميذ أول مدرسة حكومية في بلدتنا.

٣ - وتأتي دار مشعل في نهاية سلم النسب المذكورة، وكان عدد تلاميذها تلميذين

شكلا نسبة ٨٪ من عدد تلاميذ المدرسة.

ما تقدم نعرف أن الشيخ عبد الفتاح الخاروف قد شهد نهاية عهد الكتابيب في

بلدتنا، كما دشّن أول مدرسة نظامية حكومية، ودُرّس تلاميذها في قالونيا.

اعتاد الشيخ من الذين عملوا في التعليم في حلقات الكتاب في مسجد الشيخ حمد

، أن يجلس متربعا أثناء الدرس فوق جاعد أو على حصيرة في صالة المسجد العليا،

وحوله تلاميذه وصبيان، وكان من عادة الشيخ منهم أن ينظم جلوس الصبيان حوله

على الشكل التالي:

يجلس أبنه التلاميذ عنده على يمينه، ويتدرج تلاميذه في جلوسهم بالنسبة لذلك

التلميذ النبيه حسب قبولهم عند شيخهم من ناحية التحصيل والحفظ والاقبال على

الدرس. فتكتمل الدائرة حول الشيخ، ويتعين جلوس الخامل من الصبيان أو الجديد

منهم عن يساره.

ويقوم التلميذ النبيه دائما بتنفيذ أوامر الشيخ ومساعدته في تلقين زملائه الخاملين

المحتاجين سور القرآن وآياته حسب ارشادات الشيخ، وللشيخ طريقته الخاصة في

معاينة المقصرين في أداء واجباتهم، والمذنبين، والخارجين على قواعد السلوك والآداب.

فبإشارة معروفة يشير بها الشيخ، تربط قدما "المذنب" بالفلقة وهو مهدود على ظهر

والفلقة دائما جاهزة للاستعمال: عصا متوسطة الطول أو خشبة مستقيمة مستديرة

يربط الحبل من جهتيه بطرفي تلك الخشبة أو العصا، يضع أحد التلاميذ الأشداء

قدما الصبي المذنب داخل حبل الفلقة ثم يلف الحبل بشكل دائري حول الكعبين

حتى يتم شد القدمين تماما. يظل مساعد الشيخ في تنفيذ عملية العقاب ممسكا بالقلقة القابضة على قدي الصبي المطروح أرضا، يظل كذلك واقفا وساقاه متفرجتان فوقهما والشيخ يضرب راحة القدمين دون رحمة بعضا من الرمان أو اللوز أو مطرق من الزيتون، وكثيرا ما كانت الشكوى ضد الصبي في الكتاب من أمه أو من شقيقته لسوء في الأدب وقع منه في يوم سابق.

أما التعليم في الكتاب في تلك الأيام فقد كان الشيخ يلقي صبيانه الحروف الأبجدية وحركاتها أولا، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التعرف على صورتها ومن ثم التدريب على كتابتها أخيرا. وكانت كتابة الحروف على لوح أسود ومستطيل ٥٢ سم * ٣٠ سم، يكتب صبي الكتاب على ذلك اللوح بقلم من حجر خاص يسهل محوه بقماشة جافة أو حتى براحة كف الصبي. كان الشيخ منهم يلقي الصبيان الحروف بالطريقة التالية:

أ	أليف	ز	زين	ق	قاف
ب	باء	س	سين	ك	كاف
ت	تاء	ش	شين	ل	لام
ث	ثاء	ص	صاد	م	ميم
ج	جيم	ض	ضاد	ن	نون
ح	حاء	ط	طه	ه	هاء
خ	خاء	ظ	ظه	و	واو
د	دال	ع	عين	لا	لام أليف
ذ	ذال	غ	غين	ويدرس باستقلالية عن حرفي ل ، ا	
ر	راء	ف	فاء	ي	ياء

وكان الشيخ منهم يلقي تلاميذه هذه الحروف على شكل مقطوعة منظومة تسهلا لهم حفظها ولاستظهارها بالشكل التالي:

ا	أليف	لا شن عليه (أي لا شيء من النقط على ا)
ب	الباء	وحدة من تحت (للباء نقطة تحتها)
ت	التاء	ثنتين من فوق (أي اثنتان من النقط فوقها)
ث	الثاء	ثلاث من فوق (أي ثلاث من النقط فوقها)... وهكذا مع بقية الحروف في مجموعات منظومة.

ثم يأتي تدريب وتحفيظ الصبيان للحروف مع حركاتها الاعرابية:

ب	باء فتحة	بُ	با
ب	باء ضمة	بُ	بو
ب	باء كسرة	بِ	بي
ب	باء جزمة	بْ	اب

وكانت عملية تلقين الصبيان سور القرآن تجري صباحا ومساء في بداية عهد الكتاب، ولم يكن يسمح للتلاميذ حينئذ بكتابة آيات القرآن على أوراق أو على ألواح وذلك تنزيها لكتاب الله تعالى أن تمسح آياته من فوق الألواح أو تلقى بعيدا مع الأوراق. وكان الشيخ يحرص على تدريب صبيانه كيف يكتبون الخط الجميل. ولا ننسى أن الهدف الأساسي للتعليم في حلقات الكتاب في تلك الأزمنة كان من أجل معرفة قراءة القرآن من أوله الى آخره عن المصحف مباشرة أو تلاوته عن ظهر قلب، مرتلا مضبوذا بدرجة مقبولة عند الشيوخ. وقد احتفلت أسر كثيرة في بلدتنا بختم أبنائها للقرآن، وكان أولاد تلك الأسر قد وصلوا قمة العلم حتى وان لم يكونوا قد حفظوا القرآن عن ظهر قلب أو فهموا آياته، أو عاشوا معانيه أو تفيأوا بظلال أساليبه المعجزة. كانت الأسرة تلبس ولدها ذاك، ثيابا جديدة وتحيط جيده بقلاند الذهب أو الفضة تجمعها أم الفتى السعيدة من قرياتها ومعارفها من الجارات والبعيدات لهذه المناسبة، عارية مستردة، تعيدها الى أصحابها بعد الاحتفال مباشرة. وقد يقوم أهل الفتى الذي ختم القرآن، بزقته في موكب خاص يشارك فيه زملاؤه من صبيان الكتاب وعلى رأس الموكب الشيخ ووالد الفتى وبعض دراويش البلدة ورجالها، وفي البيت، بيت المحتفى به، يقدم الطعام، وبعده الحلو، ويعقب ذلك تقديم هدايا خاصة ونقوط معلوم، الطعام والحلوى للضيوف المدعوين، والهدايا لشيخ الصبي، والنقوط

للفتى الذي ختم القرآن.

وقد حدثني بعض من حجاج بلدتي منهم الحاج محمد مطر الخطيب، والسيد يونس الحاج حسن الخطيب، عن حفل ختم القرآن الكريم للفتى محمد حسين سلامة عام ١٩٢٠، أقام والده الحاج حسين سلامة حفلة وزفة لولده المذكور في حوش منزله الواسع دعا إليها وجهاء البلدة من مخاتير واختيارية ليتناولوا العشاء تكريماً لهم في تلك المناسبة. كان أهل بلدتي كراماً مع شيوخ صبيانهم في الكتاب. فعلاوة على القروش الزهيدة التي كانت تدفع اسبوعياً عن الصبيان، كانوا يقدمون للشيخ هدايا عينية مثل البيض وأقراص الطابون ومعجناته المختلفة، وخاصة في أيام رمضان، والمناسبات الدينية والأعياد، وفي المواسم، مثل موسم خميس البيض، وموسم الحصاد وجمع الحبوب، وجني الثمار، وفي مناسبات الأفراح... وفوق كل ذلك كانوا يقومون بتقديم وجبات الغداء في ظهر كل يوم من البيض والسلطة والخضار... واللحوم والدجاج... كل بدوره، بل كان بعض أولئك المشايخ يقوم بتحديد نوعية طعام غذائه، ومنهم من كان يكرر تذكير الصبي أن لا تنسى أمه إضافة بعض التوابل كالساق أو الفلفل والشطة إلى الطعام.

عينت إدارة المعارف "الشيخ" حسن سليمان نسبة مدرسا في المدرسة الجديدة في العام الدراسي ١٩٢٠/١٩٢١ بدلا من الشيخ الوقور طيب الذكر عبد الفتاح الخاروف وكان الشيخ حسن نسبة يلبس اللباس الغربي مثل أهل المدن، البدلة مع ربطة العنق تضفي عليه طابعا مميزا يجعله مختلفا كلية عن الشيوخ السابقين الذين كانوا يرتدون اللباس الخاص برجال الدين: القمباز ومن فوقه الجبة، وعلى الرأس عمامة.

ومع أن التعليم في قريتنا قد بدأ يدخل عهد التعليم الرسمي المنهجي الحديث إلا أنه بفضل ذلك الشيخ الجديد - ظل يسير على نفس النمط التعليمي الذي ساد حلقات الكتاب أيام الشيوخ السابقين مع تعديل بسيط لا يستحق أن يشار إليه، أو أن يوصف كتطور أو تغيير عاد على أبناء قالونيا بالفائدة المطلوبة.

ظلت دار ذيب نسيية، وعقبها دار رباح الحسيني تستعمل كمدرسة للصفوف الابتدائية الثلاثة طيلة العام الدراسي ١٩٢٠/١٩٢١، وفي عام ١٩٢١ تبرع السيد اسماعيل خليل

رمضان عسكر أحد وجهاء بلدتنا، تبرع بجناحين كبيرين من دارته الضخمة الكائنة في وسط البلدة، وسط قالونيا الجديدة. الجناح الأول يضم غرفتين متلاصقتين مشتركتين في الجدار الأوسط، وكانتا مستقلتين تماما عن بقية الدار الضخمة. وزعت الفصول الابتدائية الأربعة في الغرفتين في ذلك الجناح، وكان أن أضيف الصف الرابع الابتدائي في ذلك العام. في طرف الجدار المشترك باب صغير يسمح للمدرس - ولغيره - بالانتقال من الغرفة إلى الأخرى في توزيع تواجدته ومتابعته للصفوف الأربعة. لم يكن في الغرفتين المذكورتين أية سبورة أو لوح ثابت أو متحرك في بداية الأمر، وكان لكل غرفة باب يطل على ممر ضيق بطول عشرة أمتار يقود التلاميذ من وإلى الغرفتين والفضاء الخارجي أمام المدرسة.

ونستطيع أن نكتب الكثير حول مواقف أهل قريتنا من ذلك الاستاذ أو المعلم أو الشيخ الذي قضى من عمره أكثر من ربع قرن في قالونيا محتكرا التعليم فيها لا يشاركه في ذلك شيخ آخر، وثق به أهل قريتنا كل الثقة، حتى صار عندهم الصادق الأمين، يمارسون أمامه كل سلوكيات الاحترام والتبجيل، فاسماعيل خليل رمضان يشجعه على الزواج، ويسكنه في شقة جميلة، في منزله الكبير، في الوقت الذي لم تكن قريتنا تعرف نظام الشقق المستقلة.. أسكنه في تلك الشقة وهي التي تشكل الجناح الثاني الذي تبرع به للشيخ حسن مسكنا له وأمنا. أسكنه مجانا طيلة فترة وجوده الطويلة في بلدتنا قالونيا. وتبعد شقته تلك عن المدرسة ثلاث درجات يهبطها إلى الممر الموصل إلى غرفتي التدريس.

واسماعيل خليل يعطي الشيخ حق التنقل دون مقابل في باصات الشركة التي كان يمتلكها في بادئ الأمر، والتي كانت تسير بين قالونيا / القدس / قالونيا. وللاستاذ الشيخ امتيازات أخرى كان يستفيد منها ويتمتع بها مثل استدعاء أية امرأة تحمل على رأسها تنكة الماء أو جرتها في عودتها إلى بيتها تنقلها من العين الفوقة على بعد مسافة كيلو متر واحد، جبلي وعري، يستدعيها فتفرغ حمولتها في خزان الماء في منزله دون أجر أو أي مقابل.

وزوجة الشيخ "المدنية" وهي كلمة كان لها مدلولها الخاص، وبعدها الطبق الذي كان يعكس القهر والظلم الواقع على الفلاحين، فالكلمة وظلالها كانت تعكس عندهم النعمة والرفاهية الممزوجة بالاستعلاء والبطر، زوجة ذلك الشيخ تستعين

بفلانة أو بعلانة من نساء القرية للقيام بمساعدتها في بيتها مقابل لا شيء، اللهم إلا تكريمها بتوصية زوجها على ابن هذه المرأة أو شقيقها.

كان الشيخ حسن موضع سر الشيوخ والكهول من جدود ومن آباء، فلم يكن يجهل أي خلاف بين زوجين أو بين ولد وأبيه بل وأبعد من ذلك، تحفظ النسوة عنده مصاعها وحليها، ويأتمنه الرجال على أموالهم وأتاعهم، دون علم الزوج أو الزوجة، أو معرفة الأب أو الأم في أحيان كثيرة.

والشيخ الاستاذ، كاتب حال وشاهد ثقة واثبات، وصاحب رأي حاسم في المنازعات وفي عقود الزواج وجمع الهبات والنقود، في الأفراح وفي الأعراس. وكان حفل البلدة يُتميز عن غيره بحضور الاستاذ فيه أو بتغيبه عنه.

أما نحن تلاميذ ذلك الشيخ الاستاذ، فأسأل أيها القارىء عن الخوف الذي كان يغشانا إذا ما صادفناه في حارات القرية أو طرقاتها، فكنا نغير طريقنا حتى لا تقع عيوننا عليه خوفاً منه لا احتراماً له. فالخوف كان يستمر معنا الى ما بعد خروجنا من المدرسة فقد كان لا يرحم أبداً داخل الصف، وظلت صورة عندنا لا ترحم خارجه.

لم يكن يدرسنا - غفر الله له - الا دروس القراءة الجهرية وكتابة الاملاء والقرآن، تلاوة، وبعض سور حفظاً واستظهاراً، بلا تفسير وبعضاً من عمليات الحساب الأولية البسيطة، واستمر معنا على هذه الحال في المدرسة الجديدة التي بناها أهل قريتنا سنة ١٩٤٢م بأموالهم الخاصة فوق أعلى قمة عند أول أراضي الجفير في قالونيا الشمالية، بنيت هناك غرفة كبيرة لتحل محل مدرسة اسماعيل خليل رمضان ان صحت التسمية، وكانت تلك الغرفة على اتساع كبير، رتبت فيها مقاعد الدراسة للسنوات الاربع، الابتدائية. مقاعد الصف الأول الابتدائي رصت أمام مقاعد الصف الثاني الابتدائي على يسار الغرفة، أما الصفان الثالث والرابع فكانا على يمين الغرفة عند مدخلها، وخلف تلك المقاعد تقبع خزانة مغلقة، قلما كان يفتحها، تحوي بداخلها كتباً للقراءة الحرة، وقصصاً للأطفال، كما كانت تضم داخلها أيضاً مجموعة من صناديق الطباشير الابيض، التي لم يحدث أن نفذ منها مخزونها من شدة حرصه، ومحابته على ما يستهلك منها، رغم وجود اللوح الأسود على طول حائط الغرفة أمامنا. كانت مشكلتي الكبرى مع ذلك الاستاذ - وكانت تشكل مشكلة عامة عند زملائي

التلاميذ - هو أنني لم يكن بمقدوري أن أحفظ سورة متوسطة الطول من القرآن الكريم مثل سورة المطففين، أو حتى بعضاً من السور القصار، فيكون العقاب الشديد بالضرب على راحة كفي، بعضاً من الرمان المرن الغليظ أحياناً، أو الرفيع أحياناً أخرى، وكان يوفر تلك العصي للاستاذ بعض "من عقلاء" أهل البلدة، يساعدهم آخرون من المتخلفين عقلياً! وأذكر مرة أن تورمت كف يدي لكثرة ما نزل فوقها من ضربات عصا الرمان، فازداد انتفاخ الثورم حتى تقيحت يدي، فشكوت ذلك لوالدي رحمه الله وغفر له، فلم يزد تعليقه بعد أن رأى يدي عن قوله: "الله لا يردك، خليه يموتك".

وبجوار المدرسة كان هناك ملعب كبير، وتقفز أمام ذاكرتي هنا طريقة اعلان الاستاذ حسن، انتهاء الفرص، ونداؤه لبدء الدروس: اعتاد أن يدق على زجاج الشباك من الداخل والمطل على الملعب بمفتاح صغير بيده عدة دقائق ليسمعها أول صبي قريب من ذلك الشباك بالصدفة ومن ثم يبدأ الصبي بالصياح بأعلى صوته منادياً زملائه لدخول غرفة المدرسة: جؤا، جؤا، جؤا، ويظل يكررها وزملاؤه يغادرون الملعب المفتوحة حدوده مع حواكير الجفير وموارسه. انه على أي حال نداء للانتقال الى جو جديد، الى جو خاص في الداخل، والكلمة تقابل كلمة بر، أي في البر في الفضاء خارج غرفة المدرسة، كانت تلك طريقة الشيخ حسن نسبية، بالرغم من ذلك الحرس الكبير الخامل والراكد في ركن من أركان الخزانة التي ذكرتها.

طالب أهل قريتي بمدرسة ابتدائية كاملة حتى الصف السابع، وخاصة بعد أن تكرر فشل الآباء في ارسال أبنائهم لاكمال تلك المرحلة في قرية عين كارم بسبب مشقة الطريق وبعد المسافة وتكاليف الرسوم والمصروفات. ظلت المحاولات التي أبدتها همة رجال البلدة بهذا الشأن لدى ادارة المعارف في القدس، ظلت متذبذبة تتأرجح بين مد الحاس، وجزر التحفظ، حتى مَنَّ الله على البلدة بصف واحد جديد وهو الصف الخامس الابتدائي، عندما جاء دور قريتنا في سلم الأولويات بين القرى، عند ادارة المعارف في القدس سنة ١٩٤٥م، وهكذا أصبحت مدرستنا تضم الصفوف الابتدائية الخمسة الأولى حتى عام ١٩٤٥م.

تم اختيار غرفة عتيقة في وسط البلدة القديمة، تعلو البيوت التي أودى زلزال عام ١٩٢٧ بها، تبرع بتلك الغرفة أبناء المرحوم الشيخ عبد الرحمن علي سالم (غليظ).

نقل الشيخ حسن نسبة الصف الرابع من المدرسة الفوقية الى المدرسة الجديدة ليكون برفقة الصف الخامس الجديد، وحتى يتسنى لتلاميذ الصفين البدء بتعلم اللغة الانجليزية على يد الاستاذ الجديد، الذي لم أعد أذكر سوى اسمه الأول "محمد" وكان من قرية الخضر، والصف الخامس صف لا عهد لمدارس القرية السابقة به، مع استحداث ذلك الصف في المدرسة الجديدة، عرفنا دروساً جديدة في التعليم، وتفتحت أمامنا آفاق رحبة في المعرفة والمعلومات، بدأنا ندرس مواد التاريخ والجغرافيا والعلوم والصحة، عرفنا الحساب ودروس الدين من عبادات ومعاملات وسير وشخصيات، بدأنا على استحياء نظرق أبواب النحو فعرفنا الاسم والصفة والنعت، عرفنا الفاعل والمفعول به، وظرفي الزمان والمكان... وبدأنا نحفظ من المأثورات، شعراً ونثراً، كنا نسميها المحفوظات.

وأكثر من ذلك بدأنا في تعلم لغة جديدة، نتعلم أنجدياتها ومفرداتها نقرأها ونكتبها في كتب خاصة وفي دفاتر مكرسة بطريقة خاصة، ذات الأربعة سطور مرسومة خصوصاً لكتابة حروف اللغة الانجليزية عند المبتدئين. وماذا أيضاً؟ عرفنا أن هناك أشياء محبة الى التلاميذ تسليهم، وتمتعهم فيكون التعلم من خلال اللعب والنشاط، عرفنا الرسم، فرسمنا البلاط والشجر والسحاب... مارسنا الألعاب الرياضية في حصة الألعاب، فوق كل ذلك عرفنا شيئاً جديداً اسمه الجدول، جدول الدروس الاسبوعي فصرنا نتسابق في ابداع واخراج الجداول على بطاقات خاصة نلصقها فوق حقائبنا القماشية... تعلمنا استعمال المسطرة والفرجار وأداة خفيفة لامعة نصف دائرية، طبعت على حافتيها مجموعتان من الارقام تبدأ بالصفر في كل مرة وتنتهي بالرقم ١٨٠ تلك الأداة اسمها "المنقلة" تعلمنا كيف نقيس درجات الزوايا الهندسية من قائمة، وحادة، ومنفرجة... عرفنا الطابور والنظام والسير بكل هيبة ووقار الى الدروس في صباح كل يوم... عرفنا كل هذا على أيدي اساتذتنا الجدد الشباب: عمر رحمه الله، وقد استشهد في معركة الشجرة، مع المرحوم الشاعر عبد الرحيم محمود، وكان قد عين في مدرسة البلدة بعد انتقال الاستاذ محمد الى مكان آخر.

لقد عرفنا الكثير في قيمته وفي ماهيته عن استاذينا المذكورين، فعلى يديهما عرف تلاميذ القرية معنى المدرسة والهدف منها.

كان الشيخ حسن يغلق مدرسته عصر كل يوم ليقوم بزيارتنا في مدرستنا في البلدة القديمة، في زيارة شبه تفتيشية، ومن باب اثبات الوجود عنده، كان رحمه الله يمر وبصحبه بناته الثلاث أو الأربع أحياناً، يدخل الغرفة فيلقي علينا تحية السلام، ثم يبدأ بالمرور بين مقاعد التلاميذ واضعاً إحدى قدميه على طرف مقعد التلميذ، ويقف على الأخرى يتابع الدرس ويلاحق بعينه تحركات الاستاذ عمر، يتابعه دون أن يحرك شفته، منصتاً له. ولم تكن تتعدى ردود الفعل عنده عن تعديل وقفته، أو وضع يده في جيبه ليخرجها مع منديل يمسح به وجهه، وبناته الصغيرات دون السابعة لاهيات بالحركة أو بالحديث فيما بينهن، وكان يشير اليهن بالسكوت في كثير من الأحيان. كان كثيراً ما يظهر الاستاذ حسن دهشته، اذا ما بدت على أحد تلاميذه القدامى علامات ذكاء أو حضور بديهة أو بشاره فطنة أو سرعة فهم.

ولا بد قبل أن نأتي على ختم هذا الفصل حول التعليم في بلدتنا الحبيبة قالونيا أن أذكر المبادرات الخاصة التي قام بها أهالي البلدة، بارسال أبنائهم الى كتاتيب والى مدارس القرى المجاورة لتلقي أصول القراءة والكتابة... والعلم. وكانت تلك المبادرات مبادرات ذاتية من قبل أولياء الأمور في بلدتنا على شكل بعثات:

البعثة الاولى:

وكانت البعثة الاولى تضم عبد الرحمن علي سالم (غليظ) وأحمد محمود لقح (مشعل). أتم الاثنان مرحلة مسك الحرف وفكه ومبادئ القراءة والكتابة في كتاب الجامع في قرية دير ياسين، ومما يجدر ذكره هنا أن الفاضلين قد تزوجا من ياسينيات بعد تخرجهما، أنجبتا لهما أبناء بررة ناجحين.

البعثة الثانية:

أرسل أحمد محمود لقح مشعل ولده عزت الى بلدة أخواله في دير ياسين حيث تعلم هناك شأنه في ذلك شأن أبيه وشأن حميه وعمه عبد الرحمن علي سالم.

البعثة الثالثة:

أرسل عبد الله محمد علي سلامة عسكر ولده محمد أمين بعد أن أتم الصف الثاني الابتدائي في قالونيا، الى مدرسة عين كارم، ليسيقي فيها عامان، في ضيافة أخواله من آل عرباش الكرام.

البعثة الرابعة:

وكانت الى قرية عين كارم أيضا، وقد ضمت كلا من عثمان محمد عثمان سمور (عسكر) وعبد ناصر الخطيب (أبو سعد) وعطا محمود سلمان (الغليظ) ولم يستمروا في الدراسة بسبب الرسوم الباهظة والتي كانت جنيتها واحدا يدفعها التلميذ عند بدء كل عام دراسي جديد. كما كان طول الطريق ووعورتها وصعوبة المواصلات الى البلدة من أسباب توقف تلك البعثة في السنة التالية.

البعثة الخامسة:

وقد اختص بها المرحوم الشاب راغب عبد الرحمن علي سالم (غليظ) فلقد أرسله اخوته الى مدرسة لفتا الأميرية ليستمر فيها حتى يتم الصف السابع الابتدائي، وبذلك كان الشاب راغب عبد الرحمن رحمه الله أول قلواني يصل الى هذا المستوى من التعليم.

البعثة السادسة:

أتم الطلبة التالية أسماؤهم الصف السابع الابتدائي في مدرسة لفتا الأميرية أيضا سنة ١٩٤٤م: المرحوم الشاب محمد أحمد محمود لقح (مشعل) ورجا محمد سمرين عسكر وحسين محمود حسن اخليل (غليظ).

البعثة السابعة:

وقد ضمت الطالبين: المرحوم محمد اسماعيل سالم (غليظ)، وحمدي محمد مطر الخطيب (عسكر) ليتما الصف السابع الابتدائي عام ١٩٤٥ في مدرسة لفتا الأميرية.

البعثة الثامنة:

بعد أن أنهى الصف السابع الابتدائي، انضم رجا محمد سمرين (عسكر) الى كلية روضة المعارف في القدس لينهي فيها الصف الثانوي الأول (١١)، دون أن تمكنه القلاقل

(١) واصل الشقيق رجا تعليمه في القاهرة بعد أن هاجر اليها سنة ١٩٤٨ حيث التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر وكان أول قلواني يحصل على الدرجات العلمية الجامعية: الشهادة العالية والماجستير والدكتوراه في علوم اللغة العربية وآدابها.

وظروف الحرب من اكمال الدراسة فيها، وكذلك الحال مع المرحوم، الشاب محمد أحمد محمود لقح (مشعل) الذي لم يسعفه القدر في اتمام تعليمه في "الكلية الابراهيمية في القدس"، فقد جاءه اليقين عندما سقط عن ظهر فرسه في يوم أسود من أيام عام ١٩٤٥ رحمه الله، أما الشاب المذهب محمد اسماعيل سالم معالي (غليظ)، فقد التحق بالكلية الرشيدية في القدس وكانت تلك الكلية منذ انشائها سنة ١٩٠٦ أيام متصرف القدس العثماني رشيد بك، كانت لا تقبل في صفوفها الا نوابغ الطلاب، وكان المرحوم محمد اسماعيل سالم، أحد أولئك النوابغ اللامعين، أهله استعداداته وملكاته ودرجاته العالية والتي حصل عليها في سنواته الدراسية، على أن يكون أحد طلاب تلك الكلية العتيدة، وكان التحاقه بها حدثا تحدث به أهل البلدة لفترة طويلة من الوقت... (١).

البعثة التاسعة:

بعد أن أنهيت الصف الخامس في بلدتي الحبيبة قالونيا، أحقتني الوالدة، - حيث كان والدي في مصر حينذاك - أحقتني بالصف السادس الابتدائي في مدرسة لفتا الأميرية، وقد انتقلت بعد ذلك الصف الى مدارس مصر سنة ١٩٤٧م وكان قد شاركني في الدراسة بمدرسة لفتا: وديع محمود جودة (أبو سعد)، وصالح خضر صالح (مشعل) والمرحوم الشاب محمد ابراهيم الصرص (غليظ).

(١) تقلد السيد محمد اسماعيل سالم وظائف رفيعة المستوى: الى أن عين مديرا للإدارة والمالية في سلطة الطيران المدني منذ ١٩٧١ حتى أحالته نفسه للتقاعد في نهاية ١٩٨١ كما عمل ولمدة خمس سنوات مديرا للشؤون الادارية والمالية للأكاديمية العربية للطيران المدني في عمان، وهي إحدى المنظمات المتخصصة والمتفرعة من جامعة الدول العربية. مشهود للسيد محمد اسماعيل سالم بدمائه الخلق، وحسن المعشر، وطيب الخاطر وسعة الاطلاع، وله علاقة متميزة مع جميع أهالي القرية على اختلاف أعمارهم مثله في ذلك مثل والده من قبله. رحمهما الله معا..

لم يكن لبنات قريتي قالونيا نصيب في التعليم يذكر. وكان ذلك حال البنات في غالبية قرى بيت المقدس الشمالية والمجنوية، على السواء. فلم تفتح للبنات كما ذكرت سابقاً أية مدرسة في أي من تلك القرى، حتى سنة ١٩٣٨م حيث فتحت مدرستان: واحدة في مدينة أريحا، والاخرى في قرية عين كارم- للبنات.

فتاتان فقط كانتا تجيدان القراءة والكتابة في قالونيا حتى سنة ١٩٤٥: الأولى هي السيدة نعمة حسين سلامة عسكر، زوجة المرحوم محمد أمين عبد الله محمد (عسكر) وقد تلقت مبادئ التعليم في مدرسة الأيتام برفقة شقيقها أحمد حسين سلامة عسكر، تكريماً لوالدهما حسين سلامة عسكر، الذي اغتيل برصاص الانجليز فوق دار في قالونيا مع زوجته عقب عملية "دار النمر" عام ١٩٣٩م.

أما الفتاة الثانية فهي شقيقتي نعمة محمد سمرين عسكر، التي نالت حظها من القراءة والكتابة في بلدة الذوق مكاييل من أعمال بيروت في لبنان عندما كانت برفقة والدها الذي كان يعمل مرافقاً خاصاً لمفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وبقيت في المدرسة من عام ١٩٣٧ حتى نهاية عام ١٩٣٨م.

**
*

الفصل التاسع قريتي والزواج والحب

يعتبر الزواج من أهم الأنشطة الابداعية في الظواهر الديمغرافية (السكانية) تزاو لها المجتمعات الانسانية منذ الازل.. من أجل تكوين الأسرة، وانجاب الذرية. وبرقي المؤسسات الاجتماعية وشموها في الرعاية والتوجيه والتطوير، يكبر المجتمع ويقوى، وبإخطاطها يتفكك ويضعف بفعل الطلاق والفراق، والاختلال والترمل، والذهاب بعيداً.. بعيداً في التزوج من غريبات، موغلات في الغربة بعيدات.

ومن هنا تأتي أهمية موضوع الزواج وخطورته. ولعل اهل بلدي يشتركون معي في الاحاطة بمعلومات حول الحالات الزوجية لمجتمع قريتنا الحبيبة قالونيا خلال المائة عام التي سبقت عام النكبة ١٩٤٨ وعلى ضوء تلك المعلومات نستطيع ان نقف على بعض التفسيرات لكثير من الآثار الاجتماعية المترتبة على تلك الحالات، هذه المعلومات ستكون بمثابة اعلان عن خصائص مألوفة عند أهل بلدتنا قبل ١٩٤٨م ولكنها غير واضحة المعالم او محددة التفاصيل قبل كتابة هذا البحث.

مقدماً اشير الى ان حالات الزواج التي جمعتها ورصدها في كتابي هذا، قد شملت المتزوجين من مختلف الاعمار وكانت اربعمئة وخمس واربعون حالة زواج، وهذا العدد يمثل عدد الزوجات لثلاثمئة وثلاثة وثمانين رجلاً، وبديهي ان يكون ارتفاع عدد الزوجات فوق عدد الازواج الذكور، راجعاً الى حالات تعدد الزوجات او الى حالات احوال زوجة جديدة محل الزوجة المتوفاة او المهجورة او المطلقة. وعلى ضوء هذين الرقمين نعرف ان نسبة الرجال الذين تزوجوا أكثر من مرة في بلدتنا في المدة المذكورة كانت ١٦٪.

ترتبط بلدتنا قالونيا برابطة الزواج مع ٤٥ قرية ومدينة داخل فلسطين وخارجها، وهي: الرام، وبيت نقوبا، والحبيب، والقسطل، ودير ياسين، وقطنة، وبيت حنينا، وعين يبرود، وصرفند العمار، ودير ايوب، وخربة اللوز، ولفتا، والقاب، وعمواس، وصوبا، وابو غوش، وسنجل، وبيت ساحور، والطور، وعين كارم، وبيت سوريك، وبيت دكو، وكفر اسد، والطور، والطيرة، وقلندية، وأبو ديس، والعيزرية، وصور باهر، وسلوان.

كما كان لرجال في بلدي، زوجات تعرفوا عليهن في المدن التالية دون أن يؤكد انتسابهن لنفس تلك المدن: القدس، يافا، نابلس، غزة، بيت لحم، واللد.

سمرين، فقد عاش جد هذا الفرع عبد الله واستقر في قرية ساكب من أعمال جرش في شرق الاردن، حيث انجب ولدين وبنتا واحدة من أم اردنية، وتزوج ولده محمد من فاطمة عبد اللطيف المفلح وهي من قبيلة بني محمد / من ساكب، التي تحتفظ بشخصيتها القبلية الى حد بعيد حتى كتابة بحثي هذا.

٢ - وفي حمولة مخلوف في فصيلة محمد طليب، فقد كانت زوجته وأم ابنائها نعمة من ملكا احدي قرى شمال الاردن.

٣ - وفي حمولة "أبو سعد" في فرع حمدان من الفقيسات ممن عاشوا وعاصروا أهل الصريح في الاردن من قبل.

٤ - وفي حمولة الغليظ في عوائل اسبيخ أو الأصفر وزوجاتهم الذي تعايشوا مع عرب درعا في سوريا سنين طويلة قبل الشتات وبعده حتى صاروا منهم. شكل ذلك الحضور القبلي عاملا قويا ظل يذكر حمائل البلدة بالحياة القبلية التي اعتادت عليها طوال السنين السابقة فجعل مثل هذا الحضور أمر التغيير والتجديد والتطوير في عادات وتقاليد ونظم المجتمع في قريتنا وفيما افرزته من اتجاهات وقيم، قضية، رهينة الزمن وما يدور فيه من حراك اجتماعي وانتشار ثقافي.

ولذلك تجل تقاليد الزواج في قريتنا قالونيا في الفترة ما قبل النكبة الطابع القبلي وبصماته في كل مراسيمه وطقوسه ومظاهره، فالزواج من بنات العمومة وداخل الحمولة أو العشيرة بدا في تعامل الناس معه وكأنه قانون اجتماعي. يخرج عن هذا العرف القوي من يخرج بفعل عوامل اجتماعية صعبة وقاهرة لا قبل للعوائل بها.

والزواج من ابنة العم هو امتداد الحياة القبلية وبقائها، والابقاء على ممتلكاتها سواء كانت تلك الممتلكات (المهر والتوايح) سيولة مالية أو عينا أو أرضا، فتظل معنويات العائلة قوية دون اهتزاز، بل هذا الزواج يكون بمثابة مسيرة جديدة لحيل جديد من أجيال الحمولة، نقيّة من الشوائب الغريبة ما يعزز استمرار الثقة والقوة والحب والمودة والتعاون في العائلة، ومن ثم في الحمولة والعشيرة، فتظل ابنة العم الزوجة في حماية رجال حمولتها، في وقت كان يساق فيه الشباب والازواج الى ميادين الذبح والقتل في ساحات الحرب. فالزواج من ابنة العم - ان توفرت - مسألة لا نقاش فيها ولا مشاورة، بل أن كلمة "زوجتي" ترادفها "بنت عمي" في قاموس

الوجدان الشعبي، ويظهر هذا بشكل واضح في حوار الزوجين حتى ولو كانت الزوجة من فئة أقربية أخرى أو من حمولة مغايرة لحمولة الزوج أو حتى من قرية غير قرية زوجها، هذا الحوار والنداء كنت أسمعه كثيرا حتى ألفتها، وألفه الكل في القرية واعتدنا على سماعه. ومن هنا أفرز الفكر الشعبي أمثلة وأشعارا تشير الى ذلك المعنى: "الي بيستحي من بنت عمه ما نجش أولاد" أي الذي يستحي من زوجته جنسيا لا يخلف الذرية، "وابن العم بطيح العروس، ابنة عمه عن الفرس" لأنه أحق بها من الزوج الغريب الذي قد يجد نفسه مضطرا للتنازل عن عروسه فيطلقها تحت سطوة ابن عمها...

والشاعر الشعبي يردد الكثير في هذا المعنى في اشعاره:

والي عنده بنت عمه حليلته يدني لها عوج الرقاب تشيل *
والي عنده بنت عمه غريبة يرجعها لأهلها من غير تدليل
تري بنت العم تصير على الجفا اما الغريبة يعوزها تدليل
فابنة العم في البيت الاول هي الزوجة الحليلة للزوج ابن عمها وهو يطاطي لها
رقاب رجال العائلة لتحمل عنها اثقال هموم الحياة، وفي البيت الثاني الزوجة غريبة عن أهل الزوج...

والشاعر الشعبي هنا يفرق بين الزوجتين: ابنة العم الزوجة، والغريبة الزوجة فابنة العم تشارك زوجها في السراء والضراء حتى لو جافاها ابن عمها زوجها. أما الزوجة الغريبة فليس لها الا الطرد واعادتها الى أهلها لأنها تسبب مواقف ذل كثيرة لزوجها..!

ولنقرأ بعضاً من أغاني الدبكة التي يهزج بها راقصوها لابنة العم المدقوقة بالوشم حول ذقنها (حيثها) والوشم من التقاليد الشخصية القبلية:

دقدوقة يا بنت العم عفراقك بهكل هم **
لو حطوني بحبس الدم لاخذ من خدك بوسة
لو أعطوني الف ريال ما فتك يا دقدوقة

* الفلكلور الفلسطيني، نمر سرحان ج ١ ص ٢٨٠

** الفنون الشعبية في فلسطين، يسري جواهر بن عريضة.

وألف ريال دلالة على الكثرة المطلقة المرفوضة من قبل ابن العم، فمهما كانت تلك الكثرة فلن يتخلى عن مدقوقة ابنة عمه المرشحة له كزوجة.

وكما اعتاد ابن العم في مجتمع النسب الابوي أن يتغنى بابنة عمه، بادرت ابنة العم في التغني وفي التباهي والتفاخر بابن عمها:

يا ابن العم يا شعري على ظهري ان اجاك الموت لارده على عمري (١)
يا ابن العم يا ثوي الحريري لاحظك بين جنحاني واطيري
فابن العم ستر لابنة عمه، وجمال، كما يسترها شعرها ويزيد في جمالها، بل هي على استعداد بأن تفديه بنفسها فتموت بدلا عنه، فهو سترها طالما يحيا، وبه تخلق في ساء المعنويات والطهر، وتطير.

وابنة العم هذه نائمة غاضبة على ابن عمها اذا قرط بها وتزوجت في ديار الغربة فتطلق عليه دواعي الافتراس من قبل ضباع البر، فتصفه انه كومة من الزباله والاثرة جمعتها مجموعة من المكائس:

يا ابن العم يا ريتك للضبوعة بنات العم أخذوهن أسبوعه (٢)
يا ابن العم يا كومة كنايس بنات العم أخذوهن عرايس
يا ابن العم يا كومة ترايب بنات العم أخذوهن غرايب
وهي تواصل غضبها ودواعيها على ابن عمها، وهي تحاور ثوب عزوبتها وتشكي همومها له:

ميك بالخير يا ثوب البتوتية حلاك ولبك أيام العزوبة
والله لأكتب حجاب وطرز عليه بية وادعي على أولاد عمي اللي فرطوا بي

الزواج من الغريبات

الزواج من الغريبات ونسبته في حمائل بلدتنا قالونيا

خلال الفترة ١٨٤٨ - ١٩٤٨

الزواج من الغريبات
الزواج من الغريبات ونسبته في حمائل بلدتنا قالونيا
خلال الفترة ١٨٤٨ - ١٩٤٨

نسبة الزواج من الغريبات	الزوجات الغريبات	حالات الزواج عدد الزوجات	عدد الأزواج	الحمولة	القبيلة حاصل
٢٢٤٢	٢٥	٧٣	٦٤	عسكر	١
٢٢٢٦	١٢	٥٣	٤٦	درياس	٢
٢٢٢٥	٠٩	٤٠	٣٧	مخلوف	٣
١٥	٠٥	٣٣	٢٩	حمدان	٤
٢٥٦	٥١	١٩٩	١٧٦	خطاب	٥
٢٩٢	٣١	٧٩	٦٥	شرائح لقبايل الغليظ	٦
٢٩٣	٣٥	٨٩	٧٧	كبيرة تممش في أرض	٧
٢٤٦	٢٧	٧٨	٦٥	مشعل	٨
٢٢٣	١٤٤	٤٤٥	٣٨٣	الحجاز وفي ابو سعد	٩
				مصر	١٠
				الجموع	١١

والزوجة الغريبة في بحثي هذا هي المرأة التي اضطر القلواني أن يتزوجها من خارج قالونيا: من احدى قرى أو مدن فلسطين أو المرأة الموهلة في الاغتراب القادمة من أحد اقطار الدنيا خارج بلادنا فلسطين. والناظر الى المجدول الاحصائي لحالات الزواج من الغريبة في فترة المائة سنة المنصرمة قبل عام النكبة ١٩٤٨ يرى:

* الفلكلور الفلسطيني، نمر سرحان ج ١ ص ٢٨٤

* نفس المصدر.

١ - ان الزواج من غريبات عند شباب ورجال قريتنا قالونيا قد وصلت الى نسبة ٣٢ ٪ اي ان ثلث عدد الزوجات في تلك الحقبة من الزمن كن غريبات، وقد وصل عددهن الى ١٤٤ زوجة من عدد الزوجات الكلي الذي اخترته لبحثي هذا وهو ٤٤٥ زوجة. وكان وراء هذه النسبة العالية من الزوجات الغريبات سبب رئيسي هام لعب دوره في حركة الزواج في تلك الفترة وهو قلة عدد الاناث في البلدة أو في الحمولة مع زيادة عدد الرجال في سن الزواج. فعلى سبيل المثال، كان عدد الاناث في حمولة عسكر في أواخر القرن التاسع عشر قد وصل حدا الزم رجال الحمولة أن يبحثوا عن عرائس لهم من خارج قريتهم، فاعتبروا حتى وصلت نسبة زواجهم من الغريبات الى ٣٤ ٪ وهذه من النسب العالية في بلدتنا كما انها أعلى نسبة في حمائل قبيلة خطاب، فلم يكن هناك في حمولة عسكر سوى خمس اناث مقابل ثمانية عشر رجلا تزوج من الاناث الخمس اثنتان من أزواج ينتسبون الى حمائل اخرى في البلدة وبقيت ثلاث اناث هن: إعلية علي سلامة، ولطفية حسن سمور، ومريم حسين سلامة. وأما الاثنتان اللتان تزوجتا أزواجا من خارج عسكر فهما: علي سلامة تزوجت درويش جد مصطفى طه، من حمولة حمدان والثانية فاطمة شعبان سلامة زوجة عطية من حمولة مخلوف.

٢ - ويلاحظ من الجدول ان حمائل خطاب أقل اقبالا على الزواج من الغريبات بل أن نسبة من تغرب في زواجه من شباب حمولة حمدان وصلت فقط الى ١٥ ٪ : خمس زوجات غريبات من مجموع ٣٣ زوجة. وتلعب ملكية الارض الكبيرة والارتباط بها في حمائل خطاب دورا كبيرا في الاصرار على اختيار الزوجة من القريبات.

٣ - يمكن تحليل ارتفاع نسب الزواج من الغريبات، في الغليظ ومشعل وأبو سعد، الى اقبالهم على الوظائف الحكومية والمدنية في القدس عند رجال الغليظ، وفي يافا عند رجال مشعل وعند "أبو سعد".

أصهر رجال من حمولة عسكر قبل النكبة ١٩٤٨ الى عائلات في القرى والمدن والبلاد التالية: قطنة وعمواس، وبيت نقوبا، وعين كارم، والجيب، وعين يبرود، والرام، وسنجل، وبيت لحم، وقريتي برما وساكب في الاردن. وصاهر رجال من حمولة

درياس أسرا من قرية لفتا ومن مناطق من أعمال غزة ونابلس. أما حمولة مخلوف، فكان لهم أصهارا في قرى: الرام، ودير ياسين، وبيت سوريك، والطور، وعين كارم وسلوان. وفي ملكا في الاردن.

أما حمولة حمدان صاحبة الحفاظ على أعلى نسبة في الزواج الداخلي والحفاظ على دمها المجذاني (٥٧ ٪) فلم ترتبط بعلاقات المصاهرة مع أية قرية خارج قالونيا، واكتفت بأن أصهر رجالها الى عائلات من مدينتي نابلس والقدس.

وأما حمائل الغليظ ومشعل وأبو سعد فقد كانوا أكثر اقبالا على الزواج من خارج قالونيا، فقد ارتبطت حمولة الغليظ برباط المصاهرة مع دير ياسين، وبيت سوريك وسلوان، والقباب، وأبو ديس، والعيزرية، وبيت حنينا، وقرية الحردة، والقسطل، وصور باهر، ولفتا، ومدينة اللد، والقطر السوري.

وأما مشعل فقد أصهروا الى: الجيب وصرفند العمار، والقسطل، ولفتا، خربة اللوز وقطنة، وعين يبرود ودير ياسين، وقلندية وعين كارم، وكفر اسد، والقباب والطيرة، والقطر السوري.

وأما أبو سعد فقد صاهروا أهل: سلوان، ورمون وبيت دكو، وبيت ساحور، وبيت حنينا، وصوبا، ولفتا، وخربة اللوز، ودير أيوب ويافا.

وكان للزوجة الفلسطينية الغريبة القادمة من قرية اخرى في فلسطين عند أهل بلدتنا، اعتبارا كبيرا، وقيمة اجتماعية عظيمة، تظهر عبر مراسم الزواج الطويلة والمعقدة وتبدأ تلك المراسم، باختيار نوعية رجال الجاهة، والاثرياء وذوي النفوذ في البلد، وقد يختار وجهاء مساعدون من بلدة ثالثة أو من بلدة العروس "الزوجة المرشحة". يشتركون في طلب العروس، وتمر تلك المراسم والعادات بتقدير المهر، وتعيين توابعه وبالاتفاق على الارضاءات والشروط، ارضاء أهل العروس الزوجة، بل ارضاء أهل بلدتها: شبابها ونسائها، حتى عجائزها، بل... وكلاهما.

فالبنات بنت القبيلة، وبنت البلد، ومن ثم يتحتم على العريس الزوج قبل أن يفوز بزواجه العكرماوية أو اللفتاوية أو الياسينية، أن يرضى أعضاء تلك العائلة، وفي مقدمتهم جد العروس وأبوها وعمها، وأم العروس وأخوها، وعليه أن يكرم شباب قرية العروس الزوجة الذين كان لهم الحق في اعتراض الفاردة ومنع العروس من مغادرة بلدتها حتى يتم ارضائهم بتقديم شاة الشباب التي تتحول بسرعة الى مبلغ من المال يقدمه أولئك الشباب - بعد ارضائهم - الى العروس ابنة بلدتهم. وينسحب ذلك على

النابلسية، والتي جهزت لمثل تلك المناسبة... مع ثوب تويبت أسود هدية رمزية للعروس الضيفة.

قام بمثل هذا الاحتفال والترحيب كثيرون من رجال قريتي قالونيا، يكرمون فيه العرائس القادمات من القرى المجاورة توقيرا واحتراما لعائلة العروس الذكر وعائلة العروس الانثى، فقد قام الحاج حسن الخطيب أبو سعد بمراسيم الترحيب عندما استضاف العروس القادمة من قرية خربة اللوز: خضرة اللوزية زوجة محمود جودة.

وتأخذ هذه الضيافة طابع العرف الشعبي والالزام الاجتماعي عندما يتصادف الامر فيكون أول من تمر به فاردة العروس الغريبة، يكون رجلا غريبا مثلها، ينزل في منظار حقوله المجاورة لحقول بلدتنا قالونيا أيام الجمع والحصاد، مرت فاردة العروس مريم الياسينية وهي في طريقها الى بيت زوجها أحمد محمود لقح / مشعل، مرت بحقل صالح نجدة العكرماوي جنوب شرق بلدتنا، فاعترض الفرس وربط المنديل حول رقبتها، فنزلت العروس وجميع الفاردة في ضيافته، نزلوا الحقل وأقامت العروس في المنظار تلك الليلة وغنى الكل ورقص، وفي الصباح واصلت الفاردة مسيرتها الى بيت الزوج في بلدتنا.

ونرى الفرق الكبير بين النوعين، بين الزواج بالغرباء، فقد عرفنا مدى الصعوبة وقوة الهيبة، صعوبة وهيبة الموقف عندما يكون الزواج من فلسطينية من إحدى القرى المجاورة لبلدتنا... بخلاف الحال وبدرجة كبيرة جدا يكون الاختلاف في مواقف الزواج من غريبة موغلة في الغربة... والاغتراب... قادمة من أحد الاقطار خارج فلسطين.

في حالة الزوجة القروية الفلسطينية الغريبة، يزداد المهر، وتتعقد توابعه ويصعب احضار العروس من بلدتها، وعندما تستقر العروس الزوجة في بيت زوجها، يظل أهلها يثبتون وجودهم عندها، فينشرون مظلتهم فوقها، فيزورونها في بيت الزوجية أيام الاعياد وفي المواسم والمناسبات، إظهارا لاستمرار حمايتهم لابنتهم، وتذكيرا لأهل زوجها بقيمة مركزها في العائلة عندهم.

أما في حالة الزوجة المغتربة والقادمة من إحدى بلاد الدنيا خارج فلسطين فالمهر قليل، وقد يمر الزواج تحت مظلة الاعجاب المتبادل بين العرسين مع تهميش تام

ارضاء كبار النسوة في قرية العروس، فيقدم لهن عددا من علب السجائر والزعوط، ويتشدد أهل الزوجة في تلك العادات لي شعروا أهل الزوج الغريب بأهمية ابنتهم وبعلو مركز اسرتها، وقيمتها الاجتماعية في البلد، وان ابنتهم لم تخرج من بلدتها ببساطة دون ارضاء أهلها بل وحتى كلابها. وقد أتى حين من الدهر، كان يقدم فيه الرجل منهم طعاما لكلا بقرية عروسه، وهو ما كان يعرف بـ "حمار الكلاب".

وكان العريس الذكر يتحمل كثيرا من المشاق والصعوبات قبل ان يفوز بعروسه القادمة من قرية أخرى وربما وصلت تلك الصعوبات درجة الاقتتال ونشوب معركة بين أبناء بلدة العريس وأبناء بلدة العروس الانثى، ونخاصة اذا كانت البلدتان تنتميان الى حزينين مختلفين. فقد حدث في أوائل القرن العشرين أن أصهر عبد الله محمد علي سلامة عسكر من قبيلة خطاب من قالونيا الى عائلة عرباش في عين كارم، ولما كان أهل بلدتنا من اليمانية، وأهل عين كارم ومنهم أهل العروس عزيزة خليل أبو خروبة ينتمون الى القيسية، بدأ الخلاف، وكاد أن يتطور الى الاقتتال حول ماهية اللون الذي يجب ان ترتديه العروس قبل خروجها من بيت أبيها في عين كارم، ولولا ارادة الله في تسخير حكمة الشيوخ ورزانة الرجال لحسم النزاع بارضاء الطرفين من أهل القريتين، لسقط قتلى، ولأصيب عدد من الجرحى من الطرفين. فقد تم الاتفاق على أن ترتدي العروس نزولا عند قرار التحكيم، عباءة حمراء لأن شعار القيسية كان اللون الاحمر، ما دامت تدير في أراضي أهل عين كارم. وعند عين رواس العكرماوية على طرف حدود أرض أهل قالونيا، أوقف حسنين بركات مخولف خطاب القلواني فرس العروس مذكرا لها ومشيرا عليها بالامر... أن قد جاء دور ارتداء شعار اليمانية فتنقبت العروس العباءة البيضاء شعار أهل بلدتنا بطول مسيرتها في أراضي قريتنا قالونيا... في أراضي المرح والنقاشة والعقبة البيضاء... حتى بيت زوجها.

وتتجلى مهابة الموقف في حالة الزواج من زوجة غريبة فلسطينية من قرية مجاورة عندما يرحب صاحب أول منزل في قالونيا في طريق الفاردة، فيعترض صاحب ذلك البيت فرس العروس الضيفة، ويحيط جيدها، جيد الفرس بمنديله أو بفتخته، مشيرا بذلك أن العروس منذ تلك اللحظة وحتى صباح اليوم التالي أصبحت في حمايته وتنزل في ضيافته، وقد حدثوني كيف أن محمد مطر الخطيب عسكر قد رحب بعروس علي عيد صباح / درباس القادمة من قرية لفتا مع أهلها، فاستمر الفناء والرقص في دار محمد مطر وتناولوا العشاء وكان المبيت هناك، وفي الصباح بعد الافطار تحركت الفاردة بالعروس الفتاوية الى بيت زوجها، وأهل الضيافة آل مطر يحملون الكفاة

لدور الاهل وخاصة لأهل العروس الرجل ومع اسقاط ظاهر لعادات ولنظم مجتمعا القروي.

الزواج من بنات البلد، أي من احدى حمائل البلد من غير حمولة الزوج

أظهرت دراستي حول ما جمعت من حالات الزواج في بلدي خلال المئة عام التي سبقت عام النكبة (وهي ٤٤٥ حالة) أن القلوانيات المتزوجات في حمائل البلدة الاخرى خارج عوائلهن، كانت موزعة في الجدول على النحو التالي:

أعداد الزوجات القلوانيات غير الأقربيات موزعات في حمائل البلدة السبعة:

الحمائل موزعة	عسكر	درياس	مخلوف	حمدان	الغليظ	شمع	أبو سعد	عدد القلوانيات تزوجن في الحمولة العمودية
عسكر	-	x (1)	٧	١	١	٢	٢	١٣
درياس	٣	-	٦	٢	١	٢	٢	١٦
مخلوف	٢	٨	-	٢	٦	٤	٢	٢٥
حمدان	١	x	٥	-	١	١	١	٩
الغليظ	x	٢	٢	٦	-	١٠	٢	٢٣
شمع	٣	١	٥	٦	٦	-	١	٢٢
أبو سعد	٦	٢	x	٦	٦	٥	-	٢٥
عدد النساء في الحمولة الأفقية تزوجن في حمائل البلد خارج حمولتهن	١٥	١٣	٢٥	٢٣	٢١	٢٤	١٢	١٢٢

x ليس في الحمولة الأفقية زوجات من الحمولة العمودية.

من الجدول السابق تبين لنا... أن حمولتي مخلوف وأبو سعد أكثر حمائل البلد مصاهرة للحمائل الاخرى في سنوات ما قبل عام ١٩٤٨ وأقل من ذلك هما حمولتا حمدان وعسكر. وقد يرجع ذلك الى أمور تتعلق بكثرة أو قلة عدد الاناث في الحمائل المذكورة، وإلى اسباب اخرى كارتفاع كلفة الزواج او انخفاضها في الحمائل، كما قد تعود تلك الاسباب الى عوامل اخرى تتصل بالوراثة ونوعية الانجاب وسلامته...

لم يحدث في أعوام ما قبل النكبة أن تزوج رجل من عسكر امرأة من درياس، ولم يحدث قبل ذلك أن تزوج رجل من الغليظ امرأة من عسكر.

ولم يحدث أيضا أن تزوج رجل من "أبو سعد" امرأة من مخلوف.

وقد بلغ عدد الزوجات القلوانيات من غير الاقارب في حمائل البلدة السبعة ١٣٣ زوجة كان نصيب مخلوف والغليظ وأبو سعد وشمع منها ٩٥ زوجة أي بنسبة ٧١٪.

وبلغت نسبة الزواج من القلوانيات من الفئة نفسها داخل بلدتنا ١٣٣ / ٤٤٥ = ٢٩٪.

ومن صور الزواج اللافتة للنظر صورة الزواج الاستمراري وهو نوع من الزواج يتم بين الاخ وزوجة أخيه بعد موت الزوج "الأخ"، أي بين الأرملة وسلفها، وذلك بقصد استمرار القرابة بين الاسرتين المتصاهرتين اصلا، وبقصد حماية الاء الأيتام، والاسرة تحت مظلة عمهم، الزوج الجديد، فقد تزوج ناصر سعيد الخطيب / أبو سعد من أرملة أخيه زايد سعيد الخطيب وهي فاطمة سعيد الاسعد "أم عبد الله" كما تزوج موسى علي سلامة عسكر، أرملة أخيه اسحق.

وهناك في بلدي نوع آخر من الزواج الاستمراري وهو زواج الأرملة بأخت الزوجة المتوفاة للحفاظ على ابناء أختها، وحمايتهم من زوجة أب غريبة ربما تسيء معاملتهم.

الحب في قريتي

الحب في قريتي هو الحب الحلال، هو المحبة الطبيعية، هو للمودة والرحمة والميل والتعلق... بين الزوج وزوجته، وبينهما وبين أفراد أسرتهما بصفة عامة، بينهم وبين أبنائهم، وبينهم جميعاً، وبين بقية أفراد البيت الكبير. وهذه هي المحبة الطبيعية التي تبدأ وتزدهر بعد الزواج. والله سبحانه وتعالى قد خلق لآدم منه أنثاه زوجة له، وهو في الجنة - دون المرور بمرحلة الحب والعشق - وبعد أن أدرك كل منهما حقيقة ميلهما وتعلقهما أثناء زواجهما تحاباً، وكان جبهما صاعقاً تجلّ فيه آدم الزوج إثم طاعته لزوجته، مما تسبب في هبوطهما إلى أرض المكابدة والعناء المستمرة.

كان مفهوم الحب عند أهل بلدي على قدر كبير من القداسة والطهر والصفاء، يتولد بعد الزواج ويزداد ويقوى، ويطيب مذاقاً بمرور الأيام والأعوام.

أما حب النظرات، وهوى الغمزات، ومن ثم الاشارات، والايحاءات، ومن بعدها اللقاءات بين الفتيان والفتيات، فذلك حب لا تعرفه قريتي، فزاهة الرجال وحياء النساء فيها في أطر عاداتهم وأعرافهم جعلتهم يدركون أن مثل هذا الحب أمر لا تقره الأعراف ولا ترضى عنه التقاليد، وسلوك ينكره الدين، ومن هنا لم يكن للحب الدارج والمعروف لدى أبناء هذا العصر وجود، وقد كان الرجال الكبار من الأجداد والآباء والأشقاء بل من الأعمام والأخوال لا يسمحون مطلقاً للحب أن يلعب دوراً في الزواج، فقد كان الزواج مسألة تقررهما أسرتا العروسين...

الفصل العاشر

الطبابة في قريتي حتى أواخر أربعينات القرن العشرين

ما من أحد ينكر التقدم الهائل الذي أحرزه الطب التجريبي والطب التحليلي في كل المجالات، الخاصة بالمرضى وبالعلاج، ونحن جميعاً نتابع أنباء المنافسة القوية التي ما زالت، وتستمر تحتدم بين العلاج بالادوية النباتية والعلاج بالادوية الكيميائية، ونعرف المستوى الجيد للنجاح الذي أحرزته العلوم البيولوجية، وخاصة الميكروبيولوجية، وتقدم الدراسات الاكلينيكية وغيرها. وبرغم الكم الهائل المزدهر في شتى مجالات الطب ودراساته، ومع زيادة عدد الاطباء وتوسع الاختصاص وتشعبه، وتعلم المرأة وتشقيفها، رغم كل ذلك، ما زالت نسبة كبيرة من سكان القرى والمدن في البلاد العربية، بل وسكان الريف والمدن في الغرب، كما هو الحال في فرنسا وفي ألمانيا وغيرها من دول العالم الصناعي الغني المتطور، ما زالت تلجأ حتى اليوم - شأنهم في ذلك شأن أهل بلدي في نهاية القرن التاسع عشر، والعقود الخمسة الاولى من القرن العشرين - تلجأ إلى ما يعرف بالطب الشعبي أو الوصفات البلدية، وإلى ما يتفرع عنها من وصفات الدجل المصنف تحت أبواب السحر والشعوذة، مثل مخاطبة الارواح، والتنويم المغناطيسي وتسخير الجن لشفاء الامراض او لخلق فرص النجاح، أو لجر الاحداث ولوقوع الحوادث والمآسي. لقد بلغ عدد السحرة المشعوذين في فرنسا ثلاثين الفا، وفي المانيا ثمانين الف ساحرة حتى ان الشعب الالماني اعتقد - عبر وسائل اعلامه - اعتقد عام ١٩٨٣م أن "رومينيغ" أحد أبطال كرة القدم حينذاك، كان ضحية ساحر فرنسي تسبب بسحره في منع الكرة الالمانية من تسجيل أي هدف في مرمى الفريق الفرنسي!!

كان أهل قريتي يمارسون الطب الشعبي ويعيشون وصفاته. كان أول اتصال لي مع هذا النوع من "الطب" أثناء طفولتي المبكرة وفي مرحلة صباي، كنت اشاهد الرجال والنساء من أهل قريتي... وبعضاً من يهود من سكان موقسا العليا، تحضر النسوة فرادى، وبعضهن يصحبن أزواجهن أو يحملن أطفالهن في الحِذْل "الحِظْن" أو على صدورهن

أو فوق أكتافهم، كن يحضرن إلى دارنا في قريتنا الحبيبة قالونيا، كانت والدتي فاطمة عبد اللطيف المفلح تستقبلهن في الدار التحتا منعاً للأنظار وللتدخلات والمقاطعات، وكنت شديد الفضول أفرض نفسي على أمي بحكم صغر سني ودلاي وقبولي عند الوالدة رحمها الله. كانت تطلب المرأة الزائرة أو المريضة من الوالدة أن تقوم بما يجب فعله أولاً قبل الفحوصات والاستشارات، وهو ضرورة خروج الصبي من الدار، فتذكرها الوالدة أن هذا صبي صغير لا يفهم ما يدور حوله، ولتثبت الوالدة صحة وصفها ذلك، كانت تسألني عن اتجاه القبلة، ولما كنت بالفعل أجهل معرفة اتجاه القبلة الصحيح، تقتنع المرأة بوجهة نظر الوالدة.

اعتادت الوالدة قبل إجراء الفحص أن تطلب من الزائرة أن تحدثها بكل ما عندها عن الألم وعن الأعراض... بكل دقة وأمانة، كما يفعل الأطباء، وكأنها تسألها الأسئلة الكثيرة، لتقص عليها تاريخ المرض فتبدأ المرأة وصف ما تعاني أو ما يعاني منه طفلها ومن ثم تبدأ الوالدة، بإجراء الكشف، وبعد ذلك تشخص المرض وتسميه، وكان أجمل ما في تلك المواقف أن الكشف والعلاج والمعاينة ومتابعة المريض، كانت تتم بدون مقابل، ومن أمثال تلك المواقف في الطب الشعبي، تعلم الأطباء كيف تكون العلاقة بشتى جوانبها بين المريض وطيبه.

في أحد الأيام حضرت السيدة الفاضلة فوزية مصطفى طه درويش برفقة زوجها السيد الفاضل شاعر جمعة رمضان علان / حمدان والسيدة ليبة سليمان، حماة السيدة فوزية، إلى منزلنا لاستشارة "أم رجا". كان قد مضى على السيدة فوزية مدة سبع سنوات دون حمل. أمرتهم الوالدة بالعودة في اليوم التالي، والسبب هو ضرورة إجراء الكشف صباحاً قبل تناول السيدة فوزية وجبة إفطارها. فحضرنا في اليوم التالي، وبعد الكشف بشرتها الوالدة بصلاحياتها للخلفة، حتى خلفه التوائم، وتابعت الوالدة حديثها مع السيدة فوزية: "أصبري فقط سنة واحدة" فانفعل الزوج شاعر جمعة رحمه الله ولم يتمالك نفسه إزاء تلك البشارة الطيبة، فقبل رأس الوالدة، وبالفعل تفضل الله على السيدة فوزية مصطفى وحملت بولدها بعد سنة، وولده وأسمته "صبري" تيمناً بحديث والدتي معها ونصيحتها بقولها "أصبري فصبرت، وكان الولد عنوان صبرها، فسمته صبري، وصبري الآن أحد العصامين الكبار الذين حققوا لأنفسهم مكانة اقتصادية مرموقة.

واتذكر أيضاً كيف أن السيدة نعمة وردة من قرية عين كارم، قرية الاصهار والاصدقاء قديمت إلى الوالدة تستشيرها في حظها للحمل مرة أخرى، وبعد الكشف والمعاينة قالت لها الوالدة بأن "أم أولادها" بارمة وساسة، والوالدة فقط تعرف معنى هاتين الكلمتين ونصحت المريضة أن تزوج أولادها حتى يخلفوا الذرية نيابة عنها. وقد صدق حدس الوالدة فلم تنجب المرأة منذ ذلك الحين.

وفي مجال العقم، أجد لزاماً علي أن أقص قصة أحد اليهود الشرقيين: كان يحضر إلى القرية، يبيع القماش فيها بين الحين والآخر، وكعادة الباعة المتجولين، والمتعاملين مع زبائنه من النساء، يطول الحديث ويتشعب بينه وبينهن، فقد قص على بعضهن قصة تأخر زواجه في الحمل بالرغم من مرور مدة طويلة على زواجه منها، وأرشدته أن يذهب إلى الوالدة التي كانت تُعرف آنذاك "بأم عبد الله" البدوية، فهي من أبوين أردنيين، ورثت عن أمها خبرة جيدة في تطبيب النساء ومداواتهن، هرول أبو الذين، وهو اللقب الذي عرف به هذا اليهودي لطول اذنيه، اللتان كانت كل واحدة منهما تقارب حجم نصف الكف، هرول "شلومو" - وهذا اسمه الحقيقي - إلى الوالدة ومعه زوجته، وقامت الوالدة بمداواتها، ولم يمض عام حتى رزقها الله ولداً، لم يكن شلومو وزوجته يحلمان به من قبل، ولم ييخل شلومو على "أم رجا" فكان يقدم لها كلما قدم إلى البلدة بعد ذلك، قطعة من القماش بلا مقابل.

وفي عام ١٩٤٧، وفي اثناء وجود الوالدة في مصر، حيث قدمت خدماتها في مجال علاج العقم لسيدة نصرانية من القاهرة، وكان قد طال بها الزمن دون أن تحل، وكانت كاثوليكية، لا يحق لزوجها تطبيقها أو الزواج مرة ثانية. ويشاء الله أن يوطد دعائم هذه الأسرة على يد الوالدة، التي قدمت لتلك السيدة القبطية العلاج اللازم، الذي لم تلبث بعده أن رزقت بغلام، أطلقت عليه اسم "رجا" تيمناً باسم شقيقي الذي يكبرني، وتبركا ببركة الوالدة. وقد توطدت العلاقة بين هذه السيدة وبين الوالدة، حتى عادت الوالدة مع الأسرة من أرض مصر سنة ١٩٥٠.

وكان العلاج عند الوالدة رحمها الله يعتمد على النصائح وعلى استعانتها بالوصفات البلدية، فهي في حالة اليهودية زوجة "أبو الذين" وجدت نفسها مضطرة إلى معالجتها بالكي بواسطة القزحة والشوفانة، وكانت الوالدة تنطقها باللهجة البدوية الجميلة "جزجة الصوفانة" كوتها فوق بيت الطلق على بعد ٧ سم تقريباً من

العصوصة على الظهر كما كوتها أيضا بالقزحة المذكورة فوق مشعرها من الأمام.

وطريقة عمل القزحة كالآتي: يفرك نبات الشوفان بين الكفين حتى تصبح النبتة لينة طيبة كالقطننة في حجم نصف القرش الفلسطيني، توضع فوق بيت الطلق على حد تعبير الوالدة، وكانت الوالدة رحمها الله تتحسس المكان جيدا حتى لا تصيب القزحة عظما أو شريانا، ثم تحرق الشوفانة وتترك وهي تتوهج قزحة بألوانها من صفرة وحمرة... حتى تصبح رمادا. وبعد ذلك يطرد الرماد بالنفخ عليه فتتقطع الوالدة فوق البقعة التي أحدثتها القزحة المشتعلة نقطتين من زيت الزيتون للتبريد - كما كانت تعتقد.

وكان مشهودا للوالدة ومعروفا عند أهل البلدة بمهاراتها بالكي بطرقه المختلفة. ومن الذين كوتهم بالشوفانة، حسنية ابنة حسني بركات فوق بيت الطلق أيضا، وكان من الذين كوتهم من الرجال السيد محمد حسين سلامة، الذي ظل يعاني سنين طويلة من الآلام التي تسببت له من عرق النساء، وطالت عليه الآلام ومعها عذابها، فلم تجد الوالدة بدا من أن تكويه بقزحة الشوفان فوق قدمه اليمنى تجاه أصبعه الصغير، وبعد الحرق، حرق الشوفانة فوق قدمه، وضعت حبة من الحمص بجوار مكان أثر القزحة الكاوية، وغطت حبة الحمص وموضع الكي بورقة دوالي عنب عريضة خضراء، وربطتها بالحكام، وظلت مربوطة لعدة أيام حتى "دوحست" (١) المنطقة المقصودة من القدم، وفتيح المصرف على حد تعبير الوالدة، وهو التعبير الشعبي في مثل هذه الأحوال، وبدأت عملية إفرازات الصديد أو القيح، وظلت الوالدة تتابع تغيير أوراق الدوالي الخضراء، وحبة الحمص حتى شفي الجرح، واختفت الآلام إلى غير رجعة... سبحان الله! وكنت أسمع الكثير من الادعية الطيبة للوالدة من السيد محمد حسين سلامة!

ومن الذين عالجتهم الوالدة بالكي بالطريقة المذكورة أيضا السيد إبراهيم مصطفى مختار دار خطاب، الذي عانى من الآلام الحادة في ظهره، ما لا وصف لها على حد قوله لي، رحمه الله، عانى منها سنين عديدة، تردد في اثائها على العديد من الأطباء والمستشفيات حتى اذن الله له بالشفاء على يد الوالدة، وأصبح يهنأ بنومه وبليته بشهادة زوجته السيدة أميرة الغوانمة.

(١) ورمت وتقيحت.

وان أنسى فلن أنسى أبدا موقف الوالدة وهي تجري عملية الكي بمراحلها المختلفة على ركبتيها هي، ولكن هذه المرة باستعمال المسلة، وهي ابرة كبيرة كانت تستعمل لحياطة أكياس الخيش الغليظة. استعملت الوالدة مسارا بدلا من المسلة، مسارا كبيرا في طول المسلة وحجمها، يتميز برأس مفلطح بارز، تغرس الوالدة طرفه الحاد في رأس من البصل كبيرة، تستعمل كمقبض للمسلة أو المسار، يحتمل رأس المسار المفلطح أو طرف المسلة المثقوب داخل دائرة اللهب لوابور الكاز المشتعل حتى يصبح لون المسار شديد الحمرة المشوبة بالحضرة، الوالدة تعرض ركبتيها للشمس والهواء، والألم في مفصل الركبة وتتناول الوالدة المسار من جهة البصلة وتبدأ بالتنقيط فوق ركبتيها وهي قابضة على البصلة بيدها اليمنى بالحكام، وأتذكر عدد المرات التي أنقطت رأس المسار في أماكن متفرقة فوق ركبتيها: ست عشرة مرة، كانت تعيد رأس المسار إلى داخل دائرة اللهب حتى يعود احمراره في كل مرة يتضاءل ذلك الاحمرار فيها. فعلت ذلك رحمها الله دون أن يصدر عنها آهة أو صرخة. حيث كان رد الفعل الانعكاسي الوحيد الذي يصدر عنها عند ملامسة المسار أو المسلة ركبتيها هو اهتزاز كنفها إلى أعلى.

وكان ينافس الوالدة في مجال التداوي بالكي المرحوم الحاج محمود المزرعاوي، من المزرعة الشرقية في قضاء رام الله، الذي استوطن القرية، وتزوج من السيدة كريمة عاتلة الأصفر، وأقام في القرية يزاول البيطرة على البقر... وعلى الناس، اعتاد على كي الانسان أو الحيوان، بمحماش القهوة بعد تسخينه في النار إلى درجة الاحمرار أيضا، وكان من الذين كواهم بالمحماش الشقيقة دله سمرين عسكر، وقد حدثني كيف كانت تحس بالآلام لا وصف لها قبل اجراء عملية الكي لها عنده، كانت تحس على حد وصفها بشيء ثقيل كالرصاص يهبط فوق سقف الحلق عندها، وفوق المريء حسب اشارتها حتى فقدت النطق مرة وأحست برأسها وكأنه يوشك على الانفجار من شدة الصداع. صاحب ذلك الصداع آلام حادة في أذنيها فما كان من الوالدة - شأنها في ذلك شأن كثير من الاخصائيين الذين يرفضون علاج أبنائهم أو ذويهم الحميمين - الا ان سارعت بأخذها لزيارة الحاج محمود المزرعاوي رحمه الله، وكان منزله في وسط البلدة، وقام بكيها بالمحماش في مقدمة رأسها وفوق منتصف جبهتها ولم يكثف بذلك، بل أعاد الكرة بكيها بقزحة الشوفان عند نهاية الرقبة من الخلف.

ونقرأ في الطب النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد كوى أسعد بن زرار، وتقول العرب "آخر الدواء الكي" لما يسببه من الآلام، وهذا ما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بالنهي عنه، كما كوى عليه السلام عبد الله بن عمر بن الخطاب، كواه من مرض اللقوة، وقد كان أهل قريتي يعبرون عن اللقوة بقولهم "فلان التوك ثمه" أي انزاحت صفحة الفم عن موضعها الطبيعي، يميناً أو يساراً، وعلاج هذا المرض في القرى يمر عبر خطوات غريبة عجيبة: تبدأ بالانزعال عن الناس، وتردد الدراويش والدجالين على المصاب بالرقى والتماثم، والسحر وبدقات طبول الزار والذكر والمولد. وتنتهي بضرب المصاب على فمه... بالحذاء أو النعل، وهم بذلك - على حد زعمهم - يضربون الجني أو الشيطان المتلبس بمرض اللقوة!

كانت الدهشة تصدمني في بعض الأحيان وأنا أحاول فهم الوالدة عن مزاوله التدوي وكى الناس، والتوقف عن العبث بمصائرهم... كانت تقول بفخر: "أنا فاطمة بنت عايشة العبد الرحمن التي كان يجيها الناس من كل مكان بجبل عجلون في قرية ساكب فتعاجهم، ولأن أنا اتعلمت على أيديها وإيدين خواتي فطية وثليجة، عليهن رحمة الله".

لم تتوقف عن ممارسة الوصفات والكي بالنار وتهبيلة النساء إلا بعد أن أتممت دراستي، حيث أجبرتها تحت ضغوط الانذار والتهديد بالمقاطعة والابتعاد عنها، وكان ذلك عام ١٩٥٦ في مدينة اريحا، كنت أتمنى لو أن الوالدة يرحمها الله قد كفت عن المعالجة بالكي قبل أن يذهب ضحية لهذا النوع القاسي من العلاج، طفل صغير في العام الاول من عمره، جاء به أبواه جميل عليان خضر وزوجته زهية بنت ابراهيم موسى جودة، فقد قضى هذا الطفل نحبه بعد كيه بموافقة والديه... بعد أيام.

كانت الوالدة تلجأ الى استخدام "التهبيلة" مع المرأة التي تعاني من أحد أمراض النساء مثل الاجهاض المتكرر، والتهبيل معناه: وحسب ما وصف لي هو ادخال الهبال أي البخار الساخن الحامل للقيمة العلاجية في مهبل المرأة، وتتم العملية كما أجريت على السيدة نعمة العبد عثمان صلاح زوجة محمد حسين سلامة الاولى: تبدأ العملية بتحضير سبع خرق من القماش قديمة بالية مع سبعة حجارة صغيرة، وتسخن تلك الحجارة تسخيناً شديداً ومن ثم توضع فوق الخرق السبعة داخل علبه، وتوضع العلبه بعيدة عن ساقي المريضة عند قدميها، وهي راقدة على ظهرها، ثم يصب الماء فوق

فوق الحجارة الساخنة فيخرج الهبال بكثافة وينتشر بين رجلي المرأة المريضة وهي مغطاة كلبية ببطانية حتى يعم العرق جميع أجزاء جسمها وقمة رأسها وفروته خاصة.

كان أهل بلدتي يثقون ثقة تامة بالوصفات البلدية، يثقون بالمعالج وبالعلاج بل أن بعضهم لا يزال يؤمن بها حتى اليوم ومعهم كثير من أهل القرى والمدن في فلسطين بل وفي العالم العربي وعلى اتساع رقعة لا يزال يعتقد أن بعض الأمراض لا يتم علاجها والشفاء منها إلا بوصفات، وبممارسات الطب الشعبي، مثل:

علاج الكسور:

فكسر العظم في الانسان لا يصح - كما يعتقدون - الا عن طريق المجرى في القرية أو في المدينة. وكثير من الناس، منهم المتعلمون والمتقنون، ومنهم الاميون من قام بابطال وافشال العلاج الطبي الحديث، فيقوم المجرى بفك الجبس وباجراء عملية كسر جديدة للعظم المصاب لإصلاح أخطاء طب العظام المتخصص في مستشفى أو في عيادة!! بل سمعت عن طبيب عظام بالذات من حاول اقناع أحد المجرى البسطاء بالعمل معه في عيادته مستشاراً، فوافق المجرى بشروطه التي رفضها الطبيب!!

حدث أن أجرت المرحومة السيدة عزيزة اسماعيل سالم الشهيرة بأمر طه، عملية تجبير للسيد حمدي مطر في صباه حيث قامت، باعادة كسر ذراعه مرة اخرى بأن اسندت الذراع المصابة فوق مخدة لدرجة الامتلاء التام، وقفزت بثقلها فوقها لتستقر فوق الذراع الممدودة، ثم قامت باعادة وصل العظم المكسور وتثبيتته باحكام بوضع الجبيرة حوله، ولا يزال حتى الآن يتحدث المناضل الكبير حمدي مطر عن تلك العملية الناجحة بسخرية يتميز بها في حديثه.

وتحضر المجرى تلك الجبيرة بصنع عجينة مركزة من الصابون المبشور المغلي، مع البيض وخفقهما معا مع بعض من الدقيق كثير النخالة، ثم توضع الجبيرة حول العضو المصاب وتسند بلفافة من القماش، ويقطعتين من الخشب حول العظم الموصول لتثبيتته ثم تربطه مرة اخرى بقطعة من القماش.

حدث أن سقطت الوالدة فوق عراك (١) حافظ خلف الدار العلية خاصتنا، سقطت وهي تطارد احدي دجاجاتها التي اعتادت أن تبيض عند العراق، بعيداً عن

(١) العراق وهو الصخرة المساء التي تعترض الطريق، ويلفظ العلاحون القاف "كافاً".

الكن الخاص بها في ساحة الدار. وقد حدثني الوالدة أن تلك الدجاجة كانت من النوع النادر، فهي تضع بيضا يتميز بالحجم الكبير على غير المألوف، وكانت دائما تضع البيضة "بالعرض" بخلاف الدجاج، وهي تهرب وتصبح حتى ينتهي بها هروبها عند العراق المذكور. وكانت الوالدة تشاهد آثار عملية عسر ولادة كل بيضة في كل مرة، تلك الآثار كانت تتجلى في تلتطخ البيضة بالدم بشكل ملحوظ الى جانب تلوث ثقب الدجاجة بالدم. وتؤكد الوالدة أن تلك الدجاجة كانت بالفعل تضع البيضة بطريقة عسيرة جدا، وإن الوالدة كانت تتحسس حتى تلمس البيضة وهي في وضعها الشاذ داخل الدجاجة في الصباح. لم تدم الدجاجة طويلا على هذه الحال حتى افتقدتها الوالدة يوما فلم تجدها. لقد سقطت الوالدة فوق العراق وهي تجري خلف تلك الدجاجة فكسرت يدها، وقامت مجبرة البلدة المرحومة عزيزة سالم بعملية التجبير الناجحة لها.

ولا شك ان الثقة بالطب الشعبي وبوصفاته عند من يلجأ اليه على اختلاف فئاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية، تلك الثقة هي حصيلة خبرة طويلة لتجارب عديدة نجحت في حالات كثيرة. خبرة طويلة تضرب جذورها في أعماق التاريخ وظل استغلال تلك الخبرات والافادة منها ينتقل من جيل الى جيل في حقب التاريخ المتعاقبة بشكل يؤكد استمراريتها وتداولها حتى أيامنا هذه! فعلى سبيل المثال لا الحصر: تقول أوراق البردى في صعيد مصر، منذ ألفي سنة قبل الميلاد، تقول ما يفيد باستعمال الوصفة البلدية التي تعرفها قرى فلسطين، وصفة غلي قشر الرمان لقتل ديدان الأمعاء ووصفة استعمال بزر القرع لنفس الغرض، كما تشير رسائل تل العمارنة في صعيد مصر الى استعمال "زيت الخروع" كمسهل وعلاج للامساك ولتنظيف أمعاء الانسان، منذ خمسة آلاف سنة.

الخرز والأمراض عند أهل بلدي:

استعمل أهل قالونيا مجموعة مختلفة من الخرز في معالجة بعض الأمراض، والغريب في الأمر أن عدد أنواع الخرز الذي لا زالت تتعامل معه المجتمعات في الشرق والغرب في المدن والقرى بلغ ثلاثين نوعا. يتميز كل نوع منها بحجم، وبلون وبشكل خاص، دون غيره، كما يناط بكل منه معالجة أعراض مرض معين.

وقد استخدمت حبات الخرز في تسوية أمور اجتماعية تتعلق بالحب وبالكرم، بالزواج وبالطلاق، أو الفراق، والنجاح والفشل، بالحظ وبالحية، كما كانوا يعتقدون. وكان من الذين يوصون باستعمال الخرز في القرية من الرجال الحاج صافي رمضان ومن النساء معاش زوجة سعيد الاضر الى جانب الوالدة رحمها الله ورحمهم جميعا.

وكانت النسوة في بلدي يتسابقن الى اقتناء أكبر عدد من تلك الخرزات، كما كن يتفاخرن باقتنائهن لها، وتحافظ السيدة عليها مع ذهبها وصيغها، ولا تتهاون في متابعة التداول بها بين النساء الاخريات اللواتي كن يحتجن لاستعمالها، وعندما تتقدم السن بصاحبة الخرز، تقدمها لابنتها أو حفيدتها الأثيرة كهدية ثمينة تؤثر بها الابنة أو الحفيدة دون الاخريات من شقيقاتها.

ويعود اهتمام النسوة بالخرز الى اعتقادهن بقيمتها في مجال السحر وشفاء الامراض فالمرأة المسحورة أي التي لها عمل، والتي يعترض مسيرة حياتها الزوجية ما يعكر صفوها وحلاوتها، فيفترق عنها الزوج بالطلاق او بالزواج من غيرها. تلجأ الى خرزة الزوج فتطمئن أنه لن يفارقها أبدا، لا بطلاقها ولا باحضار ضرة لها، ولا شك أن سداجة المرأة وجهها يلعبان دورا كبيرا في الاعتقاد بقدرة الخرز على التأثير... ومن أهم الخرزات التي كانت شائعة الاستعمال في القرية:

خرزة الحسد:

وهي زرقاء اللون، يلبسها المحسود حول رقبته، أو تثبت بدبوس في ثيابه على الصدر.

خرزة الشبسة:

أو الكبسة، خضراء اللون غامقة، تلبسها المرأة النفساء أو تستحم عليها خشية أن تدخل عليها بعض النسوة بالذات لما عرف عنهن وعن زيارتهن للوالدات حديثا بأنها غير محمودة، وقد تسبب العقم للمرأة وهي في حالة النفاس، وكان يتردد بين نساء القرية أن فلانة دخلتها على النفساء غير مأمونة، ولذلك كن يسارعن الى المرأة النفساء فينصحنها باستعمال خرزة الكبسة وقاية لها قبل زيارة فلانة لها. ويشارك بعض

الرجال نسوتهم في مثل ذلك الاعتقاد، فكما تُكبس المرأة النفساء من امرأة أخرى، تقع الكبسة أيضا على الرجال، فهم يعتقدون أن مرور امرأة عانس كبيرة السن أو مرور امرأة حائض فوق رجل ناظم كفيل بأن يصاب ذلك الرجل بالعتة ليلة زواجه، وبفساد حيواناته المنوية وتدمير قوته الجنسية ليلة الدخلة على عروسه.

رسخت هذه المعتقدات كتأثير لتراكمات خرافية منذ العصور الوسطى، عندما كان الرهبان ورجال الدين المسيحي، وهم رواد المجتمع في فكر وفي سلوكه حينذاك يضيفون كل صفات الاحتقار على المرأة وخاصة أثناء دورتها الشهرية، فلا يجالسونها ولا يتواصلون معها، ولا يؤاكلونها أو يشاركونها منام. وتظل المرأة الحائض عندهم منبوذة ومهجورة من قبل رجال اسرتها طيلة فترة حيضها، وفوق ذلك كانوا ينعوتونها بأحط الصفات، فهي الشيطان، وأصل بذور الشر والرذيلة عند الانسان.

وهناك عند الارادة دعوة بالشر تحمل هذه المعاني: "تَحْطَرِيَّةُ تَفْقَسُ" في ظهرهك وتُبَيِّسُ رجلِك" أي امرأة حائض تسير فوقك فتقتل حيواناتك المنوية وتصيب رجلِك بالشلل. ولا أنسى والذي عندما كانت تتهم احدى التخطريات بموت ولدها عودة ثالث شقيق رزقت به من أشقائي الاربعة، قبل أن ترزق هي ووالدي بشقيقي الأكبر رجا.

خرزة العين:

ولونها حمراء، تعلقها أم الطفل في خصلة شعر تتدلى على جبينه فوق العين الحمراء المصابة بالرمد لمدة ثلاثة أيام حتى يتلاشى احمرار العين وتعود الى صفائها. أما الرجل فكان يعلقها في عقاله لتتدلى فوق عينه المصابة.

والاستعانة بالخرز - كان لدى أهل بلدي الطيبين - وسيلة من وسائل العلاج الوقائي، وهو أمر لا يزال يعتقد به كثير مرشقي عصرنا من خريجي الجامعات على اختلاف تخصصاتهم، حيث تراههم يعلقون في أيامنا هذه خرزة زرقاء في المرأة الأمامية للسيارة التي يملكها أحدهم درءا للحسد وربما علقوها في أعناق ما يقتنونه من أصناف الحيوان الأليف المستأنس، وأعرف شيخا كبيرا له مكانته العلمية والدينية ومن ثم الاجتماعية، وقد حظي بسمعة عالية في المعرفة والعلم، كما نال أعلى شهاداته في مجال تخصصه، أذكره وقد علق خرزة العين في وسط زخرفة مصنوعة من قش سنابل القمح

الصفراء وسيقانها الناشفة، علقها فوق أرفف خزائن مكتبته التي تعج بالمجلدات والمراجع والمعاجم والمصنفات، والكتب التي لا بد وأن قرأ الشيخ في احداها أن تعليق خرزة أو ودعة للعلاج أو لوقاية، أمر ينافي سنن الله وتوجيهه.

يشارك نسوة بلدتنا ورجالها في الاربعينات نسوة هذه الأيام في أرقى المدن والقرى في العالم العربي والاسلامي، وفي شتى أنحاء الدنيا، نسوة قطعن أشواطاً ممتازة في سلم الثقافة والعلم، تصر الواحدة منهن أن تنوسط خرزة النفس أو خرزة الحسد تنوسط عقدها الذهبي النفيس حول جيدها، الذي يزين جيدها الناعم المترف.

موقف المثقفين والمتعلمين من أبناء القرن العشرين، ولا أقول موقف النسوة ورجالها في قريتي قبل الخمسينات، موقف يدعو للعجب، لأنه لم يرد في الأثر ولم يرد في القرآن ولا في السنة ما يشير الى استخدام الخرزة أو الودع أو التمام أو الاحجية في الوقاية وفي العلاج، وإنما الذي ورد هو أن تعليق الخرز أو الودع أو التمام ونحوها أمر باطل شرعا، ومن يلجأ الى استعمالها فقد سار في طريق الشرك، لقوله صلى الله عليه وسلم "من علق تميمة فقد أشرك" (١).

اعتقادات تتعلق بالخوف من الغيبات، يشترك فيه المتعلم والأثمي والمثقف والخامل على مر العصور والأزمان، اعتقادات تبلورت على شكل مسلكيات اجتماعية فرسخت منذ كان السحر يلعب دور الخطير في حياة الناس منذ آلاف السنين، عندما كان يزاوله رجال الكهنوت والديانات الموهلة في القدم.

الحسد:

والحسد عنى أهل قريتي هو السبب الرئيسي. لكل مرض ولا يزاحمه في ذلك الا البرد، بل كانوا يجعلون الحسد سببا لكل الكوارث التي تنزل بالانسان أو بما يقتنيه من عقار أو حيوان.

والانسان مهما كانت سنه، عرضة للحسد او للاصابة بالعين وخاصة اذا تميز ذلك الانسان بصفة من الصفات المحببة كالجبال أو الذكاء أو القوة أو الفتوة أو كالفن أو النجاح. فالمرأة الولود والدابة المنتجة أو المباركة الانتاج من بقر أو غنم أو طيور وحيوانات العمل من بغال أو جمال، جميع هؤلاء عرضة للاصابة بالعين الشريرة والحسد.

(١) رواه أحمد ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه - الجامع الصغير.

سمعت قصة أكدها لي عديدون من أهل قريتي تدور حول شخص من أهل البلدة وأحجم عن ذكر اسمه - تحدى المجالسين معه من الرجال أثناء عودة قطيع من الغنم الى البلدة وهي تهبط القرية من الشمال الى الجنوب بين منزلي سليمان عاصي ومحمود جودة، تحداهم أن يصيب بعينه شاة كانت تجل بين رجلها الخلفيتين درة ضخمة تثير اتساع حدقتي العينين وفتحة الفم عند الحسدة، فحسدها درتها تلك بتلفظه بكلمة "يا" تعبيرا عن تعجبه من كبر درة الشاة، دون أن يتبع ذلك بذكر الله أو بالصلاة على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، في اليوم التالي قيل أن فلانا قد ذبح أفضل شياهه الحلوب اثر نزيف حاد قد أصاب درتها في الليلة السابقة.

والعم المرحوم الحاج سلامة حسين سلامة كان فلاحا نشيطا يحرق أرضه، ويستأجر أهل البلدة لحراثة أرضهم، وكان يقتني بغلة قوية يحرس بعد عودته من العمل في كل يوم أن "يشمها العطبة" ويحوط عليها ببعض التعاويذ.

وكما كان لعمل العطبة والتخريج نسوة متخصصات من العجائز، كانت هناك أيضا نساء من صواحب العيون الشريرة الحاسدة. فاذا ما صادفت الام احدى تلك النسوة سارعت باخفاء طفلها في حضنها أو تغير اتجاهه في طريق تبعده عن التعرض للاصابة بالحسد اذا كان يسير بجانبها، أو يسرع الشخص الخطى دون أن يترك فرصة لأشعة العين الحاسدة من النفاذ داخل جسمه وكأنه هارب من شر مستطير ومؤكد.

التحوط والتخريج:

عندما تتأكد الأم أن ولدها قد أصيب بالعين لذبول اعتراه أو لارتفاع في درجة الحرارة التي تؤكد أنها عندها لمسات يديها أو خديها، الجبهته أو تحديه أو لبطنه فوق منطقة الحجاب الحاجز، تهرول بالصبي الى أقرب عجوز تتيمن بها، فتضعه المرأة المباركة في حجرها وهي متربعة وتبدأ بقراءة الرقية الشرعية لسبع مرات وقد تقرأ المعوذتين وسورة الاخلاص ثلاث مرات لكل سورة، وهذا هو التخريج، فتقوم الام ومعها طفلها وهي على ثقة تامة، أن الله شافيه لا محالة.

أما التحويط: فقد كنت استمع للوالدة وهي تحوط فوق رأس الصبي، أي تجعل يدها تدور حول رأسه، أو حول وجهه كله وهي تقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، حوطتك بالله، أولها بالله وثانيها بالله وثالثها بالله ورابعها بالله وخامسها بالله وسادسها

بالله وسابعها بالله وثمانها بالله وتاسعها بالله وعاشرها بالله، لا يوكل ولا يشرب (أي المريض) غير من كلام الله، حوطتك بالله من عين الحسود، عين الحسود فيها عود، حوطتك بالله من عيون خلق الله، ومن العين اللي ما تصلي على رسول الله، والعين اللي ما تصلي ع النبي تنقلع، حوطتك بالله من عين امك، حوطتك بالله من عين أبوك، ومن عين اختك وأخوك، حوطتك بالله من عين فلانة (هنا تسمي امرأة بعينها أو رجلا بعينه يكون أو تكون مظنة الحسد) وراح الشر وانتشر وتوزع ع الشوك والشجر، حوطتك بالله من عين الجار، عين الجار فيها نار، وراح الشر ولا تراه، اللهم صلي على النبي، على سيدنا محمد بعدد الحجر والشجر، طول ما تطلع الشمس ويشرق القمر، والحمد لله رب العالمين".

وقد تحرق العجوز عطبة "وهي عبارة عن قطعة من القماش التويبت" سوداء قديمة بالية، تلف كالسيجارة، وتحرق من أحد أطرافها دون أن يظهر لها لهب، يقدمها من يشعلها من أنف الذي يخاف عليه من الحسد، حتى يستنشق الدخان الكيف الذي ينبعث منها، ثم يدير فوق رأسه يده التي تمسك بالعطبة في حركة دائرية حتى يفرغ من قراءاته وتعاويذه، وبعد الانتهاء من تلاوة الرقية الشرعية أو التحويطة السابقة تفرك العجوز العطبة بقدم أم الطفل المصاب بالحسد، فتنتطفئ العطبة وتلطخ اصبعها بسخمة العطبة فتطبعها على جبين الطفل، وتظل تلك البقعة السوداء مطبوعة على جبهة الصبي حتى تتلاشى تلقائيا دون أن يحاول مسحها أحد أو ازالته... ووظيفة تلك السخمة على جبين الطفل هي انشغال العين الشريرة وصرفها عن متابعة الطفل أو التطلع اليه.

وقد يحدث أن تحرق العجوز حجر الشب "الشبة" فوق لوح أو طبق معدني من القصدير تمررها فوق رأس الصبي بشكل دائري، بدلا من العطبة وهي تقرأ الرقية وتقول التحويطة فتأخذ الشبة شكلا خاصا تفسره العجوز على أنه شكل الشخص الفلاني صاحب العين الشريرة وعندها تطلب، أو تجعل الطفل يسحق الشكل الشبي تحت قدميه.

صحبتني الوالدة ذات مرة - وقد أصاب خاصرتي ألم مفاجئ - الى الحاج محمد الصرص رحمه الله، فأخرج الموس من جيب قمباز، ثم فتحه ليظهر نصله الحاد اللامع فتملكني الخوف حتى ظننت أنه لا بد ذابحي، أو شاققي بموساه لطرده الألم

كان هم المرأة أن تقتني تلك الطاس ومجموعة من خرز التداوي. ولقد كان مصدر هذين النوعين من أدوات العلاج، أرض الحجاز، يحضرها الحجاج معهم كهدايا ثمينة، ولذلك كان وجودها محصورا لدى عدد من حجاج البلدة، وهم قلة في تلك الأيام.

كيفية استخدام طاسة الرجفة:

تستعير الأم الطاسة من صاحبها فيطلب الحجاج صافي رمضان احضار الطفل المرتعب اليه في الدار، وهو في ذلك يخشى ضياع الطاس أو سوء استعمالها أو العبث بها، وفي حالة تفضله، يعطيها للمرأة وهو يكرر عليها أن تحفظ الطاس داخل كيسها حتى تبدأ باستعمالها داخل غرفة مظلمة تماما لا يسمح لأشعة الشمس أو شعاع الضوء أن يقع عليها. تملأ المرأة الطاس بالماء فيشربه الطفل في الظلام دفعة واحدة، وعلى الأم أن تعيد الطاس فورا داخل كيسها السميكة بعد استعمالها.

كان يسبق استعمال طاسة الرجفة في حالة الطفل المرتعب عملية اسمها "لقطة الخوفة" تضم الأم فيها ردي الطفل البالي والمرتجف وتظل قابضة بيدها على ردفه حيث يظنان مضمومين باحكام عند فتحة الشرج، حماية لمشانة الطفل من البروز الى الخارج. فإذا ما سكن الطفل وأنهى بكاءه بسطته أمه، وأنامته على ظهره أرضا، وتبدأ بتدليكه حول السرة وأعلى الفخذين مع تمتمات وقراءات. وكان خوف الصبي يزداد كلما قربت أمه من آخر أدوار "لقطة الخوف" عندما تنتهي العملية بقرص الولد ثلاث قرصات في ثلاث أماكن متفرقة في جسمه. تقرصه في كل مرة وهي تشهق بصوت مرتفع، وهي في أخذها لحكم الصبي باصبعيها تؤلمه وتزيد من خوفه (١). ولكنها عندها عملية لازمة لطرد الخوف فيها خارج نفس الصبي! ثم تبدأ عملية الاستعانة بالطاس، وتظل أم الصبي تملأ طاسة الرجفة بالماء الطاهر كل مساء بعد مغيب الشمس، تضعها الأم في مكان أمين تحت النجوم وتقدمها للطفل في الصباح الباكر قبل الشروق. يظل الصبي أو الشخص الخائف يشرب من طاسة الرجفة سبعة أيام دون أن ترى الضوء... هكذا كانوا يوصون!!!

وابعاد الروح الشريرة من داخلي. تمددت على جنبي السليم وبدأ يركر حافة موساه العريضة على جنبي المصاب، ولا أعرف ما الذي كان يتم به، ربما كان يردد مثل بعض الشيوخ سورة "الطارق" التي تشتمل على قوله تعالى "يخرج من بين الصلب والترائب" فيكررها ثلاثا ليخرج المرض من فقرات الظهر وعظام الصدر عند الشخص المصاب.

طاسة الرجفة:

استعمال طاسة الرجفة لون من ألوان نصح العلاج في قريتي، شأنها في ذلك شأن كل القرى والمدن في فلسطين، وفي أرض العرب والاسلام، والطاسة التي أعرفها وعاء صغير مصنوع من الفضة أو النحاس الضارب الى الحمرة... وكان الحجاج صافي جمعة رمضان يحتفظ بطاسة بيضاء فضية لامعة، يحفظها في كيس من القטיפه الحمراء، والكيس الأحمر بسعة الطاس وحجمها، وتبلغ الطاسة في سعتها حجم كفي رجل مفتوحتين ومتلاصقتين في شكل نصف دائرة، قطرها ١٠ سم، في وسطها يرتكز طاس صغير بنفس الشكل وبقطر يبلغ طوله ٤ سم، لكل من نصفي الطاسة حافة منبسطة تتجه الى الخارج عرضها ١ سم لحافة الدائرة الخارجية و نصف سنتيمترا لحافة الدائرة الداخلية للطاسة الصغيرة. وتندلى من حواف دائرة الطاسة الداخلية سلاسل دقيقة منسقة من الفضة، تندلى من خمسة عشر ثقباً متراصة على حواف الطاس الصغرى، وتميل الطاس الصغرى الى الداخل بعمق يصل الى ٤ سم محفور على سطح هذا العمق وبشكل دائري آية جليلة الشأن، عميقة الدلالة واسعة المجال، يقوم عليها التصور الاسلامي الناصع ومنهجه الواضح: انها آية الكرسي، محفورة بخط واضح جميل، أما قاع الطاس الكبرى فكلمة "الله" منقوشة واضحة، وعلى السطح الخارجي للطاس الكبرى مرسوم غصن صغير بأوراقه، يدور الغصن حول الطاس بين خطين بشكل حلزوني متتابع.

ومن اسم الطاس تعرف ظروف استعمالها في تلك الأيام، فهي "طاسة الرجفة" يستخدمها الرجال والنساء في حالات الفزع والخوف الشديد الذي ينزل كالقدر، فيصيب الاطفال والصبيان الصغار وحتى الكبار من الرجال والنساء وهم سائرون مثلاً في الطريق وخاصة في ظلام ليلي القرية الدامس، أو في حالات ومواقف رعية كالنقران والمصدوم.

(١) يذكرنا ذلك بقول الشاعر العباسي أبي نواس: وداوني بالتي كانت هي الداء.

من ذكرياتي في رحلتي الى صعيد مصر سنة ١٩٥٢ ضمن مجموعة من طلاب معهد المعلمين آنذاك، أنه كان يرافقنا دليل ومرشد سياحي - وهو استاذ في التاريخ القديم - في جولتنا في معابد الكرنك الشهيرة، وقد وقفنا طويلاً أثناء شرح الدليل - أمام مشاهد مرسومة باتقان، مشاهد للكهنة ولرجال الدين، تكسوهم المهابة والجلال والتقديس وهم يحملون طاسات مشابهة لطاسة الرجفة. يحملونها بين أيديهم يقدمونها لأناس تبدو على قباياتهم امارات العجز والمرض والى جانب الصورة الجامعة رسوم لتلك الطاس بأشكال قريية من أشكال طاسة الرجفة المعاصرة، وعليها رسوم لأشياء مترابطة واخرى متفرقة، أشكال ورموز وصور، وخطوط، وخدوش بارزة، واشارات لها دلالاتها في ثقافة الفراعنة منذ خمسة آلاف سنة.

أمراض العيون:

درجت العادة في الوسط الشعبي أن تنسب أكثر الأمراض وأغلب المصائب الى الحسد أو الى العين الشريرة، وتخاف الام على طفلها من الحسد منذ أيامه الاولى، فقد تلتهم عين الوليد في اسبوعه الاول من مجيئه الى الدنيا بسبب افرازات من الأم أثناء عملية الولادة، وقد يلتصق جفا الطفل بسبب ظهور العماص (القذى) في ركن عين الطفل عند الاستيقاظ من النوم، وكانت أم الطفل تعتقد أن تلك الاعراض تعود الى الحسد. فتعلق رقية صغيرة وحجاباً فوق صدر الطفل، أو تلجأ الى الوصفات الشعبية فتقوم أم الوليد باستحلاب ثديها داخل عين الطفل الوليد وتنظفها بقطعة من القطن التي كانت قلماً تتوفر في البلدة حينذاك، أو تستبدلها بخرقه صغيرة من الكتان أو القطن، والله وحده يعلم مدي نعوومتها أو خشونتها لتنظيف العين بها. ولم تكن في البلدة حينذاك نعرف التعقيم أو استعمال البوريك أو محلول تترات الفضة لتطهير العين وهي مطهرات جرى استعمالها في مستوصفات تلك الأيام.

ومما يدعو للغرابة أن غسل العين بخليب من مرضعة أنجبت حديثاً أمر دارج بين الناس حتى الآن على اختلاف ثقافتهم ومعارفهم: في سنة ١٩٧٥ التهمت عين جارة لنا وكانت سيدة مثقفة، سيدة اجتماعية، أرمنية، تجيد الى جانب أرمنيته اللغات العربية، والتركية والفرنسية قراءة وكتابة وحديثاً، الى جانب اللغة الانجليزية بدرجة مقبولة. تنقلت في بلاد تلك اللغات وفي غيرها، جوابة (كثيرة الأسفار). طلبت تلك السيدة من حرمنا المصون أن تأخذها الى ابنة عمنا فاطمة حسن عثمان حسن وكانت ترضع أحد

أبنائها منذ اسبوعين. فلبت حرمنا طلب جارتها وحققت فاطمة رغبتها بأن حلبت الخليب مباشرة من ثديها داخل عين السيدة الأرمنية انطوانيت سمرجيان وتمت عملية غسل العين، لم تفكر السيدة انطوانيت أن تعرض عينها على أحد أخصائيي العيون في أحد مستشفيات الكويت الراقية وبالمجان.

اعتادت نساء القرية اصطحاب أطفالهن ممن أصابهم رمد العيون الى منزل السيدة معاش زوجة سعيد الاصغر أو الى الحجاج صافي رمضان فيصف لهم قطرة تميل الى اللون البني الثقيل، تترك آثارها على وجنتي الطفل المصاب، فاذا كان رمد الطفل من الأرماد البسيطة يكون الشفاء من حظه. وقد يوصي الحجاج صافي أو السيدة معاش باستعمال مسحوق "التوتة" في العين الرمداء، فتصبح العين والوجه بلون الكوبياء عند تسربها مع الدموع خارج العين. تضع الأم في عين ولدها صمغاً من التوتة، والصمغ هي الكمشة التي يمكن التقاطها بين سطحي الابهام والشاهد للأنف، فما تكاد تلك البودرة تستقر في عين الطفل المسكين حتى يبدأ بالصراخ، ضارباً الأرض بقدميه وبساقيه، ومقاوماً بيديه، مما كان يضطر الأهل الى ضبط المصاب بالقائه على ظهره وثبتيته، ومنعه من الحركة حتى تنتهي عملية وضع البودرة اللعينة في عين الصبي الرمداء. والله وحده يعلم كم قاسيت من جراء استعمال تلك البودرة في عيني.

أما السيدة فاطمة المفلح فكانت تستخدم الشاي المغلي بعد تبريده الى درجة الدفء، تستخدمه في غسل العين وفي طرد الافرازات منها. وكانت الوالدة رحمها الله على دراية طبية بنوع خاص من الهيجان يصيب العين، يصيب الجفون بالذات مما يجعل المريض بذلك الهيجان في عينه يكثّر من فرك العين المتهتاجة بقبضة يده طيلة هيجان الجفون. عرفت ذلك من خلال اصابتي بذلك النوع من أرماد العيون مبكراً ومن خلال علاجها لي في تلك الأيام، كانت تستعمل لي - ما عرفته فيما بعد - كمادات ماء باردة تغطي بها عيني وكانت تصر أن يكون الماء من الشرية (قلة الفخار) أو من الزير ان لم يكن من العين مباشرة. عرفت فيما بعد أنها كانت تتعامل مع "الرمد الريعي" الذي يسبب حساسية في الجفون. بقيت أعاني من ذلك المرض طيلة فترة صباي وشبابي حتى تحطيت سن الاربعين، عالجت هيجان عيني في فترة طويلة في مستشفى سوق الحصر بالبلدة القديمة، بعد انتقال مستشفى جمعية القديس يوحنا الى هناك في القدس الجديدة بعد النكبة سنة ١٩٤٨م. ثم تابعت علاجي من الرمد

الربيعي كما عرفت اسمه في مصر في سنة ١٩٥٦، تابعت العلاج في مستشفيات الكويت العظيمة حينذاك، وكانت الدكتورة فاطمة المصرية يرحمها الله تحذرنى كثيرا - وبشكل يلفه التأنيب والعقاب - من لمس عيني بيدي، وكدت أخبرها حينذاك كيف كانت أمي يرحمها الله تضربني على يدي وتعضها بأسنانها كلما لمحتني أدلك عيني بيدي. وشرحت لي الدكتورة فاطمة رحمها الله شدة حساسية العين للمس باليد، وشدة حساسيتها لأشعة الشمس فوق البنفسجية وللحرارة الشديدة والأتربة المنتشرة معها، فتوصيني دائما بارتداء نظارة سوداء وباستعمال كمادات الماء البارد.

وفي قصة أخي الشقيق فرج الله وضياح إحدى عيني عني تسألات لم أجد الاجابة عن أي منها حتى هذه الأيام...! اصطحبته الى أرضنا في جبل الزليقة عام ١٩٤٤، شقيقي الأصغر فرج الله، ولم يكن قد أتم الرابعة من عمره، وكان معنا خروف العيد يرتع ويلعب، يختار ما يراه، كنا نلعب ونعبث بالتراب كمادة الصبيان، وفجأة حكّ أخي عينه بشدة ومن ثم أخذ يشكو من ألم بها. عدت بالشقيق وبالخروف الى بيتنا. لم نجد الوالدة، كانت في مشوار تخزين فيه عجينة في طابون دار العم ذيب سمرين، دخلنا عندها في الطابون وشرحنا لها الأمر، فوضعت طرف خرقتها على العين المصابة وقامت بالنفخ عليها من فوق الخرقة مباشرة ثم صرفته.

وفي الصباح، فوجئنا بتورم عين الشقيق اليسرى التي أصبحت نحجم البيضة وبشكل مخيف، جفونها شديدة الاحمرار، مغلقة تماما، ممتلئة بالافرازات الصديدية داخلها وخارجها. هرعت الوالدة وأخذته الى مستشفى العيون في البقعة في القدس الجديدة وهناك كانت المفاجأة الأغرب، بعد اجراء الكشف على عين فرج الله دفعت الطبيبة الوالدة بغضب وبقوة في صدرها وهي تسألها مذمتي عين الولد هكذا؟! فأقسمت لها الوالدة أنه بالامس فقط، بل وفي مساء الامس، ليلة واحدة، ولم تصدقها الطبيبة، وتابعت قائلة، لقد ثقب الميكروب يؤذي العين...! وأعطتها ما يلزم الموقف من مظاهرات ومراهم.

وفي البيت قامت مناقشة، وكان أكثر المنتحيين والدنا رحمه الله، يجلس فوق مصطبة الدار وهو يضم ولده الصغير بين ذراعيه الى صدره، ولده الذي لم يكن يدري حجم مصيبته، وكان الولد يزداد ألما وبكاء كلما حاول أن يختبر مقدرة عين الولد على رؤيته وتحديد ما يحمله من أشياء في يده أمامها. لقد اكتشفنا أن فرج الله قد

فقد عينه اليسرى، الى الأبد.

أصر الأبوان - رغم كل ذلك - ان يعرضا ولدهما على طبيب خاص، فأخذوه الى طبيب يهودي حينذاك اسمه "تيخو" وفي عصر ذلك اليوم بعد عودتهما من القدس، جاءت معزوزة حسن عثمان مهرولة على غير طبيعتها الهادئة، تستغيث وتنادي: أين القطرة التي جئت بها اليوم من تيخو؟ وقد عرفت بذهاب الوالدة الى عيادته في ضحى ذلك اليوم، فناولتها الوالدة لا شعوريا زجاجة القطرة، وبسرعة خاطفة ودون انتظار حطمت الزجاجة فوق صخرة كانت في ركن الحوش أمام منزلنا وتابعت أم سعيد قائلة: لقد ضاعت عين رشيد (ولدها) بسبب تلك القطرة على حد احتجاجها... لقد أصيب عدد من أبناء البلدة وبناتها في ذلك العام، وفقدوا عيونهم.

وفي عام ١٩٤٢م وكنت في التاسعة، وبناء على أمر الأسرة كنت أقوم بنظارة كرم لنا في أرض الحريقة شرق بلدتنا، وكان الموسم موسم نضج ثمار الصبر أو التين الشوكي حينذاك. وكانت رفيقتي في اللعب الطفلة زينب ابراهيم عياش، نقطف ثمرة الصبر وتنساق في ازالة الشوك عنه، شوكة شوكة بأصابعنا، وبينما نحن في لعبتنا الخشنة شعرت فجأة بوخز حاد في عيني اليمنى أعقبه دمع غزير، عدت مسرعا الى الدار، فهرعت الوالدة تجرني بيدها الى منزل عليان خضر صالح مشعل، فعرضتني على السيدة أم جميل رحمها الله وكان اسمها "لبية العبد" لسمر شديدة تتسم بها بشرتها. أركعتني السيدة أم جميل على ركبتي أمامها وهي تجلس فوق حجر كبير في اتجاه الشمس في الساحة الساوية أمام منزلها، وقامت بفحص الجفن بعد أن قلبته، فحصته بتحريك لسانها بكل خفة واتزان وهدوء وحنان على طول الجفن وعرضه حتى أخرجت شوكة من أشواك الصبر اللعينة على طرف لسانها، فانزاح عن كاهلي ثقل العالم كله وعدت الى راحتي المعهودة. أوصت أم جميل رحمها الله، أوصت الوالدة بكلمات لم أتبينها، فقد أوصت بقطرة خاصة تؤخذ من امرأة عجوز "قاطع" على حد وصفها أي من عجوز - كما فهمت ذلك بعد عهد طويل - طاعنة في السن، انقطعت عاداتها الشهرية، منذ زمن طويل، تقطر عيني بها. والله وحده فقط يعرف الأشخاص وعدد المرات التي سالت فيها تلك القطرة فوق وجناتهم وعلى خدودهم... وذقونهم!

المبدأ البراغماتي الفلسفي يقول: "بأن الشيء حق لأنه نافع" وتلك القطرة في نظر المبدأ العلمي هذا، تثبت نفسها من خلال استعمالاتها الكثيرة السابقة، ومن ثم اعترف

بها في مجال العلاج حينذاك.

وللقصة بقية: في عام ١٩٦١ وفي الكويت اشترت سيارة ألمانية الصنع من طراز فولكس واجن سوداء اللون، فرحت بها كثيرا، فأكثرت من خروجي بها أقودها في شارع الخليج العربي الطويل الذي يكاد يحيط الكويت بكاملها، وبالقرب من قصر السيف، وقبيل الغروب هبت نمة خفيفة من الهواء على أثر سرعتي بالسيارة، حملت تلك النمة بعضاً من الاجسام الغريبة الدقيقة لتستقر احداها في نفس العين التي سبق وان استقرت فيها شوكة الصبر منذ ١٩ سنة، فصحت صيحة المذعور، صيحة المفاجأة والألم، وهداني الله حينذاك بالتوجه مباشرة الى المستشفى الأميري القريب من المكان، ودخلت على قسم العيون، وهناك حاول البواب المصري وبعده المضحك أن يمنعي من الدخول لأسباب تتعلق بنظام توزيع الأدوار، نحيتها جانبا تحت وطأة الألم وتحت المحاح القلق المصيري على عيني، واقتحمت غرفة الطبيب الانجليزي، خلّت الغرفة أنها جزء من مصنع أو مختبر كبير يعج بالأدوات الخاصة من كراسي ومصاييح تتفاوت أحجامها وأشكالها، وخزائن متراصة تمتلئ بالأدوات وبالأدوية... احتج الطبيب فادرت به باختصار بالواقعة وقد أخبرته: كأن خنجرأ أو ما يشبه الخنجر قد اقتحم عيني، وبسرعة البرق وباستعمال المصباح المعقود فوق جبهته - بدلا من الشمس عند الحاجة ليلية - هو جالس على كرسيه المتحرك الخاص في وضع يشبه جلسة الحاجة ليلية منذ ١٩ عاما فوق الحنجر، اثناء اجراءات الكشف لاجراج الشوكة.

وأخيرا أخرجها الطبيب الانجليزي المتخصص من عيني، أخرج قطعة برادة دقيقة من الحديد التصقت فوق الملتحمة دون أن تسبب - والحمد لله - خدشا بها أو بالقرنية. تناول الطبيب قطنة ناعمة - ذكرتني نعومتها بنعومة طرف اللسان عند "ستي ليلية" مع حنانها. ثم أخرج البرادة وقام بعملية الغسيل، كما أقطر عيني بقطرة تختلف كثيرا عن تلك القطرة... القديمة التي وضعتها المرحومة السيدة ليلية.

الحصبة:

كانت فاطمة المفلح رحمها الله تتميز بفراسة عجيبة في التعرف على الحصبة، تتعرف عليها في اليوم الثاني من بدء اصابة الصبي بأعراضها، أطباؤنا العلماء هذه الايام

- كما عرفت عنهم وباعتراف الكثير منهم - يخلطون بين أعراض الحصبة وأعراض نزلة البرد الشديدة في الأيام الاولى من الاصابة بها. ما أن ترى الوالدة احمرار العين ودعمها ورشح الانف ونوبات العطس والسعال الجاف حتى تعلن عن قرب ظهور الطفح الجلدي، وارتفاع درجة الحرارة، فتوصي أم الطفل بمتابعة ظهور خلف أذنيه وحول رقبتيه ووجهه وساثر جسمه. وقد أثبتت لي الايام صدق فراستها في هذا المجال وفي مجال تمييز الطفح الجلدي في الحصبة العادية عن طفح الجلد في الحصبة الألمانية - ثبت ذلك من خلال رفضها عدة مرات لتشخيص الطبيب المختص لأحد أحفادها (ومن أبنائي) فتصر على أن الحفيد في طريقه للاصابة بالحصبة. والطبيب لا يحكم بالاصابة بالحصبة الا بعد مشاهدته للطفح الجلدي بحجمه وبلونه الخاص. وللطبيب بالطبع الحق في هذا المجال، فالطب الحديث لا يعترف بالفراسة أو بالحس الطبي، كما انه يعتبر الفراسة والحس، فكرتين غامضتين، لا تثبت احدهما أمام التجربة والعلم.

كان الاهتمام بمرض الحصبة في قريتي يفوق أي اهتمام بأي مرض آخر، وتظهر فلسفة هذا الاهتمام في المثل الذي كانوا يرددونه "لا يُحسب عُمرُ الا بعد حصبة وجدة" فقد كان الموت مرافقا للحصبة لكثرة ما فعلت فعلها في الناس في تلك السنين.

لم يكن في نطاق معرفة الوالدة ولا في مجال تجاربها قدرة على منع الاصابات بمضاعفات الحصبة الخطيرة، لقد أصيبت بالحصبة في سن الرابعة وتميزت اصابتي بها - كما تأكدت فيما بعد - بحمارة زادت درجتها عن حدها المعقول قبل ظهور الطفح وبعده ما أدى الى التهاب الاذن الوسطى عندي داخل اذني اليسرى، ففلاشت القدرة السمعية بنسبة ١٠٠٪ مما سبب لي متاعب سمعية لا حصر لها ولا وصف في مجالات المعرفة والتواصل مع عالم الآخرين. وكانت أمهاتنا في تلك الأيام لا يستحسن باستحمام المصابين بالحصبة طيلة فترة الاصابة، كانت الام منهن تكتفي بمسح الفم داخليا وخارجيا ومسح العينين بالشاي الدافئ بقطعة من القماش مبللة بالماء، أو بالشاي. وظل هذا الخطأ صوابا عندي حتى أصيب ولدي رجائي بالحصبة، وظهرت بعض مضاعفاتها اللعينة، مما دعانا الى ادخاله مستشفى الحميات في الكويت عام ١٩٦٦م وعمره سنتان، وكان يجري استحمامه يوميا وهو في أوج الحرارة والطفح الجلدي.

تقدم الام لطفلها المحسوب أنواعا من الحساء، في كثير من الحالات كان مستوى البيت المالي لا يسمح بتجهيزها الا الى القلة من الابناء المحظوظين، تقدم شورية العدس، أو شورية الفريكة أو الشعيرية المصنوعة بيتيا، وفي الحالات النادرة شورية الدجاج رغم توفره في حوش الدار. كما كان يقدم الشاي أو البابونج أو الحليب.

جرت العادة أن تكخل عيون المصابين بالحصبية بكحل الصبرة المرة. وعندما كان الشخص المحسوب يشعر بآلام حادة في أمعائه أو في معدته، يعطى للمريض جرعة من بول بنت بكر، لم تبدأ العادة الشهرية عندها بعد. وهو إدرار أقل حدة وشدة من ذلك الذي تدره امرأة عجوز قاطع لمريض العيون. وليس غريبا أن يلجأوا الى البول كعلاج لآلام البطن الحادة أو للجروح، فلقد ورد في الطب النبوي وفي حديث الغريتين بالذات وفي كتاب فتح الباري في شرح البخاري: "عليكم بأبوال الابل، فانها نافعة للذرية بطونهم" والذرية هو فساد المعدة.

وقد ظل العلاج بالبول منتشرا في الريف العربي عامة حتى منتصف الخمسينات على الرغم من انتشار المستشفيات، وازدياد عدد الأطباء. في سنة ١٩٥٢ قمت بزيارة أحد الأصدقاء في قرية "عرب العليقات" في ضواحي القاهرة، القصة تتعلق براعي الابل لأسرة الصديق "الحسيني" رحمه الله، وقد عَضَّ جمل حَرَنُ ذلك الراعي في كفه مما أدى الى اختراق أحد أنياب الجمل لكف يد الراعي اليمني، فعالج جرحه الغائر في كفه بادرار بوله على الجرح مباشرة، ولم يأبه بنصائحنا بالذهاب الى المستشفى الذي يبعد عن القرية مسافة عشر دقائق سيرا على الاقدام. ودفعني حب الاطمئنان الى جانب الفضول الى معرفة ما تم مع ذلك الراعي بعد اسبوعين، فأخبرني صديقي الحسيني، أن يد الراعي قد شفيت تماما دون أن يلجأ الى مستشفى أو الى طبيب. شفاه الله بنيته التي يعلمها وعلى اعتقاده ان الشافي هو الله، وما الدواء والعلاج وطرق الاطباء والناس في ذلك الا وسائط يسخرها الخالق بفضله. وما قول العامة في أمثالهم وهم يصفون انسانا بالبخل "ما يبشخ على ايد مجروح" الا دلالة على استعمال هذا النوع من الدواء عند الناس من قبل.

التهاب اللوزتين:

وكان يعبر أهل قريتي عن التهاب اللوزتين بقولهم "فلان بنات ذنيه نازلات" وكان

أشهر من قام بمداواة بنات الذنين محمد حسين سلامة حيث كان يقوم بذلك اليد اليمني أو اليسرى بحسب وجود اللوزة أو بدلكهما معا في منطقة المعصم حيث يستدل على شريان في اليد يقوم بتدليكها مرارا مستخدما زيت الزيتون الدافئ لعدة مرات، وحذا لو كان ذلك الزيت من زيت المصباح المعلق في مقام الشيخ حمد في جامع البلدة، فتأخذ أم المريض كوبا مملوءا بزيت الزيتون الجديد الى الجامع ولتأخذ منه بدلا عنه ما يملأ فنجانا صغيرا، انه زيت مبارك!! وبعد تدليك معصم اليد يقوم بتدليك الرقبة حول اللوزتين من الخارج، وكان يوصي بعدها بأن يلقم المريض بيضة مسلوقة كاملة بعد تقشيرها. يقول محمد حسين سلامة عسكرا، ان تدليكه لذلك الشريان الموجود في معصم يد المريض له أثر كبير يصل الى اللوزتين فيشفى المريض رغم عدم علاجهما هما بالذات أي اللوزتين.

وكانت للوالدة رحمها الله شأن آخر في علاج اللوزتين، وهو عندها على مراحل:

المرحلة الاولى: كانت تنظف اللوزتين بمسحهما بمحلول الماء المالح بقطنة من القماش مرتين أو ثلاث مرات في اليوم الاول، ومررة كل يوم بعد ذلك، وكنت أشعر بالراحة كثيرا بعد التخلص من الافرازات المحيطة باللوزتين على اثر وصول الملح اليها.

المرحلة الثانية: في اليوم الثاني تلقم المريض بيضة مسلوقة صغيرة من بيض الحمام إن أمكن ذلك، بيضة مسلوقة كاملة بعد تقشيرها، ودهنها بطبقة من الزيت، تسهل انزلاقها، وكنت اخالس الوالدة النظر فأقضم البيضة تحت تقرع الوالدة، عندما كانت تكتشف الامر.

وفي المرحلة الثالثة: تقوم بعملية التمليس، تمليس الرقبة بيديها، يجلس المريض القرفصاء ويمسك بيديه أصبعي قدميه الكبيرين، ولا يحرك ساكنا، وتقف الوالدة خلف المريض أثناء عملية التمليس بالزيت الدافئ للرقبة كلها بكفها عدة مرات، وفي النهاية تطلب من المريض فتح فمه، وتقوم بتمثيل سحب فكك العلوي بكفها الى أعلى حتى يكاد المريض يرتفع بحجمه وهو ممسك بأصبعي قدميه على الحال الذي وصفت.

وكانت الوالدة رحمها الله، تقوم باعطاء مريض اللوزتين بيضة "برشت" على الريق في صباح كل يوم لمدة ثلاثة أيام يليها شربا بعد وضع البيضة في ماء مغلي لخمس دقائق بحيث لا تنضج، ويظل مح البيضة محتفظا بسيولته.

وقد عرفت سر تدليك الشريان في المعصم، انما كان لتنشيط الدورة الدموية والعمل على زيادة سرعة وصول الدم بأسلحته المضادة الى الجزء المصاب، وتلقيح المريض بيضة مسلوقة او نصف ناضجة لارغام المريض على الطعام بسبب فقدان الشهية عنده حتى يستطيع الجسم أن يقوم بواجبه نحو نفسه، وقاية ونمو. وكان الامر في حالة الاطفال الصغار باطعامهم البيضة بالملعقة... كان هم المعالج هنا كليا يتعامل مع الجسم كوحدة واحدة وليس مع الجزء المصاب فحسب.

وقد توصي العجوز مريض اللوزتين بعد نجوم الليل على الطريقة التالية: بعد المساء وعند اكتمال ظهور النجوم في السماء، ينحني المريض بجذعه العلوي الى الأمام الخنأ تاما، فاتحا ساقيه مسافة كافية تسمح له بمشاهدة النجوم، ويعددها وهو على هذه الحالة.

يبدأ عددها برقم ١ وينتهي عند رقم ١٢ ثم يعود مرة اخرى ويعد مثلها من النجوم لثلاث مرات.

التعامل مع النجوم في مثل تلك الطريقة عند الوالدة وعند غيرها من الناس في القرى والمدن، انما يعود الى تصديقهم بالنجامة وبالعلاقات التي تدعيها أمور التنجيم بين النجوم وبين أحداث وحوادث الانسان من ولادة وصحة ومرض و وفاة أو نخس وسعد أو اخفاق أو نجاح... وكل ما يجري مع الانسان - في اعتقادهم - له اتصال سبيبي بحركات النجوم وعواقبها... تخيلات وهمية لا أصل علميا أو شرعيا يدل على صحتها.

وعوامل الشفاء الخارجية من الأمراض موجودة في كثير من النباتات والاعشاب عند أهل بلدي. وبعضها لا زالت لها مكانتها حتى اليوم يتداوى بها الناس في قرانا ومدننا في فلسطين وفي بلاد العرب في الشرق والغرب، بل وتنتقل مع المسافرين والمهاجر منا فتستعمل في شتى بلاد العالم، طلابنا ومهاجرونا أخذوها معهم، أخذوا الميرمية والجعدة واليانسون... والبابونج حتى الزعتر والخروب، وتستعمل تلك النباتات والاعشاب بعد غليها بالماء في علاج كثير من الأمراض والمتعلقة خاصة بمغوص البطن والامعاء وما تسببه من اسهال أو امساك.

الميرمية: لا زلت من أشد المحبين لهذه النبتة ولا أشرب الشاي بدونها، وكما اشتركت في جمعها مرات كثيرة اثناء سرحي وغدوي، واثناء جولاتي وتحركاتي في مروج بلدتنا الحبيبة وفي ربوعها، مع خرافي ونماجي وشياهي، فوق روابيها وعند تلالها، وعلى سفوح جبالها وفي قيعان وديانها، كنت أفرح عند اكتشاف شجيراتنا بأزهارها الزهية وبأوراقها الناعمة الخضراء.

الجعدة: وكذلك الحال مع الجعدة، التي تختلف عن الميرمية بقصر شجيراتنا عن مثيلاتها في الميرمية وتتميز بلون أغصانها الخضراء التي تميل الى البياض، وبأوراقها القصيرة الرفيعة ذات الواجهة الخضراء والخلفية البيضاء، وكنا نشرب الجعدة مرة دون سكر في حالات الاسهال والمنص الشديد.

البابونج: وتعرف بجبال زهرتها الصفراء المدورة وبرائحتها العطرية التي تميزها عن شبيهاتها من الاعشاب، وتحفف أوراقها مع أغصانها وتحفظ لتستعمل في الشتاء للاطفال أغلب الأحيان لعلاج القبض عندهم أو الامساك الذي كان يعرف عند أهل بلدي بتعيرهم اللطيف "باطنته ماسكة".

الينسون: ويغلى بزره بالماء ويستعمل كمشروب دوائي، كنا نستعمله لازالة انتفاخ البطن ولتسكين السعال عند الاطفال خاصة، ويساعد الزيت الطيار الموجود فيه على خروج العرق بغزارة من جسم المريض خفض درجة حرارته، وقد استعمله الفراعنة منذ آلاف السنين وكان يعرف باسم ينسوون.

البصلة: وتلعب البصلة دورا كبيرا في التخلص من صديد الدمامل، كنا نضع البصلة في الرماد المتأجج بالنار في الموقد أو في الطابون حتى تنضج ثم تقشر وتؤخذ قطعتان من فصوصها تنزع من طبقات جسم البصلة الداخلي وتلف حول الدمل بحيث تغطيه تماما أو حول الاصبع المدوحس أي المتورم، وفي خلال اثنتي عشرة ساعة تمتص فصوص البصلة الصديد فيشفى المريض. وكان فراعنة مصر يقصدون البصلة ويحلفون بها، ويضعونه في توابيت الموتى مع الجثث المحنطة لاعتقادهم انه أي البصل يساعد الميت على التنفس عندما تعود اليه الحياة، ومنذ ذلك الحين درج الناس في كل زمان ومكان أن يقربوا البصلة - بعد التخلص من قمعها أو فلقها - من أنف المغشي عليه حتى يفيق ويعود التنفس اليه. ومشهود عن أبي الطب والاطباء ابن سينا رحمه الله

قوله: "أذا سَعَطَ الانسان بمائه، أي ماء البصل، نقي الرأس".

كان أهل بلدي يتشاءمون من المستشفيات، اذا دخل أحدهم المستشفى قامت مناحة عند أهل بيته، وكأنه قد مات فعلا، أو ينتظرون موته، ولم يكن للشفاء عندهم فسحة من الأمل. وكان أهل البلدة يسخرون من أهل المريض الذين يقبلون بانزال مريضهم المستشفى، وأتذكر كيف سخر أهل البلدة من العم اسماعيل خليل رحمه الله عندما أدخل ولده "عليا" عند التهاب زائدته الدودية، المستشفى البريطاني في محنات يهودا بالقدس، وعولج فيه وشفاه الله وبما قالوا عنه "أخذ ابنه يعطه بايده"، أي أخذ ولده ليشق بطنه بيده، يشيرون بذلك الى العملية الجراحية!

كنّا نشاهد الاطفال والصبيان حتى الرجال والسيدات، وهم يعلقون الحجاب بدبوس شكل على صدر الطفل، وتحت ابط الرجل او داخل عب المرأة لثوبها الخارجي وقد يدس الحجاب في ثيابا الملابس دون أن يعرف حامله. والحجاب هو ما يسمى بالتميمة أو الحرز يعلق عليها داخل قطعة من القماش على شكل مثلث أو مربع بالخيطة، وكانوا يستعملونه حتى يحفظوا أنفسهم من تأثيرات مرضية كثيرة، تحفظهم من الأمراض الجسدية أو الامراض الاجتماعية... فالنسوة في غالب الأحيان يعلقن الحجاب داخل ملابسهن أملا في التخلص من مشاكل تتعلق بهجر الأزواج لهن، فتلجأ الواحدة منهن الى ما تسميه بحجاب المحبة مثلا، وقد يلجأ الرجل الى تعليق حجاب يحفظ له رجولته أو يعمل على إعادة قدرته الجنسية المتلاشية أو الكامنة، ليظل ينعم برضا الزوجة وقبولها.

يكتب التيممة أو الحرز شيخ أو درويش أو حتى مشعوذ دجال، يكتب الواحد منهم آيات قرآنية أو ادعية طيبة صالحة، أما المشعوذ الدجال فيخط أسطرا غامضة، ورموزا لا يفهمها أحد، قد تدعو الى السخرية أو الى اثار الضحك أحيانا كثيرة.

وبالرغم من أن الحجاب يعني الستر لغة، ويشترط أن تظل التيممة في حرز مصون وأن لا تفتح أبدا، فإن الكثيرين كانوا يلجأون الى فتح الحجاب، بدافع حب الاستطلاع المتجدد في الانسان وخاصة عندما يفاجأون بنتائج غير متوقعة فيربطونها

بملاقات سبية باستعمال الحجاب.

تقص البلدة على السنة عدد من النساء والرجال قصة سمعتها أكثر من مرة، شرحتها لي بالتفصيل الشقيقة دلة أم فريد، نقلتها لي عن السيدة فوزية مصطفى طه إحدى صديقاتها والتي لاحظت أن بقرتها، بقره الخير والبركة التي اعتادت أن تدر كمية مميزة كبيرة من الحليب قبيل غروب كل يوم، لاحظت السيدة فوزية أن كمية الحليب بدأت تتناقص حتى كادت تتلاشى وتنضب، ولم تعد ترى في قاع الابريق الكبير ما يغطيه، فذهبت السيدة فوزية الى المرحوم "ح" وقد اشتهر بصناعة الحجب، تلك الصنعة علمها لولده من بعده، ذهبت اليه وشكت له حال بقرتها، فخط لها حرزا، ورقة، وضمنها بداخل قطعة من القماش طالبا منها أن لا تفتحها مطلقا والا فسد مفعولها.

صنعت السيدة فوزية قلادة وطوقتها رقبة بقرتها الغالية، وبشاء القدر أن يمن على البقرة بالبركة والفضل، تدر كمية الحليب المعهودة، وفرح الكل لها. الا أن البقرة عادت فجف حليبها مرة ثانية بعد فترة قصيرة مرتحن وزيادة دزها، فتعجب جميع من في الدار وعلى رأسهم مصطفى طه سيد البيت، فكك قماش الحجاب وكشفه، فلم يعد حرزا، وقرأ ما فيه، قرأ كلاما يدعو الى الاستهزاء بكل من يعتقد ببركة ومعقولة الحجاب. يتذكر أهل قريتي بعضا مما كان مكتوبا على الورقة، ورقة الحرز المكشوفة: "تحلب ولا ما تحلب، ويلعن أبو أصحابها وما تحلب... وتكرر هاتان الجملتان بعد كل ثلاث جمل..". ضاعت في طيات السنين والنسيان، وهنا تملك الغضب السيد مصطفى طه فاتجه على الفور الى دار الدرويش وواجهه مباشرة بدون تحية "يا... فلان تكتب ولا يجفلك ما تكتب، تكتب لعمرك تكتب، تحجب لعمرك تحجب... ويلعن... لتكتب..".

لقد فتحت بعضا من تلك الحجب فيما بعد وقرأت فيها آيات قرآنية، وفي بعضها ادعية صالحة طيبة، وفي البعض الآخر ادعية لغير الله، وهذا شرك والعياذ بالله واحتوى بعض الاحبة أسماء مجهولة ورموزا يصعب شرح دلالاتها... كل ذلك يتنافى مع شرع الله وتوحيده، وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أيها الناس تداووا" وقال "من تعلق بشيء وكل اليه" أي ان الله عز وجل لا يساعده وانما يتركه ويسنده الى ذلك الشيء الذي اعتقد فيه واعتمد عليه ليظل ويشقى.

جاء رجال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا له: يا رسول الله بايعت تسعة وتركك هذا؟ فقال "أن عليه تيممة" فقطع الرجل التيممة، فبايعه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: "من علق تيممة فقد أشرك".

ومن القضايا الهامة التي كان الشباب المقبل على الزواج يحسب لها ألف حساب قضية "الربط": يفاجأ بعض الشباب في ليلة زفافه بالذات على عروسه، بما هو معروف عندهم بالربط، وهو اصطلاح شعبي يطلق على العروس الزوج عند دخوله لأول مرة على العروس الزوجة في الليلة الاولى. وفي حالة الربط تلك يفقد الرجل حالة الانتصاب عنده بمجرد اقترابه من العروس. فيعرف - كما يعتقد - أنه مسحور، وأن ساحرا قد قام بعملية الربط له، ويستمر القصور الجنسي عنده فترة قد تطول الى اسبوعين أو أكثر عند البعض من سيئي الحظ "المربوطين" فيلجأون الى الطب، ولكنهم لا يستشعرون تحسنا في الحال فيذهبون الى المشعوذين الذي يؤثرون عليهم بوسائلهم الخاصة كالقراءة والتخريج واعطائهم وصفات حبوية أو عشبية أو عطارية أو عمل حجب أو تعاويذ، وقد يوصون بطعام أو شراب يصعب احضاره أو وجوده في الزمان وفي المكان... وبالمصادفة البحتة... بعد أن تهدأ أعصاب "المربوط" ويذهب انفعال الفرح والمرح... تنحل عملية الربط!

ودار الحديث بيني وبين بعض من شباب قريتي ممن وقع ضحية "عملية الربط" تلك، فأكدوا لي بقوة - فيما بعد - أن الربط موجود، حقيقة واقعة لا شك فيها ولا جدال، لا شك أن السحر حقيقة وأنه عمل خفي تظهر آثاره في المسحور نفسه الذي استهدفه الساحر بشعوذته ودجله وحيله، وما تمده به الشياطين، شياطين الانس خاصة، "والربط" كما اقتنعت به، بمعناه الوارد في القرآن، موجود في كل مكان وفي كل زمان، منذ آلاف السنين منذ أيام هاروت وماروت اللذان ورد ذكرهما في القرآن الكريم، وإن عملية الربط تأتي تحت عنوان التفريق بين المرء وزوجه، لقد كان الملكان بأمر ربهما يعلمان الناس السحر تعليم من يُحذَر منه لا تعليم من يدعو اليه، ويقولان للناس: "لا تفعلوا كذا وكذا ولا تحتالوا بكذا وكذا لتفترقوا بين المرء وزوجه. فالتفريق يمكن أن يقع بين الزوجين أو العروسين أو بين أي اثنين قرينين وأكثر،

بفعل السحر كما يفهم من قوله تعالى في القرآن الكريم: "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وينفي القرآن الكريم لأن يقع شيء في هذا الكون الا باذن الله فيقول: "وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله".

كانت تدور بين أهل القرية أحاديث عن رؤية بعضهم لمارد من الجن في ليل القرية الدامس اثناء رجوعهم الى بيوتهم: قال بعضهم أنهم قد رأوه في أراضي الكروم وعند أراضي الخور بالقرب من عين الجوز وفي مارس عين الدجاج. وزعم بعضهم أنه قد اعترضه في اثناء صعوده العقبة البيضاء عند تينة عبد الرحمن، وصفوه بطوله المفرط الذي يصل برأسه الى عنان السماء، مما جعل الشعر في رؤوسهم يقف منتصبا كأشواك القنفذ، ومما يزيد في ثقل حركة القدمين عند من شاهده، فكل منهم يصف مارده بشكل خاص يخلط فيه عالم المادة بعالم اللامحسوس، وعالم قوانين ونواميس الخالق وبلاساتير وبارتجات العقل الباطن عنده، فيصنع مزيجا هلاميا ورجراجا تتداخل فيه المفاهيم وتختلط فيه الامور مكونة خزعات ولا معقولات وأوهام، تصيب المتحدثين بهذه الموضوعات "بالهلوسة". بعضهم أقسم أنه رآه عاريا، وإن كان قد خافه التوفيق أن يعرف أطوال وأبعاد اعضاء جسده لشدة الصدمة بسبب هول المفاجأة، وكان هذا محل تندرنا مع المتحدثين عن مردتهم العتاة، المزعومين، وبعضهم يصبر على أنه قد رآه في كامل هيئته وثيابه، فاذا سألته عن ماهيتها وعن ألوانها... توقف، ولم يجد جوابا.

ذهب بعضهم ومنهم الصديق م.أ.ل. فذكر بأنه قد رأى من كان على نية الزواج منها، رآها وهي ترقص مع الجنيات فوق منطار لقح في منطقة عين الجوز، رآهن ذات ليلة عند عودته الى داره، ولما وصل الدار تمعد الاستفسار عنها فاصيب بالدهشة عندما وجدها واستيقن أنها لم تغادر البيت في ذلك اليوم على الاطلاق، لا في صباحه ولا في مساءه ولا في ليله.

بالطبع من قال ومن يقول بمثل هذا الكلام، أي أنه رأى الجرفنجن لا نصده ولو كان ذلك لرأهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي أراه الملائكة، ومعلوم لدينا من قراءة

للقرآن الكريم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الجن الذين استمعوا وانصتوا اليه وهو يقرأ القرآن، وانما اوحى اليه بخبر استماعهم له بدليل قوله تعالى في أول سورة الجن "قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي الى الرشدا فأما به، ولن نشرك بربنا أحدا" فعالم الجن عالم غيبي نؤمن به وان لم نره. وهو يرانا ولكننا لا نراه. مصداقا لقوله تعالى "أنه يراكم هو وقيله من حيث لا ترونهم"، جنس الجن لا يقع تحت حواسنا ومداركنا فلا نتعدى ذلك الى الاساطير والحرافات.

ومن يرد علينا أن الجن كان مرثيا وظاهرا لسليمان عليه السلام، نقول له: كان ذلك معجزة خاصة به عليه السلام، وكما نعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة تجري حوادثها بأمر الله خلافا للامور التي تجري تبعا للسنن الكونية ومنها الا يظهر الجن للانس فقد دعا سليمان ربه أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده. في سورة ص آية ٣٤: "قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب" فاستجاب الله له وسخر له الانس والطير والجن والشياطين والريح... سبحانه أنه الوهاب..

عاصرت في قريتي حديثا طويلا عن مرض الجنون لرجل وامرأة، تعرض فيه أصحابه الى ما لم تستطع المناعة الطبيعية والمكتسبة عندهما مقاومته. لما صادفوه من التجارب الاجتماعية المريبة، والخبرات المؤلمة ومن القهر النفسي المتراكم الذي لم يحتمله التكوين النفسي والعصبي عندهما. فالرجل عاش قصة عشق مع سيدة غريبة لم تكن من سيدات القرية تزوجها وأثمر الزواج ولدا، لم يطل العشق فانصرفت عنه، فيصاب صاحبه بعدها بلوثة العقلية جعلته يفقد السيطرة على عقله ويضطرب سلوكه، وتحاصر خيالات يتوهم أنه يراها وأصوات غريبة يقنع نفسه أنه يسمعا فيتجاوب معها..

وحدثني عن امرأة وتجاربها القاسية: فقدت طفلها الذكر فهجرها زوجها وكان جهماء - قبل ذلك - مدار حديث أقرانهم من الرجال والنساء، هجرها ليتزوج باخرى. كانت ترى في كل طفل من أطفال القرية صورة لطفلها فتحتضنه ومن ثم تقوم بمخطفه معلنة فرحها بأنها أخيرا قد وجدته، فلا تتخلى عنه حتى يحضر ابن أخيها

ويقنعها باخلاء سبيل الطفل. قالت نسوة القرية أن المرأة تلبس بها جني، وقال الرجال الرجل به من الجن، السبب الذي حول حياة كل منهما الى جحيم، يتخبط في عمله وفي تفكيره وفي تصورات، لا يستقر ولا يطمئن ولا يستريح، نهار خوف، وليله رعب. هكذا ظن أهل البلدة فيمن يصاب بالامراض العصبية والنفسية شأنهم في ذلك شأن أهل مصر حتى هذه الايام، وغيرهم في كل بلد وفي كل زمن... يعتقدون بالمش، ويعبر المصريون عن تلك الحالات بقولهم أن فلانة عليها عفريت. ولن يخرج من جسمها الا بدقة زار. وهذا الاعتقاد له جذور قديمة في المجتمعات الغربية خاصة حتى أوائل القرن التاسع عشر حيث كان نزلاء مستشفيات الأمراض العصبية يتعرضون للمعاملة السيئة على أساس أن بهم أرواحا شريرة كطلبهم الجان أو الشياطين وأن علاجهم لم يكن ليتم دون تقييدهم بالسلاسل، والاغلال، وضربهم حتى يخرج الشيطان أو الجني من جسد المصاب، هذا الاعتقاد بطبيعة الحال خاطئ وليس له أي أساس من العلم ولكنه رشح في عقول الناس بناء على ما أشاعه السحرة والدجاله والمشعوذين لياكلوا أموال الناس بالباطل.

والانسان كما يقرر العلم في أيامنا هذه يصاب بالامراض العصبية والنفسية نتيجة لعوامل وظروف كثيرة منها الحالات التي ذكرت في الحالتين السابقتين الى جانب خبرات الطفولة عند الفرد وتعلم السلوك غير السوي والتفكير غير العقلاني..

بقي الرد على القول بدخول الجن في جسم الانسان، الانسان خلق من طين، والجان خلقه الله من لهب النار، وتلبس الجن بالانس أمر مستحيل، فان الله سننا لا يمكن تعديلها أو تبديلها. (فلن تجد لسنة الله تبديلا. ولن تجد لسنة الله تحويلا) (من سورة غافر) والنار تحرق، والطين الذي يتبدل الى لحم ودم يحترق ويستحيل الى رماد اذا سلطت عليه النار. والنار اذا وقع عليها التراب والطين انطفأت، ولا ندري كيف يلبس الجان المخلوق من لهب النار الانسان المخلوق من طين. الحقيقة العقلية البسيطة التي نعرفها ان النار اذا اتصلت بنجم الانسان أحرقتة، فكيف نصدق أن نارا دخلت جسم الانسان وتلبست به. (١)

(١) وهذه آراء كثيرة من علماء الدين قرأنا وفهمنا فتواهم.

الفصل الحادي عشر

في الموروث الشعبي

لا أشك في أن القارئ وبخاصة ابن قريتي، وهو يقرأ هذا الفصل، سوف يرى من خلاله صورة صادقة حية لقريتنا العزيزة قالونيا، ولوحة رائعة لمجتمعنا في بلدتنا خلال المائة وخمسين سنة التي سبقت عام الشتات ١٩٤٨م.

وحتى لا تضيع أمور كثيرة تتعلق بجذورنا العميقة في بلادنا، لا بد أن نعرف كيف كان يفكر أهل بلدتنا، وكيف كان تواصلهم في شتى المناسبات على مدار السنوات، كيف كانوا يفرحون، ومتى كانوا يتشاءمون، كيف كانوا يتخاطبون كأفراد وكمجموعات من خلال أقوالهم وأمثالهم وموروثاتهم الشعبية من ابداعات وتصرفات، في الاغاني والاحتفالات، في الطعام وما يتعلق به من أشياء وأدوات، وفي العلاج وما أحاط به من فلسفات وتفسيرات، كلها مارسوها على سليقتهم، هدتهم اليها فطرتهم التي فطرهم الله عليها كسائر عباد الله الطيبين وغير الطيبين، ولم يتعلموها كأفكار أو كفنون في دور علم أو معاهد أو حلقات درس.

من خلال هذا الموروث، موروثنا الشعبي في قريتنا نعرف الروح التي كانت سائدة في مجتمعنا هناك: نرصد حركة فلاحنا في البيت، وفي الطريق، وفي الحقل وعلى البيدر، مع مزروعاته ومع اغنامه ومواشيه، مع طيره وممتلكاته، مع أهله وعشيرته، مع صاحبه ومع بنيه، فنرصد بذلك حركة الانسان في قريتنا بشموليتها، نعرف سلوكه في الفرح وفي الترح، في النجاح وعند الفشل، في الحياة الجديدة

وحين وقوع الوفاة، نسجل طقوسه وما تتضمنه من شعائر اثناء دورات الحياة التي لا تنتهي، من خلال كل ذلك نرى بانوراما مجسمة للانسان الفلسطيني الكادح في قريتنا. خلال رحلته الطويلة عبر التاريخ، التاريخ الذي هو كل يوم في شأن مختلف عن سابقه، مغاير للاحقه، وسبحان الذي يداول الايام بين خلقه في بيئات لا تثبت الواحدة منها على حال. قُلِّبَ سرعان ما تتبدل حالها من العطاء وقت الازمات الى حال المنع والازورار وتعقد المشكلات.

من خلال دراسة الانسان وسلوكه في قريتي وقراءة سلوكه نعرف سمات جماعاتنا هناك، وأسس علاقاتها وما يصحب تلك العلاقات من أفكار وآراء واتجاهات وطموحات واسقاطات في الوجدان الشعبي العام. ولما كان من أهم مصادر دراسة الناس هو دراسة التراث الشعبي من علوم وآداب، ودراسة الموروث الشعبي في شتى مجالاته الواسعة من أغان واحتفالات، ورقص وايقاع، ومن لغز واحاجي، ودعاء وأمثال، وأزياء وطعام، وممارسات في العلاج وفي الزواج. لما كان ذلك كل ذلك، ومعه كثير، رأيت أن أفرد بابا خاصا، تناولت فيه التجارب الغنية التي حفلت في ماضيها بمشكلات الحياة.

وحين أكتب في بعض الجوانب من الموروث الشعبي عند أهالي قريتي قالونيا فما ذلك الا خوفا من احتمالات النسيان، ورصدا له لنحفظ بعضا من ماضيها، نحفظ كمّا لا بأس به من مفقوداتنا التي تتوالى يوما بعد يوم في الوقت الذي يجهل فيه أبنائنا - بعد النكبة - قيمة هذه المفقودات في تكريس معنى الانتماء الى الارض.

أقول ان مفقوداتنا من تراثنا ومن موروثاتنا الشعبية تتوالى علينا وتزداد يوما بعد يوم، فهي أغانينا الشعبية حاملة روح الامة ووجهها الانساني مستعرضة آراء الشعب والامة وقيمه وتطلعاته ونظراته الى العالم عبر الاجيال بصراحة تامة في تفاعلها مع الاحداث،

أغانينا الشعبية هذه.... وكذلك الحكم والأمثال التي حملت فلسفاتنا تتوالى فيها وتزداد المفقودات بسبب عدم تدوينها من جهة، وبسبب وصولها الى الاجيال المتعاقبة عبر الذاكرة والنقل الشفاهي أو التلقين، مما يوفر فرص التغيير والتحوير والتحريف والزيادة أو النقصان.

ومما يزيد من مرارة العلقم الفلسطيني في فم كل منا، أن موروثنا الشعبي يتعرض يوميا لآلاف المحاولات - من قبل اليهود المغتصبين لقرانا ولمدننا ومن ثم لكل بلادنا فلسطين - من تزوير وتحريف وادعاء، في محاولة لانهاء معالمة بهدف انكار الطابع العربي الفلسطيني لتلك الموروثات وضياح الصبغة العربية للارض الفلسطينية، وما تقوم به فرق الفلكلور الشعبية اليهودية في جولاتها في العالم، ترقص رقصات الدبكة الفلسطينية بأشكالها، وتغني أغانينا الشعبية بأغاطها المختلفة، على أنها يهودية الا مثال بسيط يشرح محاولتهم الدائمة لطمس اللون الانتمائي الفلسطيني لهذه الارض، بل تعدت اليهودية ذلك الى أن تنسب اليها - أمام العالم أجمع - الثوب الفلاحي المطرز ثوب جدتي، وثوب أمي، وزي شتيقتي وفلاحاتنا في قرانا الفلسطينية، نسبت اليهودية هذا الثوب الى بناتها، فجعلته الزي الرسمي لمضيفات شركة طيران العال الاسرائيلية، يجن العالم كله حتى الهند والصين، مرتديات هذا الثوب أمام أعين العالمين من اقصى الشرق الى أعماق الغرب، يلبسه كرموز لأمة تدعيها، لها تراثها كما تزعم ولها موروثها الشعبي العميق الجذور في فلسطين كما تكذب...!!

والكلام في الموروث الشعبي عندي ليس بديلا عن الاهتمام بالحدثة والمعاصرة وما رافقهما من علوم وتقنيات وتطور وابداعات... وليس دعوة للتفوق على الماضي. وانما هو عندي نوع

من الوفاء للأجداد والآباء، وتذكر لما كان يمثلنا في تلك الايام وهو ان شئنا أو أبينا يشكل أصول حاضرننا، ويحفزننا لاقامة دعائم مستقبلنا، فالامة التي لا ماضي لها تعتبر أمة ميتة لا جذور لها في الأرض.

وقد كان تناولي للأغنية الشعبية الفلسطينية التي غناها وتغنى بها أهل قريتي من فلاحين وفلاحات وعمال وعاملات وربات منازل وموظفين كان أمرا شاقا، تناوبتي فيه مصاعب جملة أقلها تخرج المرأة أو الرجل المسن من الانطلاق بشكل طبيعي في الغناء لفترة كانت تطول الى ساعات في التذكر والتسجيل، وقد كنت أصر أن أسمع الأغنية مباشرة، فأكتبها، مفضلا حضور الانسان والانصات له على الجلوس الى الكاسيت والأخذ عنه. أغان كثيرة غناها أهل قريتي كأهزوجات باللغة العامية، أنشدوها بتلقائية مطلقة وب عفوية في التعبير جريئة صريحة في تركيب بسيط، وفي نظم سهل، ساعدتهم على حفظها وعلى ترديدها وانتقالها الى الاجيال المتعاقبة من بعدهم الى يومنا هذا. أنشدوها في الأعراس وفي الأفراح وفي ختان الاولاد، وفي تحانين الحجاج، وفي الموالد، وفي الولادة الجديدة، وفي التعيد وفي اللعب... في النجاح والفشل، وغير ذلك من مناسبات تعج بقيمها الخاصة والعامية.

ولا يغيب عن القارئ أن كلامي في أغانينا في قالونيا هو كلامي في الأغاني الشعبية الفلسطينية التي تشبه نظيرتها في الأقطار العربية، ويصل هذا التشابه الى حد التطابق مع بلاد الشام، فلسطين عرفت تاريخيا كجزء جنوبي من أجزاء بلاد الشام، ولكن لا يغيب عنا كفلسطينيين أننا نمارس خصوصية فلسطينية في أغانينا من خلال لهجتنا وطريقتنا في النطق وخارج الحروف، ومن خلال مفردات خاصة بنا، وتتجلى هذه الخصوصية في شعرنا وفي أغانينا، وفي أمثالنا

وفي حكاياتنا، وفي رموزنا وفي كون القضية الفلسطينية هي مادتها الاولى.

سمعت السيدة زريفة محمد علي سلامة، وهي تردد هذا الموال الذي حفظته عن شقيقها المرحوم عبد الله محمد علي سلامة، والذي حفظه بدوره عن ابن خالته ابي أيوب القطنّاوي....

يا علي يا ابن أبو طالب
لو انك حاضر تراني
ومعروفك سابق علي
كانت فلسطين يا عينيه
باعوك أكبر أفندية
وشربوا بحقك كناني

فالقلوانية أم أحمد تركز في موالها السابق بهدوء وبعمق وبصراحة، وبكل جرأة على القضية العامة التي تشغل بال كل فلسطيني، فتشكل بهذا الموال اشارة حمراء تلزمنا بالتوقف لنسير مصادر الدراسة التاريخية للقضية، فهي تسلط الضوء على الذين أضاعوا فلسطين، بالتآمر أو التخاذل أو عن طريق تسريب الأرض لليهود حفاظا على مصالحهم الشخصية وعلى امتيازاتهم... الذين باعوا فلسطين هم أفندية العائلات العربية والفلسطينية، أفندية الاسر الثرية، والعائلات التي تسم نفسها بالوجاهة، كبارها وأشاخها أشرافها وتجارها، أغنياؤها ومتنفذوها، فرطوا جميعهم بالارض من خلال الذهب والرشوة وعبر جسور النساء في الليالي الحمراء، وفي سهرات الشرب والخمر أقامها يهود لهم، وللحكام الأتراك،

الفاستدين منهم والانجليز من بعدهم.

لقد عبر خليل السكاكيني بصدق وبصراحة عن هذا الموقف في احدى رسائله الى ولده: "... يبيعون الاراضي ويسمرون عليها، ويعاملون اليهود بيعا وشراء ثم يصيحون ويحتجون ويطلبون من الحكومة أن تسن لهم قانونا يمنعهم من بيع الاراضي... ماآرب شخصية يحاولون قضاءها... هذا الحزب يقاوم ذلك الحزب، لا لإنقاذ البلاد من الخطر ولكن لينتزع هذا الحزب الوجاهة والنفوذ من ذلك الحزب، يتقاتلون على الوجاهة والنفوذ وينسون الخطر الذي يهدد البلاد، واذا فكروا في انقاذ البلاد فليس الا الاحتجاج، كما عبر الشاعر ابراهيم طوقان عن الوطن الذي يباع ويشترى من قبل الكتل السياسية والزعامات التقليدية حينذاك من أهل فلسطين، في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

كفكف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل

والتي جاء فيها:

وطن يباع ويشترى ونصيح فليحيا الوطن

هذا الموال يقود الى ذاكرتي ما قرأته في كتابي الدكتور كامل محمود خلة والسيد عبد الوهاب الكيالي: "فلسطين والانتداب البريطاني"، وتاريخ فلسطين الحديث، لقد أشار المؤلفان الى ما كتبه الصحافة الفلسطينية بين عامي ١٩٠٩ - ١٩١٤ حول بيع الارض... تقول جريدة الكرمل في مقال لها: "... ليس لكم أن تلوموا الصهيونيين بقدر ما ينبغي أن تلوموا زعماء بلدكم وموظفي حكومتكم الذين يبيعونهم الارض ويعملون كسماسرة لهم..." وظلت جريدة الكرمل تحمل على أولئك الزعماء والأفندية الذين يتظاهرون بالسهر على مصالح الشعب الفلسطيني في الوقت الذي ينغمسون فيه

بعمليات السمررة على بيع الأراضي للصهيونيين.

ويقول الكيالي في كتابه المذكور هنا أن أحد السياسيين المثقفين من عائلة الخالدي المقدسية قد ألف مخطوطة لم ينشر نصها حتى الآن، أدرج فيها قائمة بأسماء جميع المستعمرات اليهودية التي كان قد تم انشاءها حتى عام ١٩١١ مع ذكر موقع كل منها واسمها الأصلي العربي وأسماء الملاكين الذين باعوها ومن بينهم أفندية لعبوا أدوارا بالغة الحساسية في الزعامة الفلسطينية للحركة الوطنية...!!

وفي الظلال المعنوية في هذا الموال التفاتت فيها ايقاع الاستنجد والنداء، طلب النجدة من زعيم مسلم حقيقي مثل علي ابن أبي طالب فارس الاسلام وفتاه، وفيها أيضا ايماءات رقيقة تخجل مما تحمله في طياتها، ايماءات تذكرنا بالانقسام والافتتال بين المسلمين أيام خلافة علي ابن أبي طالب، وبالانقسام والحروب بين العرب الأرداء هذه الأيام وما أعقب ذلك من اذلال وهوان... في الحالين.

ولا يزال صوت محمد عطوة / مخلوف، الجمهوري، وصوت شقيقه حمدان وولده ابراهيم من بعده - وهم من أبرز الذين قادوا زفة العروس في قريتنا قالونيا - لا زال صوته يتردد صده في أذني، فيثير مشاعري في رفق وايناس، ويملأ قلبي بالحسرة والشجن. كان هذا الصوت يتردد صده في طول طريق الزفة في العقبة، وعند تينة عبد الرحمن وفي أرض النقاشة وبجوار العين الفوقية في مسيرة الزفة الطويلة وهم ينشدون:

بُور حَمَل رصاص : هدية لسعيد العاص

كانت حاجة سعيد العاص الى الرصاص شديدة، ومصيرية، لأنها تقرر مصير الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ وحياة ثواره ورفاقه معه، نفذ رصاصهم بعد حصار وتطويق ثلاثة آلاف جندي انجليزي له

ولرفاقه المائة والعشرون في جبال حوسان والحضر، نفذ رصاصهم بعد معركة عنيفة ضارية، انتهت باستشهاد البطل ودفنه هناك.

ومنذ ذلك الحين ظل أهل قريتي يغنون لسعيد العاص في كل زفة وفي كل زواج، وتشي هذه البداية لغناء يطول، تشي لنا بأن أحسن ما نتعامل به كهدايا هو ما نحتاج اليه وهو السلاح، فالحق بدون قوة السلاح باطل، أعرج، وضعيف، وصاحبه مخذول لا محالة، وكما غنى محمد عطوة لرمز الثورة السوري، يغني لرمز آخر من رموز النضال الفلسطيني. ومحمد عطوة وهو يهتف للرمزين، لا يفرق بينهما في غنائه لهما:

حج أمين عزك دام من مصر لير الشام

ان صور القهر الذي عانتها جماهير شعبنا الفلسطيني من الاستعمار التركي، والبريطاني من بعده، ومن الغزو الصهيوني، ومن كبار الملاك والاقطاعيين عرب وفلسطينيين هذه الصورة البغيضة من القهر، طبعت شخصيتنا الفلسطينية بسمات خاصة بها، أبرزها المطالبة دائما بالوحدة بين اقطار الوطن العربي، وبالمسارعة في تأييد أي حركة وحدوية فيه. وحدائنا هنا يعكس في غنائه روحا وطنية قوية واتجاهها قوميا كبيرا في طموحه لوحدة مصر وبلاد الشام، ويمضي بنا محمد عطوة يقودنا بمجدائه:

حج أمين يا عمنا بالسيف تفرج همنا
حج أمين لا تهتم واحنا شرابين الدم

لا جدوى في قبول الحلول الوسطية، حلول المفاوضات والسلام بسبب اقتناع جماهيرنا بعقم تلك الحلول، فلا سبيل لكسب قضيتنا المصرية الا عبر السيوف والسلاح وعبر شرب الدم، دم اليهودي ومن والاه، وسانده، ووقف في وجه الفلسطيني أثناء نضاله..

وتمتاز أغاني الرجال في الزفة بالحماسة والاثارة، وكان مرد ذلك الى عوامل عدة أهمها: مرافقة النساء للزفة، فهن يسن خلف الزفة في مجموعة كاملة من السيدات الكبار والبنات والشابات متقاربات الرؤوس يبسطن أكفهن أمام أفواههن أو يقبضنهن قريبا وبعدا لتخرج المهااة واللحن كما يردن، يشجعن الرجال بالمهااة وبالتصفيق وبالزغاريد، تبدو الواحدة منهن في أبهى ثيابها، وكامل زينتها، مخضوبات بالحناء، متحليات بالذهب على الرؤوس، حيث الليرات الخيرات الرشادي مثبتة في صفين فوق الطاقية الحريية تتلأل أطرافها اللامعة الصفراء تحت "خرقة" الجورجيت البيضاء، تشكل مع ما حول جيدهن وفوق صدورهن من قلائد وسلاسل ذهبية وما يحيط معاصمهن، ويزين أصابعهن من أساور وخواتم. كل ذلك يشكل ابداعا ألهمه الله للانسان، فتبدو الواحدة منهن لوحة فنية رائعة حية متحركة، تجمعت فيها كل عوامل اكتمال الزينة وجمال الحلقة...

يغني الحداء ومن حوله الرجال، يستعرض مهارته في الرقص والغناء وجلب الانظار، لرشاقته، ولطبعة صوته العالية التي يؤدي اغانيه بها، واجمل ما فيها ان المغني يمشي ووجهه مقابل العريس فوق فرسه. ويغني وهو يلوح بيده أو ببيديه الإثنتين مجردتين أو قد يحمل عصا استلطفها من احد الرجال المسنين في الزفة، أو سيفا سبق وقد اعد لهذه الغاية فيحركها حاملا السيف أو العصا برشاقة ملحوظة وهو يدور داخل الحلقة ذهابا وايابا تارة يمشي خبيا وتارة يقعي قرمزة معتمدا على ركبتيه قفزا ونطا، وهو في كل الحالات يبدو بصوته الجهوري ويده سيفه أو عصاه وكأنه يهدد ويتوعد، أو يصول ويجول في ساحة معركة، ومن هنا سميت أغاني الزفة بأغاني "المحورية".

يا محلى ظرب الشباري في العدا والدم جاري
يا محلى ظرب السيوف في العدا والعين تشوف
حداؤنا يعيش حلاوة التشابر والتسايف وجها لوجه مع اعدائه، يتضاربون ويتطاعنون، ويبهج عينه برؤية دماء أعدائه وهي جارية.

حداؤنا يتغنى بحب انتقامه من يهود، والانجليز، وبسفك دمائهم... ويجعل من ذلك مادة حلوة يصوغ منها هذه الاغان الدموية الحمراء.

وهنا تتحمس احدى النسوة فتهاهي حامل السيف وتدعو له بالحماية من العين والحسد كما تدعو على كل من تقصد الاساءة والشر لصاحب السيف الرشيق، بالفضيحة وبتمزيق ثيابها من العب (أي من فتحته العليا تحت الرقبة) حتى جيوبها حزينة على ضياع شرفها.

آه هي وارقص يا رقاص بالسيفين
آه هي حوطتك بالله يا كحيل العين
آه هي يا ريت من تدعي عليك مسخمة
آه هي وتنكد من العب للجيباني

(وهنا تنطلق ألسنة مجموعة من النساء بالزغاريد). ويتميز أداء هذه المقاطع الحماسية بحضور الانسان حضورا يتجسد على طول مسيرة الزفة المفتوحة، في اندماج جمهور المشاة من الرجال والنساء مع الحداء في أغانيه، فيغني الجميع للفرد، ويغني الفرد للمجموع. وفي ظل هذا الحماس وحضور الانسان لا ينسى جمهور الزفة بقيادة حدائه أن يفتخر بانتمائه لبلدته وتأكيد ذلك من خلال غنائه، من خلال هزج سريع متلاحق على ايقاع صفق الأكف:

هز السيف بأيد الزين وانتوا يا شباب منين
إحنا وأحنا قالاونة إحنا وأحنا قالاونة
إحنا والله قالاونة والتعم والنعمتين

في لحن يحدد خطوات جمهور الزفة، ويحدد خطوات الرجال وخشخشة قبايزهم المسرבלه أو المغروزة أطرافها في أحزمتهم من الخلف، تكشف عن دكة طويلة مبرومة، تتدلى حتى تلامس الأرض، ترتعش دائما بفعل حركات الراقص ورشاقته.

وهنا يستريح الرجال والحداء عندما تبرز امرأة من جماعة النسوة خلف الرجال جهورية الصوت عذبة، فتتباهى بمهااة تغني فيها

فخرها بالعريس الابن أو الأخ أو ابن العم، وبانتمائها لقريتها تارة، ولعشيرتها تارة أخرى، معلنة ان القمر والنجوم فقط شرط ومهر للقلوانية، لمن يريد أن يفوز بصاحبة الحدود الوردية الحمراء عروسا له.

آه هي واحنا القلوانيات
آه هي كل شب اتعلق بهوانا مات
آه هي وان كان بدك خدود حمر مورديات
آه هي حط القمر في عباتك والسبع نجمات

وتصيح النسوة بزغاريدهن فيمتعن الاذن والعين، بصوت زغاريدهن الانثوية المرتعشة برعشة السننهن داخل أفواه مفتوحة وكأن كل فم منها خاتم من عقيق، تخرج الزغلوطة منه تتراقص بطبققتها المرتفعة مرددة حروف لولو لولو لولو..... لي وتظل تتزغلط طالما ظل اللسان يلعب بحركاته داخل الفم.

وعن انتهاء الزغردة تنبهي امرأة أخرى تنافس سابقتها في الفخر وفي ابداء التهديد وارسال الوعيد لمن يتجرأ على مخاصمة عشيرتها وأهلها:

آه هي احنا احنا وان اتنحنننا
آه هي واحنا العقارب نقرص في مطارحنا
آه هي يا كшил راسك يا اللي تقايجنا
آه هي يصفر لونك وما تقدر تصالحنا (لولو.... لي)

ولا تنسى القلوانية ان تذكر شباب قريتها بأهمية الزواج من ابنة العشيرة، (من العسكريات، أو الدرباسيات، أو المخلوفيات، أو الحمدانيات، أو من المشعليات، أو من الغليظيات، أو من السعديات) وليس من خارج العشيرة، والا حكم على نفسه بالخيبة والفشل بل وبالفضيحة أيضا...

آه هي يا خذ العروس بنكشته (١)
آه هي يا صحن الحليب بقشدته
آه هي والي ما يوخذ من العسكريات
آه هي وي يروح بكشلتة (٢)

(١) أي بنكشته وبزيتته. (٢) أي بخيبته وفضيحته.

وهنا يعلن أحد الرجال ان دورهم في الغناء قد بدأ، فيصيح موالا مغنيا للعريس:

هاي واو يا عريسنا (١) يا رب خليك هاي واو
كثر (٢) عليك من النعائم (٣)
(فيرد الجمهور: شيلوه، أي ارفعوه الى أعلى)
ميتين شاب (٤) يياروك والعز
والناموس (٥) إلك دايم
(فيصيح الرجال: عفا الله هيه، وتزغلط النساء)

ثم تتحرك مسيرة الزفة مبتدئة لحظة من لحظات الاسترخاء والاطمئنان، فيغني الحداء، ويرد عليه جمهوره بمثل ما يقول، كل بدوره، وهم في استرخائهم واطمئنانهم يغنون للارض الطيبة وما تنتجه الارض، يغنون لدوالي العنب ولأغصانها، في رقة ورجاء واستعطاف، يغنون ويذكرون حتى الفقوس والبيتجنان... والجمهور وحدائه في غنائهم للارض ولطيباتها يمزجونها بأغاني من أجل الفكاهة والضحك والطرب، وهم في ثنايا هذه الاغاني يشيرون بخفة، ومن بعيد الى بعض المشاكل الاجتماعية دون تعمق. فتجمع الاغنية الى بساطتها روعة في اللحن وفي الصوت وفي الأداء وفي قدرة الالحاء الموسيقي:

اتلولي يا دالية يا ام الغصون العالية
اتلولي عرضين وطول تلولي مقدار أطول
وتهيا (٦) يا تحت (٧) تهيا نوم الصبايا غيه (٨)
وقلي عقلي أتزوج واتزوج وأخذت الزين
وحمل الزين وجاب غلام وصار يقللي يا يابا
بدي حلاوة منقوشة وبدي حلاوة منقوشة (٩)

(١) وقد يذكر في الاغنية بالاسم (٢) أكثر - اجعله كثيرا (٣) النعم (٤) يساندونك جنبنا الى جنب (٥) قانون دائم يقدره الله للعريس (٦) تهيا (٧) أيها السرير (٨) مزاج (٩) مزينة بالفتق والسمن وما شابه....

مديت ايدي عاجبية لقيت الجيبة ملطوشة
وأخذوني عالسرايه وضربوني بالعصايا

اتلولحي يا دالية يام الغصون العالية
كنت أعزب داير مرتاح داير بين العزباني

وزرعنا فقوس العام وطلع العام كوام كوام
وازرع واقلع بيتنجان يحرق راس أبو الزعلان

وهنا 'يزداد الاسترخاء تدرجا نحو الراحة ونحو الاكتفاء النفسي من الأغاني حيث الوصول الى مرحلة الأمان والحمى، فالذراري في حماية العشيرة وتحت مظلة رموزها:

درّج يا غزالي يا رزق الحلالي
درّج يا حبيبي يا حظي ونصبي
ودرج عاقميصها يا "رمزي" عريسها
يا رمزي يا أبو الحطة من وين صايد هالبطة
يا رمزي يا أبو العقال من وين صايد هالغزال

ويكون موكب الزفة قد وصل أخيرا مع بداية الغروب، غروب شمس يوم الزفاف المشهود:

هانا واربط باب الدار
تا تطلع بنت المختار

وفي غناء بطيء ممدود يطلب حداؤنا فتح البوابة الكبيرة لجمهور الزفة استعدادا للراحة والكيف:

يا عمنا وافتح لنا البوابة يا عمنا وافتح لنا البوابة
ويا ابو ناصر ولع لنا اليرجيلة يا أبو ناصر يا حامي العشيرة
ويا عماد ولع لنا السيجارة يا حاج أمين يا حامي العذارى

وفي لحن متسارع، جميل، يعلنون آخر مرحلة من مراحل بداية تكوين الاسرة الجديدة للعريس:

ما احلى الليلة ما احلى الليلة
من ها الليلة من ها الليلة
صار له عيله صار له عيله

فتفتح البوابة ويدلف العريس مع المرافقين والمعازيم ومع جمهور الرجال يتقدمهم الكبار في القنايز المميزة الروزة، والعباءات المقصبة الفضفاضة، والعمام والعكازات، فينتشرون فوق الساحة أو البيدر، يتربعون فوق الفرش وفوق البسط أو فوق الحصير، كل يعرف مقامه ومكانته وقد آلت الشمس الى المغيب، فتأخذ النسوة في الغناء في الساحة السماوية أمام دار العريس على ضربات الدربة ونقراتها الايقاعية بصحبة التصفيق بالأكف وهن يغنين:

وسعن الساحة شوية وسعن الساحة شوية
لترقص ها القلوانية لترقص ها القلوانية
سلامة شباب أهلي سلامة شباب أهلي
ورد تخيم عليا ورد تخيم عليا
وشو بدك يا نذل ت تتمر رجل عليها

وهنا يعلن عن بداية تقديم الطعام للنساء أولا، تقدم لهم عصيدة الجريشة المطبوخة في بقية من شوربة اللحم بعد أن انتزع اللحم منها، لترص قطعه فوق مناسف الرجال، فتوضع الجريشة او القمح المجروش تحت حجر الراحة، توضع في الشوربة المغلية ثم يضاف اليها البصل المقلي، وتقدم الجريشة في صواني النحاس أو في هنابي الخشب وبواطيه أو في صحنون الفخار المطلية، تقدم الى نسوة الفرع، واثناء تناول نساء الفرع لطعامهن هذا تقوم احدى قريبات العريس، فتذكرهن به وأنه هو الذي عزمهن للاستمتاع بهذا الحفل وبطعامه:

آه هي بحب الكيف بحب الغناني
آه هي وعريسنا والله عزيز وغالي

وتتبعها امرأة أخرى من أهل الضيوف والمعاذيم، ترد عنهم العين
وتبعد الحسد:

آه هي جوطكوا بالله وحده
آه هي والثانية ثنتين
آه هي والثالثة خرزة زرقة
آه هي والرابعة ترد عنكو العين (زغاريد)

وتأتي ثالثة تظهر حبها لضيوف أهلها وتدعو لهم بالصحة وطيب
الطعام، بدعاء ينشر الابتسام فوق الوجوه، ويدعو بعضهم الى
الضحك، والتعليق الطريف:

آه هي كلوا صحة صحة
آه هي اللي ما تقول الكو صحة
آه هي الله يوجعها اصبعها
آه هي ويكون دواها عندي
آه هي يضرها وما ينفعها (زغاريد)

وتختتم ام العريس هذه الحلقة من المهاماة مفاخرة بكرم زوجها والد
العريس الذي أبي الا أن تكون المناسف طعاما لمدعويه:

آه هي والرز ما هو عيش
آه هي ولا طعام الجيش
آه هي واللي ما يسوي زي "ابو ناصر"
آه هي ولا الفرحة ليش (زغاريد)

ينتهي الضيوف والمعاذيم من طعام العشاء فيقوم بعض من شباب
العيلة برفع صواني المنسف، وبعمليات التنظيف وما هي الا لحظات
ويكون الشيخ حسن معلم القرية قد أخذ مكانه مستريحا وأمامه طاولة
صغيرة فوقها فانوس خاص قبل أن تعرف قرينتا اللوكس ذا الشمير
من الحرير الصخري او القنديل اللامع المتميز بضوئه الساطع،
ويجلس عريس الليلة على يسار الشيخ المعلم، وتبدأ هنا عملية تقديم
النقود من قبل المدعوين تلبية لنداءات محمد صباح الدرباسي،
صاحب أجهر صوت في قالونيا، يعلن أبو شحدة وهذه كنيته بدء
النقود، ويكون اسماعيل خليل قد سبق وأخذ جلسته على يمين

آه هي أنو عزمكن يا بنات الجودي
آه هي عزمنا رجائي هالشب المرشودي... (زغاريد)

فتخرج واحدة من بين الطاعمات لترد على المتسائلة وتخبرها انهن قد
دعين من قبل من هو أكبر منزلة من العريس... لقد دعين من قبل
شيخ الحمولة ورجالها:

آه هي احنا أجيئا بعزيمة مش حي الله (١)
آه هي احنا أجيئا بعزيمة يا أم المناديل
آه هي على صيت "ابو ناصر" حياه الله
آه هي على صيت "ابو ناصر" شيخ المراجيل (لولو...لي)

وتعود هنا المتسائلة الاولى في الرد عليها ولتلطف حرارة الموقف،
تتعرفها انها تحب الغناء وانها تعرف انها ابنة الرجل العزيز الكريم:

آه هي بحب الكيف بحب الكيفية
آه هي بغني لرجائي الغالي عليا
آه هي وابوكي علينا عزيز وغالي
آه هي اليمن عا يمينه والسعد عا شماله (زغاريد)

وبينما النسوة يتناوبن المهاماة أثناء تناول طعامهن، تكون مجموعة
من النسوة من قريبات العريس قد اتجهت في زفة مصغرة الى بيت
والد العروس لاحضارها لدار عريسها وفي هذه الاثناء يكون طعام
الرجال قد بدأ:

لقد كانت المناسف من حظ الرجال، واذا كان للنساء والصبيان
حظ فيها، فقد كان ذلك عادة بعد ان ينتهي الرجال من تناول
عشائهم منها، وتجري مهاماة كثيرة، اثناء توزيع المناسف أمام
الرجال، وبينما هم يتمتعون بتناولها، ترحب احدى قريبات العريس
بالضيوف والمعاذيم.

آه هي أهلا وسهلا بظيوفنا اللي ظافونا
آه هي واخضرت الدنيا لمن إجيتونا
آه هي وإنشا الله أزوجوا أولادكو
آه هي وإنشا الله نونسكم زي موندتونا (زغاليط)

الشيخ حسن يتناول النقوط في كل مرة ليضعه فوق منديل مفروش أمامه يرتب فئات المبالغ المنقوطة في مجموعات منتظمة. يرفع محمد صباح صوته العالي منوها باسم صاحب النقطة أو بكنيته وبمقدار ما جاد به في ذلك الحين:

خلف الله عليك يا أبو فلان وهذا ريال مجيدي
(أي عشرون قرشا)

فيأخذ المبلغ منه ويعطيه لاسماعيل خليل مساعد الشيخ، فيسجل اسم المنقط، ومقدار النقوط، واسماعيل خليل يرتب فئات النقود، ويظل أبو شحدة (رحمه الله) يكرر ندائه ذاك مع كل واحد يساهم في تقديم النقوط لعريسنا. وإذا كان المبلغ محزنا وكبيرا، ويكسر روتين النقوط، ورتابته والذي كان عادة بقروش زهيدة، صاح محمد صباح درباس بصوت مميز عما قبله:

خلف الله عليك (ويمد طبقة صوته مع اسم الجلالة)

خلف الله عليك يا أبو فلان

ويكررها بطريقته اللطيفة، والمبهجة مرتين وثلاثا، ليزيد من انتباه الحاضرين ويرفع من درجة اشتياقهم لاستطلاع قيمة النقوط:

خلف الله عليك يا أبو فلان

وهذول حبة في راس النبي وصلوا عليه

وهذول ليرتين (١)

وكانت أشد لحظات النقوط ثقلا على العريس عندما كان يفتر حماس المدعوين في مواصلة تقديم النقوط - وعندها كان محمد صباح يلجأ الى أمر العريس بالوقوف، فينادي عقب الخلفة على آخر منقط قائلا:

خلف الله عليك يا أبو فلان

وهذول عشرون قرشا

وقوم يا عريس!

فيقوم العريس ويظل واقفا والمناادي يثير المدعوين ويشجعهم على التكافل حتى يبادر أحد منهم، فيقدم نقوطه طالبا من أبي شحدة أن يجلس العريس، وهنا يصيح:

(١) جنيهان فلسطينيان.

خلف الله عليك يا أبو فلان
وهذول حبة في راس النبي وصلوا عليه
وحبة في العريس
وهذول خمسة وسبعون قرشا
واقعد يا عريس

فيجلس العريس والله وحده يعلم كم يطول وقوف العريس في كل مرة، وكم مرة ينفذ أمر محمد صباح بالوقوف، وإذا طال وقوف العريس صاح أبو شحدة قائلا "وبعدين!" مين يقعد العريس يا جماعة الخير؟ فينبري أحد الجالسين سبق أن دفع نقوطا تلك الليلة باسمه أو باسم ولده البكر، فيبادر ويقدم نقوطا آخر للمرة الثانية باسم ولده الثاني من أجل أن يجلس العريس وينقذه من احراج الوقوف.

وعند انتهاء تقديم النقوط يكون الشيخ حسن قد أتم تسجيل قائمة المنقطين وأبنائهم وقيمة ما دفعوه على ورقة خاصة يحتفظ بها عريسنا أو والده ليقوما معا أو أيهما بالسداد خلال أفراح أبناء القرية في الايام التالية، وكل شيء قرظة ودين، حتى دموع العين، كما يقول المثل الشعبي.

قلت قبل دخولي في وصف عمليات النقوط عند أهل بلدي الكرام الطيبين، قلت أن بعضا من النسوة من قريبات العريس يرافقن رجلا مختارين، يذهبون في زفة مصغرة الى بيت والد العروس لاحتضارها الى بيت الزوجية الجديد، وفي الطريق وعلى ضوء المشاعل المحمولة على العصي والعيدان، يغنين ويرددن اثناء مسيرتهن:

قطعنا البحر بحريني	على مكحولة العيني
قطعنا البحر يا سيدي	تنجيب بنت الاجاويد
واحنا مشينا من بلد لبلد	تنجيب لعماد بنت شيخ البلد
واحنا مشينا من حارة لحارة	تنجيب أروى بنت شيخ الامارة
وعند الوصول الى بيت والد العروس تعلن قائدة الزفة النسوية وصولها من خلال مهااة تطلقها:	

آه هي إحنا أهل العريس هيونا (١) إجيننا

آه هي قولوا لم (١) العروس تلاقينا

ها هي بعطر الورد والريحان ترشيننا

ها هي لا بغض ولا حسد فيكم ولا فينا

فترد احدى قريبات العروس مرحبة بهم:

هيه هي يا مرحبا وبا هلا إيبكم

هيه هي ويسلم العريس اللي جابكم

هيه هي والحمد لله اللي هو جابكم

هيه هي وكل الخير صابنا وصابكم

وتأخذ الحماسة عممة العريس أو شقيقته فتمجد والده وهو سيد الموقف في هذا الفرع:

آه هي يا ذهب على راسي يا "أبو فلان" يا ذهب

آه هي كايدين الناس طول عمرنا كايدين الناس يا ذهب

آه هي يا ذهب دبوس يا "أبو فلان" يا ذهب

ها هي يا عزّي وناموسي يا "أبو فلان" يا ذهب

(زغاريد)

فتدخل النسوة عند العروس وتبدأ أغاني صويحباتها وقريباتها، يغنين على لسانها وكأنها تعاتب أهلها ووالدها خاصة في غناء عتابي حزين يعكس خوف العروس من ترك البيت الذي فيه درجت ونشأت إلى بيت لا عهد لها به وخاصة إذا كان عريسها من بلدة غير بلدتها:

قولوا لأبوي الله يخلي أولاده

استعجل عليا وطلعي من بلاده

قولوا لأبوي الله يكثر خيره

استعجل عليا واعطاني لغيره

يا ريت أبوي يصبر عليا ليلة

وانا العزيزة أنام بين العيلة

قولوا لأبوي الله يكثر ماله

استعجل عليا وانستر حاله

وتستمر النسوة في الغناء والرقص بينما الرجال يحاولون مع وسطاء الخير التوصل إلى اتفاق يرضي أهل العروسين فيما يتوجب دفعه من حقوق العم والخال وللشباب وللعجائز... وبينما الرجال في شغلهم ذاك، تغني النسوة للعروس يذكرنها بوقت التحرك لبيت العريس ويبالغن، فالوقت طال والفجر لاح:

هيه هي قومي يا عروس هذا وقت الرواح

هيه هي والبلابل غنت والديك صاح

ويغرينها بالرحيل:

هيه هي جيبو صايغ الذهب صلاح (١)

هيه هي تيسوي أساور للايدين الملاح (لولولو..لي)

وتدرك النسوة هنا - بعد هذه المهااة أن الأمور قد جرت تسويتها على خير، فتنتقل احدى قريبات العريس مبشرة بذلك وطالبة من العروس ابنة رجل العشيرة المرموق - الاستعداد لركوب فرسها أو جملها:

هيه هي يا عروستنا يا بنت شيخ العشيرة

هيه هي يا عروستنا يا أميرة

هيه هي قومي اركبي والشو همك؟

هيه هي واحنا حطينا حقوق أبوكي وعمك

وهنا تتقدم احدى قريبات العروس متباهية بها وفي نفس المهااة

تعمل على تلطيف الجو ونوع الجواب:

هيه هي يا الله خذوها يا أمارة

هيه هي والله وانتم الكسبانين

(١) أحد الصاغة المشهورين كانت تتعامل معه شاريات الذهب في بلدتنا.

(١) ها نحن هنا. (٢) لوالدة / لأُم.

هيه هي وهذي والله عروستنا
هيه هي انشاء الله وعريسها من الرجانين لولولو...لي
وتساندها اخرى من شقيقات العروس، وتذكر جمالها والافتخار
بأيها وتحي أمها على حسن تربيتها للعروس:
هيه هي واحنا بناتك يابا
هيه هي وشعورنا طويلة للسير
(أي حتى رباط الحزام في وسط الظهر)
هيه هي والي يناسبك وياخذ بنتنا
هيه هي يهيل الذهب عاروسنا (١) هيل (٢) لولولو...لي

ها هي يا وجهك رغيف البيتي
ها هي ويصلح لغماس الزيتي
ها هي واخيك يا الأماية (٣)
ها هي وعلى حسن ما ربيتي لولولو...لي
وتخرج العروس وقد أمسك بذراعيها: عمها يمينا، وخالها يسارا،
تخرج بين بكاء الأم والشقيقات بكاء يعبر عن الفرح والقلق
والفراق، تخرج محاطة بصديقاتها الى بيت عريسها وهي في أوج
زينتها، تلك الزينة التي كانت قد بدأت في الايام السابقة على يوم
الزفاف، بذهاب العروس الى الحمام في القدس، فتذهب بصحبة
صديقاتها الخصوصية أو القريبات الى حمام عمومي كان يقع في
حي الواد في البلدة القديمة في القدس، أو قد تقوم خالة العروس أو
عمتها أو شقيقتها الكبرى بحمامها في البيت، فتزيل للعروس كل
الشعر من جسدها مستعملة عقيدة تصنعها من عيجنة السكر والماء
والليمون... وفي اليوم التالي للحمام تكون ليلة الحناء، حناء
العروس وهي الليلة التي تسبق ليلة الزفاف.

(١) على رؤوسنا (٢) كثير (٣) الأم.

أيام الأفراح والليالي الملاح

"أيام السعد"

وكانت تبدأ هذه الأيام أيام السعد عند اهل قريتي منذ الخطبة،
وكما أسلفت، فأن الاتجاه أولا يكون محاولة الزواج من داخل
العائلة، من بنات العائلة أولا، بدءا ببنت العم، وتظل بنت الخال في
الظل طالما بنت العم موجودة. وفي كلتا الحالتين تكون اسرة العريس
على معرفة تامة بعائلة العروس، وتاريخها وأخلاقها الى جانب الإحاطة
بكل تفاصيل أخلاق العروس وجمالها وحالتها الصحية بكل أبعادها.
وفي حالة عدم توفر ابنة العم أو الخال أو بسبب الخلافات العائلية
يتم التفتيش عن عروس لدى بيت من بيوتات حمائل البلدة
الأخرى، وإذا كان ذلك متعذرا لسبب من الأسباب، انتقل أهل
العريس للبحث عن فتاة في إحدى القرى المجاورة، تكون الفتاة
المختارة فيها على وشيعة قرى مع زوجة من زوجات أحد الرجال
من أقرباء العريس، فيجري الاختيار بواسطة الوالدين أو شقيقات
العريس أو أمه.

وللخطبة تقاليد وأصولها، تصبغ مجتمع القرية بهبة الستر والحياء
الرباني، وكان الخروج عن تلك التقاليد والأصول يعتبر أمرا منكرا
ينتقده الجميع انتقاداً مرأ يصل الى مستوى الهلاك للخارج عنها.
حدث ان كانت إحدى بنات قريتي في زاوية البيت الداخلية مع
بقرتها الهولندية الضخمة تحاول تدبر أمر إطعامها، ولسبب من
الأسباب ثارت بقرتها ثورة عارمة مما جعل الفتاة تلجأ الى برميل
يصطف ضمن حاجز البراميل في تلك الزاوية، برميل ممتليء نصفه
بالقمح دخلت البنت فيه وهي تستغيث بأعلى صوتها، يرسل الى بعيد
إشارات الخوف والفرع وبسرعة طلب النجدة والمساعدة، سمع
الاستغاثة خطيب البنت وكان بالصدفة يعمل في أرض أمه القرية بل
المحاذية لدار أهل خطيبته، هُرع لنجدتها حاملا فأسه ودخل البيت

ووجد خطيبته محاصرة داخل البرميل والبقرة في قمة هياجها تضرب البرميل تارة برأسها وتحاول أخرى الوصول بقرونها الى الفتاة القابعة داخل البرميل.. أخذ خطيب الفتاة يضرب البقرة بعصاة فأسه حتى اجبرها على التراجع... فأنقذ خطيبته من الخطر، ولم تنته المشكلة، وبدأت معاتبة بل ومحاسبة الخطيب الشهم! كيف يدخل البيت وخطيبته فيه دون محرم؟! حتى لو ماتت أمام البقرة الشرسة؟!

قد يصف شخص ما هذه الحالة بأنها حالة تخلف قصوى، وحالة فقدان الثقة بالأبناء... يَغيبُ على أمثال هذا الشخص أنه منذ أن أصيب ابونا أدم بالنسيان وضعف الذاكرة وضعف الارادة، والفرْد منا في حياته الحالية - خلال الأجيال المتلاحقة قد ورث هذين الضعفين، لذا فهو يتورط في معاصي كثيرة ومن ثم يشعر بالهلاك. إن أحداً منا لا يجروء على القول بأنه معصوم، ونحن في بيئات تروج بالفتن والمعاصي والفساد، لا يمر على إنسان هذا الزمان الا وتزل قدمه. ففي مجتمع الستر والحياء لم نكن نسمع بمشاكل تتعلق بأمر الشرف أو الحياء.

الموافقة على الخطيبة تعني الإتفاق على كل التفاصيل الأخرى: المهر المقدم، والمهر المؤجل، وكان المهر المعجل في غالب الأحيان أرضاً ونقداً، فمهر الشقيقة امدالله سمرين مثلاً، كان (٩٠) تسعين جنيها فلسطينياً وأرضاً مساحتها (٢٥٠٠) متراً مربعاً أي دونغين ونصف الدونم المربع من أراضي الخور في القرية، وذلك سنة ١٩٣٦ بنى الوالد دارنا الجديدة فوقها في قرينتنا قالونيا (١١). وكان أيضاً مهر الشقيقة الثانية - دله سمرين - ثمانين جنيها فلسطينياً ومارسا من الأرض مساحته دونغا مربعا اي (١٠٠٠) متر مربع للزراعة ودونغا مربعا اخر شيدت فوقه داراً لها.

أما المهر المؤجل، فالعجب في أمره، أن أهل بلدتنا الطيبين لم يولوه اهتماماً فالمهر المؤجل للشقيقة امدالله كان جنيها فلسطينياً

(١) قام والدي رحمه الله بشراء ثلاثين ليرة ذهبية رشادية للشقيقة امدالله تعويضا لها عن الأرض التي بنى فوقها المنزل باعتباره جزءا من مهرها.

واحداً، وعند الشقيقة الثانية كان خمس جنيهات فلسطينية، ثقة متبادلة بين عائلي العروسين، لا مثيل لها بين العائلات في هذه الأيام، وما أندر حالات الطلاق والهجر بين المتزوجين من أهل بلدتي في تلك الأيام التي سبقت نكبتنا عام ١٩٤٨

وكما يُتفق على المهرين، يجري الاتفاق أيضا على الهدم: عبارة عن خلعة يخلعها العريس على عم العروس أو خالها ترضية لهما، وقد تكون الخلعة أو الهدم عباءة فضفاضة أو قمبازا ثميناً، تلزم التقاليد العم أو الخال أن يقدم نقوطاً أو هدية للعروس قد تفوق قيمتها قيمة الهدم الذي قدمه اليه العريس. كما تلزمه بزيارتها ايام الأعياد والمناسبات وكانت أم العروس وشقيقاتها أو خالاتها أو عماتها يحظين أيضاً بأثواب من التوبيت الأسود، الذي يقدمه العريس هدية بمناسبة زواجه، وكاعتراف منه بقيمة العروس الاجتماعية ومكانتها بين نساء العائلة.

وفي بعض الحالات يجري الاتفاق على الجهاز وكسوة العروس. يشترك أهل العريس وأم العروس أو شقيقتها في شرائها وفي تحضيرها من اسواق القدس القديمة، داخل السور، وأذكر من تلك الأسواق سوق التجار، وهي سوق قديمة طويلة مسقوفة في سقفها نوافذ تتسرب فيها اشعة الشمس فتضيء عتمتها، وتقع هذه السوق شرق سوق العطارين الشهير، وفي نفس سوق التجار تقع دكاكين الصياغ، كما اذكر سوق باب القطانين غربي الحرم تشتري العروس منه الأقمشة القطنية أو الحريرية الهندية، وكان من عادة العريس - بعد الانتهاء من مهمة الكسوة وشراء الذهب من تلك الأسواق، أن يدعو المشاركين المصاحبين له لتناول طعام الغداء في احد المطاعم في القدس القديمة يتناولون منه ما لذ وطاب من اصناف المشاوي والشقف والكباب.

تقوم الفتاة منذ أن تصل سن البلوغ بتحضير أثواب خاصة لها للمستقبل، فتبدأ بتطريز أو خياطة الأثواب، وكل ثوب مع صدرته الخاصة، ثوب تجري تجزئته عند محترفات فن خياطة الثياب وجهاز العروس في القرية، وأذكر منهن السيدات: فاطمة الحاج، ومريم

الياسينية ووفيقه مصطفى طه، وهنية الصرس، فتفصله السيدة منهن الى أجزائه، تبدأ الفتاة بتطريز أي جزء منه حسب رغبتها، فتطرز ابدان الثوب ثم البنايق (العروق) ثم الردفة فالقبة فالأكمام. وتضع الفتاة على ثوبها ما شاءت من طبب الحرير الأصلي عددا ولونا وشكلا، يتراوح بين ست طبب الى ثلاثين أو أكثر، وأما الألوان فلا تسأل فهي تشتمل على ألوان قوس قزح وما يتفرغ عنها، وتنشط النسوة والفتيات في تطريز ثيابهن في فصل الشتاء خاصة حيث تلازم الفتاة بيتها فلا تخرج كثيرا لمشاركة أهل البيت في الشغل في الحقل أو في الأرض... ومن هنا كان المثل الشعبي: قلة الشغل بتعلم التطريز. وتنشغل النسوة في تطريز العروق وفي تحديد القطب والحبات التي قد يصل عدد حبات العرق الواحد منه الى مائة حبة. على شكل نبات أو حيوان أو طير أو أشياء وأدوات من بيئة المرأة القروية، وكنت أسمع بعرق الوردة وعرق البطيخ وعرق القلب والدالية والموزة وعرق الطاووس والهدهد، وعرق العصفور والسمة والبطة والحبة وعروق "الحصنة" أي جمع حصان.

وتحضرني هنا بعض أسماء تلك الثياب: ثوب المناجل الذي يخلو من العروق ولا أزال أتذكر الوالدة رحمها الله وهي تقوم بعملية "التسريحة" حيث تجمع القطعة التي سيطرز عليها المناجل بقطب متباعدة قبل بدأ عملية المنجلة، وبعد تمام منجلته تعمد الى "تنسيل" خيوط الماركة فتسحب خيوطها بايديها وبالإبرة بمهارة ملحوظة وصير معهود.

"والمناجل" جمع منجل، أداة الحصاد عند الفلاحين، وهي عبارة عن اشربة طويلة لا يزيد عرضها عن السنتيمتر الواحد، وقد يختلف طول وعرض المنجلة من ثوب لآخر، بل ويختلف طولها من حيث موقعها في الثوب الواحد. على الثوب الواحد تطرز الفتاة أو السيدة ستة خطوط مناجل الى عشرة... أما الثوب الثاني الذي أتذكره فهو ثوب "المقصب" وهو مزين بخيوط القصب، بدلا من الحرير، والقصب عبارة عن مجموعة من الخيوط قطنية وحريرية، مختلطة بخيوط معدنية صفراء أو ذهبية أو بيضاء مفضضة تضفي لمعانا وبريقا أخذا، وأهم

أثواب القصب هو ثوب "الملك" أو ملكة، أحب الثياب للفتاة عند زواجها ترتديه العروس في الأيام التالية للزواج وفي زيارتها الأولى لأهلها ولصديقاتها وجاراتها... فتظهر العروس فيه بأبهى صورة وأجمل زينة، ويعود اسمه الى اسم القماش، قماش الملك، كان يصنع في مدينة بيت لحم أو يستوردونه من دمشق، قماش المخمل الأحمر أو الأسود المعروف، كانت العروس في قرينتنا تجهز ثوبها الملك في قرية بيت حنينا أو في بيت جالا.

ولا تنسى الفتاة أن يضم جهازها مع ثيابها، ملابسها الداخلية المحدودة الأشكال والألوان، وخزقة للرأس من الجورجيت أو على حد تعبيرهم من الحرير البلدي، وخزقة ميروم بيضاء أو سكرية، كما يضم جهازها فرشتين ولحافين وأربع مخدات وصندوقاً خشبياً، وبدلة الزفاف وبدلة العروس البيضاء، يرافق ذلك حذاء أبيض، وحذاء آخر ذو لون مخالف.

وتتزين العروس من مهرها بزواج من الأساور المبرومة أو النصاص أو الرباع الى جانب ثلاثين ذبابة من نوع يسمونه "الخيريات" رشادي يجري صفها فوق حواف طاقية العروس، تثبت على رأس العروس بواسطة "أزناق" أو عروة عبارة عن خيط.

وكانت أم العروس تحرص على توفير رموز الإستقلالية والحياة الجديدة لابنتها في بيتها الجديد. فهي تتأكد حتى من وجود كراوات الحيطان البيضاء والسوداء خاصة، ودرزتان من الإبر كبيرة وصغيرة وليفة وبعض الكيلوغرامات من الصابون النابلسي ماركة الجمل بالذات. وتنتقل تلك الأشياء ببساطتها بطرق بسيطة فوق رؤوس النسوة في ليلة الحناء من بيت أهل العروس الى المنزل الجديد عند أهل العريس.

وتستمر الأفراح والليالي الملاح في دار أهل العريس مدة تتراوح بين ثلاثة أيام وسبعة، يطلقون عليها أيام السعد، وكانوا يفضلون في الغالب أن يحتفلوا بالزفاف في فصلي الصيف والخريف من كل عام، ويحذرون أنبائهم دائماً بالألا يلحسوا القدر والطناجر، والا كان زواجهم في أيام المطر والوحل والعتمة، وفي أيام خلو الخواوي

والزقنونات من الجيوب والمؤن. وتقام غالبا أيام السعد وليالي الفرح السبعة فوق الجرون والبيادر في الليالي القمرء وإن تعذر ذلك استعانوا بما توفره لهم حمولات النتش والبلان من إضاءة. توفره عند اشعالها حتى تنتهي تعليلة فتیان البلدة وشبابها ورجالها وشيوخها، يدبك الشباب ويغنون، ويسحج الاختيارية كبار السن، ويرددون أغاني السحجة والسامر، وتدور كؤوس الشاي وفناجين القهوة على الشيوخ والرجال اثناء تعليلتهم وهم يستمعون الى شاعر الربابة وهو يقص عليهم قصص التراث العربي الشعبي العريق على جرات الربابة، تلك الجرات التي تصاحب السمر والقصص تتنوع تبعا للموضوع وللمناسبة، فمن جرة الهلالي الى جرة المسحوب الى جرة السامري الى غير ذلك من الألحان الشجية.

وكان يتخلل سرد الشاعر للقصص الشعرية فترات قصيرة لراحة صوته ولزيادة شوق السامعين واثارتهم لمتابعة الحدث البطولي، وفي تلك الفترات ... يشد الشاعر أو يعيد شد أوتار الربابة فوق هيكلها الخشي المغطى بالجلد وعلى قوسها المصنوع من فروع الزيتون أو اللوز، وكل وتر عبارة عن حزمة من شعر الخيل من عُرفها أو من ذيلها، فيمرر الشاعر فوق هذا الشعر الناعم جدا مادة شمعية، فتعطي الشَّعْر نوعا من اللزوجة لا يتزلق عن الوتر وباحتكاك الوترين خلال جرات الربابة، تعطي أصواتا وأنغاما متعددة.. رنات وألحاناً جميلة نقية، حيث أن الجلد، جلد الماعز الذي يغطي هيكل الربابة الخشي يعطي الرنين، وينقل الصوت النقي.

يسهر الجميع ويسمرون، فتصل النشوة بهم والمشاركة الوجدانية حد الإنصهار في بوتقة الشاعر ورنين ربابته وجراته فوقها، وفي الحدث البطولي في قصصه الشعرية... يذوب الكل في جو يبدعه الشاعر. قد يلجأ شاعرنا الى عنثرة او يلوذ بالزير سالم، يستحضرهما من أعماق الصحراء العربية في الزمن السحيق، فيحضر عنثرة ممطيا حصانه الأبحر... حاملا سيف الحرية يواجه به المشكلات المستعصية الحلول - كما تبدو لأول وهلة للسامعين - بطريقة تثير إعجابنا وتعكس الخبرات الشعبية على مر العصور، خبرات تحفل في ثناياها

قيمنا ومثلنا وعاداتنا التي تذكرنا بأصدق صورة عن الانسان العربي الأصيل الذي عاش حقبا طويلة من الزمن في صراع دائم مع الصحراء والحياة فانصهر في بوتقة الوجود، فقدم لنا العربي المبدع الخلاق والمرتبط بمشاعرنا أقوى ارتباط، ومن هنا كنا نحس بالبطل ونعيش خبراته وأبعاد حدثه البطولي نشاهده ونهتف له وهو يدافع عن قيمتنا وعاداتنا وأخلاقنا في الفروسية وفي الحروب، في الحب وفي العشق، في البطولة والتضحية، وفي الوفاء... في زمن ضاع منه الكثير من صور الوفاء... وتالت اخفاقاته وتعمقت فيه هزائنا وجراحنا... وضاع الوطن، وضعنا معه... ضيعة الأيتام على مآذب اللثام، بين الأهل والأقربين، والغرباء والأبعدين.

ولا زلت أذكر اغاني الدبكة اللطيفة التي كان يرددنها الشباب متغزلين بمحاسن العذارى، مفاخرين بمناقبهم وصفاتهم مُتَحَدِّين بها الأقران من الذين ينافسونهم في ميادين الحب والغرام، مجموعة من الفتیان يعرضون فنونهم في دبكتهم على شكل دائرة تظل مفتوحة دائما، دائرة غير مكتملة يمسك الواحد منهم بحزام الآخر على الجهتين، يدورون حول عازف الناي أو الشيب، الواقف في وسط الدائرة، ويقودهم "على الجحشة" وهذا لقب القائد أو اللويح، وبجانبه مغني الرقصة. ويحمل اللويح منديلا مطرزا يُلَوِّح به بيمينه، وتبدأ الدبكة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

أول ما نبدي غدح محمد ياللي الخلايق عليه تتعمد
والي ما يصلي عليك يا محمد بيتلي ان شاء الله بعمى العيونا
اول ما نبدي نصلي على طه يا الي الخلايق بيك بتبهاى
والي ما يصلي عليك يا طه بيتلي ان شاء الله بطمس العيونا

وبعد الصلاة على النبي تبدأ اغاني الدلع والتشبيب من خلال أغاني الدلعونا

على دلعونا والدلعونتين وصاروا يطلبوا في البنت ميتين
صار العزاي يلطم على الخادين وصار المتزوج يلعب دلعونا
على دلعونا وعلى دلعونا الأشقر رماني بغمز العيونا

مرت ما مرت مرت ما مرت ومرود الكحل بالعين جرت
خبطت على اليابس والأرض اخضرت ومطرخ خبطتها طلع حنونا
وفي كل مرة تنتهي فيه وصلة من اغاني الدلعونا أو غيرها تحمي
الدبكة ويشد الراقصون في حركاتهم وينشط الديكة بنشاط اللويح،
وبناء على تعليماته وأوامره وإيماءاته، بصوته أو بتحريك يديه
وذراعيه مواجهة أو وراء ظهره أو فوق رأسه، وجسمه يثنيه
ويطويه، والأرض يضربها بقدم أو بقدمين في حركات ايقاعية
متناسقة مع حركات زملائه، يخرج اللويح من الدائرة ويعود إليها
متى شاء يقفز عاليا وقد يقفز اربع قفزات أو خمس منها وبخاصة في
دبكة الطيارة..... وتزداد حماسة اللويح وتتنوع حركاته، وتزيد
ارشاداته وأوامره عندما يصبح حط انظار المتفرجات من النساء
ويستمتعن بالدبكة... من فوق السطوح أو على أطراف الجرن أو
البيدر يغنين ويزغردن تحية لمهارته... وتظهر سيطرة اللويح على فتيان
الحلقة بأوامره التالية:

هيه... أيوه... أربط... ريح، فتبدأ التريiche بحركات خفيفة، يرتاح
الفتيان الديكة فيها من الجهد الذي بذلوه، ثم يعود اللويح فيعطي
أمرا جديدا، "اطلع" فتبدأ دورة الدبكة الجديدة على انغام الشبابة أو
نغمات الناي، ووصلة اخرى من الاغاني: الدلعونا وظريف الطول،
وغیرها.

قلتهاشواسمك قالت مش كايل بتلوع في وبتظل تسایل
ما حید عنك يا ام الجدایل لو انه اهلك خمسة مليونا

طلعت عَ الدرج والدرج عالي حلفت ما بوخذ غيوك يا غالي
والله ما افوتك يا اعز احبابي يا بو السوالف تقطر دھونا

على دلعوننا على الكرم وارد حني علينا بحياة الوالد
وان كان دلالك يا حلوه زايد في الجمعة مرة تبقوا تجونا
ويلون المغني أغانيه وينتقل من أغاني الدلع الى أغاني يتشبه فيها
بظريف الطول فتتغير بذلك حركات الدبكة، الى حركات خفيفة رتيبة

تشوبها الراحة والحفة:

يا ظريف الطول والحمص بلته يا ريت المتزوج يعدم مرته
يا ظريف الطول يا سن الضحوك اجتنا اخبار الو يومن خطبوك
يا ظريف الطول يا ظريف الطول لزوح للحاكم وقدم شكوتي
يا ظريف الطول يا زريف مبن يحب الله يعطيني رغيف
وللنسوة دبكة خاصة وأغاني خاصة داخل جدران بيت العروس في
ليلة الحناء أو في منزل العريس، يدور فيها الغناء في صورة حوار
تفاخر به السراوات من حسناوات القرية ييضاواتهن أو العكس:

قالت البيضا اسم الله علينا يا ورد مفتح جوا الجنينا
يا اللي سافرتوا عودوا ألينا لا تطيلو الجفا تزيد الهموما

قالت السمرا واحنا الهرايس واحنا المحارم بيد العرايس
روحي يا بيضا يا لين مايص والي بهواكي يصبح مجنونا
وتحب النسوة اغاني الميج والميجنا:

ميج يابو الميج يابو الميجنا يا قمر سلم على احبابنا

يا ظريف الطول عينك عين الباز ما حلالي غير دقك ع اليزاز
لو جرعوني الصبر بعد الصبر كاس لا غني عنك محبوبي لا غني

يا ظريف الطول وقف ثقلك راح الغربة وبلادك احسن لك
خايف محبوبي تروح تتملك وتعاشر الغير وتنساني انا

وكما للرجال وللنساء اغانيهم الخاصة ودبكاتهم، فقد كان للأولاد
أيضا أغانيهم الخاصة اسميها أغاني الظل، حيث تبقى خاصة بهم

لأمور تتعلق بتقاليد وعادات الكبار وطرق تربيتهم لأولادهم. يغني
الأولاد للبنت البيضاء حيث كان الجمال يقاس في تلك الأيام ببياض
البشرة:

يا طير طائر يا طير طائر السمر والبياض صارن ظراير
قولوا للسمر تقص الجدايل قولوا للبياض تكحل العيون

وآخرون من الأولاد يفضحون سلوك الفتاة البيضاء والتي تاخذها
الحفة والطيش فتخرج عن وقار الفتاة وحيائها عند تغزل الهامل
بها:-

طارت طيارة وبين طرفها
يلعن البيضاء ويلعن شرفها
تشتي الهامل تنو يحرفها
ضربها بمبة طلعت دلعونا

ومن اغاني الظل التي يغنيها الأولاد في حناء العروس فيما بينهم وفي
جوهم الخاص بهم:

الله اكبر ليلة حناها
ونجوم السما تسمع نغناها
الله اكبر ليلة دخلتها
ونجوم السما تسمع غنيتها

وعند عودة الأولاد من الكروم وفي الخلاء اللامحدود يصرخون
فيغنون حيث لا يسمعهم أحد

تغسل وتغسل تغسل وتغسل
وتحت (....) يا مشوب قيل
عزمت علي وقالت لي ميل
تفضل لعندي يا اسمر اللون

ومن الاغاني الرائعة ذات البعد السياسي والبطولي التي كنت أرددها
وأغنيها مع اترابي من الأطفال، أو أترنم بها وحيدا اثناء سيري في
الطريق أو اثناء عزلي في الدار أو الحوش:

واحد اثنين بالتركي
يا مقصوفه محسكي

ملا رنة خلخالك
محمد باشا قدامك
نط الديك على البستان
الله ينصر الاسلام

رغم موقعي المتحفظ من كون الخلافة التركية العثمانية شبيهة
بالخلافة الراشدة في صدر الاسلام، إلا ان اغاني الاطفال، مثل هذه
الأغنية كانت تكشف وجدانيات واتجاهات الكبار في مجتمعهم، فيعلن
الجميع حماسهم، الكبار والصغار - لكل ما يرتبط بالاسلام، فيغنون
له، يغنون للسلطان محمد الفاتح الذي فتح مدينة هرقل الروم عام
١٤٥١م مدينة القسطنطينية، فتحها، بعد ان عجز عن فتحها ٢٨ جيشا
اسلاميا قبله، فتحها محمد باشا السلطان وعمره ٢٥ سنة، تحت تعليم
الكبار وتوجيههم تعلم الصغار أن يغنوا للاسلام وللخلافة الإسلامية
ولكل ما هو رمز لها.

منذ ان كنت يافعا وانا اعشق الأغاني الشعبية التي ترتبط بالارض
وخيراتها وبانناس وطموحاتهم ولا زلت اذكر بعضا واترنم به كثيرا:

لاطلع عاراس الجبل واشرف على الوادي
واقول يا مرحبا نسيم هوى بلادي

يا رايمين عا حلب حبي معاكم راح
يا محملين العنب فوق العنب تفاح
كل من حبيبه معه وانا واليفي راح
يا رب نمرة هوا ترد الولف ليا

ومن افضل أغاني الأطفال التي تربط الطفل بارضه وحيواناته
وطيورته، منذ نعومة اظفاره. بل وتعلمه فيما بعد عندما يتذكر
طفولته كيف كان يرضع البان جدل الكون في اشيائه وشخصه.
منذ طراوة عوده، وهذه الاغنية لا زلت احبها وأرددها على مسامع
أحفادي في هذه الأيام، فيدركون مع الأيام ان العودة للوطن لا
تأتى الا فوق جسور الآلام والمشاق، وأن النصر ثمنه الجهد والمثابرة
والحركة التي لا تنتهي.

حمامة طيري طيري سلمى عادار ستي
عجوز نايه ابيتها (١) والبسة شربت حليباتها

ضربت البسة بالنبوت
وقطعتلها ذنبها
صاحت البسة وقالت
مؤ مؤ اعطيني ذنبي
واروح على بلدي
قالتلها ستي
ما بعطيك ذنبك
جيبي لي حليباتي
والحليب عند الغنمة
والغنمة بدها حشيش
والحشيش بالأرض
والأرض بدها مئة
والمئة في العين
والعين بدها مزراب
والمزراب بده ورقة
والورقة من الشجرة
والشجرة بدها شيد
والشيد في المشيدة
والمشيدة اعطتها شيد
والشيد للعين
والعين اعطتها مي
والمئة للأرض
والأرض اعطتها حشيش
والحشيش للغنمة

والغنمة اعطتها حليب
والحليب للعجوز
والعجوز اعطتها ذنبها
وروح البسة عادار

وكنا نفرح بعودة الذنب لصاحبه وعودة البسة لبلدها... فرحة الانتصار الأخير...

ومن اغاني الاطفال الخفيفة، تغنيها الأم وتقولها وهي في أحسن حالاتها النفسية عند مداعبة طفلها وأثناء استحمامه أو لتشجعه على النوم... اغنية سمعتها مراراً كثيرة من والدي رحمهما الله وهي تقولها لوليدها الطفل فرج الله، زغنونية، وهي اسم أغنية الطفل الخفيفة، زغنونية تبدو فيها القيم التقليدية التي تمجد الذكورة، تلك القيم التي تعطي الفرصة للتفاوت والتفوق للذكر على الأنثى.. ولعمري انه حتى الآن - على الرغم من دخول التعليم عالم الأنثى وانتشاره، ما زالت القيم التقليدية التي تمجد الذكورة، والأعلام بأجهزته المختلفة، ومؤسسات العمل المختلفة، كلها تعزز القيم التفضيلية للذكورة على الانوثة:

يا جارة خبي بنتش (ابنتك)
كبر فرج واعلمتش
لا تقولي ما اعلمتش
(و....) زباريها
ورب العرش يباريها
والدار الي تاويها
يطرح البركة فيها
(...) (...) قنفذ
تحزق الحيط وتنفض
لا تقولي ما اعلمتش
عين بنتك لماعة
(...) ابني طماعة

(١) في بيتها.

(و...) (...) فرج
ومتعلقة براس الدرج
وهذا ربي اللي فرج
(و...) (...) عطا
نايمة تحت الغطا
وهذا ربي اللي عطا
(و...) (...) من طولها
تعلكت بالدالية
فشفشنها يا بنات
فشفشكن داهية

وام البنت نتيجة لمثل هذه القيم التفضيلية للذكورة، كانت تحس في داخلها بالدونية التي تعيشها مع طفلتها الأنثى، فتتفث أحاسيسها الإحتجاجية تجاه تلك القيم التقليدية في زغنونيات خاصة بها:

أم البنات تسمي وتبنات (بنات نام في الماء)
بناتها وهي السعيدات (السيدات)
والبنات لامهن لقايا (وقاية وعطية)
يا ذهب على الوقايا (حبات الناقية التي تسمى الرقائق - رقبها)
والولد يطلع حرامي
ودايما لاهله شكاي

وقبل ان تنسدل الجفون لتنام العيون، تضطرم أحاسيس الأم القروية التي كل خلفتها بنات، أحاسيس تعكس تناقض المجتمع وعدم ثباته في اتجاهاته، عندما يجد الأنثى وهي أم، وعندما يجعلها مصدر نخوته وشهامته وهي أخت أو يبيكها ويقلق عليها وهي ابنة أو زوجة...

يا عين لا تبكي على اللي فات
ابكي على اللي خلف بنات

ووالدتي رحمها الله - مثل كل الأمهات لا تنفك تغني لولدها فرج
الله زغنونية خفيفة تساعده على النوم:

نام يّا نام
لاذبحلك طير الحمام
ننّي (١) ننّي ونام
لاذبحلك طير الحمام
يا حمام ما تصدق
بظحك عفرج تينام
روحي يا جاجة (دجاجة)
وتعلي يا جاجة
وخلي لي ابني
يقضلي الحاجة (يقضيها لي)
روحي يا صوصة
وتعلي يا صوصة
وخلي لي ابني
يعطيني الخوصة

ثم يخف صوتها ويتغير لحنها رخاوة وهداوة مع حركة عيونه
النعمانة الذابلة:

يا حمامة الوادي
هاتي النوم للولادي
هللي له يا حمامة البستان
هاتي النوم للنعمان
وهذا حبيي فرج الله
وربي ينعم عليه

(١) ان هذا الاصطلاح "أوه ننّي" يستعمل كثيرا عند تنويم الطفل، وتقول السيدة يسرى جوهريّة عرنيطة في كتابها "الفنون الشعبية في فلسطين" ان الاصطلاح ليس عربيا بل هي كلمة ايطالية ورومانية لها نفس المدلول الذي نستعمله في تهليلنا للطفل.

ثم يزل صوتها الى أدنى طبقاته الخنونة مع استقرار جفني وليدها
واستسلامهما للنوم:

يا حبيبي يا حبيب
ريتك عني ما تغيب
يا عين فرج نامت
وعين ربك ما نامت
ما فيش شدة
على مخلوق دامت

وعند استيقاظ طفلها ترغن له داعية له بالخير والزواج من امرأتين
تساعدانها في اعمال البيت:

صبتك بالخير يا غزال غزلاني
صباح الخير كله لفرج حبيبي كله
صباح الخير يا باسم والخير كله لك دايم

يا حبيب امه وابوه
ريتهم ما يعدموه
يا حبيب الحبتين
يا حبيب الحبتين
ريت لأمك كنتين
وحده تعجن وتخبز
ووحده تلي الجرتين
وتظل تغني له وتباهي به وتتيه خيلاء بانجابه على النسوة الأخريات.

كل الجبالى
طلعن كسالى
ما عدايا يما
النسوان راحو المطينة
بغبلن وكغبلن
وامك راحت على الحوور
وجابت غزال مصور

السحجة:

وبعد انتهاء دبكة الشباب يبدأ الكهول والشيوخ رقصة السحجة
في صف طويل أو في صفين، يؤديها كبار رجال القرية سنًا ومكانة،
يؤديها في اخر الحفل الشعبي
ويغنون فيها مع الرقص السريع أو البطيء ونقرات الأكف الهادئة،
أغناطاً مختلفة من الألحان الغنائية، أغاني متوارثة يحفظونها، يقودهم
الحادي، المتواجد داخل الصف أو أمامه. تؤدي الأغاني في رقصة
السحجة أو السامر جماعية وبالتناوب بين فريقين الصف وبطريقة
يشوبها التحدي من خلال معاني الهجاء والتفاخر، وكثيراً ما كان
السادة محمد صباح واحمد عويدات يقودان السحجة، فاذا ما نزل
احدهما وأخذ مكان الحادي ازداد حماس السحيجة ودبت حركة
جديدة من النشاط الملحوظ فيما بينهم.

أول ما نبدى ونقول صلوا عالنبى الرسول
اول ما نبدى البادي صلوا عالنبى الهادي

خذوا كلام زين واعطونا كلام زيه
خلو كلامكو عسل والشهد فوقيه

مسيك بالخير يا ابو مسبحه فظية
يا حلو بعد المحبة ليش هالبغظية
مسيك بالخير يا ابو مسبحه كارب
بعد الرفق والمحبة ليش بتحارب

يا بنت شيخ العرب يام العباية السوداء
وابوكي شيخ العرب حاكم على العوجة
يابنت شيخ العرب يام العباية مليحة
وابوكي شيخ العرب حاكم على ريحا

ويلون السحيجة أغناط اغانيهم...

من شباك لشباك طلي يا خليلية
من شباك لشباك طلي وارجفي لييه
يا حمام يا حمام وين حمدة تنام
تحت لحاف مقضب فوق ريش النعام

وتتلون اغاني السحجة في بلدتنا قالونيا باللون البدوي اللطيف
وبأنغام الصحراء المنطلقة الصافية عندما كانت تندمج في السحجة
مجموعة من رجال عائلة الفقيسات والأصفر ومعهم الوالد، وغيرهما
ممن عاشوا طويلا في شرق الأردن رحمهم الله، فيسحجون ويغنون
أغانيهم التي كنت أجد صعوبة في التقاط الفاظها وفهم مدلولها
ومحاولة ترديد لحنها الظريف، وأذكر منها:

يا هلا بك يا هلا يا حنفي يا ولد
اجيت أطر بلساني أجاني الموت وغشاني

وكانت سحجتهم عادة تنتهي بالدحية:

دح يوبا دح يوبا
دح يوبا دح يوبا (هيه هيه)

الختان:

ويأتي الطهور أو الختان في المرتبة الثالثة أهمية وبهجة وفرحة عند
أهل بلدي. بعد فرحة الولادة وليالي فرح الزواج، وقد تمتد فيه
الاحتفالات أسبوعا كاملا، كما يفرحون في ليالي الاعداد للزفاف.
وقد كان لعملية الختان التي أجريت لي عام ١٩٤٠ وأنا ابن سبع
سنوات، وقع خاص، صاحبته أحداث مشهودة ليس محلها في هذا
الكتاب. ظل الاهل يغنون مدة سبعة أيام بلياليها، في الليلة الأولى
وقفت الوالدة تدعو النسوة بصوتها الجهوري يسمعه سكان قريتي،
يساعدها في وصول دعوتها الى جميع أهل القرية، سكون الليل
وصدى يردده الوادي القابع عند اقدام قريتي قالونيا... تدعوهم
بالأغاني والزغاريد:

آه هي واسم الله وحده
آه هي والثانية ثنتين
آه هي والثالثة تصلي على النبي
آه هي والرابعة تخزي العين (زغاريد....)

آه هي يا ناس صلوا على النبي
آه هي وكل واحد يقول للثاني
آه هي الله يمسككم بالخير
آه هي ويا كل واحد باسمه (زغاريد...)

فيفهم كمعادتهم أهل بلدي الكرام معني الصوت ويعرفون مصدره،
وما هي الا فترات بسيطة وتبدأ النسوة بالحضور، فتستقبلهم أمي -
يرحمها الله - مُرحبة بهم بصوتها الذي لا زال يشكل عكازة
لذاكرتي وذكريات...

آه هي يا مرحبا يا عزازي (يا أعزاني)
آه هي يا ميتين حمرة تزاوي (تصهل الفرس عند فرحها بطعامها)
آه هي والي ما تفرح بطلتكو
آه هي وتنكسر كسر الكزاوي (كر الزجاج)

وفي كل ليلة في الأمسيات التالية كان يبدأ الابتهاال والغناء والرقص
والسمر بعد غياب الشمس، يحضر الرجال، وتجتمع النسوة في الدار
التحتا، ويسمر الرجال ويتعللون في الدار الفوقا.
تغني النسوة وترقص على صوت الدبكة، الألة الموسيقية الوحيدة
التي تتقن فلاحتنا العزف عليها، وتتجاوب النسوة والبنات والصبايا
لايقاع الدبكة تجاوبا عجيبا، ويظهر ذلك التواصل في اغاني خاصة
ذات نغم خاص تحمل فقرات مضحكة فيها الكوميديا الساخرة تسخر
فيها المغنية من الطريقة التي يفكر بها حبيبها او زوجها، أو تُعرض

فيها بحماتها... او تكشف عن طرق مأكرة تتواصل فيها مع ولفها...

هزي هزي محرمتك	ويا لله كلمي معلمتك
يا ريتي إله إمدله	في وسط داره بغني
عشرة حبيبي عسل	بس عقله ترا لالي
لا طلع فوق عا الدرج	واسقي لي ورداتي
بالله يا ناس لا تلوموني	كله من جور حماتي
لاطلع عاراس الجبل	واقول للجاجة تيعه
والله ما هو للجاجة	ولكن لولني تسميعه

والأغنية التالية تعتمد على التقليد في رقصتها الخاصة، والمغنية تشبه أم العروس أو أم العريس بالدجاجة أو السلحفاة فتمشي أثناء غنائها شبه الجاجة وبطاء القرقعة وتشاقلها:

يا أم العريس	يا اجرين القرقعة
يا أم العريس	طول عمرك مقرقة
يا أم العريس	يا اجرين الجاجة
يا أم العريس	طول عمرك غجاجة

وأذكر أغنية كان يقوم بتمثيل أدوارها الشقيقتان امد الله ونعمة، تقوم الأخت امد الله بدور الأم الحائرة القلقة، على مستقبل ابنتها العانس التي داهمتها الكهولة دون أن تتزوج وتقوم الأخت نعمة بدور الفتاة العانس الكهلة: تمسك الأم بعصاة بيد وتحمل باليد الأخرى سلة تحمل فيها متاعا هيناً، ومن ورائها تسير الأبنة البائسة تمسك بشدائد أمها حول خصرها، الأم الحزينة تندب حظ ابنتها من خلال كلمات الأغنية التي تدل على الفساد والضياح:

يا حائرة يا بايرة	بين العجايز	دايرة
يا حائرة يا بايرة	بين المزابيل	دايرة
وانا با عدل شتلي	وانتي ورايا	دايرة
يا حائرة يا بايرة	بين العجايز	دايرة

وهناك كثير من الأغاني التي تجري فيها عمليات التقليد والتهكم وسط ابتهاج المحتفلات وسرورهن مثل اغنية "سمحا سمحا" وهو اسم ليهودية، وفيها تقوم سيدة بالتوكؤ علي عصا، بحنية ظهرها، وتشاقل على قدميها حيث تدب على الارض دبا أثناء الأغنية:

سمحا يا سمحا	اهـ اهـ
يا طول القمحة	اهـ اهـ
سمحا يا صغيرة	اهـ اهـ
يا طول شعيرة	اهـ اهـ

وللرجال ايضا رقصاتهم الجادة والسريعة والتي تعتمد على نغمة... "العبدة دربكة" في اغاني كوميدية ساخرة، أغاني لها تاريخ... برغم ركافة الفاظها وأخطاؤها معناها:

جمعني جمع	يا امه يا عيوني
ببعني ببع	يا امه يا عيوني
يا سعيده (١)	دندلي البوزة
يا سعيده	(...) عوجة
يا سعيده	بوبـزي (...)

وتؤدي أمثال هذه الرقصات بحركات سريعة نطاطة متتابعة والراقص يرقص مفرّماً، وتعتمد هذه الرقصات الفنية على رشاقة الشباب ولياقتهم البدنية المتكاملة، وكان يقوم بها احد ثلاثة: كان يتمتع كل واحد منهم بحفة ظل يعرفها جميع أهل قريتي، وفكاهة روح، عالية، مشهودة عندنا، ويقبول حسن المستوى عند السامرين وهم: السادة محمد جمعة رضمان، ومحمود شحادة بكر درباس، ومحمد عايش حمدان...

(١) يا سعيده، وكان العبيد يسمون بأسماء السعد والبشر، واليمن والبركة مثل: سعيد، وسعيدة، ميروك ومبروكه يتفائل أسيادهم باسمائهم.

والغريب أن أمثال تلك الأغاني وتلك الرقصات السريعة تمثل عصرا تاريخيا قرأنا عنه في الكتب التاريخية والاجتماعية كثيرا، تلك الأغاني وتلك الرقصات انحدرت الى المجتمع العربي في عهد مجتمع الزنج السود. عندما قامت وفشلت ثورتها، ثورة الزنج في مدينة البصرة بين عامي ٨٣٤ / ٨٤٩م، وهي ثورة للعبيد مشهورة، بقيادة عبد قيس، تلك الثورة التي عاثت في الارض فساداً مدة خمس عشرة سنة في جنوب العراق، جُلِدَ فيها سادة العبيد كل منهم ٥٠٠ جلدة مع دفع ٥ دنائير عن كل عبد عنده، وذَبَحَ العبيدُ خلقاً كثيراً في البصرة وفي غيرها، قضى عليهم وعلى ثورتهم أحدُ عبِيد أحمد بن طولون واسمه لولو أيام الموفق والمعتضد عام ٨٥٨م، وطيلة فترة فسادهم ظهر فحشهم في كل أغانيهم ورقصاتهم.

ظلت أُسرَتي مبتهجة بليالي الفرح أسبوعاً كاملاً، غنت نسوة قريتي الفاضلات ورجالها، الأغاني التي ذكرت، وما غاب عن ذاكرتي وذاكرة كل من سألت من المسنات من نساء بلدي القريبات والبعيدات... أكثر بكثير.

كان الوالد رحمه الله على موعد مع الفرح وخاصة بعد أن أكرمه الله بالولد الأول "رجا" واسمها هذا الاسم ليظل له الرجاء والأمل في دنياه... وقد جاء قبله أربعة صبيان غادروا الدنيا مبكرين. وفي ختان رجا ١٩٣٣ جرت زفته على ظهر حصان في موكب شبيه بموكب زفة الغريس وكان عمره أربع سنوات، وقد حدثني الوالد - رحمه الله رحمة واسعة - كيف ان العم محمد عثمان حسن سمور، والعم سلامة حسين سلامة كانا يسندان هما يسيران بجانيه بمحاذات الحصان يحميانه من السقوط عن ظهر الحصان، وقد داهمه النعاس وهو في الزفة في ثياب مميزة بألوانها وطربوشه المزين بالخيرات الذهبية وريش النعام...

لم تجر لي زفة على غرار زفة أخي التي ذكرتها، كان الوالد قد رتب أموره بحيث تجري عملية الختان لتشمل ختن أربعة آخرين وهم الأخ فرج الله وكان عمره حينذاك خمسين يوماً، وابن الشقيقة

الكبرى حسن محمد خليل مشعل وعمره عام واحد وابن جارنا حسن محمد طليب وكان عمره ثماني سنوات. وهذه عادة الرجال الطيبين في قريتي حيث كانت تجري عمليات الختان لمجموعة من الفتيان والأطفال دفعة واحدة في كل مرة لمضاعفة الافراح، والابتهاجات ففي زفاف سليمان عثمان سمور وفاطمة محمد خليل رمضان، جرت عملية ختان شاملة على حساب العريس لمجموعة كبيرة من الأولاد اذكر منهم: محمد امين سلامة وابراهيم علي محمد سلامة، وعثمان محمد عثمان، وشعبان سلامة حسين، وعلي اسماعيل خليل، واحمد محمد مطر الخطيب.... ينتهز اهل قريتي فرصة زواج احد الأبناء، فتقوم عملية ختان شاملة لأكثر عدد من أبناء العائلة.... وغيرهم

وتحضرني هنا ذكرى تدل على كرم ونبل كان يوصف بهما أحد الرجال الأفاضل في قريتنا قالونياً قبل الشتات: وهو الشيخ اسماعيل سالم أحمد محمد معالي / الغليظ، الشهير "بأبي محمد" فقد بلغ كرمه ذات مرة أن دعا أهالي البلدة لإحضار أطفالهم لختانهم جملة واحدة، وبلغ عدد اطفال القرية الذي جرى ختنهم في ذلك اليوم المبارك وعلى نفقة ذلك الشيخ الفاضل (٢٥) طفلاً، وقد دفع عن كل منهم ليرة فلسطينية في الوقت الذي لم يكن يزيد راتب الموظف في البريد من رجال قريتي عن ثلاث ليرات فلسطينية شهرياً... لم يكن في بلدتنا قالونيا أحد إلا أحب شيخنا الفاضل واحترمه، واكاد اجزم انه لم يكن هناك في البلدة / من حظي بحب واحترام جميع اهلها مثل الشيخ اسماعيل سالم رحمه الله وطيب ثراه... (١)

(١) كان الابن الوحيد لوالده الشيخ سالم. ولد في قالونيا سنة ١٨٨٠م. تعلم القراءة والكتابة في كُتّاب القرية، عمل في الزراعة في املك والده وبعد سنة ١٩١٧م عمل متعهداً للطرق في منطقة القدس حيث كان يعمل معه حوالي ٥٠٠ عامل من قرى القدس منذ نشأته، اشتهر بالتقوى والورع مثل والده الشيخ سالم، وقد انفق ثروته في شراء الأراضي التي كان بعضها عرضة للتسرب الى جهات اجنبية، بالاضافة الى اغاثة اليتامى والأرامل والمعوزين ومصاحبه لرجال العلم والتقوى من اولياء الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.

وكانت تجري أحيانا عمليات الحتان في الأماكن المقدسة تنفيذا لنذر أم الطفل أو لوالد المختون وتبريكا للطفل وطهوره... في مدينة الخليل عند مقام ابراهيم الخليل أو تحت شباييك النبي موسى أثناء الإحتفال بموسمه في نيسان من كل عام....

كان الوالد رحمه الله قد اتفق مع المطهر محمد ابو غزالة، كانت عمليات الحتان تجري من قبل الحلاقين وأشهرهم في ذلك الحين الحاج حافظ ابو غزالة من القدس، ومن بعده ولده محمد ابو غزالة، كما ا تذكر حلاقين اخرين كانوا يقومون بعمليات الحتان في قريتي أحدهم من عائلة الهكاري في القدس وآخر من عائلة المغربي.

جاء محمد ابو غزالة رحمه الله، تميزه طاقيته الحمراء وحولها لفة من القماش الأبيض ملفوفة بشكل منتظم وفي وسطه حزام الصوف الحريري العريض فوق قمباز مقلم بخطوط صغيرة، زرقاء على خلفية بيضاء، وفوق كل ذلك كبوت طويل رمادي اللون.

كان الوالد قد قام باعداد وترتيب كل شيء، واشترى عددا من أثواب التوبيت الأسود هدايا لسيدات العائلة، ولبعض الجارات والصدقات، للوالدة وللشقيقات، واشترى الوالد لهذه المناسبة - كعادة اهل بلدي حينذاك - تيساً من احد التعمرة، كانت تظهر عليه مهابة التيوس واختيالها. تيساً لا يقل في وزنه عن خمس وعشرين رطلاً (١) من اللحم الصافي اشتراه، بمبلغ ٦٠ قرشا فلسطينيا. كما قام الوالد بقطع الخشب من شجرة الخروب في ارضنا في منطقة الحريقة شرق قالونيا، كوقود لوليمة ذلك اليوم. وكان من ضمن ما جرى اعداده وشراؤه أربعة رؤوس من السكر الأبيض وكيلو جرام قهوة الى جانب اللبن الجميد وزيت السمسم، وكان اغلى من زيت الزيتون انذاك. وقد حدثني والدي رحمه الله أن تكاليف الحتان كانت على الشكل التالي:

ثن الاثواب التوبيت ٦ X 10 قروش لكل ثوب ٦٠ قرشا
ثن التيس ٦٠ قرشا
رز ٤ ارباط 3 قروش لكل رطل ١٢ قرشا
زيت سمسم كيلو جرام 4 قروش ٤٠ قرشا
اجرة محمد ابو غزالة عن كل ولد ١٥ قرشا 4 X ٦٠ قرشا
اللبن الجميد والقهوة.... ؟

فيكون المجموع ١٣٦ قرشاً عدا ثن اللبن الجميد والقهوة..... !
وبحضور المطهر انطلقت أصوات الزغاريد وجري ذبح التيس لغديرة (١) ذلك اليوم، وصار الجو مشحونا بخوف الأطفال وتوتر الأمهات، وما هي الا لحظات وتأخذ الأمهات بالاستعداد لاعطاء الأولاد الى من يحملهم الى ساحة "قطع الغلفة" والاجهاز عليها بالموس حتى يصبح الصبي اكثر صلاحية للعروس، وتردد جملة التبريك لوالدي المختونين: "مبروك"، ان شاء الله بعد الموس عروس".

وفي الدار العلية، شكل الرجال دائرة مغلقة، في وسطها محمد ابو غزالة وهو يحملني على ذراعيه وقد انكشف المستور تمهيداً للعملية، وما هي الا لحظات كنت فيها على الأرض مستلقيا على ظهري لا املك حراكا أو فكاكا. شوف، شوف، شوف، العصفور فوق العصفور فوق وكانت صرختي المدوية الحادة، أعقبته وبسرعة خاطفة عملية وضع الرشوش والرباط...، خرجت من الدائرة ودموعي الساخنة تلسع وجنتي وسائر اجزاء وجهي حتى الرقبة. ويأتي دور الشقيق الغض ابن الخمسين يوما ومن بعده حمل أحمد محمد طليب مخلوف رحمه الله شقيقه حسن ودخل الدائرة واختفى تحت رؤوس رجالها يحفظنه بعيدا عن عين الحسد ان تتسلل أثناء العملية فتصيبه. ومن بعده جرى الحال على نفس المنوال مع حسن محمد خليل خضر مشعل ذي العام من عمره، وفي كل مرة كان الجميع يصيح للطفل ان ينظر الى العصفور تارة أو الى الحمامة تارة أخرى فوق رأسه، فلا

يرفع الطفل نظره الى اعلى ابدأ ولا يستجيب لهم، ويظل يركز عينيه
ويسلطهما كيفما استطاع، يرفع رأسه من الأرض في اتجاه حمامته
وهي تحت رحمة "الموسى" او الموس الذي كثر الحديث عنه والغناء
له في ليالي الأفراح واثناء الاحتفال... فأمه والنسوة معها غنت وقلن
في موس الحتان وفي دموع المختون الشيء الكثير...

طهره يا مطهر	يخلى امك وابوك (١)
مظي له مواسك	وخفف ايديك
وان اوجعت الغالي	لُدعي عليك
طهره يا مطهر	وناوله لأمه
يا دموعه الغالية	نزلت عاكُمه
زينه يا مزين	تحت في التين
دمعته الغالية	نزلت على المنديل
طهره يا مطهر	تحت في التوت
ودمعته الغالية	نزلت على الكبوت
طهره يا مطهر	وناوله لسيده
ودموع الغالي	بللت ايده
طهره يا مطهر	وناوله لآبوه
ودموع الغاليه	لولو نظموه (٢)

فولكلور الاستسقاء:

كنا اذا عز المطر وقل، وجفت الاشجار واصابها اليبس، وصارت
اعواداً بلا ورق ومات الزرع أو شح، وهلكت البهائم، وجاع
العيال، والناس، وانعدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة
باحتماس المطر، إذ احدث هذا تخرج النسوة بصحبة الأطفال في
تجمعات تضم غالبية نساء البلدة واطفالها، يخرجون فيجتمعون في
الحلاء ويجوبون حارات القرية، وطرقاتها يدعون الله ويتوسلون
اليه ان يطرهم بفضله وان يعينهم برحمته، يخرج الجميع وهم
يرددون توسلاتهم في نغم دعائي:

(١) دعاء باطالة العمر. (٢) صفوه مثل اللؤلؤ.

يا الله المطر يا ربي يسقي زرعنا الغربي
يا الله المطر يا دايم يسقي زرعنا الناييم
يا ربي المطر يا رب خلي العجايز تنظب

وهم في غمرة حاجتهم للمطر لا ينسون حاجة خيول الفرسان،
فرسان الدولة...

يا ربي مطر هوله (١) تنسقي خيل الدولة

ويستمر الاطفال في ترانيمهم في جوقة موسيقية عفوية جميلة بريئة...

من قلة مطر ربي فشي (٢) خبز في عبي
يا ربنا يا ربنا واحنا زغار شو ذنبنا
طلبنا ناكل من امنا ضربتنا على ثمننا

شوربنه شوربنه (٣)

يا ربنا ما هي بطر تعجل علينا بالمطر
شو بدنا يا ولاد بدنا مطر بدنا سيل

يا رب تشي واروح عند ستي
تخزلي فطيرة كبيرة كبيرة
اكلها وانام وصبح شعبان

واذا ما اقتربت مسيرة النسوة والأطفال من بيت شيخ القرية أو
مختارها، أخذت المسيرة، تذكر صاحب البيت بذلك الماء وصبه فوق
رؤوس المشاركين في مسيرة الاستسقاء، تيركا وتيمنا بانزال المطر...

واسقونا يا دار الشيخ

صبوا الميه علينا زيح

وتتوسل المسيرة بالشيخ حمد:

يا سيدي يا شيخ حمد

جيننا ندخل فيك

(١) كثير جدا (٢) لا يوجد (٣) دعاء لشرب يا ربنا

يا سيدي يا شيخ حمد
رشق المطر يُعبّرُ فيك

وعند كل بيت تمر المسيرة بجواره، تقف فتنادي اصحابه ليرشقوهم
بالماء، فتخرج الأمهات فوق سطوح البيوت، فيدلقن الماء فوق
المسيرة وسط ابتهاج المستيقين:

بلونا يا دار إخليل
والمطر عليكو يسيّل
بلونا يا دار عياش
والمطر عليكو آرشاش
بلونا يا دار عطية
والرزق من الله عطية
بلونا يا دار صباح
والمطر عليكو طاح ... الخ

يا رب المطر يا رب خلي العجايز تنظب

يا رب المطر يا رب
يا رب تشي تشي
وتجبرلي خاطر ستي
واشرب وملي كرشي
وترخص الها القمحة
وترخص الها القمحة
وتطحن بالجاروشة
وتطحن بالجاروشة

وتلجأ النسوة الى الرموز فتحمل بعض الادوات... وكان هناك
جاروشة صغيرة تستطيع المرأة حملها والطواف بها وتديرها فوق
بعض حبات من القمح أثناء غناء ادعية الاستسقاء. وأتذكر حديث
النسوة المسنات عن جاروشة صغيرة كانت تخص المرحوم احمد حامد
الخطيب.

هذا دور النسوة والأطفال في دعاء الاستسقاء، أما دور الكبار من
الرجال فقد كانوا يتجمعون في مسجد الشيخ حمد فيصلون صلاة
الاستسقاء ركعتين ومن ثم يلجأون الى قلب معاطفهم او أرديتهم
مستقبلين القبلة داعين الله أن يقلب الحال الى حال أحسن فينبت
لهم الزرع ويذر لهم الضرع فيرتفع عنهم التعب والجوع والعري،
يدعون ربهم رافعين ظهور الأكف الى السماء لانقاذ البلاد من
البلاء.

سهرات الشتاء

وفي ليالي الشتاء الباردة وقد خلت الدار من اصحابها، فلا زوار
ولا مؤنسين وحول كانون النار كانت الوالدة رحمها الله تثير في
نفوسنا شجون الوحدة والخوف من المستقبل وهي تشدو بصوتها
الحزين، حزنٌ تراكم عندها بفعل الاحداث والأيام منذ أن فارقت
مسقط رأسها في ساكب وهي زوجة صغيرة، فتموت والدتها كمدا
وحزنا على فراقها بعد ايام فتشدو من العتابا ابياتا بصوت متهدج
باك، تذكر أيام والدتها ولياليها الجميلة التي كانت لا تزال تعن على
بالها:

جمال حملته واجراس بترن	والايام (١) المضت (٢) على البال بتعن
حملت بضاعتي ودرت	غريب وما حدا مني اشترى
رحت الدار لاسلي همومي	لقيت الدار مليانه همومي
قلت وين الي يسلكو همومي	قالت غيباب وما منهم حدا
صيرنا مثل صير ايوب عالبال	والايام اللي مضت بتعن على البال

(١) الأيام

(٢) مضت

انا لابلكي على حالي وانا حي ونفسي عافت الدنيا وانا حي
صديق ما يساعدي ونا حي ما ريده عند هيلات التراب (١)
يا عين ما تغط النوم ساعة وجلبي ما سلا الحلان ساعة
احباي لو سجونني سم ساعة على اجليبي الذ من الشراب

نزل دمعي على خدي حرجني شبه الزيت في المقل حرجني
وانا فراق امي وابوي حرقني وما حرج جلبي غيرهم حدا
نزل دمعي على خدي لعده شبه المطر من السما لعده
وربي ما خلق عله بلا دوا سوى علي ما الها دوا

نزل دمعي على خدي حرجني مثل الزيت في المقل حرجني
انا قنيت ربي ما خلقي خلقي للمرارة والعذاب

وكانت الوالدة رحمها الله، عندما ترانا وقد انصهر وجداننا في بوتقة آلامها وأحزانها الميثوثة، وانهمرت دموعنا حتى تُسارع الى تلطيف الجو بعض الشيء، فتتحكم بطبقات صوتها:

أوف... أوف... أوف...
عتابا عاتيتي يا هوالي
على الدربين تلعب بهلواني
جابه لي الكحل وبالهلواني
شو بدي بالكحل بعد العمى
أوف... أوف... أوف...
يا بو خد كما الورد عليك يا خوف (٢)
صبايا وماخذات أنزال يا خوف
ومهرتكم (٣) بلا خيال يا خوف
تقورط باللجم بعد العشا
أوف... أوف... أوف...

(١) عند الدفن والموت (٢) اقصى حدود الاسف (٣) فرسكم

رحلنا وانزلنا في المشاريك
ويوم فراقكو احمر من نشاف الريق
عجاج ما حدا ودع حدا

يا دار العز بالله تعاليني
وتحككي لي بالصحيح وتعاليني
سألتك بالنبي ورب العالمين
على أي بلاد فَرَوْنَ الحباب

وحول الكانون، كانون النار المصنوع من الحور والقش بيد الوالدة رحمها الله، كنا نتحلق في ليالي الشتاء، نشوي في ناره رؤوس البصل أو حبات البطاطا، ونحن نسمر ونتعلل الى شاعرنا المرحوم محمد أمين عبد الله محمد الذي كان يزورنا دائما، يقرأ لنا القصص الشعبية ويترنم بما فيها من شعر بلحن خاص مألوف، وكان رحمه الله بارعا في اداء السيرة والترنم باشعارها على اوتار ربابته التي كان يحضرها معه في أغلب الزيارات ... كان يشدو اشعاره بصحبة جرات ربابته، ذات الصوت الجميل، يشدو لنا أشعار أبي زيد الهلالي، والزغبي، وذياب بن غانم، والزناقي خليفة وسيرة ابنته سعده، وسيرة حمده ... وغيرها، فيقص علينا من خلالها سيرة حياة أبطال العرب، سيرا شعرية تأخذ القلب الروائي، وتحكي ملحمتهم... في تغريبة بني هلال واتجاههم غربا من نجد الى شمال افريقيا، تحكي لنا قصة الصراع في تونس الخضراء وانتصار الهلالية على الزناقي خليفة بخيانة ابنته سعده التي لعبت دورا كبيرا في مؤامرة قتل والدها الزناقي، وانتصار الهلالية على قومها... ثم يدب الخلاف بين العرب كعادتهم في كل زمان وفي كل مكان يدب النزاع بين عرب الهلالية، فيقتل ذياب بن غانم أميره السلطان حسن ومن بعده يقتل أبا زيد الهلالي سلامة... غدرا.

كنا نتعلق بشاعرنا رحمه الله، فلا يبرح التعليلة، ولا ننام حتى نعرف ما يؤول اليه الحدث في تلك السيرة في ليننا، وكعادة الشاعر

الشعبي يوافقنا على مزاجنا ويرحنا... فيقص علينا كيف قتل ذياب بن غانم الخائنة سعدى.... ويصل التوتر والغضب الى اقصى درجة عندما يغدر ذياب بابي زيد الهلالي... فلا نرتاح حتى يُقتل الزغبي ذياب على يد برقع فيما بعد.

من تلك السيرة في تلك الليالي في قالونيا الحبيبة، لا زلت أذكر الكثير الكثير من الحوادث والأشعار والتي أحفظ بعضها على السنة اصحابها... من تلك السير، ومن خلال اساليبها الشيقة ومهارات شاعرنا في جراته على الربابة وطبقات صوته الفينة الخلافة تعلمت الكثير من الاخلاق والمثل العليا والواجبات، فعرفت لأول مرة صوراً من القيم الاسلامية والعربية الاصيلة والنبيلة قبل أن أقرأ عنها في كتب الدين والتاريخ وفي كتب العلوم الإنسانية فيما بعد... عرفت الصفات التي تميز العربي الاصيل - من شهامة وبطولة ومروءة وغوة وكرم ووفاء بالوعد، وقول الحق ونبذ الظلم وتمجيد القرابة ورابطة الدم في العشيرة واحترام صغيرها لكبيرها... كل ذلك من خلال أسلوب تلك السيرة الشعبية، الأسلوب التهذيبي الثقيفي المؤثر في القارئ والسامع.

اسلوب السيرة، سيرة أبي زيد الهلالي بالذات، ومهارة شاعرنا وابن عمنا محمد أمين عبد الله محمد في جرة (١) الهلالي على وتر الربابة، وطبقة صوته، الآسرة الخلافة، عناصر كانت تتسابق في اثاره عواطفنا وانفعالاتنا الى جانب تساؤلاتنا. كلها كانت تدفع بالواحد من المستمعين أن يفعل حتى البكاء، فتشارك الوالدة أو الشقيقة... الجازية أم محمد وهي تشدو بشعرها طالبة أن تدفن الى جوار اخيها السلطان حسن بن سرحان. أو تستبشر وتظهر اعجابها بعليا الهلالية زوج أبي زيد الهلالي سلامة على حسن مشورتها وعقلها المدبر خلال رحلة بني قومها من نجد غربا الى تونس وبلاد شمال افريقيا....

(١) الربابة لا تعرف وإنما تجر، وهناك جرات تتراوح بين ٧ الى ١٥ جرة: أحدها جرة الهلالي وهو نغم يغلب عليه الحزن، وسميت بهذا الاسم نسبة لبني هلال.

كرم الطبيعة وجود أرضنا الطبية

أنا ممن يؤمنون أن أمراض السكر وضغط الدم وتصلب الشرايين وضعف المناعة الجسمية والروماتزم.... وغيرها من أمراض العصر الكثيرة، وما ينتج عنها من ضعف وهشاشة عظام البنية وورططة الأنسجة وترهل اللحوم البشرية... الخ إنما هي ناتجة عن فساد الأغذية في عصرنا هذا. أغذيتنا تعتمد كلها على الزراعة، وزراعة هذا العصر تعتمد على الأسمدة الكيماوية وهي سامة بالطبع، وتعتمد أيضا على محاربة الآفات الزراعية، فترش المزروعات بمبيدات حشرية سامة، فتتعدى ابعاد الإبادة التي تقوم بها، ولكل مبيد تأثيره الضار والسام على بدن الإنسان وصحته... ومع عمليات قطف الثمار، وتعبئتها أو تعليبها أو تكييسها أو تخزينها، تأتي مجموعات أخرى من السموم لمنع تآكل العلب والصدأ، ولمنع تفاعل الأغذية... الى جانب مواد سامة أخرى تحمي المخازن من الدود والحشرات والفيروس... وتلك عمليات تشليح وتبريد... أو تعقيم...

ألست معي أيها القارئ الكريم أن رائحة وطعم الحليب الطازج، سواء من الأغنام أو الأبقار لم يعد موجودا... منذ أن خرجنا من بلدتنا قالونيا وأنا في حالة اشتها تام لطعم الدجاج البلدي الذي كانت تربيته الوالدة في منزلنا الشهيد في بلدتنا قالونيا... طعم البيض تغير، ولم أعد اتذكر طعم ورائحة الخيار أو الفقوس أو البندورة المقطوفة من حقولنا... حقولنا لم تكن تتعامل مع السماد الكيماوي وسمومه... كل عائلة تزرع في حواكير دارها البصل الأخضر والنعناع والبقدونس والفجل وأنواع شتى من الخضروات مثل السبانخ والرجيلية والزهرة والملفوف والكوسا والياقطين والبادنجان وغيرها... وكانت الفواكه متوفرة بكل أسمائها وفوائدها الصحية،

التندر والتفكه بأكلة "أبرة العجوز"

وقد يضاف الى المزيج حبثا بندوقه معصورة الى جانب مقدار من حبات العجين على شكل حبيبات تفلفل باليدين في طبق فخار واسع وتسمى هذه الأكلة هنا أكلة المفلقلة.

ومن اكلاتنا الشائعة في ايام تواجدنا في قريتنا أكلة البسيصة وكنا نستمتع بها في ليالي الشتاء أثناء تعليلة أو سهرة حول كانون النار وفي هذه الاكلة نخلط قليلا من الطحين بزيت الزيتون بحيث نحفظ الخلطة قوامها، تسمح بأن يغمس فيها حبات القطين الذي كنا نحرص على تخزينه في الخابية مرشوشا ببودرة الطحين...

المشومة:

نشوي الباذنجان في الطابون ثم يقشر ويخلط مع اللبن المخيض أو اللبن المريس وتضاف الثومة المدقوقة بالملح في الهاون دقا ناعما الى المزيج ليخلط كله بزيت الزيتون. وقد نستبدل الكوسا المشوي أو المسلوq محل الباذنجان في هذه الأكلة التي كانت تقدم لطبق أوجد في وجبة العائلة.

المشاط:

بعد الاستفادة من اللخنة وهي أوراق القرنبيط الخضراء حيث تطبخ مفرومة مع الزيت والبصل او تُلَف وفي داخلها حشوة من الرز واللحم المفروم، تعمد ربة البيت الى سلق أجزاء الزهرة البيضاء وتغمسها في خليط من البيض الني والطحين لتقل مباشرة بالزيت المغلي بأشكال تقرب من أشكال مشط اليد متباينة الحجم.

الزلابية:

هي عجينة رخوة تقطع حسب الحجم المطلوب، وتقل بالزيت حتى تتحمر، فتخرج رقاقة لطيفة المنظر طيبة المذاق تؤكل ساخنة أو

تمدنا بالغذاء الصالح البعيد عن السموم، الى جانب ما نقتنيه من الأغنام والأنعام والدواجن والأرانب نستمتع بلحومها..

كانت أمهاتنا تجيد اختيار أنواعا أخرى من الأعشاب والنباتات تنمو في البر تلقائياً، تحت اشراف الطبيعة وكرمها... فنأكلها مطبوخة أو نيئة... ومنها على سبيل المثال لا الحصر :-

اللوب الأخضر:

وهي نبتة برية خضراء، تنمو حول الصخور الكبيرة محاولة الاختباء بها، وهي ذات ورق اخضر طويل وعريض، تفرم أوراق هذه النبتة وتنقع بالماء ليلة كاملة وتطبخ مع البصل والزيت، وكنا نستمتع عند مضغها وبلعها بنممة لاسعة في أفواهنا رغم نقعها بالماء طوال الليل السابق على طبخها وذلك بسبب طعمها الحريف.

الحميض (الحميظ)

وهي ذات أوراق عريضة وطعم حامض، تقلى بعد فرمها مع البصل بزيت الزيتون، وتحشى في اقراص العجين وتخبز في الطابون وتسمى فطاير الحميظ.

الحويزة

وتفرم اوراقها الخضراء وتنقع نيئة في اللبن المخيض والزيت بعد خلطها بالثوم المدقوق...

وهناك من النباتات كنا نأكلها مباشرة ونخن في حقولنا في موسم الربيع: السعسعة، والحرفيش - وهو نبات شوكي ذو أوراق عريضة مسننة، تقشر جذوعها وتؤكل نية.

أبرة العجوز:

وتفرم جذوعها لتقل مع البصل المفروم بزيت الزيتون، قد تخلط بالمرقة المملحة تصب فوق فتيت الخبز ويسمون تلك الأكلة من باب

باردة، تقدم عند زيارة القبور في أيام العيد.

تحضير الشعيرية:

كانت نسوة القرية يقمن بتحضير الشعيرية قبل الشتاء أو قبل شهر رمضان حيث تفتل العجينة الجافة بأصابعهن المغموسة بالزيت - على شكل حبات صغيرة لا يزيد طول الحبة منها عن سنتيمتر واحد، وتتجلى مهارة سيدة البيت كلما رقت الحبة منها وقصرت، وكانت الواحدة منهن تثير إعجابي، بسرعتها ودقة الشعيرية التي تفتلها بأناملها، وهي تمسك بكعب العجين بأصابع يدها اليسرى، وقد الكعب بحيث تحمله بيدها وهو ملتوي حول رسغها، وتفتله بأصابع يدها الثانية، تلقيها شعيرية مفتولة دقيقة فوق وجه طبق واسع سبق وقامت بصنعه من قش سنابل القمح بعد أن صبغته بألوان متعددة. تترك الطبق وما عليه من الشعيرية مفرودة فوقه تحت الشمس ليجف ثم تقوم بتحميره بالسمن ليخزن أو ليضاف إلى الرز... وكثيرا ما كنا نأكل بشهية الشعيرية بعد إضافة السكر المطحون إليها بعد تحميرها، تتحلى بها وهي ساخنة.

الرشتا:

يسطح ويمد العجين الجاف بالرقاقة الخشبية المدورة ثم تطوى الرقاقة وتلف عدة مرات على شكل رقاقة الخشب أو مدورة أو على شكل آخر... ثم تقطع بالسكين على شكل قراضات (١) دائرية أو مستطيلة حسب لفة الرقاقة. يسلق العدس أبو جبة الحب (٢)، بالماء المغلي وتضاف إليه القراضات حتى تنضج، ويضاف البصل المفروم والمحمر بالزيت، ثم تصب في الصحون لتبرد حتى يتماسك قوامها... وتؤكل...

(١) على شكل حبال (٢) غير المجروش

الجريشة:

ويجرش القمح بالجاروشة وتغلى في قدر كبير فيه اللحم والماء، وتسكب عند نضجها في الصواني بحيث تشكل طبقة رقيقة خفيفة في قاع الصينية، تترك لتبرد فتماسك ثم تقدم للنساء خاصة في حفلات الأعراس، بعد زفة العريس مباشرة في بيته، وعند موسري الحال يرش فوق صواني الجريشة كمية من الرز المفلفل مع اللحم.

شيشبَرَك:

تُحضَّرُ ست البيت عجينة الشيشريك وتقسّمها إلى دحاير أي إلى قطع مدورة صغيرة تفرد كل دحيرة على شكل منبسط دائري بإبهامها، ثم تلفها حول حشوة من اللحم المفروم والبصل والبهارات على شكل قُبْعة واضحة الحواف، ثم تُلَقَى حبات الشيشريك في اللبن المخيض المغلي في القدر على النار حتى تنضج، ثم تسكب في الباطية أو في الصينية والصحون، وتترك حتى تبرد تمهيدا للتمتع بأكلة. والشيشريك اسم مركب من جملة (شيء فيه بركة) ولهذه الأكلة تسميات كثيرة منها: ذنين الشايب أو ذنين القطاط أو ذنين أبي علي لأن حبات الشيشريك تبدو شبيهة بأذني الرجل الكبير أو أذني القط. وقد تسمى الطبخة باسم أول من أحضر هذه الأكلة إلى بلادنا فلسطين وهم يهود المسكوب القادمين من روسيا، وشكلها يشبه فعلا قبعاتهم ذات الحواف فسميت "برانيط المسكوب".

المفتول:

وهي من أكلات الشتاء التي تبعث الدفء في أجسادنا، وطبخة المفتول ذات شقين: الشق الأول يتعلق ببخنة المفتول التي تتكون من عصير البندورة التي تضاف مع البصل إلى مرق الدجاج أو اللحم والحمص بعد نضجها في القدر فوق نار الموقدة بالحطب. والشق الثاني يتعلق بالمفتول الذي تقوم ربة البيت بأعداد الكمية المطلوبة منه

سواء كانت تلك الكمية للخزين أو لوجبة واحدة للعائلة في ذلك اليوم: يوضع عرام (أي ما يملأ قبضي ست البيت) من السميد الحشن في قعر الباطية الكبيرة ويرش بالماء المُمْلَح حتى تبتل الكمية، ومن ثم يرش الطحين فوق السميد المبلول، ويفتل الخليط بأصابع اليدين يمنة ويسرة بشكل متداخل، وتتحكم ساقا الفتالة المنفرجتان بالباطية لتثبيتها في أثناء عملية الفتل، تتحول الخلطة بسببها أخيراً إلى حبيبات دقيقة، ثم تكرر ربة البيت هذه العملية عدة مرات... حتى تتجمع لديها الكمية المطلوبة من المفتول.

بعد أن تتوفر الكمية المطلوبة من المفتول تبدأ عملية التهيئة (١) له ثلاث مرات في جرة من الفخار مقصوفة القعر والأذنين، وتُسمى الجِرَّة أو زيرُ الفخار الصغير بعد هذه العملية باسم "كور المفتول"، يوضع الكور فوق القدرة بشكل معكوس حيث تكون فتحة الكور في داخل فتحة القدرة تماماً، توضع المصفاة وهي عبارة عن قطعة من الصفيح أو الحديد جرى تحريمها بالمسمار بثقوب كثيرة ودقيقة ومتقاربة، تثبت حوافها بعجينة لاصقة تربط فوهة الكور بفوهة القدر بحيث تمنع تسرب (الهبال) (البخار) الى خارج القدرة ثم يهال المفتول داخل الكور بعد دهنه أي الكور بالزيت، وينضج المفتول بفعل الهبال المتصاعد من القدرة عن يحنة المفتول الناضجة والدائمة الغليان - من خلال ثقوب المصفاة ومن ثم يفرغ من الكور لفركه بالزيت ومن ثم اعادته الى الكور للتهيئة الثانية وتعقبها التهيئة الثالثة...

وبعد التهيئة الثالثة يفرش المفتول في الصينية لذلك بالزيت وفركه باليدين ومن ثم يوضع في الباطية ويسكب فوقه اليخنة ثم يترك ليبرد غهيدا لأكله....

(١) التهيئة.

كان يستهوينا نحن الصبية الصغار منظر كور المفتول فوق قدرته الملتصقة به بواسطة قلادة العجين، والمرتكزة على مثلث محكم من ثلاث حجارة كبيرة بينها كرامي الحطب المشتعلة، ويظهر حماسنا نحن الصغار واستمتاعنا بمنظر تصاعد الهبال من خلال المفتول في قمة الكور ونحن نردد نثراً مُلَحَّناً...

هبل يا كور المفتول هبل هبل لا عمرك هبلت

فت العدس:

يقدم العدس المجروش بعد نضجه رخوا على شكل حساء، يسكب فوق هشم الحبز في كريمة او باطية ويترك فترة ليرنخ الفتيت تحت طبق من القش، وبعد دقائق تكشف الباطية ليوضع فوق فت العدس كومة من الرصيص أو البصل الناشف... يبادر الجائع الى الأكل باصابع يده، يصنع بها الدقاميس، حيث يُدْخِر الدقماس أو اللقمة، ويلطف شكلها بين اصابعه وعلى ساحة يده ومن ثم يدفعها - فرخاً بها - الى داخل فمه بابهامه دون أن يخطيء اتجاهها، يلحقها بحبة الرصيص أو حبتين أو يقضم جزءاً من البصلة بعدها...

المنسف:

سميت الوجبة باسم الوعاء الذي تقدم فيه وهو وعاء منبسط ومستدير من النحاس كان له في الماضي عدة مقابض تصل في عددها الى ستة مقابض أو أكثر، يمسك بها الخدم ولذلك كانت تسمى تلك المقابض بالمخادم، لأن تلك المناسف كانت تقدم لعلية القوم وفوقها لحم جمل أو ثور أو أكثر من خروف.

والمنسف وجبة تقليدية احتفالية في جميع قرانا في فلسطين، تقدم في حفلات الأفراح في الزواج، وفي الحتان، وفي مناسبات اجتماعية هامة كمناسبات الصلح والضيافة للرجال المهمين، كما تقدم في ولائم النذور وفي المناسبات الدينية وفي تجمعات الرجال والنساء في

التعازي، والمنسف طريقة عملية سريعة وسهلة لإعداد الطعام لأعداد كبيرة من الرجال والنساء.

ومواد المنسف: لحم مطبوخ باللبن الجميد، وأرز مفلفل، وخبز رقيق أو شراك، أعد لهذا الغرض على الصاج خاصة، تفرش الشراك في قاع المنسف وفوق الشراك يصب شراب اللبن ومن ثم تفرش طبقة الرز فوق الشراك المرخ بالشراب لعدة دقائق. ثم تجري عملية تجميل المنسف وتزيينه برصّ قطع اللحم فوق سطح الرز حتى تكاد تغطي وجه المنسف، ويسكب الشراب فوقه ثانية، ويزيد من جمال المنسف وجودة طعمه توزيع حبات الصنوبر واللوز والزبيب، بعد أن جرى تحميرها بالسمن البلدي فوق اللحم وبين قطعة على الرز، فيبدو المنسف كلوحة فنية جميلة مزركشة الألوان...

وقد تهندس الوجبة في وعاء غير وعاء المنسف، وتظل الوجبة محتفظة باسمها.

التفريجة:

يُحضر احد الوالدين عندما يعود من المدينة ما يفرح الأولاد في البيت من حلويات، وكنا نفرح بحلاوة الكسبة، نكورها على شكل دحابر صغيرة بعد عجنها بالسكر. وأتذكر حلاوة القدوم وقساوتها وعنادها أمام محاولتنا لتحطيمها باستعمال القدوم أو الشاكوش تمهيدا لأكلها أو مضغها، تقابلها حلاوة الحلقوم المطاطية القوام والمصنوعة من عجينة السكر والطحين، ... حتى الخبز المدني وهو الاسم الذي كنا نطلقه على أرغفة الخبز المخبوزة في أفران القدس، وكان منظرها يدخل البهجة في نفوسنا.

الخروب:

ونأكل قرونه الجافة في الشتاء بعد أن جرى تجفيفها تحت الشمس وحفظها، وكنا نأكلها في أمسيات الشتاء ونحن حول كانون النار،

نستمع الى حكايات الشاطر حسن ونص انصيص وقصص الغول.

كانت الوالدة رحمها الله تحزن لنا الخبيصة بالذات (١) التي تصنع من قرون الخروب بعد نقعها بالماء لمدة ١٢ ساعة ثم تجري عملية دق القرون المنقوعة وفركها وإزالة الحثرم منها، ويصفى المحلول ليُغلى على النار ويضاف اليه بالتدريج مع التحريك والتقليب نشا جريشة القمح بالماء ثم يضاف اليه الزبيب المنقى، وتُحزن قطعة في الطحين داخل الخابية كمأكل شتوي كنا نسميه "المدقوقة" أو "الخبيصة".

ولا تغيب عن ذاكرتي مهارة نسوة قريتي في صنع المربي أو التظلي من الفواكه المتعددة التي تنمو أشجارها في حقولنا وكرومنا.... تظلي المشمش ومربي التفاح، والقراصيا والبرقوق... العنب طيبخ، ولا أزال اذكر مهارة امرأة عمي "أم عثمان" طرفه رزق جابر رحمها الله زوجة العم محمد عثمان سمور عسكر، كانت في موسم العنب تفتقدنا وترسل لنا برنية منه أي قدرة مصنوعة من الفخار مستطيلة أو مدورة، وقد تذكرنا معا - عندما قابلتها لآخر مرة عام ١٩٥٥ في بيتها في قرية الرام - تلك الأيام الحلوة في بلدتنا قالونيا وحدثني عن طريقتهما في طبخ "العنب طيبخ".

تفرط حبات العنب الجيدة والسليمة ثم توضع داخل الطنجرة النحاسية الكبيرة أو في الدست المنصوبة فوق موقدة من ثلاث حجارة، يضاف السكر الى العنب حسب الطلب، وتشعل النار تحت القدرة حتى يغلي ما فيها، وتجري عملية التخلص من العراميش من فوق سطح السائل بمغرفة خشبية طويلة، تظل النار شديدة حتى ينضج العنب، ويترك حتى يبرد ومن ثم يعبأ في براني الفخار المعدة مسبقا، وتغطي وجه البرنية بطبقة من زيت الزيتون خفيفة كمادة تعزل الهواء من التسرب الى داخل البرنية وتحمي ما فيه من التعفن.

(١) وكانت الوالدة تأتي بها من ساكب عند زيارتها لأهلها، أو يأتي بها أحد أخوالي ضمن ما يأتي به من هدايا عند زيارته لنا في قالونيا.

التفاؤل والتشاؤم

من بين الموروث الشعبي معتقدات تمثل رواسب ديانات بدائية ووثنية سابقة كانت سائدة في قرى بلادنا فلسطين، أذكر منها بعض المواقف التي لا أنساها:

أتذكر أن الوالدة رحمها الله كانت تتحاشى أن تنادي الوالد أو تذكره بشيء أثناء اللحظات الأولى عند خروجه فوق عتبة الدار إلى العمل أو إلى أية غاية خارج البيت، كانت تتجنب النداء عليه طالما خرج من الباب، وذلك لأنهما رحمهما الله كانا يتشاءمان أشد التشاؤم من نداء المتوجه إلى خارج البيت لأي هدف. كانا يعتقدان أن الشر يلزم عملية الندمة وخاصة إذا حدث وأن استجاب المنادي للنداء أثناء خروجه من البيت.... إذا اضطرت الوالدة اضطراباً إلى النداء أو تذكير الوالد المتوجه إلى خارج الدار بأمر ما قبل خروجه قالت له:- ما انت مندوه يا "أبو رجا" ثم تذكره بالأمر وهو صامت صمت المذهول فلا يحرك شفة...

لم يكن شيء يغیظني ويزيد في حنقي أكثر مما كانت تفعله الوالدة عندما كانت تختم بكفها على جبهتي - عندما افعل شيء تنكره ولا ترضى عنه متبعة ذلك بقولها - وهي تضرب جبهتي - هاك السبع سبعات بين عينيك "وهو دعاء بالشر ورثته عن أبناء مسقط رأسها في ساكب". سبق وأشرت في السابق أن أهل قريتي والزراع خاصة أثناء كيلهم للحبوب يتحاشون ذكر العدد سبعة ويهربون منه فيقولون بدلها "سمحة" ويتجاوزونها بعددين قائلين "والله الأمانة" بدلا من "ثمانية" وتسعد من الله "بدلا من التسعة" لشؤم العدد سبعة عندهم. فهذا العدد عندهم يعتبر مجازاً، "النهاية التامة" للفشل المصاحب للإنسان الخائب المتعثر، ومن عجيب ما قرأت في الإسرائيليات أن عدد ٧ لازم لليهود في محنتهم التي نزلت بهم في مصر... فقد أرسل الله عليهم الطوفان سبعة أيام، والجراد ٧ أيام والقمل ٧ أيام والضفادع سبعة أيام والدم سبعة أيام.

تصل قمة التشاؤم والخوف والقلق والحيرة من ذكر رقم ٧ في سورة يوسف لاكثر من مرة: "يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون" وتقضي الاسرائيليات فتبين أن يوسف قد فقد وترك أهله والقي في الحب وعمره ٧ سنين.... وسجن في مصر سبع سنين....

ويشير العدد سبعة في آيات القرآن في بعض السور إلى تمام العقوبة وكمالها في مواقف العذاب والعقاب، "وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية".

الناس على اختلاف مللهم ومنذ بدء الخليقة أدركوا أن هذا العدد سبعة وغيره من الأعداد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداث الكون ومظاهره...! وكان لعرب الجاهلية في هذا الجانب سبح طويل واعتقادات شتى حتى جاء الاسلام وأبطلها وردهم إلى النهج العقلي السليم بدلا من الانسياق وراء الضعف وتصديق الوهم، والا فما معنى أن يصدق إنسان عاقل أن النحس في وقت معين أو في مكان معين أو في تصرف معين أو رقم معين أو يتزعج من صوت طائر أو رمش عين وحركتها أو رؤية ما لا يسره من إنسان أو طائر أو حيوان...؟! *

إن القاعدة الأساسية في تعليم الأبناء في المجتمع الشعبي هي التقليد، تقليد الصغير للكبير، تقليد الابن لأبيه أو لأخيه الأكبر، لجده أو لعمه أو لخاله أو حتى لغريب فعل شيئاً أمامه أو قولاً قاله... على مسمعه، لذا يصحب الأب ولده معه في زيارته وفي حضوره في التعليلة أو في عرس أو وليمة.... أو يأخذ ولده معه في مشاوير هادئة إلى قرى قريبة أو بعيدة من بلدته يعقد فيها ما يشبه الصفقة التجارية... رافقت الوالد رحمه الله في مثل تلك المشاوير

وتعلمت فيها الكثير الكثير... وشاركت في الجلسات والسهرة... عن بُعد أو في القرب... استمعت الى كلام الكبار، وأنصت الى أحاديثهم.... وشاركتهم في الضحك وفي السرور خاصة... وقد اعتاد المجتمعون اذا ما أفرطوا في الضحك فيتشاءموا، فينبري أحدهم قائلاً: "الله يعطينا خير هذا الضحك" وكأني بهم يستكثرون على أنفسهم لحظة من لحظات الضحك والسرور.

وكذلك كان شأنهم في المديح الزائد وفي الشناء المتكرر على شخص معين منهم، كانوا يتشاءمون من ذلك من خلال تعبيراتهم وتعليقاتهم التي أعياها وأحفظها... "ياه.. شو عنده ما شا الله أرض... أو غم... أو ما أحلى طوله أو لبسه (ملابسه) أو ما أجمل عيونه.....؟!".

أي ما أحلى كل شيء عنده وما أحلى (من الخلاوة ضد الماراة) حياته ووضع الاجتماعى، ومن هنا كان المثل السائد بينهم: "إن قالوا يا حليه، قولوا يا ويله" هذا الحال وراء اصرار الفرد من أهل القرية أن يتجنب الحديث بالتفصيل أو حتى الإشارة الى ما يملكه من مال أو أرض أو عقار... أو ما يتمتع به من وفاق مع زوجته أو مع أهل.... أو مع خلان.... فتراه لا يحدد قيمة ما يملك ولا يقدر أو يعين ما عنده إلا بالإشارة الغامضة يزينها بحمد الله وشكره، فيقول: "عاشين، مستورة والحمد لله..".

ورغم كل ذلك كان فرح أهل قريتي كثيراً وفي اوقات عديدة، كان فرحهم عاماً وسرورهم تاماً، وضحكهم نشوة وريبعا دائماً، في مناسبات الزواج وفي ولادة طفل، وفي الختان، وفي الذهاب الى المدرسة والنجاح والتخرج، وفي السفر لآداء فريضة الحج وعند العودة منه، وفي بنائه دار جديدة، وفي حسن إنتاج وجودة ثمار، أو حين العودة من سفر ولقاء الأهل والأحباب، في نجاح مسعى وفي تحقيق هدف... وفي الأعياد والاحتفالات: دينية أو اجتماعية أو تاريخية، تغمرهم في كل تلك الأوقات، السعادة وتداعبهم أغانيها،

فينتشون بنشوتها، فيأنس الجميع ويتلاطفون ويتداعبون اثناء مرحهم البرئ وفرحهم المستقيم. ولو أضاف الواحد منهم الى ذلك اوقات راحته وهدوءه، ولحظات شبعة بعد جوعه، وارتوائه بعد عطشه، وأمنه بعد خوفه، ولو تذكر أوينات سعادته وراحته التي يشعر بها بعد التخلص من خبث بطنه أو فضلات أمعائه لعرف أن حياته كلها سعادة، وأنه ينعم فيها بكل ما هو جميل في هذه الحياة... ومن خلال تلك المواقف كلها يعترف الكل أن السعادة والضحك هو انتصار الحياة وأن اليأس والندم والعبوس هو انكسار الحياة.... إنهزامها.

كان الغلام منا في بلدتنا قالونيا اذا ما أثمر، اي سقطت أول سن من أسنانه اللبنية، يتناولها بسبابته وابهامه ووقف تجاه الشمس وهي ترسل اشعتها في الضحى ورمى بسنّه تلك قائلاً:

"يا شمس يا شموسه، خذي سن الحمار واعطيني سن الغزال"

اعتقاداً منه - كما تعلم من الكبار ومن خلال التقليد - أن هذا يحمي أسنانه من العوج والفالج.... والمضحك أن عدداً كبيراً من أهل المدن والقرى والصحارى مستمرون على هذه العادة الجاهلية القديمة التي أشار اليها طرفة بن العبد البكري في معلقته المشهورة قبل ١٤٢٤ عاماً.

سقطه إياة (١) الشمس الا لثاته (٢) اسف (٣) ولم تكدم (٤) عليه بائد (٥)

(١) إياة الشمس: شعاعها

(٢) لثاته: مفرز أسنانه

(٣) اسف: نثر

(٤) تكدم: تقض

(٥) ائد: كحل

انظر المعلقات العشر... لفوزي عطوي

العابنا

اعتمد الابناء والشباب... والرجال في قريتي قالونيا - شأنهم في ذلك شأن أترابهم في قرى بلادنا فلسطين - على العابهم الخاصة يُركّبونها من مواد بسيطة وأدوات متوفرة، يسهل الحصول عليها من بيئاتهم دون أرهاق أو انفاق، وبالفطرة يعرف الواحد منهم أن مثل هذه الألعاب إنما تُشيع عنده حاجات فسيولوجية ونفسية تتصل بنموه الجسدي ووظائف اعضائه، وتساير حبه في المنافسة وفي الغلبة والسيطرة والفوز والنجاح.... ومن هنا كان عندهم العاب وتسلّيات خاصة بالذكور وأخرى متباينة ومعدلة ومكيفة للإناث.

والألعاب الشعبية لها أسماءها ومصطلحاتها، تعطي اللعبة تميزها الخاص، وبُعدها الاجتماعي الذي يتراوح بين البساطة والعمق، كما سئزى حال استعراضنا لبعض تلك الألعاب...

أولاً: لعبة الجمال والحرامي:

المشركون في اللعبة:

"الجمال" شخص يملك مجموعة من الجمال.

+ مجموعة من سبعة أشخاص يقومون بدور الجمال

+ اللص (سارق الجمال)

رسم اللعبة: يقف الجمال بطوله مع وضع رأسه على ذراعيه المسندتين فوق جدار أو على حائط وتكون عيناه محجوبتين عن رؤية ما يدور خلفه، وتقف مجموعة اللاعبين في نفس الوقت خلف الجمال بحيث يكون اللاعبون سلسلة من الجمال يتكئ كل منهم على الجمل الذي قبله. يأتي الحرامي من الخلف مبتدئاً بآخر جمل في السلسلة الواقعة خلف جمالها - فيسرقه ويخفيه وهو يقول للجمال الغافل: جمال يا جمال سرقولك جمالك. فيرد عليه الجمال بغفلة: سيفي تحت راسي ما بسمع كلامك!!

ويكرر اللص النداء مع سرقة كل جمل على حدة حتى يأتي على الجمال كلها، يسرقها فيخفيها في أماكن متفرقة، فيعلن للجمال ان جميع جماله قد سُرقت، فيفتح الجمال عينيه ليبدأ بالبحث عنها، حتى ينجح في الوصول الى أحدها ليقبض عليها، وهنا يقوم الجمل المقبوض عليه بدور الجمال... ويعود ليقبض على جمل آخر يقوم بدور حرامي الجمال....

لهذه اللعبة اشارة واضحة لما يدور في وجداننا الشعبي... فلا نزال حتى الآن نعيش عقلية الجمال... في الغفلة او في التغافل... ظل اللص يسرق فلسطين قرية، قرية، أو مدينة مدينة، تحت غفلة وسمع جمال العرب والعروبة في كل مكان وفي كل زمان، حتى تمت سرقة كل فلسطيننا واصقاع اخرى من بلاد العرب... ومن ثم بدأنا نبحت لا عن جمالنا فحسب بل عن وجودنا بين الأمم.

ثانياً: لعبة الغماية

لعبة تتكون من مجموعة من الشباب (وأحياناً من الغلمان والأولاد) وكلما كان اللاعبون من كبار السن كلما كانت اللعبة اكثر اثارة وحماساً، وهي تتطلب من اللاعبين، الشجاعة، والجرأة، والمهارة في حسن اختيار مكان الاختباء في الليلة الظلماء، أو القمرء وهذا لا يتوفر الا اذا كان الشاب اللاعب محيطة وعارفاً بشكل تام، عارفاً بقرينته، حناياها والأماكن التي تصلح للاختباء فيها، كالكهوف والمغارات والجدران، وتحت الصخور، وعلى رؤوس الاشجار المتشابكة الأغصان، واكداس النشس المكومة في دروب القرية وحاراتها، عند عيونها، وفوق بيادرها... في مناطقها وحقولها... في كرومها وحوالكيرها... في منطقة جغرافية يتفق على تعيينها اللاعبون.

يختار اللاعبون أحدهم بالقرعة، ومن تقع عليه القرعة يسمونه "باتت على أمه"، يستدير ويغمض عينيه تاركاً الفرصة للاعبين ليجثوا عن المكان المناسب للاختباء. بعد أن يتم انتشار واختباء

اللاعبين في الاماكن التي ذكرت خلال دقائق، متفق عليها من خلال فترة زمنية يقوم فيها الشاب المغمض عينيه بالعد حتى المائة او الخمسين حسب الاتفاق ومن ثم يفتح عينيه ويبدأ بالبحث عن المختفين حتى يسعفه الحظ بالقبض على أحدهم أو بوصوله الى مكان الهدف قبله، وهو المكان الذي كان يقف فيه وهو مغمض العينين، في هذه الحالة تبدأ اللعبة من جديد بحيث يقوم المختفيء المنكشف أمره والمقبوض عليه "بدور الشخص الذي" باتت على امه".

ثالثا:

ومن الألعاب التي كنا نمارسها في سهرات الشتاء وتعليلات الصيف لعبة "الحكم عليك" تلعبها مجموعة من الشباب او الرجال كبار السن، يقذف الواحد منهم بقطعة عظم خاصة سبق ان استخلصها من مفصل ركبة الشاة او الخاروف. للعظمة ستة أوجه. يقذف اللاعب العظمة قليلا الى اعلى فاذا استقرت ارضا على وجهها ذي الفجوة الصغيرة، يصبح اللاعب متهما، يصدر الحكم عليه من قبل القاضي: يقوم لاعب آخر - وعلى التوالي - بقذف العظمة، فاذا استقرت على احد جانبيها الضيقين والمستطيلين يتولى صاحب القذفة تلك منصب القاضي، اما اذا استقرت العظمة واقفة على احد الطرفين المدبيين وهذا ما يندر وقوعه، يظل صاحب الرمية قاضيا وحاكما خلال سبعة اشواط من اللعبة. ومن تستقر العظمة له على ظهرها المنتفخ يتمتع بالبراءة ولا حكم يصدر ضده.

وفي حالات تعذر وجود مثل تلك العظمة بأوصافها السابقة تستبدل باستعمال علبة كبريت بثلاث نجوم.

وغالبا يحكم القاضي على المتهم من اللاعبين بالقيام بعمل، كأن يأمره بالرقص أو الغناء او الوقوف على هيئة خاصة أو يطلب تقليد حيوان أو طير... وقد يطلب منه عملا يثقل عليه أو يكرهه... وقد يحكم عليه بالجلد على قدميه او يديه... وكان يقع كثيرا من أمثال

تلك الاحكام، فلا يغضب أحد أو يحنق، وكان كل واحد يتلقى ما حكم عليه بروح رياضية، ويقوم بتنفيذه - مهما كانت منزلته الاجتماعية - بينما الكل في فرح ومرح والجميع يضحكون ولا ينكرون من أحد قولاً أو عملاً...

رابعا: ولعبة اخرى من العاب سهرات الشتاء: لعبة الصينية، تجري اللعبة بين مجموعتين متنافستين من الرجال أو من النساء أو منهم معا.

فوق الصينية النحاسية تسعة فناجين أو سبعة، يقوم أحد المشتركين باخفاء خاتم تحت فنجان منها مبتدعا انماط مختلفة لترتيب الفناجين ونشرها فوق الصينية، تنتدب المجموعة المنافسة أحد لاعبيها ليكون عريفا في كل مرة. مهمة العريف هو اكتشاف الخاتم قائلا كلمة "بوش" اي ان هذا الفنجان خال من الخاتم، يقول الكلمة "بوش" قبل رفع الفنجان الى اعلى، ويظل العريف يستعمل حذسه مكررا كلمة "بوش" مع كل فنجان يرفعه، حتى تصل قناعته ان فنجانا معينا يخفي تحته الخاتم فيصيح حينذاك وقبل رفع الفنجان "مليان" واذا اخفق باحدى الكلمتين "بوش" او "مليان" وكان الموقف مضادا لما قاله، سجلت اعداد الفناجين المتبقية كنقاط فوز للمجموعة صاحبة الصينية.

وهكذا تظل الصينية تنتقل من مجموعة الى أخرى حتى تسبق إحدى المجموعتين الاخرى في الوصول الى السقف المطلوب من النقاط (١٥٠) نقطة أو اكثر أو اقل.... وكلما كان السقف عاليا كلما طالت السهرة. والظريف في هذه اللعبة هو محاولة اكتشاف الخاتم بأسرع ما يمكن مع التعليقات اللطيفة التي كانت تطرح قبل رفع الفنجان، او اثناء استشارة العريف لجماعته حول الفنجان المطلوب...

خامسا: لعبة الفيال:

تجمع في هذه اللعبة كوما ناعما من التراب وتدفن فيه مجموعة معدودة تصل في عددها الى خمسين او اكثر او اقل من بحر الغم

الاهداء

تقديم

المقدمة

الفصل الاول: "التعريف بالقرية قالونيا"

* قالونيا والذاكرة

* البيت القلواني وملحقاته

* التواصل وحركة الحياة في البيت القلواني

* فلسفة البيت الكبير في بلدتنا قالونيا

* الميون في قالونيا

* الآبار في قالونيا

* البيادر في قريتنا قالونيا

الفصل الثاني: "أقسام قريتنا قالونيا"

* قالونيا الشمالية

* قالونيا الوسطى والشرقية

* قالونيا الغربية

* قالونيا الجنوبية

الفصل الثالث: "الأرض أرضنا"

* أرضنا في بلدتنا قالونيا

* أرضنا في دير نخله

الفصل الرابع: "في التاريخ"

* قالونيا في الازمنة الغابرة

* قالونيا، كلمة ومدلول

الفصل الخامس: "جذورنا"

* سكان قالونيا قديما وحتى الفتوحات الاسلامية

* سكان قالونيا في المائة وخمسين سنة قبل عام ١٩٤٨ وبعده ٩٣

* سكان بلدتنا من الغرباء حتى عام ١٩٤٨ ١٤٤

الفصل السادس: "قالونيا ويهود"

* الاستيطان اليهودي الأول في قريتنا قالونيا

* الاستيطان اليهودي الثاني في قريتنا قالونيا

الفصل السابع: "جهاد اهل بلدتنا قالونيا"

* ضد الانجليز ويهود الى ما قبل عام الشتات ١٩٤٨ ١٦٤

* الفلاحون هم الثوار الحقيقيون ١٧٣

* جيش الانقاذ، وفرق النجادة والفتوة ١٨٦

* اهل قريتي ومشكلة السلاح ١٨٩

* السقوط المأساوي الكبير في القسطل ودير ياسين وقالونيا ١٩١

الفصل الثامن: "التعليم في قريتي حتى عام الشتات سنة ١٩٤٨"

* مدارس الفلسطينيين ومدارس يهود ٢٠٤

* حلقات الدروس الأولى في بلدي قالونيا ٢٠٥

* بداية التعليم النظامي في قريتنا قالونيا ٢١٤

* البعثات الدراسية الأولى والمبادرات الذاتية ٢١٩

الفصل التاسع: "الزواج والحب"

* الزواج بين الأقارب ٢٢٤

* الزواج من الغربيات ٢٢٩

* الزواج بين حمائل البلدة في قالونيا ٢٣٤

* الحب عند اهل بلدتنا قالونيا ٢٣٦

الفصل العاشر: "الطبابة في قريتي قالونيا حتى عام الشتات سنة ١٩٤٨"

٢٣٧	* الطب الشعبي
٢٣٩	* العقم وعلاجه عند أهل بلدتنا
٢٤٣	* الكسور وعلاجها
٢٤٤	* الحرز والأمراض
٢٤٨	* التحويط والتخريج
٢٥٠	* طاسة الرجفة
٢٥٢	* أمراض العيون
٢٥٦	* الحصبة
٢٥٨	* التهاب اللوزتين
٢٦٠	* الأعشاب البرية
٢٦٢	* الحجاب
٢٦٤	* الربط
٢٦٥	* المارد، الجن، والجنون

الفصل الحادي عشر: "في الموروث الشعبي"

٢٦٨	* موروثنا الشعبي
٢٧٤	* أغانينا - في زفة العريس - وأبعادها الاجتماعية
٢٨٩	* أيام السعد
٣٠٦	* الحنان
٣١٤	* الاستسقاء
٣١٧	* سهرات الشتاء
٣٢١	* طعامنا والأرض الطيبة
٣٢٨	* التفرجة
٣٣٠	* التفاؤل والتشاؤم
٣٣٤	* العابنا



المؤلف في سطور

❖ ولد في قانونيا في الثالث من أيار / مايو عام ١٩٣٣م.

❖ درس في كتاب القرية في مسجد اشيوخ حمد، وفي مدارسها وأتم دراسته الابتدائية في مدرسة لفتا الأميرية حتى عام ١٩٤٧م.

❖ انتقل الى مصر وواصل دراسته الثانوية في مصر أيام النظام الملكي وثورة ٢٣ يوليو الناصرية سنة ١٩٥٢م.

❖ حصل على دبلوم المعلمين والمعلمات الخاص / قسم اللغة الانجليزية - القاهرة سنة ١٩٥٦م.

❖ حصل على بكالوريوس الآداب قسم الفلسفة والاجتماع - بيروت سنة ١٩٧٠م.

❖ اشتغل في تعليم اللغة الانجليزية في مدارس الأردن الثانوية، وفي مدارس الكويت معلماً ومرشداً لطلاب ومعلمي اللغة الانجليزية هناك، زهاء أربعة وثلاثين عاماً.

❖ اشتغل محاضراً لدروس اللغة الانجليزية وآدابها في كليات المجتمع في الأردن بعد عودته من الكويت.

❖ تزوج في العيزرية - القدس عام ١٩٥٨م من ابنة الحمولة، وله ستة أبناء وابنة واحدة.

*
**

